

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة الجزائر(2)

قسم التاريخ

الدكتور أبو القاسم سعد الله

نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي

العلماء والسلطة المرينية

668هـ-759هـ/1268م-1358م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:	المشرف: الدكتور		
هشام بن سالم	عبد الحميد خالدي		
أعضاء لجنة المناقشة:	الاسم واللقب:	الرتبة:	الجامعة الأصلية:
الرئيس	بشار قويدر	الأستاذ الدكتور	جامعة الجزائر (2)
المقرر	عبد الحميد خالدي	الدكتور	جامعة الجزائر (2)
عضو	بوعلام صاحي	الدكتور	جامعة الجزائر (2)
عضو	نور الدين غرداوي	الدكتور	جامعة الجزائر (2)

السنة الجامعية: 1435هـ-1436هـ/2014م-2015م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ وَيُخْتَارُ مَا يُنَزِّلُ الْوَحْيَ عَلَى رُسُلِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلٌ

يَخْتَارُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيُخْتَارُ مَا يُنَزِّلُ الْوَحْيَ عَلَى رُسُلِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلٌ

فَاتَّخَذُوا لِلَّهِ

سورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي (2) أَنْزَلَ (3) فِيهِ (4) آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (5) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (6) وَالْقُرْآنَ كَرِيمًا (7) الَّذِي (8) أَنْزَلْنَا (9) فِيهِ (10) آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (11) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (12) وَالْقُرْآنَ كَرِيمًا (13)

فَهَذَا (14) الْقُرْآنُ الْعَرَبِيُّ (15) فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي (16) أَنْزَلَ (17) فِيهِ (18) آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (19) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (20) وَالْقُرْآنَ كَرِيمًا (21)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (22) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي (23) أَنْزَلَ (24) فِيهِ (25) آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (26) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (27) وَالْقُرْآنَ كَرِيمًا (28)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (29) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي (30) أَنْزَلَ (31) فِيهِ (32) آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (33) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (34) وَالْقُرْآنَ كَرِيمًا (35)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (36) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي (37) أَنْزَلَ (38) فِيهِ (39) آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (40) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (41) وَالْقُرْآنَ كَرِيمًا (42)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (43) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي (44) أَنْزَلَ (45) فِيهِ (46) آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ (47) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (48) وَالْقُرْآنَ كَرِيمًا (49)

مقدمة

إن دراسة طبقة العلماء وعلاقتها بالسلطة السياسية في أي عصر من العصور، هو بحث في الحقيقة مهم للغاية، يجعلنا نتلمس جوهر التاريخ الإسلامي الذي لا يزال في مرحلة إعادة بعثه وانتشاله من ركاب الماضي، واستقراء أحداثه وفق منهج متكامل، لذا اتجهت الدراسات الأكاديمية في الآونة الأخيرة إلى كشف الغطاء عن مواضيع أكثر عمقا، بطرق التاريخ الحضاري الذي يتجاوز التاريخ الفردي البطولي - أي السياسي - إلى التأريخ لفئات أدلت بدلوها في بناء صرح حضارة الإسلام، حيث تفاعلت مع السلطة السياسية وساهمت في استمرارها وبقائها، بفضل الترابط بين الجميع، وفي مقدمة هذه الفئات "العلماء" الذين يشكلون عقد الوساطة بين السلطة الحاكمة وعامة الناس، إذ غير خاف عنا أن النشاط العلمي هو أبرز النشاطات البشرية إشراقا وتألقا، وتعبيرا عن العمق الحضاري للأمم والشعوب، وتحميدا لجهود العلماء في خدمة العلم والمعرفة، وإقرارا بدورهم الحاسم في صنع فعاليات التاريخ الإسلامي خاصة وتاريخ الإنسانية عامة.

هذه هي الطبقة التي نسعى لاكتشافها والتعامل الجاد مع أدوارها، ومحاولين من خلال ذلك البحث عن الذات، والعثور عن الهوية الضائعة في هذا العالم، والتجدر في مرجعيتنا، وتعميق التواصل بين ماضينا التليد وحاضرنا المعاش، وتلمس الملامح والخصوصيات، راجين استحضر ذلك التألق والتطور الحضاري الذي وصلته أمتنا عبر تاريخها المشرق الذي أثار الدنيا وأخرجها من ظلمات الجهل.

لقد أضحي للعلماء المسلمين نفوذا روحيا في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، ازداد وتوسع إلى حد كبير جعلهم أكثر الشرائح تأثيرا، في الأحداث والوقائع التي عرفها التاريخ الإسلامي، فلا يمكن بحال من الأحوال التأريخ للسلطة الحاكمة دون التأريخ لهم، فهما - أي العلماء والسلطين - يشكلان وجهين لعملة واحدة، بل أزيد وأقول أن العلماء هم عصب الأمة الذي بدونه لا يمكن أن تستمر، فبهم يستقيم حالها ويشند عودها، وتنتصر على أعدائها، فهم زادها وسراجها، الذي يستضيء به أفرادها ويستدلون به في حياتهم وفي طريقهم وينتفعون بعلمهم وصلاتهم في قابل أيامهم.

من هذا المنطلق ارتأيت اقتحام عالم العلماء والتأريخ لدورهم، يدفني إلى ذلك رغبة ملحة راودتني منذ التحاقي بالدراسات العليا، وولعي بالتاريخ الإسلامي الذي يعد أهم تاريخ صنعته أمة من الأمم، ساعيا إلى الموازنة بين التأريخ للسلطين والأمراء والحكام ومن زينت مفارقهم التيجان، ممن عبوا صفحاته، تاركين للعلماء أصغر زواياه وأكثرها خفاء وإهمالا، مع أنهم بناء وحدته، وصانعو ملامحه المتميزة، فلا تجد دولة من دول العالم الإسلامي إلا وللعلماء دور بارز في ثباتها ووحدتها، ونصيب وافر في حضارتها وعظمتها.

إن بحثنا يندرج ضمن الدراسات التركيبية عن جانب أساسي في تاريخ المغرب الإسلامي السياسي والعلمي، بتسليط الضوء على إحدى دول هذه البلاد، أي الدولة المرينية، من خلال دراسة علاقة العلماء بها، بنفض الغبار عن دورهم السياسي والعلمي في هذه الدولة، لذلك جاء عنوان المذكرة كالتالي: "العلماء والسلطة المرينية: 668هـ-759هـ/1269م-1358م"، حيث تشكل الفترة المدروسة حقبة محورية في تاريخ الدولة المرينية، من خلال ما شهدته من تطور اجتماعي وازدهار فكري وعمراي، وقوة وعظمة على المستوى السياسي، وجهاد ومحاولات وحدوية على الصعيدين الأندلسي والمغاربي، ناهيك عن التناقضات والصراعات والأزمات، فهي حقبة جديرة بالبحث والتقصي والعناية والتحليل واستخلاص العبر والدروس منها، والاستفادة من الأخطاء وإيجاد الحلول الناجعة والعملية.

ويعد دور العلماء في الحياة السياسية والعلمية في الدولة المرينية في الفترة المذكورة أعلاه، مبحثا خصبا استرعى اهتمام الباحثين والدارسين، إما في سياق حديثهم عن تاريخ المرينيين بشكل عام، أو في إطار دراسات أكاديمية تطرقت لدور هذه الشريحة في العصر المريني، من ذلك الدراسة التي قام بها الدكتور أحمد بوزيدي الموسومة ب: "العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني" وهي أطروحة دكتوراه، حيث درس فيها علاقة العلماء بالسلطة المرينية والمجتمع المغربي من تأسيس هذه الدولة سنة 1269م إلى سقوطها سنة 1465م، حاول من خلال هذه الدراسة إمطة اللثام عن جهود العلماء في قيام الدولة المرينية، وكذلك في سقوطها، وأبرز أهم فعاليات العلماء في المجتمع المغربي وإسهاماتهم في إشاعة العلم والمعارف، ومشاركتهم أيضا في وظائف الدولة المرينية سواء الوظائف الدينية أو السلطانية. بالإضافة إلى دراسة الدكتورة صابرة خطيف الموسومة ب: "فقهائ تلمسان والسلطة الزيانية"، وهي في الأصل رسالة ماجستير منشورة، سعت الباحثة من خلالها إلى الوقوف على جوهر العلاقة بين فقهائ تلمسان والدولة الزيانية من تأسيسها سنة 633هـ/1236م إلى نهاية عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني الزياني سنة 791هـ/1389م، وأشارت في سياق حديثها عن هؤلاء الفقهائ إلى علاقتهم بالسلطة المرينية، بعد استيلاء المرينيين على تلمسان، وكذلك مشاركة العديد منهم في معارك الجهاد والحركة الوحدوية التي قام بها كل من السلطانين أبي الحسن وأبي عنان، كما أبرزت الباحثة دورهم في الحياة السياسية والعلمية ومواقفهم من بعض القضايا والمسائل التي شهدتها الفترة المدروسة. أما الدراسة الثالثة فهي للباحثة مريم سكاكو التي عنوانتها ب: "مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14م-15م)"، نالت بها شهادة الماجستير، ويظهر من عنوان الدراسة التركيز على المكانة التي حظي بها علماء تلمسان في مجالس العلم التي أقامها سلاطين بني مرين في القرنين 8 و9 الهجريين، لذا

ركزت الباحثة على تتبع مكانتهم وأدوارهم في الدولة المرينية في هذه الفترة، وكذلك أشارت إلى مشاركتهم في وظائف الدولة كالقضاء والتعليم والسفارة والخطابة، وأيضا موقفهم من بعض الأحداث التي شهدتها الفترة المدروسة.

وقد ضاعفت هذه الدراسات من رغبتني في سد الثغرات التي غفل عنها أصحابه، وفي تفادي الأخطاء التي وقعوا فيها، ومحاولة التوفيق بين ما درسوه وعالجوه، وبين المبتغى الذي أسعى إليه من هذه الدراسة، وذلك بالحفر في مسائل وقضايا لم يشيروا إليها أو في نقض بعض الأحكام والآراء التي أبدوها، خاصة وأنا أدرس فترة زمنية مهمة جدا في تاريخ المغرب الإسلامي، وعليها بني مستقبل هذه المنطقة في العصر الحديث والمعاصر، فكانت هذه الدراسات بمثابة الأرضية التي ارتكزت عليها في خوض غمار هذه الدراسة.

ولدراسة موضوع: "العلماء والسلطة المرينية" انطلاقا من الإشكالية التالية:

- ماهي نظرة العلماء إلى السلطة المرينية ونظرة السلطة المرينية إلى العلماء؟ أو بمعنى آخر: ماهي نقاط القوة والضعف التي طبعت علاقة العلماء بالسلطة المرينية في الفترة المدروسة؟.

وتنبثق عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات تتمحور حول مايلي:

- من هم هؤلاء العلماء؟ وماهي مراتبهم؟

- ما هو مفهوم السلطة؟ وكيف تطورت مؤسساتها؟

- ما هو الفضاء الجغرافي والإقليمي الذي احتوى هذه العلاقة؟

- ما هي الأبعاد الفكرية والفقهية لعلاقة العلماء بالسلطة المرينية؟

- فيما تجلّى الأثر السياسي للعلماء في تأسيس الدولة المرينية؟

- ماهي جهود العلماء في دفع الحركة الجهادية المرينية في الأندلس؟

- كيف كانت مساهمة العلماء في إنجاح المشروع الوحدوي المريني؟

- ما هو حجم مشاركة العلماء في مناصب الدولة؟ وكيف كان موقفهم من أسلوب تداول السلطة في البيت

المريني؟

- ماهي الجهود التي بذلها العلماء في تطوير التعليم وأصناف العلوم؟

- ما هو دور العلماء في دفع حركة التأليف العلمي؟.

أما منهج الدراسة وأسلوبه، فقد اتبعت المنهج التاريخي الذي يعتمد على استقصاء الأحداث والوقائع ويضعها في سياقها الصحيح، واستعنت كذلك بأداة التحليل حتى أقف جليا على جوهر العلاقة بين العلماء والسلطة المرينية، والمنطلقات التي تجسدت على أساسها هذه العلاقة، وكذلك اعتمدت على أداة الإحصاء للتعرف على أعداد العلماء ونسب مشاركتهم في وظائف الدولة، وأيضا رصد المؤلفات العلمية على حسب كثافتها وقتها، وبذلت وسعي للتقيد بهذه المناهج ما استطعت إلى ذلك، بتتبع تطور علاقة العلماء بالسلطة المرينية على المستويين السياسي والعلمي.

وفيما يخص خطة الدراسة فقد بدا لي أن تتكون من فصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة، حيث تطرقت في الفصل التمهيدي لتعريف بعض المصطلحات كالعلماء والسلطة، إذ سلطت الضوء على مصطلح العلماء ومراتبهم وأصنافهم، ثم عرجت على تعريف السلطة وما يندرج تحتها من مصطلحات كالخلافة والملك والسلطان، وهذا إقتضاء للسياق المنهجي حتى يكون الاتصال وثيقا بين مباحث الفصول القادمة، بينما الفصل الأول حاولت فيه تتبع الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية، بدءا بالمتزلة التي حازوها في الدولة الإسلامية، وكذلك أهم التأثيرات المتحكمة في علاقة العلماء بالسلطة السياسية، وإنتهاء بأهم الأصول الفكرية التي تبلورت عليها صلة العلماء بالسلطة، وجاء الفصل الثاني متضمنا لجرد شامل للعوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية، حيث أبرزت دور العلماء في تأسيس وإقامة الدولة المرينية، وأيضا جهودهم في دفع الحركة الجهادية المرينية بالأندلس، وأهميته بإبراز دورهم في دعم المشروع الوحدوي المريني، أما الفصل الثالث فقد تتبعت فيه منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية في العصر المريني، بالوقوف على مشاركتهم في وظائف الدولة، وتطرقت لأسلوبهم في نصح ووعظ السلاطين المرينيين، كما وقفت جليا على موقف العلماء من أساليب تداول السلطة، وخصصت الفصل الرابع لدراسة العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي، حيث تضمن دراسة شاملة لإسهام العلماء في دفع عجلة التعليم وأصناف العلوم، بالإضافة إلى تسليط الضوء على أهم المؤسسات التعليمية وموقف العلماء منها، وختمته بأثر العلماء في ازدهار حركة التأليف العلمي، لذا جاء هذا الفصل أوسع حجما لأن دراسة الجانب التعليمي وحركة التأليف يقتضي ذلك، وختمت الفصول بخاتمة استخلصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وكذلك أبرز التوصيات التي خرجنا بها

من خلال بحثنا في موضوع "العلماء والسلطة المرينية"، ثم أوردت ملاحق للدراسة مرتبة على حسب أهمية كل منها، وفي نهاية هذا البحث وضعت ثبنا للمصادر والمراجع والموسوعات والمقالات والمذكرات والأطروحات الجامعية، والمراجع الأجنبية، وقد أسهمت جميعها في بناء الهيكل العام للدراسة.

ولمعالجة هذه الدراسة اعتمدت على كم معتبر من المصادر والمراجع، التي حاولت من خلالها الوصول إلى الأهداف المرجوة من هذا البحث، لذا سأذكر أهمها:

- "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس" لأبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي ابن أبي زرع (741هـ/1340م)، يعد هذا الكتاب مهما جدا في تاريخ الدولة المرينية، حيث ابتدأه مؤلفه من سنة 172هـ إلى غاية عهد السلطان أبي سعيد عثمان المريني سنة 741هـ، وقد اتبع أسلوب الحوليات أي ذكر الأحداث حسب السنوات، والأهم من ذلك أنه معاصر لأحداث الدولة المرينية وأهم منجزاتها الحضارية، لهذا اعتمدت عليه كثيرا في الفصل الثاني من هذه الدراسة وكذلك في الفصل الثالث، تم طبع هذا الكتاب سنة 1972م بالرباط.

- "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية" للمؤلف نفسه، حيث صنفه على نفس المنوال الذي صنف به كتابه الأول، وتعرض فيه لتأسيس الدولة المرينية بذكر نسبها، وأورد أخبار السلاطين الأوائل، وختمه بتخصيص جانب معتبر من الكتاب للتأريخ لفترة السلطان يعقوب المنصور، وتظهر أهمية الكتاب في أنه يغطي فترة مهمة من الدولة المرينية، لذلك اعتمدت عليه في الفصل الثاني، وقد تم طبعه كذلك سنة 1972م.

- "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" لمحمد ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ) الذي يعد من علماء الدولة المرينية، وكانت له علاقة مميزة مع السلطان أبو الحسن المريني، مما جعله يؤلف له هذا الكتاب ذاكرة فيه مآثره وإنجازاته، متعرضا في سياق حديثه للعلماء الذين ضمه مجلس السلطان أبي الحسن، وأيضا أبرز الوظائف التي تولوها، وكذلك المساجد والمدارس والزوايا التي أسست في عهد هذا السلطان، وقد أشار كذلك بعض الحوادث التي شهدتها الدولة المرينية قبل عهد أبي الحسن، لهذا يعتبر كتاب المسند من المصادر المهمة في تاريخ الدولة المرينية، حيث استعنت به كثيرا في الفصل الثالث، وقد تم تحقيقه من قبل الدكتورة ماريّا خيسوس بيغيرا، وطبع سنة 1981م.

- "العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لصاحبه عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي (ت808هـ)، يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في تاريخ المغرب الإسلامي حيث اتبع فيه مؤلفه منهجا جديدا، هو التأريخ للمجتمع، فتطرق في الجزء السابع لتاريخ الدول الثلاث الحفصية والزيرية والمرينية، وتعرف عليها جيدا من خلال المناصب التي تولها في هذه الدول، فجاء هذا الجزء أكثر الأجزاء من حيث المعلومات أقرب للصحة، بحكم أنه كان شاهدا عيان لكثير من الأحداث والوقائع التي عرفتھا الدولة المرينية في الفترة المدروسة، لذلك اعتمدت عليه في الفصل الثاني خاصة، تم تحقيقه وضبطت متونه وحواشيه وفصوله من قبل الدكتور سهيل زكار والأستاذ خليل شحادة، وطبع سنة 2001م.

- "المقدمة" وهو الجزء الأول من كتاب العبر، حيث قام ابن خلدون بتأليفها في قلعة بني سلامة بفرندة سنة 1347م، أصل فيها لعلم جديد هو علم الاجتماع، ابتدأها بذكر فضل علم التاريخ، وتكلم حول أسباب قيام الدول في المغرب الإسلامي، سواء العصبية القبلية والنسب والمذهب الديني، كما أفرد فصولا لمناصب الدولة وخططها الدينية والسلطانية، وخصص فصولا لأصناف العلوم النقلية والعقلية، ومناهج التعليم في المشرق والمغرب، وهذا الكتاب مهم جدا للباحث في تاريخ المغرب الإسلامي السياسي والفكري، لذا اعتمدت عليه كثيرا في الفصلين الثالث والرابع من هذه الرسالة.

- "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"، وهو ملحق بكتاب العبر في آخر الجزء السابع، حيث تطرق فيه ابن خلدون بذكر نسبه ونشأته ورحلته إلى المغرب الأقصى والأندلس، وكذلك إلى المشرق، وأهم الأحداث التي تعرضت له في رحلته المغربية والمشرقية، وأبرز المناصب التي تولها كالقضاء ومنصب العلامة والحجابه، ولا يقل هذا الكتاب أهمية عن الجزأين المذكورين، فقد استعنت به كثيرا في ذكر تراجم العلماء الذين رافقوا السلطان أبا الحسن إلى إفريقية، وهذا الكتاب محقق، حققه الدكتور محمد بن تاويت الطنجي، وطبع سنة 2007م.

- "روضة النسرين في دولة بني مرين" لأبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر (ت810هـ)، ويعتبر هذا المؤلف مصدرا مهما من المصادر التي أرخت للتاريخ السياسي للدولة المرينية، بحيث أن ابن الأحمر انتهج أسلوبا مميذا في تأليف كتابه، بذكر السلطان المريني ورجال دولته من القضاة والكتاب والوزراء، مما جعلني أستعين به في إحصاء عدد العلماء الذين تولوا مناصب القضاء والكتابة، وذكر أسمائهم، عندما تعرضت لمشاركتهم في مناصب الدولة في الفصل الثالث، وقد تم طبعه سنة 1962م بالرباط.

- "الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" لأبي القاسم محمد بن سمالك المالقي الغرناطي من علماء القرن الثامن الهجري، وهو مصدر هام من مصادر تاريخ الدولة المرينية، ابتداء بتأسيس مدينة مراكش، والكتاب يتضمن تراجم سلاطين بني مرين، حيث سهل علي البحث عن تراجم هؤلاء السلاطين، وقد حققه الدكتور عبد القادر بوباية وطبع سنة 2010م.

- "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون (ت 780هـ)، يتضمن هذا المصدر معلومات مهمة عن العلماء الذين عاشوا بمدينة تلمسان، وكانوا ممن انضموا إلى مجالس العلم التي أقامها السلطانين أبو الحسن وأبو عنان، وكذلك أخبار دخول المرينيين إلى تلمسان وأهم الأحداث التي شهدتها علاقة الزبانيين بالمرينيين، فاستفدت منه كثيرا في الفصل الثاني خاصة، حيث اعتمدت على الجزء الأول من هذا الكتاب الذي حققه الدكتور عبد الحميد حاجيات، وتم طبعه سنة 1980م.

- "درة الحجال في أسماء الرجال" لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي بن القاضي (ت 1025هـ/1616م)، حيث ترجم فيه صاحبه لعدد كبير من العلماء التي سعت الدراسة لرصدهم التعرف على أدوارهم، فجاءت التراجم متنوعة بين الإطناب والإختصار الشديد، فقد ساعدني كثير في تتبع أعمار العلماء، إقتضاءا للسياق المنهجي حتى لا تتجاوز الفترة التي نحن بصدد دراستها، والكتاب متكون من ثلاثة أجزاء، حققه محمد الأحدي أبو النور، وتم طبعه.

- "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التنبكي (ت 1033هـ)، وهو من المصادر المهمة التي استقيت منها مادة معتبرة، في سياق تطريحي لتراجم العلماء عبر فصول الدراسة، وكذلك اعتمدت عليه في ذكر كتب المقررات المعتمدة في نظام التعليم في عصر الدراسة، وتم طبعه سنة 1989م.

أما فيما يخص المراجع فهي كثيرة لعل أهمها: كتاب "تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني" للدكتور محمد عيسى الحريري، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي تعرضت لدراسة العصر المريني، حيث تناول فيه الباحث جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعمرانية، لذا استعنت به في كثير من المعلومات والآراء والتحليل التي أبداها مؤلفه. وبخصوص الكتاب الثاني فهو للدكتور محمد المنوني الذي عنوانه ب: "ورقات عن حضارة المرينيين"، وهو مجموعات مقالات تناولت مختلف جوانب الحضارة المرينية، لذا يعد من

أهم الكتب التي درست العصر المريني، ولا يمكن للباحث في هذه الفترة الاستغناء عنه، أما باقي المراجع فلا تقل أهمية عن هذين المرجعين، وضعتها في ثبب المصادر والمراجع.

وقد لاقيت صعوبات كثيرة في إنجاز هذه الدراسة، كضيق الوقت، وبعد الشقة، واتساع وطول بعض المباحث، وقلة المادة العلمية في بعضها، وكثرتها في بعضها الآخر، وتشابه المعلومات وتناقضها في أحيان أخرى. ولم ألي جهدا في سبيل إنجاز هذه الدراسة، حتى تمكنت بفضل الله سبحانه من إكمالها وإخراجها في حلة حسنة لتكون مرجعا لمن يريد البحث في مستقبل الأيام عن هذا الموضوع، وأن أقدم مرجعا جديدا للمكتبة الجزائرية والعربية. وأسأل الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

الفصل التمهيدي.

تعريف المصطلحات.

1-تعريف العلماء.

2-تعريف السلطة.

2-1-السلطة في الفكر السياسي الإسلامي.

2-2- تعريف الخلافة.

2-3- تعريف الملك والسلطان.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

ارتأينا قبلولوج إلى صلب الدراسة أن نضع فصلا تمهيدا يشتمل على مجموعة من التعريفات لبعض المصطلحات التي لها علاقة مباشرة بالموضوع، حتى لا يقع لنا الالتباس ونتيه في مغالط القول ونخرج عن القصد والمطلوب، ولكي نعطي لكل مصطلح حقه ونعرف مدلوله وبالتالي نستخدمه في مكانه المنوط به.

1- تعريف العلماء:

يندرج هذا المبحث في إطار التعرف على دلالة مصطلح العلماء وما يشمله من أبعاد، مما سيجعلنا ندرك الأصناف المدرجة تحته وفق طريقة تحصيل العلوم، ومدى تطوره مع العلماء الذين عرفتهم دولة الإسلام على مر السنين، فالعلماء "جمع عالم، وعالم من لا يقول إلا علما وعلماء كحلما، لأن العلم محملة لصاحبه فهو ضد الجهل ونقيضه، ونقول علام وعلامة، إذا بالغنا مع وصفه بالعلم، وعلمت الشيء أعلمه علما إذا عرفته، وعلم وفقه إذا تعلم وتفقه"¹، ويضيف الفيروز آبادي تعريفا آخر للعلماء قائلا: "علمه، كسمعه، علما بالكسر، عرفه، وعلم هو في نفسه، ورجل عالم وعليم ج: علماء، وعلام، كجهال وعلمه العلم تعليما وعلما ككذاب، وأعلمه إياه فتعلمه، والعلامة مشددة وكشداد وزنار، التعلمة كزبرجة، والعلامة: العالم جدا، والنسابة، وعالمه فعلمه كنصره علمه علما، وعلم به، كسمع: شعر، والأمر أتقنه كتعلمه"². وتجدد الإشارة إلى أن المقصود من مصطلح العلماء في زمن الدراسة هم المشتغلون بالعلوم الدينية مثل: الحديث والفقه والتفسير والمغازي والسير وغيرها فقد أطلق الإسلام هذه التسمية، ولها دلالات وأبعاد يفهمها كل مسلم، ولا تعني رجال الدين من القساوسة والأساقفة والرهبان وليس التكريس لفصل الدين عن الدولة، بل مصطلح العلماء أعم وأشمل وأشرف، فقد ورد في كتاب الله العظيم بيان لأهمية العلم والعلماء ولا أدل على ذلك إلا الآيات الكثيرة التي أبرزت فضل المتصفين بهذه الصفة المباركة³، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء" (سورة فاطر الآية: 28) وقال عز وجل: "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون". ويقول في موضع آخر: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون". ويضيف قائلا: "شهد أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم" حيث رفع

1- ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، المجلد 12، (مادة علم)، ص 417.

2- الفيروز آبادي محمد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مراجعة وإشراف الدكتور محمد الإسكندراني، بيروت، دار الكتاب العربي، 1431هـ/2010م، ص 1228.

3- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة (دراسة عن دور الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول)، القاهرة، دار الهناء للتجليد الفني، 2008-2009، ص ص 19-22.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

سبحانه وتعالى مقام العلماء العالمين به وبشرائعهم إلى مقام لا يسمو إليه غيرهم، فجعل شهادتهم بعد شهادة الملائكة عليهم السلام¹.

لقد وصفت هذه الآيات أولئك الذين كرسوا حياتهم وليلهم ونهارهم لتحصيل العلم وأصناف العلوم، وبذل الجهد والغالي والنفيس في سبيل هذا المطلب العظيم والغاية المباركة، والانكباب على طلب العلوم الدينية والعلوم الأخرى وتمحيصها وتدقيقها وتحريها وبيان الصحيح من الفاسد.

فكانوا بحق أكثر من غيرهم أهلية وأحقية، بما علموا لفهم الدين وخشية الله تعالى حق خشيته، والمنافحة عن العلم والرفع من شأنه وفضله ومكانته في المجتمع الإسلامي².

وإذا عدنا إلى السنة المطهرة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء." وقال أيضا: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء" كما بين سمو منزلتهم حيث يقول: "للأنبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة"³، وفي نفس السياق يذكر أبو الدرداء (رضي الله عنه) أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقا ليتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر."⁴، فلا غرو "إذن المبادرة من قبل الشباب لتحصيل العلم واكتساب حسن الأدب عن شيوخهم ويواصلوا نهجهم فقد شهد الشرع والعقل بفضلهم واتفقت الآراء على شكرهم، وبلغوا ذروة الجهد والسنام وأحرزوا قصبات السبق إلى وريثة الأنبياء لعلمهم بمكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه وحسن سيرة الأئمة الأطهار من أصل بيته وأصحابه وبما كان عليه أئمة السلف اقتدى بهديهم فيه مشايخ الخلف"⁵. ولذلك كان على العلماء السعي إلى إصلاح أحوال الأمة وإنارة دربها وإرشادها إلى الطريق المستقيم، وأن يعملوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والضرب على يد الظالم، وتبيين الحق من الباطل،

1- الجزائري أبو بكر جابر، العلم والعلماء، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ت)، ص 116.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 20.

3- القرطبي بن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق واعتناء شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1433هـ/2012م، ص 48.

4- النووي يحيى بن شرف، شرح رياض الصالحين، شرحه محمد بن صالح العثيمين، مج3، كتاب العلم الجزائر، دار الرشيد (د.ت)، ص 457.

5- الكفائي ابن جماعة بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت)، ص 01-02.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

والظلمات من النور، والدعوة إلى العزيز الحميد والحفاظ على الأمة الإسلامية من أن تجتالها الشياطين فتخسر الدنيا والآخرة¹. وإذا حاولنا تحديد مصطلح العلماء فينبغي علينا أن نراعي الميزة والخصوصية التي تميز بها العلماء المسلمون عن غيرهم من ذلك ظاهرة الجمع بين العلوم والمتمعن في كتب التراجم والطبقات يلاحظ هذا الأمر على جلتيه، مع العلم أن الشهرة في أحد العلوم تبدوا ظاهرة على غيرها، فلو نظرنا إلى ترجمة حياة عالم من علماء المسلمين الذين ذاع صيتهم تتجلى لنا العبارة التي تبرز هذه الظاهرة وهي " العالم، الفقيه، الأصولي، المتكلم، المحدث، الأديب، النحوي ".

إن هذه العبارة تدل على مدى الموسوعية في العلوم التي اشتهر بها العلماء المسلمون وذلك راجع إلى طريق تحصيل العلوم والمعارف، فقد كانت البداية بالقرآن الكريم ثم بعلوم اللغة ثم العلوم الشرعية جملة² وهذا ما أكده عبد القاهر البغدادي بقوله: "... اعلم أنه لا خصلة من الخصال التي تعد في المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم وأنواع الاجتهادات، إلا ولأهل السنة والجماعة في ميدانها القدر المعلى، والسهم الأوفر، فدونك أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل السنة وأما أئمة الفقه في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم فقد ملأوا العالم علما، وليس بينهم من لا يناصر السنة والجماعة وهم أشهر من نار على علم ... وأما أئمة الحديث والإسناد فهم سائرون على هذا المهيح الرشيد ولا يوصم أحد منهم ببدعة وفي طبقاتهم كتب كثيرة خاصة تغني عن ذكر أسمائهم هنا، وآثارهم الخالدة لم تنزل بأيدي حملة العلم مدى الدهر، وكذلك أئمة الإرشاد والتصوف كانوا على توالي القرون على هذا المنهج السديد في المعتقد، وكذلك جمهرة أهل النحو واللغة والأدب كانوا على معتقد أهل السنة ... وكذلك أئمة القراءة وحملة التفسير بالرواية، وكذلك المفسرون بالدراية، وكذلك مشاهير علماء المغازي والسير والتواريخ ونقد الأخبار، وحملة الرواية من أهل السنة والجماعة، فيظهر بذلك أن جماع الفضل في العلوم في أهل السنة والجماعة"³.

1- بن بيه محمد محمود عبد الله، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، بيروت، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1421هـ/2000م، ص 15-16.

2- بن خيرة نجيب، الحياة العلمية على الدويلات الإسلامية بالشرق (خراسان وبلاد ما وراء النهر) بين القرنين الثالث والخامس الهجريين 205هـ - 432هـ/820م-1040م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر 2003م - 2004، ص 260.

3- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، 2005، ص 270-272.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

فهذا أوضح دليل على أصناف العلوم التي نبغ فيها العلماء المسلمين وفق ترتيب محكم ممنهج ومضبوط، أظهرت لنا مدى تأثير الإسلام على ظهور جيل من العلماء الذين لم يعرف العالم لهم مثيلاً وأصبحت خاصة فريدة اختصت بها الحضارة العربية الإسلامية في ربوع الدولة الإسلامية وحواسرها وفي نفس السياق فقد حاز علماء أهل السنة والجماعة قصب السبق في هذه العلوم وخلفوا لنا تراثاً ضخماً من الكتب في جميع مراحل دول الإسلام المتعاقبة، وفاقوا غيرهم من علماء المذاهب والفرق الزائغة عن جادة الطريق المستقيم كالمعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة وغيرهم، فكانوا أعظم منزلة ومكانة وانقاد لهم الناس وسعت الدول لاستقطابهم والرفع من قدرهم، وسنحاول وضع تعاريف لهؤلاء العلماء على حسب كل علم وتطوره وترتيبه بين العلوم الأخرى.

— المتكلم: يستند ويعود إلى ما جاء به الدين وتواتر من الاعتقادات المبنية على نصوص، ثم يجتهد ويلتمس

الحجج العقلية التي تدعمها ويدفع عنها كل شبهة واعتراض ولا يلجأ إلى التأويل إلا عند تعارض النصوص¹، وفي ذلك يقول الغزالي: "والمتكلم هو الذي ينظر في أعم الأشياء وهو الموجود، فيقسم الموجود أولاً إلى قديم ومحدث، فيأخذ المفسر من جملة ما نظر فيه المتكلم واحداً خاصاً وهو الكتاب فينظر في تفسيره، ويأخذ المحدث واحداً خاصاً، وهو فعل المكلف فينظر في نسبته إلى خطاب الشرع من حيث الوجوب والحظر والاباحة، ويأخذ الأصولي واحداً خاصاً وهو قول الرسول الذي دل المتكلم على صدقه..."². فالمتكلم إذن يعتقد ثم يستدل، أما الفيلسوف فيستدل ثم يعتقد³.

ولم تظهر الحاجة إلى علم الكلام إلا بعد أن انتحله أهل الأهواء كما يسميه علماء السنة من الفرق والنحل فاضطروا إلى مجاراتهم لأنه علم يتعلق بالعقيدة فكان المتكلم أعلى مراتب العلماء وظهر علماء فطاحل في هذا العلم أفحموا أهل الأهواء ودافعوا عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا يمكن لأحد أن يصبح في صفوة العلماء دون أن يتعلم علم الكلام ويتقن طرقه وضروبه حتى يتمكن من الرد على المجادلين على دين الله⁴.

1- المرجاني علي بن محمد الشريف الحسيني، التعريفات، بيروت، 1996، ص 162.

2- الغزالي أبي حامد محمد بن محمد، المستصفي من علم الأصول، تحقيق الدكتور محمد تامر، ج 1، القاهرة، دار الحديث، ط 1، 1432هـ— 2011م، ص ص 28-30.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 356.

4- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، بيروت، دار الشرق العربي، طبعة جديدة منقحة، 1425هـ/2004م، ص ص 416-424.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

- الأصولي: هو الناظر في أدلة الأحكام الشرعية¹. فعلم أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأصلها قدرا وأكثرها فائدة، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف². وبذلك يحتل المتضلع في هذا العلم منزلة كبيرة بحيث يطلع الأصولي على أصناف الأحكام المتعلقة بالمكلفين من أمور الشرع، ويستنبط ويستخرج دلالة الحكم من النصوص القرآنية والنبوية، من خلال الرجوع إلى الأصول ويشرحها شرحا يتوافق ويتطابق مع قواعد وتشريع المذهب وينسجم مع أحكامهم، ثم يقيس ويرجح³.
- المفسر: هو الناظر في القرآن الكريم خاصة⁴، حيث يقول الأصفهاني: "أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن..."⁵، ولا يستطيع أحد التفسير إلا بأن يتبع جملة من الآداب والشروط حتى يرتقي إلى درجة المفسر وذلك بأن:

- صحة الاعتقاد لزوم سنة الدين: فلا يطعن في عدالته ولا في مذهبه وان يتجنب الهوى والخذاع.
 - اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحابه ومن عاصرهم.
 - ترجيح الاستدلال من حيث قوة الطريق.
 - صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد.
 - الامتلاء من عدة الإعراب⁶.
- ويعتبر المفسر من أعلى العلماء منزلة فهو المشتغل بكتاب الله عز وجل والشارح له وفق ضوابط لا يجيد عنها أبدا في هذه الشروط المبسطة بين أيدينا، حتى يغدو مفسرا.
- المحدث: يسمى الشخص الراوي للحديث بالمحدث وهو من علم طرق إثبات الحديث، وعلم عدالة رجاله وجرحهم، دون المقتصر على السماع وقال بن سيد الناس: "والمحدث في عصرنا من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع رواة، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطة، واشتهر فيه ضبطه"⁷.

1- الغزالي، المصدر السابق، ج1، ص 28.
2- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 412.
3- عبد العزيز فيلال، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ط1، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002، ص 378.
4- الغزالي، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
5- السبوطي جلال الدين، الإقتان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، واعتناء وتعليق مصطفى شيخ مصطفى، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1429هـ/ 2008م، ص 762.
6- المصدر السابق، ص 763-764.
7- العثماني ظفر أحمد، قواعد علوم الحديث، تحقيق عبد الفتاح أبو عزة، ط3، بيروت، دار القلم، 1972م، ص 27.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

لقد أطلق العلماء على طلاب الحديث ألقاباً مختلفة، ومرجع ذلك إلى مدى نشاطهم في الرحلة والتجوال وسعة حفظهم وإتقانهم. وأشهر الألقاب التي نبهوا بها على التمييز بينها ثلاثة: المسند، الحافظ والحاكم، ولكن اللقب المتواتر هو المحدث وهذه الألقاب مندرجة تحته وتابعة له، فأولها:

المسند: الذي يروي للحديث بإسناده، سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلا مجرد روايته.

المحدث: الذي هو أرفع منه - المسند - بحيث يعرف الأسانيد والعلل، وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية.

الحافظ: فهو أعلامهم منزلة وأرفعهم درجة وأسماءهم مقاما، فمن صفاته: أن يكون عارفاً بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيراً بطرقها مميزاً لأسانيدها، يحفظ منها ما اجمع أهل المعرفة والعلم على صدقه وصحته، وما اختلفوا فيه للاجتهاد على حال نقلته.

الحاكم: الذي لم يجمع الأحاديث ولا يفوت منها إلا السير¹، فعلم الحديث احتاج إلى علماء فطاحل لضبطه ومعرفة سقيم الأخبار من صحتها وبذلوا جهوداً جبارة في تخريج الخالص من الأحاديث الصحيحة الثابتة السند والرواية والطريق، فحازوا به قصب السبق وأضحوا أعلى منزلة ورفعة لاشتغالهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو ثاني مصادر التشريع الإسلامي.

المقري: إن دراسة علم القراءات يتبغي منه النطق الصحيح لألفاظ القرآن الكريم²، فالمقري هو المتضلع في أوجه النطق بحيث يستطيع التحكم في طرق الرواية واختلاف الشكل والمدود وعلامات الوقف ومخارج الحروف ومبادئ السور وخواتمها، لذلك وضع العلماء شروطاً لمن يشتغل بعلم القراءات وهي أن يكون عالماً بما يلي:

- العلم بالفقه فذلك أصلح لدينه، ولا بأس أن يكون حذقاً فيه.

1- السيوطي جلال الدين، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ-2009م، ص10-11. صبحي صالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط12، بيروت، دار العلم للملايين، 1981م، ص75. بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص284.

2- حمدي سرور إيناس، في تاريخ وحضارة الإسلام في الهند "منذ أواخر القرن السادس الهجري، أوائل القرن الثالث عشر ميلادي، حتى منتصف القرن العاشر الهجري (أوائل القرن السادس عشر الميلادي)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2013م، ص81.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

- معرفة الأصول وذلك لدفع شبهة من يقدح في بعض القراءات، والقدرة على إقامة الحجة الدامغة على خصومه، وهذا لا يكون إلا في العلم بالقواعد الأصولية.
- تحصيل جوانب من النحو والصرف بالقدر الذي يمكنه من توجيه كل قراءة على حدة، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة قواعد الإعراب والبناء والاشتقاق، وهذا أهم ما يجب عليه معرفته¹ والتقييد به فعلم القراءات من أهم العلوم العظيمة في الإسلام إذ يتعلق بكلام الله العظيم وكفى به فخرا وعظمة وسموا.
- الفقيه: يقال: رجل فقيه وقد فقه فقاهاة إذا صار فقيها وساد الفقهاء... ورجل فقيه عالم، وكل عالم بشيء فهو فقيه²، كما يعد من ألقاب العلماء، بحيث يقع على المجتهد دون المقلد إذا صار الفقه له سجية³. وأضحى العلماء أرفع مكانا واجل شأنًا وأكثرهم إتبعا وأعوانا بتحصيل علم الفقه⁴، حيث "بلغ من سمو منزلة الفقيه وتألق مكانته أن صفته كانت تطلق على النحوي واللغوي لأنها أرفع السمات وأرقى الصفات العلمية لدى الناس"⁵، فلا غرو إذن فالفقيه هو الذي أحاط بكل أمور الدين وهذا ما يدل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"⁶، حيث يبين أن الفقهاء هم أكثر أصناف العلماء كثرة وعددا وذلك بعد تحول الفقه إلى علم شرعي⁷، بحيث يصفه السمرقندي قائلا: "اعلم أن الفقه علم حسن وهو اجل من سائر العلوم، وهو علم الشريعة والدين وقوام الشرائع به، فلا بد لكل عاقل من عالم أو جاهل أن يشرع فيه ويستفيد منه ما يغنيه، ويتقوى به على أداء فرائض الله تعالى"¹، وقد أضحى الفقهاء أعظم منزلة وشأنًا عند العامة، لأنهم يعدون حلقة الوصل بين الحكام وجمهور الأمة، فهم مناط الهدوء والاستقرار في الدولة.

- 1- ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الفكر للطباعة، 1977، ص 66.
- 2- ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقدم عبد الله العليل، وبناء يوسف خياط، دار الجليل، 1408هـ/1988م، المجلد الرابع، مادة فقه، ص 1120.
- 3- الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، ط1، مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م، ص 339.
- 4- الغزالي، المصدر السابق، ج1، ص21.
- 5- بعيون سهى، إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس (عصر ملوك الطوائف 422هـ - 479هـ)، / 1031م-1086)، ط1، بيروت، دار المعرفة، 1429هـ-2008م، ص 11.
- 6- السمرقندي أبو الليث، تنبيه الغافلين وبستان العارفين، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ/ 1999م، ص ص 198-202.
- 7- ولد حسال سليمان، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة (633هـ-962هـ)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة الجزائر (1)، 1429هـ/2008م، ص 49.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

ومحل التقدير من طرف الجميع فكانوا أجدر الناس بتولي مناصب الدولة كالقضاء والفتوى والحسبة والخطابة²، والظاهر أن مصطلح الفقيه من الناحية النظرية بقي على حاله عبر عصور الإسلام فالفقيه لا يسمى كذلك " حتى يكتمل ويكمل سنه ويقوى نظره ويبرع فيحفظ الرأي ورواية الحديث ويتميز فيه ويعرف طبقات رجاله ويحكم عقد الوثائق ويعرف عللها ويطالع الاختلاف، يعرف مذاهب العلماء والتفسير ومعاني القرآن فحينئذ يستحق أن يسمى فقيها"³.

لقد بين ابن فرحون أن الفقيه يحتل مكان الصدر بين أصناف العلماء لإحاطته بأغلب العلوم التي تؤدي به إلى وظائف الدولة، ولذلك سيتم التركيز أكثر على هذه الدراسة على دور الفقهاء - نظرا لطبيعة الفترة التي سنعالجها- دون أن نقصي العلماء الآخرين الذين أدلوا بدلهم كذلك في الحياتين السياسية والعلمية، حتى نستوفي المطلوب ويحصل المقصود ونحيط بأدوار العلماء سياسيا وعلميا في زمن المرينيين.

- علماء اللغة: أدرج مؤرخو الإنتاج الفكري والعلمي والحضاري علماء اللغة مرة في زمرة اللغويين، وثانية في صنف النحويين وثالثة في خانة الأدباء، ورابعة في باقة اللغويين فهي تؤخذ جملة واحدة إذ كل منها يكمل الآخر⁴، فهذا التنوع في علوم اللغة راجع لكونها "...خير اللغات والألسنة والإقبال على تفههما، من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المرأة وسائر أنواع المناقب..."⁵ فاستدعى من المشتغلين بعلمها أن يلموا بها جميعا، فلا يمكن فهم القرآن وتفسيره، والحديث وشروطه إلا بامتلاك ملكة التحكم في اللغة العربية ومعرفة معانيها وألفاظها وكلماتها، كما يجعل اللغويين والنحويين وغيرهم أقدر الناس على تولي منصب الكتابة لدى الأمراء

1- السمرقندي أبو الليث، خزائن الفقه وعيون المسائل، نقلا عن بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص337.

2- بعيون سهى، المرجع السابق، ص: 204. بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 321.

3- ابن فرحون إبراهيم نور الدين، اللدبياح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنادة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م، ص250.

4- معتوق رشاد، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهى، مطبوعات معهد البحوث العلمية، وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1997م، ص329. نجيب بن خيرة، المرجع نفسه، ص 423.

5- الثعالبي أبو منصور عبد الملك، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق حمدو طماس، ط1، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ-2007م، ص 15.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

والسلاطين لعلمهم بضروب البيان والديباجة وحسن البلاغة والتحرير وبراعة الخط، فاستحقوا هذا المنصب، وعدوا في صنف العلماء المرززين والحدائق¹.

إن اقتصرنا عن هذه الأصناف فقط من العلماء مرد ذلك لمدلول مصطلح العلماء في عصر الدراسة - العصر المريني - إذ من خلال اطلاعنا على أمهات المصادر التاريخية على اختلافها، وجدنا أن العلماء المشتغلين بالعلوم الدينية واللغوية هم الأغلبية الساحقة، إذ شهد هذا العصر إنتاجا ضخما في مجال الفقه وعلم القراءات وعلوم اللغة²، بينما عرفت العلوم العقلية تراجعا كبيرا إلا مع بعض الحالات الشاذة، لكن علماء هذا العصر كانوا أعلم بعلوم الدين وخاصة علوم الفقه وأصوله، ثم كان لهم بصير بعلوم الفلك والمنطق والرياضيات مع تحفظ في الفلسفة، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الرابع من الدراسة، وبناء على ذلك سيتم تمييز فئتين من العلماء في هذه الفترة وهما:

علماء السلطة: هذه الفئة من العلماء توجد في بلاط السلطان أو الملك أو الخليفة، تسند إليها وظائف الدولة، كما تحظى بالرعاية والاهتمام والنفوذ الكبير، وذلك نظرا للولاء التام للسلاطين، والإخلاص في السراء والضراء، ويتوجب عليهم أن يحبوا من يحبهم، ويعادوا من يعاديهم السلطان، وحتى يزدادوا قربا منه ينبغي عليهم التملق والتزلف والطاعة العمياء، فلا تستغرب إذا حصل استبدالهم بآخرين، والإساءة إليهم واغتيالهم والتمثيل بهم وسجنهم ومصادرة أملاكهم عند انتقال السلطة من سلطان إلى آخر، في حالة إذا لم يسارعوا إلى إعلان الولاء والخضوع للسلطان الجديد³.

علماء مستقلون: المقصود بهم ذوات الشخصيات العلمية القوية لا يخافون ولا يرجون السلاطين، فكانوا محل تبيجيل وتقدير واحترام ووجاهة من طرف العامة، ومحل هيبة وتوجس وخيفة من قبل السلاطين، يسعون إليهم ويخطبون ودهم وحضورهم.

لقد تميز هؤلاء العلماء بالنبوغ والحدق في أنواع العلوم والمعارف، كما عملوا على نشرها إخلاصا لوجه الله لا طلبا للشهرة والسمعة، فبلغوا مبلغا عظيما من النفوذ العلمي وتبوؤوا مقعد الصدارة بين أفراد المجتمع حكاما ومحكومين⁴. لقد شكلت هاتين الفئتين محور العلاقة بينهم وبين السلطة المرينية، وفي نفس السياق سوف نتناول هؤلاء العلماء بحسب كثافتهم في الأقاليم والمناطق والحواضر، وتبعاً لمدى تأثيرهم في الحياة

1 - حول منصب الكتابة ينظر ابن خلدون عبر الرحمن، المصدر السابق، ص 227.

2 - المصدر نفسه، ص 398-424.

3 - قرين عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، الجزائر، جسر للنشر والتوزيع، 2011، ص 101.

4 - قرين عبد الجليل، المرجع السابق، ص 104.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

السياسية والعلمية زمن المرينيين، وحضورهم في مجريتهما، ولذلك فمن المسلم به أن تكون المشاركة أكبر والحضور أكثر كثافة في فاس، ثم مراكش، وسبتة وتلمسان وبجاية، القيروان، وتونس وغرناطة، ومالقة، وبقية الحواضر الأخرى، فلا غرو إذن فمعايير التناول وإبراز أدوار العلماء في هذه الحواضر الكبرى تبعا للدور السياسي والديني ومكانة كل حاضرة، ووفقا لأهميتها بالنسبة للدولة، ففاس كانت حاضرة المرينيين ومستقر سلطاتهم، وكذلك الأمر بالنسبة لمراكش التي كانت حاضرة زمن المرابطين والموحدين وقس على ذلك سبتة المدينة الساحلية ولا ننسى تلمسان مستودع العلماء وقبلة الطلبة وكذلك بجاية مستقر العلم والفكر، وتونس حاضرة الحفصيين، وأيضا القيروان أول مدينة بنيت في المغرب، وغرناطة قسبة بني الأحمر وحاضرة ملكهم ومالقة الحاضرة العلمية كذلك، من خلال تتبع حركة العلماء في حلهم وترحالهم وتسييل الضوء على إسهاماتهم في مجال السياسة وعلاقتهم بالسلطة المرينية.

2- تعريف السلطة:

تشكل السلطة أبرز جوانب الفكر الإنساني تميزا، وكانت محل بحث وتحرر عن مضمونها وجوهرها وأبرز عناصرها ثم كيف تكونت في كل من الفكر الفلسفي والسياسي والقانوني والاجتماعي¹، إن هذا الاهتمام المتزايد لمعرفة مدلول كلمة السلطة يندرج ضمن السياق العام لتطور المصطلح عبر السنين والأيام واختلافها من منطقة إلى أخرى وأمة وغيرها من الأمم الأخرى، ذلك باعتبار طبيعة الإنسان المدينة بحيث يحتاج إلى غيره من بني جلدته، ومؤكده هذا الاجتماع البشري لا بد له من نظام يسوسه حتى ينتظم أمره ويصلح شأنه²، فأصبح لزاما لأن يكون لكل تجمع بشري سلطة تسهر على خدمة مصالحه، أي كان نوع هذا المجتمع، وتطور شيئا فشيئا من السلطة داخل الأسرة الواحدة إلى السلطة داخل العشيرة إلى سلطة الإمارة ثم سلطة الدولة³، فهذا التدرج في تطور السلطة من الأسرة إلى الدولة هو تجسيد حقيقي لها في الواقع وإبراز ملامحها فمصطلح سلطة " مشتق من السلاطة أي التمكّن من القهر، الفعل هو سلط يقال سلطته فتسلط أي تحكّم وتمكّن وسيطر، ومنه جاءت لفظة السلطان بمعنى الحاكم المسيطر أو القوي القاهر"⁴، وقد وردت في القرآن الكريم في عدة

1- محمد حلمي عبد الوهاب، ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقدم الدكتور رضوان السيد، ط1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009، ص 30.

2- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المصدر السابق، ص 48.

3 - جدو فاطمة الزهراء، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479هـ-635هـ/1086م-1238م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 1428هـ-1429هـ/2007م-2008م، ص 02.

4- ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، المجلد السابع، ص 321.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

مواضع منه قوله تعالى: "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" (سورة الحجر الآية 42) وقوله عز وجل: "ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا". (سورة الإسراء الآية 33). وقوله أيضا: "هلك عني سلطاني" (سورة الحاقة الآية 29)، أما الفيروز أبادي "فقد عرفها بمعنى القدرة والقوة"¹.

ويعني آخر فإن جل المعاجم والقواميس القديمة والحديثة تجمع على أنها تحتل ثلاث معان وهي: القهر والقوة والسيادة²، فالسلطة تعني الحكم، إنها سيطرة حقيقية، تبحث عن مسوغات وأصل يجعلها طبيعية في كل مجتمع سواء كان بدائيا، متطورا أو حضاريا، ففكرة العيش بدون سلطة هي في الأصل أمر مستحيل، فكل شيء يوحي بوجودها فهي تعد أكثر قدما وتأصيلا من ظاهرة الدولة، والسيطرة الطبيعية لبعض الأفراد على بعضهم الآخر هي جوهر التنظيمات ومناطق العلاقات الإنسانية والتطور البشري³.

وفي نفس السياق تعد شبكة منتجة تمر عبر الجسم الاجتماعي وتسعى إلى التماثل. بمظهر المنظم لأحواله⁴، باعتبار أنها المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ والقدرة على تجسيد وفرض إرادتها على الإرادات الأخرى بحيث تعترف الهيئات الأخرى لها بالقيادة والفضل وبقدرتها وبحقها في المحاكمة وإنزال العقوبات وبكل ما يضمني عليها الشرعية ويوجد الاحترام لاعتباراتها والالتزام بقراراتها⁵. ذلك أن السلطة المثلى هي التي تحقق للمجتمع ما يصبوا إليه وتسعى لخدمته ومقاسمته آلامه وتستمتع لتظلماته، وبالتالي تعمل على الاتصال المباشر بأفراده ووفوده لمعرفة ما يريدون وتوضيح ما يطلب منهم⁶، "... فالسلطة بقوتها هي التي تحقق تحول الحياة الاجتماعية التلقائية إلى حياة سياسية وقانونية أي إلى الدولة..."⁷.

فتجسيد فكرة الدولة في الواقع ليس أمرا هينا، بل بناؤها على أركان متينة مترابطة وتنظيم مؤسساتها يستدعي جهدا عظيما نظرا لطبيعة الإنسان التي تمنح للتمرد، لذلك ينبغي أن تحفظ الدولة بالحزم والتدبير لا باللين والهوى، فهي عبارة عن استمرارية ومواصلة لجهود متضافرة، أي حلقة تراكمية في سلم هيكل الدولة، فلا تسقط بموت الملك أو السلطان القوي، أو تذهب هيبتها إذا تولاها سلطان رخو الهمة، ضعيف الشخصية،

1- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص722.

2- جدو فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص02.

3- المرجع نفسه، ص15-16، غوردو عبد العزيز، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة"، ط2 الكويت، دار ناشري النشر الإلكتروني، 2011، ص33.

4- غوردو عبد العزيز، المرجع السابق، ص36.

5- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (د.ت)، ص215.

6- حركات إبراهيم، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، ط1، الدار البيضاء، إفريقيا بالشرق، 1998، ص176.

7- الشراوي سعاد، النظم السياسية في العالم المعاصر، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص34.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

فيهون أمرها في أعين الناس، فتضطر السلطة إلى التسلح بالسيطرة والقسوة واستعمال مبدأ " ما لا يتم الواجب به إلا به فهو واجب "، فأحيانا تضطر السلطة إلى القسوة بالقللة الكثرة وتنظم في طاعتها¹، فهي عبارة على نظام محكم التدبير متشابك الآليات محوري الأبعاد جامع للحكام والمحكومين، ولكن هذا لا يعني أن السلطة ينبغي أن تبني نفسها على بحر من الدماء، ذلك أن المجتمع المنضوي تحتها ينتظر منها تحقيق العدالة من حيث توزيع الخدمات على مستوى معين وحل المشاكل التي يتعرض لها - المجتمع - على المستويين الداخلي والخارجي، فإن استجابات للحاجات الضرورية للجماعات يمكنها الاستمرار في تولي مشروع الحكم دون قهر أو إجراءات عنيفة². فجدلية العلاقة بين السلطة والمجتمع، تجعل الأمر يكتسي أبعادا تنظيمية أو تدميرية في آن واحد وذلك في حالة تماطل السلطة في تحقيق العدالة في المجتمع، فاستفحال الظلم مؤذن بخراب العمران كما يقول ابن خلدون، فاستمرار السلطة يستدعي فلسفة في التنظيم والتخطيط والسعي لاحتواء جميع الأطراف في بوتقة واحدة ضمن محور وحدوي، وبذلك يختفي الوجه الاستبدادي للسلطة فيستفحل الصراع السياسي والديني³، فغاية السلطة هي المحافظة على وجودها عن طريق تجديد خلاياها وإعادة بلورت أيدولوجيتها النمطية الاستشراقية وخلق آفاق جديدة وإشراك جميع الطبقات في النظام السياسي وفق هيكل تنظيمي من القاعدة إلى رأس الهرم السياسي.

2-1- السلطة في الفكر السياسي الإسلامي:

شكلت السلطة أبرز القضايا التي تمحور عليها الفكر السياسي الإسلامي⁴، نظرا لأهميتها وخطورتها في آن آن واحد. إذ اعتبرت مسألة جوهرية وأساسية لدى المفكرين المسلمين ورؤيتهم للدولة الإسلامية وسعيهم لإعطاء تصور واضح ومثالي لهذه الدولة التي شهدت تغيرات كبيرة منذ تأسيسها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى نهاية العصر الوسيط، فقد استطاع الرسول العظيم أن يبني دولته من العدم من خلال ابتكار نظام جديد يختلف على ما عرفه العرب باستبدال العصبية القبلية والروابط الدموية بآصرة العقيدة والولاء للإسلام

1 - ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المصدر السابق، ص 147.

2 - الشرقاوي سعاد، المرجع السابق، ص 37.

3- زيعور محمد، المرجع السابق، ص 42.

4- الفكر السياسي الإسلامي، يمثل الفكر المتميز عن كل ما عدها من الأفكار السياسية في العصور القديمة والحديثة وهو الفكر السياسي الوحيد الذي استطاع أن يخضع الحكام والمحكومين لقواعده ومبادئه عن قناعة ورضى نظرا لأن هذه القواعد والمبادئ وضعت لتحقيق العدالة المطلقة والمساواة الحققة بين جميع الأفراد، ينظر: النبهان محمد، نظام الحكم في الإسلام، جامعة الكويت، 1974، نقلا عن زيعور محمد، المرجع السابق، ص 327.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات.

فوق الولاء للقبيلة¹، فإنشاء محور سلطة إسلامي كان يفرض ذلك " ... فالحرب كانت وسيلة ضرورية لحسم الصراع بين المحور "الجاهلي" بكل موروثه العتيق مجسد في قريش - مكة - (والذي يخفي وراءه نمط سلطة عشائري) والمحور الإسلامي، الفتي - يثرب -، بطموحاته العريضة (والذي يطمح إلى تأسيس نمط سلطة دولي)، وقد وصل حد اللارجعة إلا بالחסار أحد المحورين ..."²، فكان انتصار المحور الإسلامي الفتي مؤكداً وذلك بفتح مكة سنة 8هـ وسقوط المحور الجاهلي العشائري وأتبعه انفتاح على جميع الفئات وتوافق بينها، وتحققت فكرة الدولة وتبلورت سلطة النبي صلى الله عليه وسلم الروحية (الدينية) والزمنية ولكن مفهومها - السلطة - اختلف تماماً عن الفترات التي جاءت بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وتمخض عنها ظهور الدولة باعتبارها مؤسسة تمسك بالسلطة السياسية³، وأضحى الخليفة نائباً للنبي صلى الله عليه وسلم والمتحكم في جميع مؤسسات الدولة وخاصة الجيش والقضاء وبيت المال، مما يعطينا صورة واضحة على نمط السلطة في الفكر الإسلامي السياسي من البعد الشوري القاعدي التكاملي إلى البعد الفردي الاستبدادي عن القاعدة الشعبية، ذلك " أن الدولة انفصلت عن الدين بالفعل في ظل الإسلام منذ قيام الدولة الأموية، فقد كانت أكثرية الحكام يعيش على أحكام القدرة السياسية وحدها وتتخذ الأحكام الشرعية ذريعة تنقي بها ما هي فيه من ظلم وفساد وبغي واستبداد بالمسلمين وغير المسلمين من أبناء رعيته"⁴.

رغم تحلل بعض الفترات التي حاولت أن تعيد تلك الصورة المثالية لدولة الإسلام في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، وأصبحت المثال الذي يحتذى به ويعملون على الاقتداء به وتطبيقه وفي غالب الأحيان كان الباب مفتوحاً على مصراعيه للسيطرة والاستبداد الفردي وتقزيم سلطة القضاء واستئصال كل معارضة أدى إلى تباعد الفئات القاعدية عن السلطة واتساع الهوة وأضحت الجيوش هي التي تحسم النزاع والصراع وتم تغييب ممثلي الأمة وحكائها وزعمائها⁵، ولكن السلطة سعت إلى ضمان الاستقرار والوحدة السياسية والجغرافية والعقدية والفقهية ولكن على حسب خصوصية كل منطقة من مناطق العالم الإسلامي فالمغرب الإسلامي قد عرف سلطة وراثية في أقاليمه التي انفصلت عن خلافة المشرق، بداية من النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ولكن طابعها لم يشهد صراعاً طويلاً ولا تنوعاً في الأجناس والعقائد والملل والنحل

1 - غوردو عبد العزيز، المرجع السابق، ص 48.

2 - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

3- الشرقاوي سعاد، المرجع السابق، ص 97.

4- زيعور محمد، المرجع السابق، ص 321.

5 - حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص 158.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

التي شهدتها منطقة المشرق، مما أعطى بعدا وحدويا لمنطقة المغرب الإسلامي على الصعيد السياسي والمذهبي والفكري¹.

من خلال ما سبق يمكن القول أن السلطة أمر من الأهمية بمكان ولا يمكن للزمان أن يخلو منها ولا المجتمعات بل لا يصبح مجتمع في مصاف المجتمعات المحترمة دون وجود سلطة تضبطه وتنظم شؤونه كما حظي موضوع السلطة وأنماطها وتجلياتها باهتمام مفكري الإسلام وسعوا إلى إعطائها التصور الصحيح وإصلاح ما يمكن إصلاحه، فتطور السلطة عند المسلمين كان مؤثرا في تطور الدولة الإسلامية ومؤسستها في المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي هذا الأخير الذي عرف نمطا متنوعا وفريدا بحكم وحدة الأقاليم والجنس والمذهب وظل هذا الأمر على حاله حتى نهاية العهد الموحد، ومن ذلك سنرى نمطا آخر للسلطة في العصر المريني الذي يشكل عصر الدراسة.

2-2- تعريف الخلافة:

تسنت الخلافة العربية الإسلامية مكانا سامقا واحتلت موقع الصدر في العالم من خلال ما قدمته وأضافته للحضارة الإنسانية؛ ومن أبرز الركائز التي قامت عليها حضارة الإسلام الخالدة هو النظام المؤسس التي الذي لم يتوقف على الأفراد بل استوعب الجميع وأعطى المجال لكل واحد، كما ارتبط بالدستور الإسلامي القائم على كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي أعطى بعدا تنظيميا وتجديدا لهذه المؤسسات وجعلها تتواكب مع عصرها ومصرها²، والمتفحص لهذه المؤسسات يرى مدى الترابط والتكامل بينها، ولعل أبرز وأهم هذه المؤسسات هي:

الخلافة: إذ لها شأن عظيم ومترلة كبيرة في نفوس المسلمين بحيث تنافسوا على تعريفها ووضع شروطها كل حسب رؤيته وتصوره لمدلولها سواء من الجانب اللغوي أو الاصطلاحي، ومن ذلك يقال: "خلف فلان فلانا إذا كان خليفته، يقال خلفه على قومه خلافة، وفي التزليل العزيز: "وقال موسى لأخيه هارون أخلفني على قومي" وخلفته إذا جئت بعده، ويقال خلفت فلانا أخلفه تخليفا واستخلفته أنا جعلته خليفتي واستخلفه جعله خليفة والخليفة الذي يستخلف من قبله والجمع خلائف، وأما سيبويه فقال: خليفة وخلفاء ...

1 - جدو فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 05.

2 - السرجاني راغب، ماذا قدم المسلمون للعالم (إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية)، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط5، الجزء الثاني، 1431هـ/2010، ص 405.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

والخلافة: الإمارة وهي الخليفة، وإنه خليفة بين الخلافة الخلفي...¹، وأول من أعطى تعريفا دقيقا للخلافة هو الماوردي حيث يقول: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا."²، ذلك أنهما من الأمور الجامعة بين خير الدنيا والآخرة، إذ بها قوام الدين ومناط صلاح المسلمين وبها تتم طاعة الله سبحانه وتعالى³، فالخلافة الإسلامية نظام جديد في جوهره وغاياته وأبعاده يختلف تماما عن أنظمة وأمناء الحكم التي كانت معروفة وسائدة في العالم آنذاك وهما الكسروية والقيصرية⁴، كما عظم محمد بن تومرت من مكانتها حيث قال: "... والإمامة هي عمدة الدين، وعموده على الإطلاق، في سائر الأزمان وهو دين السلف الصالح، والأمم السالفة إلى إبراهيم وما قبله، فاعتقاداتها دين، والعمل بها دين، والتزامها دين، ومعناها الإتياع والاقتراء والسمع والطاعة، والتسليم وامتثال الأمر، واجتناب النهي والأخذ بسنة الإمام القليل والكثير، والعض عليها بالنواجذ، والأخذ بالقوة والاستمساك بها..."⁵، والظاهر أن تسميتها بالإمامة بسبب الاقتداء والإتياع كما توصف بالإمامة العظمى أو الكبرى تمييزا لها عن الإمامة في الصلوات، ولكن المصطلح الأدق هو الخلافة، فالعلماء الذين تصدوا لتعريفها قدموا أمور الدين والعناية به وحفظه على أمور الدنيا على أساس أن الإسلام دين ودولة ولا يصح الفصل بينهما بحال من الأحوال بل كلاهما يكمل الآخر⁶، إذ لا يمكن لجماعة المسلمين أن يبقوا دون خليفة فتفسد أحوالهم ويضيع الدين على الجملة لذلك "..... احتاج الناس إلى من يقوم فيهم مقام نبيهم صلى الله عليه وسلم لتألف برهته الأهواء المختلفة وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة وتنكف بسطوته الأيدي المتغالبة، وتنقمع من خوفه النفوس المعاندة لأن في طباع البشر من حب المغالبة والقهر، مالا ينكفون عنه إلا بمانع قوى رادع كفي".⁷، فأصبح لزاما تنصب

1- ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج2، (مصدر خلف)، ص 883.

2- الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، القاهرة، دار الحديث، 1427هـ/2006م، ص15.

3- الملقى أبي القاسم ابن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق الدكتور على سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط 1، 1404هـ/1984م، ص 56.

4- مطبقان مازن بن صلاح، النظام السياسي في الإسلام، مجلة كلية التربية، جامعة الملك سعود، ص 23.

5- بن تومرت محمد، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق الدكتور عمار طالي، موفم للنشر، 2011، ص 236.

6- الديميجي عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ط1، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1408هـ، ص 40.

7- الملقى ابن رضوان، المصدر السابق، ص59.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات.

خليفة المسلمين في كل زمن، فهو المتكفل بنصب القضاة والأمناء وضبط الثغور وإرسال الجيوش للفتح، وتقسيم الفيء والانتصاف للمظلوم¹.

لقد أسالت مسألة الخلافة حبرا كثيرا حول مفهومها وكيف ظهرت وكيف تطورت والأكثر من ذلك تصور الشخص الذي يشغل هذا المنصب العظيم، فقد حاول الفقهاء والعلماء وضع شروط لمن يتولى منصب الخلافة واتفقوا على سبعة وهي:

- العدالة على شروطها الجامعة.

- العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام.

- سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصبح معها مباشرة ما يدرك بها.

- سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض.

- الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

- الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

- النسب وهو أن يكون من قریش².

فهذه الشروط متى توفرت في الشخص استحق أن يتولى الخلافة والأكثر من ذلك فإن مؤسسة الخلافة

قد أخذت في عين الاعتبار هذه الشروط، فسارت على نهجها، وحرص عامة المسلمين على ضرورة تحققها

ووجودها في خليفتهم، ووجدنا كثيرا من خلفاء المسلمين قد اتصفوا بهذه الصفات التي حددها العلماء

والفقهاء³، سواء الخلفاء الراشدين أو خلفاء بني أمية وبني العباس وأضحت النبراس الذي يهتدى به في تنصيب

الخليفة، وفيما يلي تتبع لمراحل الخلافة منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيعة أبي بكر الصديق (رضي الله

عنه) إلى غاية العصر العباسي، حتى نخرج بصورة واضحة لمميزاتها وتجلياتها وأماطها في عصر الدراسة فالخلافة

الراشدة كانت ذات صفة شورية اختيارية (انتخابية) كما امتزجت التقاليد العربية بالروح الإسلامية في

نظامها. ولا ننسى صفات المترشح كالتجربة والسن والخلق الكريم والفهم العميق للإسلام والسابقة فيه

1- البغدادي، المصدر السابق، ص259.

2- الماوردي، المصدر السابق، ص19-20. البغدادي، كتاب أصول الدين، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1401هـ / 1981م، ص

277. المالقي المصدر السابق، ص74-75. أما بخصوص النسب القرشي فيرى احد الباحثين أنه شرط وجد في الحياة السياسية الإسلامية بسبب

وجود عصبية قریش الغالبة وانتهى بانتهائها، ولم يعد الانتماء إلى تلك القبيلة شرط لتولي الخلافة أو الرئاسة، ينظر بوترة محمد، رئيس

الدولة في الفكر الإسلامي بين نصوص الشريعة وتراث الفقه، الجزائر، دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، 2012، ص44.

3- السرجاني راغب، المرجع السابق، ج2، ص409.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

والمنافحة عنه بالإضافة إلى النسب القرشي، والأكيد في الأمر أن سلطة الخليفة مقيدة بدستور إسلامي هو القرآن والسنة، أما الصلاحيات فواسعة وإن كانت لا تشمل القضاة والتحكم في بيت المال بل كان أهل الحل والعقد هم مناط التدبير والمرشدين للخليفة إلى ما فيه صلاح أمر البلاد والعباد¹، لكن الأمويين وضعوا تصورا آخر للخلافة حيث اعتبروها "... مؤسسة مقدسة مصونة بحفظ الله تعالى وحمايته من الفتن والانشقاق، وأنها الوسيلة لإحقاق الحق وتطبيق الشريعة ورعاية مصالح الناس."²، ومن ذلك لم يكونوا متهاونين مع المنشقين والمتمردين على حكمهم بل قضوا عليهم بكل قسوة وشدة، فكرسوا مبدأ الجبرية في الحكم وأهم أحق الناس بحكم المسلمين وسعوا إلى توحيد الدولة الإسلامية وإرسال الجيوش للفتوحات حتى مكثوا لدولة الإسلام من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب والأندلس .

ولكن تعطيل الشورى كانت بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير وتكريس مبدأ التوريث أدى في النهاية للإطاحة بحكم الأمويين³، لقد حدث انفصام كبير بين حكم الراشدين وحكم الأمويين ومع ذلك حاول خلفاؤهم تتبع نهج الراشدين والتقرب من العلماء وإرضائهم ذلك انه " لا بأس أن يسمى القائم بأمر المسلمين أمير المؤمنين والخليفة، وإن كان مخالفا لسيرة أئمة العدل لقيامه، بأمر المؤمنين وتسمع له"⁴، فلكل دولة بغية تسعى لتحقيقها وتطلع نهائي تروم الوصول إليها، ومهام كبرى تنشدها تحقيقها، فتوظف جميع الإمكانيات وتكتيف كافة الفعاليات على سبيل إنجاز هذه المهمة⁵، وعليه كان هدف الأمويين الحفاظ على وحدة الدولة والصف وسعوا إلى تحقيقها، لتأتي الثورة العباسية وتنقل الخلافة إلى أسرة قرشية أخرى بحيث استمد العباسيون شرعية خلافتهم كونهم من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم كما ارتكبوا نفس أخطاء الأمويين وأقاموا حكمهم على بحر من الدماء واشتدوا في قمع معارضيهم، وعرفت خلافتهم نمط آخر لم تعرفه دار الإسلام وتم تكريس الابتعاد الكلي عن سيرة الخلفاء الراشدين بل ثم اعتماد الحكم الثيوقراطي المستمد من التفويض الإلهي وفي ذلك استمرارية للنظرية الأموية في الحكم، وأضحى الخليفة العباسي يحيط نفسه بهالة من القدسية وتواصل مبدأ التوريث كقاعدة تأسيسية حفاظا على مصالح المسلمين، ولكن الخلفاء العظام من العباسيين استطاعوا أن يجعلوا

- 1 - فاروق عمر فوزي، تاريخ النظم الإسلامية (دراسة لتطور المؤسسات المركزية في القرون الإسلامية الأولى)، عمان، دار الشرق للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص 34.
- 2- المرجع السابق، ص 39.
- 3- المرجع السابق، ص 40.
- 4 - ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج1، تحقيق على سامي النشار، ط1، القاهرة، دار الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص 89.
- 5- إبراهيم فواد، الفقيه والدولة (الفكر السياسي الشيعي)، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ط1، 1998م، ص 34.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

من دولتهم قوة عظمى أما الخلفاء المتأخرين فقد أصبحوا لا حول لهم ولا قوة منذ العصر العباسي الثاني إلى غاية نهاية الدولة ودورهم شكلي يترك به¹، أي اسم بلا رسم، لقد كانت الخلافة (الإمامة الإسلامية) مؤسسة من نوع خاص لم يعرف لها سابقة في العالم، من خلال ما نتج عنها من مؤلفات كثيرة سعت إلى إعطاء تصور صحيح- سيتم التطرق لها فيما بعد- وحتى التباين بين مصطلح الخلافة نفسه ومدى تطوره، وكذلك شخص الخليفة وما هي الشروط التي ينبغي توفرها فيه من التشديد عليها إلى التسامح فيها أو التنازل عن بعضها.

والدليل تولى كثير من الخلفاء هذا المنصب وهم دون سن الرشد وهذا تباعد كبير ، كما لا ننسى الاختلاف في اللقب الذي تلقب به الخلفاء، فكان لقب " أمير المؤمنين " هو الجامع المانع ورمز الوحدة²، حيث... توارث الخلفاء هذا اللقب بأمر المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق والمواطن التي هي ديار العرب، ومراكز الدولة وأهل الملة والفتح، وازداد كذلك في عنفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز بعضهم عن بعض لما في أمير المؤمنين من الاشتراك بينهم...³ ، وعليه فإن تعظيم الخلافة كان أمرا من الأهمية بمكان إذ التقلب بأمر المؤمنين كان له أبعاد وحدوية أمنية واحتواء واستيعاب لجميع الفئات وخاصة فئة العلماء، وأثناء الأزمات كان الخليفة يتدخل لحلها، وأصبح من العسير تصور الدولة الإسلامية دون وجود خليفة يحكمها ويرتب أحوالها وينظم شؤونها ويحمي ثغورها ويبيث الأمن في ربوعها فكان الأمر ملهما وصعبا في آن واحد، فإتباع خطى الراشدين كان المثال الملهم والحكم الأمثل ولكن تباعد الزمن بين هذا العهد أدى إلى صعوبة تطبيقه في الواقع لاعتبارات كثيرة، كتغير المجتمع وظهور الفرق والنحل وتبلورها إلى مذاهب مثل: الخوارج والشيعة والمعتزلة⁴، سعت إلى وضع تصور إيديولوجي للخلافة كل حسب مذهبه وتوجهه، فاستدعى إقامة حكم جبري وراثي، وتعطيل للشورى والاستحواد على أهل الحل والعقد والسيطرة على القضاء وبيت المال ومؤسسة الجيش والشرطة وبذلك أصبح الخليفة يمثل السلطة الزمنية والروحية وتم تجاوز معايير الاختيار ولم يعد هناك طريقة محددة لتولي منصب الخلافة، بل يمكن القول أن امتلاك العصية والمال كان مؤهلين لصاحبهما أو مالكهما أن ينال بهما الخلافة حتى وإن كان غير أهل لذلك وأصبح الرضوخ للأمر مسلما به، وسنرى نموذجا آخر للخلافة مع بداية ظهور المرينيين ونتبع مدى

1- فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص 113.

2- إبراهيم فواد، المرجع السابق، ص 34.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 210.

4- البغدادي، كتاب أصول الدين، المصدر السابق، ص 239.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

سعيهم لإعادة الخلافة وتوحيد المغرب الإسلامي تحت رايتهم من جديد، ومدى الصعوبات التي واجهتهم في سبيل هذا المطلب العظيم.

2-3- تعريف الملك والسلطان:

من أبرز ملامح دولة الخلافة أنها لم تحافظ على جميع الأقاليم تحت سلطتها ونفوذها، فقد استفحلت ظاهرة قيام الدويلات المستقلة كنتيجة لما تمخض عن الصراعات والتدافعات السياسية فظهرت الدولة السلطانية (أي حكم الملك، السلطان)، وقد أبانت الدولة السلطانية بوصفها سلطة مركزية، تمتلك القرار السياسي والتسيير الإداري والمالي والعسكري¹، وإذا حاولنا تتبع مدى تطور هذه الدول ذات الطابع السلطاني، فينبغي علينا أن نعطي تعريفاً للملك والسلطان وما دلالة كل منهما، وسنبداً أولاً بتعريف الملك فقد جاء في اللسان " الملك: السلطان والعظمة وملك الله تعالى سلطانه وعظمته، و لفلان ملكوت العراق أي عزه وسلطانه ... والملك هو العز ... وفي حديث أبي سفيان هذا ملك هذه الأمة قد ظهر"². فالملك في اللغة كما هو واضح العزة والعظمة³، ولذلك يمكن القول أن معناه التصرف والتحكم في جماعة عظيمة أو أمة عديدة، بتدبير شؤونها ورعاية مصالحها، وإعطاء الحقوق لأصحابها، ورد العدوان عنها، وتوجيهها إلى ما فيه خيرها بالحزم والتدبير وبعد النظر⁴، فهو إذن التغلب والحكم بالقهر⁵؛ فقد اتفق كل من ابن خلدون وابن الأزرقي أن الملك هو السلطة والقهر أو التغلب والتحكم والقهر، بمعنى السياسة والأسلوب الذي يملكه الملك في تدبير شؤون مملكته والعمل على ديمومتها واستمرارها⁶، وقد برر ذلك ابن خلدون بقوله: "اعلم أن صاحب الدولة إنما يتم أمره، بقومه، فهم عصابته وظهرأوه على شأنه، وبهم يقارع الخوارج على دولته، ومنهم من يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته، وجباية أمواله لأهمل أعوانه على الغلب، وشركاؤه في الأمر، ومساهموه في سائر مهماته، هذا ما دام الطور الأول للدولة فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد عنهم، والانفراد بالجد، ودافعهم عنه بالمراح،

- 1- أمزيان محمد محمد، الدولة السلطانية وازدواجية السلطة المركزية (دراسة حول التطور السياسي لمؤسسة الخلافة)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 28، السنة العاشرة، ربيع الثاني 1422هـ/ يوليو 2002م، الإمارات العربية المتحدة، ص 78.
- 2- ابن منظور، المصدر السابق، المجلد السابع، (مادة الملك)، ص 321.
- 3- بوترعة محمود، إشكالية الحكم في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، الجزائر، دار الشيماء للنشر والتوزيع، دار النعمان للطباعة والنشر 2012، ص 46.
- 4- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، 1984، ص 213.
- 5- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 134، ابن الأزرقي، المصدر السابق، ج1، ص 88.
- 6- شاكور زينب عفيفي، طبيعة الملك في الفكر السياسي لابن الأزرقي، مجلة الأحمدية، العدد 5، تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، د.ي محرم 1421هـ/ أبريل نيسان 2000م، ص 233.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

صاروا في حقيقة الأمر من بعض أعدائه...¹، وفي نفس السياق فإن علماء الإسلام وفقهاء الفكر السياسي أجمعوا أن الإسلام ليس ديناً له عقائده المعروفة فقط، وإنما هو دين ودولة، وعليه استوجب إقامة حاكم للدولة يجري في حكمه وتدييره وسياسته على ضوء ما جاء به الشرع²، فالغاية العظمى هي حفظ الدين من الضياع أو التحريف وتنظيم حياة الناس وأمنهم، إذن نخلص إلى أن الملك هو كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع³، أما السلطان فهو لفظ مشتق من بعض مفردات القرآن الكريم التي تأتي بمعنى السلاطة والتمكن من القهر⁴، ويرى البعض أن كلمة سلطان مشتقة من السريانية⁵، فالسلطان هو " خلافة النبوة في إصلاح الخلائق وإقامة دينهم وتقويم أودهم"⁶، ذلك أن لفظ السلطان باعتباره لفظاً عاماً يقصد به سلطة الدولة أو الوالي أو الأمير أو الحاكم، أو بوصفه لقباً فخرياً كان يطلقه بعض الخلفاء على أحد وزرائه، كان شائعاً بشكل من الأشكال وإن لم يكن يحيل على رتبة معينة في هرم السلطة السياسية⁷، فاللفظ قد يتغير ويتبدل بتبدل الزمان والمكان والظروف، ولكن الأهم في كل هذا أن يتفق هذا المصطلح مع روح الشريعة ولا يصطدم مع قواعدها ومبادئها⁸، إن الحديث عن مصطلح السلطان يحيلنا إلى بدايات تداوله في الدولة الإسلامية حيث بدأ التلقب به مع مجيء البويهيين إلى الحكم⁹، فأضحى منصباً سياسياً رفيعاً في هرم السلطة السياسية أظهر أن حكم البويهيين قد بلغ أعلى سلطة في الهرم السياسي، على الرغم من خضوعه من الناحية الصورية لتفويض الخليفة¹⁰. وذلك بحثاً عن الشرعية لحكمهم فلم يستطيعوا أن يقضوا على الخليفة لتمكين حكمهم ويحصل لهم القبول عند العامة، ولكن السلطة الحقيقية كانت بيدهم وتدير أمور الخلافة بما فيها شؤون الخليفة نفسه، وبذلك أصبح مصطلح

1- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص117.

2- ابن الأزرقي، المصدر السابق، ج1، ص104، شاعر زينب، المقال السابق، ص233-234.

3- سميح غانم، موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2001، ص576، ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص71.

4- الخطيب مصطفى عبد الكريم، المرجع السابق، ص256.

5- الكيالبي عبد الوهاب وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص214.

6- ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص71.

7- أمزيان محمد محمد، المرجع السابق، ص79.

8- ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص82.

9- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج9، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1334هـ/1996م، ص423-424.

10- أمزيان محمد محمد، المرجع السابق، ص79.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

السلطان يطلق على "الحكام المستقلين لتمييزهم عن الحكام الذين كانوا لا يزالون تعيينهم وتعزهم سلطة عليا"¹.

والظاهر أن مصطلح السلطان استنادا إلى الظروف التي ظهر فيها جعل كثير من المؤرخين يعنون بتحديد دقيق لهذا اللفظ فقد نقل السيوطي عن ابن فضل الله العمري قال: "ذكر علي بن سعيد أن الاصطلاح ألا تطلق هذه التسمية إلا على من يكون في ولايته ملوك، فيكون عسكره عشرة آلاف فارس ونحوها، فإن زاد بلادا أو عددا في الجيش كان أعظم في السلطنة، وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم، فإن خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان عراق العجم وفارس، ومثل إفريقية والمغرب الأوسط والأندلس كانت سمته سلطان السلاطين كالسلاجوقية"²، ونستشف من هذا التحديد أن السلطان بوصفه منصبا سياسيا، أصبح له دلالة محددة تختص بمن امتلك سلطة عليا ونفوذ مستمر، وكان له اليد الطولى على من دونه من الملوك التابعين لإمرته، فهو ملك الملوك وكبيرهم، والواضح من هذا التحديد أن منصب السلطان بوصفه سلطة مركزية عليا أصبح يفرض نفسه على أنه منصب بديل عن منصب الخلافة من حيث صلاحيتها السياسية، والإدارية والمالية والعسكرية.

صحيح أن ظهور هذا المنصب لم يكن ليحل محل منصب الخلافة بإطلاق، إذ لم يعمل على إلغائها ومع أنه أبقى على وجودها وحافظ على استمرارها، إلا أنه جردها من كل صلاحيتها السياسية، وأبقى عليها إطارا سوريا محضا ليستأثر السلطان بكل المهام التي كانت من وظيفة الخليفة³، وعليه يمكن استنباط أن منصب السلطنة كان أهم منصب بعد الخلافة هذه الأخيرة التي كانت تشكل واقعا جامعا مانعا وكذلك سار منصب السلطنة على شاكلتها وتبنى منطلقاتها وأسسها وأبعادها ومؤسساتها، كما عمل -الملوك والسلاطين- على التحلي بجملة من الخصال " فأول ما يقال: إن الملك الفاضل هو الذي اجتمعت فيه خصال وهدمت فيه خصال..."⁴، فلا غرو إذن فالملك، السلطان الكيس الحذق النابه هو المنتحل لمكارم الأخلاق وحميد الصفات الصفات حتى يوضع له القبول في صفوف الرعية وأهل الرأي والفكر، ومن هذه الصفات والخصال:

*العقل: وهو أصلها وأفضلها وبه تساس الدول بالملك.

1- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 214.

2- السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج2، القاهرة، مطبعة الموسوعات، د.ت، ص 92.

3- أمزيان محمد محمد، المرجع السابق، ص 79.

4- ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، حققه وضبطه وشرحه عبد القادر محمد مايو،

ط1، منشورات القلم، 1418هـ/1997م، ص 23.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

- * العدل: وهو الذي تستغزر به الأموال، وتعمر به الأعمال وتستصلح به الرجال.
- * العلم: وهو ثمرة العقل وبه يستبصر الملك فيما يأتيه ويذره ويأمن من الزلل في قضاياها وأحكامه، وبه يتزين الملك في عيون العامة ويصير معدودا في خواص الملوك¹.
- * الكرم: وهو الأصيل في استمالة القلوب وتحصيل النتائج من العالم واستخدام الأشراف².
- * الهيبة: وبها يحفظ نظام المملكة، ويحرس من أطماع الرعية³.
- * السياسة: وهي رأس مال الملك، وعليها التعويل في حقن الدماء، وحفظ الأموال ومنع الشرور، وقمع الدعار والمفسدين، والمنع عن التظالم المؤدي إلى الفتنة والاضطراب.
- * الوفاء بالعهد: قال تعالى سلطانه: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا" (سورة الإسراء: 34) وهو الأصل في تسكين القلوب، وطمأنينة النفوس، ووثوق الرعية بالملك إذا طلب الأمان منه خائف، أو أراد المعاهدة منه معاهد.
- * الإطلاع على غوامض أحوال المملكة: ودقائق الرعية ومجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته⁴، ونستشف من هذه الخصال أنها مطلوبة في الملك والسلطان كما ينبغي على السلطان ألا ينفرد برأيه ويستبد به وأن يشاور في شؤون الدولة والرعية خاصته من أهل الشورى وفقهاء الناس وعلمائهم ومن يعتقد فيهم الذكاء والفتنة وصحافة الرأي وحسن التمييز ولا ينبغي أن تمنعه عزة الملك من إيناس المستشار به وبسطه واستمالة قلبه حتى يحضه النصيحة فإن أحدا لا ينصح بالقسر ولا يعطي نصيحته إلا بالرغبة⁵، وفي نفس السياق أدى ظهور النظام الملكي أو السلطاني إلى التمظهر بمظاهر الهيبة، فاستدعى أن تكون للملك والسلطان شارات يتميز بها عن غيره من أمراء الأقاليم الخاضعين لسلطان الخلافة وأصبح الملك-السلطان- له نفس الصلاحيات التي للخليفة وأيضا كل الامتيازات ومن هذه الشارات نذكر:
- * الآلة: يجدر بالسلطان أن يكون له لواء خاص بدولته سواء كان ذا لون محدد أو يكتب عليه كلمات دالة، وكذلك اتخاذ الرايات وقرع الطبول والنفخ في الأبواق والقرون⁶.

1 - المصدر نفسه، ص 23.

2- المصدر نفسه، ص 28.

3- المصدر نفسه، ص 29.

4- المصدر السابق، ص 30.

5- المصدر نفسه، ص 236.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 236.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات

* السرير: وهو من أسباب الهيبة والوقار وشدة الاحترام، والسرير والمنبر والتخت والكرسي فهي أعواد منصوبة وأرائك منضدة لجلوس السلطان عليه مرتفعا عن أهل مجلسه أن يساويهم في الصعيد¹.

* السكة: وهي ضرب الدينار والدرهم باسم السلطان المالك لذلك الإقليم وهي أمر ضروري للملك، إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة².

* مقدار الدرهم والدينار الشرعيين: فالسلطان ينبغي أن يضبط مقادير العملة المتداولة في مملكته ذلك أن الشرع علق كثيرا من الأحكام يهما في الزكاة والأنكحة والحدود وغيرها، فلا بد لهما - الدرهم والدينار - من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليهما أحكامه دون غير الشرعي منهما³.

* الخاتم: وهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية وهو متعلق بشخص السلطان إذ يطلق على الآلة التي تجعل في الأصبع، ومنه تختم إذا لبسه، فيختتم ويوقع ويصادق به على المراسيم والصكوك التي يبعث بها إلى الولاية والقضاة وسائر أهل الخدمة في دولته، وهو بمثابة الضمانة منه بصدوره عنه وبعلمه فيعمل به في الشأن الذي أمر به⁴.

* الطراز: من أمة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم أسماءهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم، من الحرير أو الديباج أو الإبريسم، تعتبر كتابة خطها، في نسج الثوب ألحاما وأسداءا بخيط الذهب، على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم، فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلباسها من السلطان فمن دونه، أو التنويه بمن يختص السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف الدولة⁵.

* الفساطيط والسياج: كان اتخاذ الفساطيط والخيام العظيمة زيادة في هيبة السلطان، ذلك أن عظمة السلطان من عظمة البنيان، فيباهي بها في الأسفار والحروب⁶.

1- المصدر، نفسه، ص 237.

2- المصدر نفسه، ص 239.

3- المصدر نفسه، ص 241.

4- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 242-243.

5- المصدر نفسه، ص 244.

6- المصدر نفسه، ص 245.

الفصل التمهيدي: تعريف المصطلحات.

* المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة: وهما من الأمور الخلافية ومن شارات الملك الإسلامي، ولم يعرف في غير دول الإسلام، فأما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتخذ سياجا على الحجرات فيحوزه وما يليه، وأما الدعاء على المنابر في الخطبة فكان الشأن أولا عند الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم، فكانوا يدعون بذلك بعد الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) والرضا عن أصحابه وأقام السلاطين الخطبة للخلفاء في أيام الجمع والأعياد ولأنفسهم من بعدهم فكانت الخطبة للسلطان، دليل على ملكه لتلك البلاد وخضوعه لحكمه وسلطانه¹، كانت هذه الشارات وغيرها أهم برهان على ظهور الدول السلطانية وأن السلاطين الذين حكموا بلاد الإسلام قد تفننوا في مراتب البذخ والأبهة وعملوا على أن يكونوا في ذلك على شاكلة الخلفاء وأضحت هذه الشارات عرفا سائدا في الدول.

ونخلص في الأخير أن الملك والسلطان يطلقان على معنى واحد، وهما من ألفاظ الأضداد فكل ملك هو سلطان وكل سلطان هو ملك بل أزيد أن السلطان أشمل من الملك، إذ يمكن للسلطان أن يحكم في عدد من الملوك ولا أدل على ذلك من أن التلقب بالسلطان كان هو الشائع في جميع الدول التي قامت منذ القرن الرابع الهجري، وهذا كان دأب المؤرخين وعلماء السياسة في تحديد مصطلح السلطان والملك والتفريق بينهما ووضع كل واحد منهما في مكانه ودلالته، وسنرى مدى تطور هذين المصطلحين في دولة بني مرين التي تشكل عصر الدراسة عندما نتطرق إلى تأسيسها في الفصل الثاني وكيف تلقب أمراؤها بألقاب الملك والسلطان.

1- المصدر نفسه، ص 246.

الفصل الأول:

الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة
السياسية .

1- منزلة العلماء في الدولة الإسلامية.

1-1- المنزلة العلمية.

1-2- دور العلماء في تنشئة العلماء.

1-3- المنزلة الاجتماعية.

1-4- منزلة العلماء عند الخلفاء والسلاطين.

2- طبيعة التأثيرات المتحكمة في علاقة العلماء بالسلطة السياسية.

2-1- استشعار العلماء لواجبهم في النصح للأئمة.

2-2- تأكيد العلماء على أهمية صلاح الخلفاء لصلاح الأمة.

2-3- مكانة الخلفاء لدى العلماء.

2-4- رأي العلماء في طاعة الخلفاء والأمراء.

2-5- حدود طاعة السلطان.

3- الأصول الفكرية لصلة العلماء بالسلطة.

3-1- البعد الأشعري.

3-2- البعد المالكي.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

يندرج هذا المحور ويأخذ محله ضمن استقصاء طبيعة العلاقة بين العلماء والسلطة السياسية في الدولة الإسلامية من خلال تسليط الضوء على أهم الركائز التي ارتكزت عليها هذه العلاقة لكي نخرج في نهاية الفصل بتصور واضح يساعدنا على مواصلة هذه الدراسة وسنبداً أولاً بمترلة العلماء في الدولة الإسلامية.

1- مترلة العلماء في الدولة الإسلامية:

بلغت مترلة العلماء بمختلف فئاتهم وأصنافهم مبلغاً سامقاً وعالياً، إذ بوأهم الإسلام ذلك وعدهم ورثة الأنبياء والمرسلين وأجدر الناس أن يطبقوا حدود الله وبمكنوا لدينه في الأرض، ويعملوا على تعليمه والدعوة إليه¹، باعتبار أنهم يحتلون مترلة الوساطة بين مضامين الدين كما جاءت في الكتاب والسنة وبين الأمة المتلقية لهذه المضامين في الواقع².

إن مكانة العلماء بما تجسده من سلطة علمية معرفية تكبر وتفوق وتتعدى السلطة الحاكمة وهذا أمر عائد إلى الطبقة العريضة من العامة التي تقدرهم وتحترمهم بسبب حملهم للعلم الشرعي، فحازوا بذلك الشرعية الحقيقية عند عامة الناس، ولهذا فإن مكانتهم هذه جعلتهم أقدر الناس على بث الهدوء والاستقرار، وكذلك بث روح الثورة والخروج على الحاكم، ونستشف ذلك في الألقاب التي توحى بعلو قدرهم ومترلتهم³، وفي نفس السياق يقول أحدهم: "اعلم أن مواقع العلماء في مملكتك مواقع المصايح من دارك فإن أضاءتها على حسب تعهدك إياها، ولا تشغلها بالكدح في معاشها وأصبها بما يفرغها لتجبر ما تحسن به أيامك وتفضل به دولتك واذكر ما قيل: "شر الأزمنة زمان شغل فيه العالم عن علمه، وتفرغ فيه الهازل لهزله، وأجدت فيه الرذائل وأكدت الفضائل"، فإن بمثله تختم الدول وتداول الدهور"⁴.

1- أبو الخليل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عهدي المرابطين والموحدين (483هـ/1090م - 640هـ/1242م)، السعودية دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، ط1، 1242هـ/1998م، ص 03.
2 - العابد عبد الحميد، علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول (132هـ/232هـ - 750م - 847م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1430هـ/2008م - 2009م، ص 60.
3 - ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص: 208.
4 - بن الداية أحمد، الفلسفة السياسية عند العرب، تقديم وتحقيق الدكتور عمر مالكي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، سلسلة دراسات ووثائق، 1980م، ص 30.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

لقد اعتبر مكانة العلماء في الدولة بموقع المصاييح في الدار أو النجوم في الليل، وعلى ذلك سنحاول من خلال القرائن التاريخية والمادة العلمية أن نتبع هذه المترلة التي انقسمت إلى مترلة علمية كما هو مذكور أعلاه ومترلة اجتماعية، وكذلك مترلتهم عند الخلفاء والسلطين، وسنشرع في بيان كل واحدة:

1-1- المترلة العلمية: كان العلم الشرعي المتعلق بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكل علوم الدين الأخرى هو مربط الفرس وبيت القصيد الذي تمحورت عليه حياة العلماء وبه حازوا قصب السبق في المجتمع، ولأمراء أن العلماء لم يكونوا جميعا على درجة واحدة في العلم، ولا في ميزان واحد من المستوى، فثمة تفاوت كبير وتباين واضح بينهم - كسائر الناس - في قدراتهم العقلية، وكذلك فيما تهيأ من علوم ومعارف، ففيهم الكبير والصغير والعالم والمتعلم والمجتهد والمقتصد لكن فئة منهم بلغت مترلة ومكانة فاقت غيرهم، نظرا لتفوقهم على من سواهم¹. وعليه كانت فئة الفقهاء أكثر الفئات تفوقا ونبوغا، فقد كانت مترلتهم جليلة ومتميزة، وخطوا بكل تقدير واحترام²، ذلك أن الفقه في بدايته هو العلم بكل أحكام الدين لذلك احتفظ الفقيه بلقب العالم عندما استقل الفقه بموضوعه³، ونستشف ذلك في الرصيد العلمي والفقهى الضخم الذي تركوه، فلا غرو أن كثير من العلماء كانوا مقصدا للمتعلمين ووجهة للمتطلعين لتفقه في أمور دينهم والاستفادة من علم بعضهم المتسع إلى سائر العلوم الأخرى، فأتاهم طلبه العلم من كل حذب وصوب، وتجمعوا على حلقات دروسهم في الجوامع والمدارس وواظبوا على حضور محاضراتهم⁴، فكانوا حقا أعز الناس وهذه هي الدرجة والمترلة التي قدرها الصالحون لعلماء الأمة وحفظوها لهم وأنزلوهم إياها، وقد علموا أنهم مصاييح الدجى التي يهتدي بها، وهو الأمر الذي أورثهم عزا ومجدا وتقدما وحضارة رفيعة⁵.

إن التعظيم من قدر العلماء كان خاصية متعلقة بالحضارة الإسلامية وبها انفردت عن سواها وتميزت عن غيرها، فالتصفح لكتب التراجم والطبقات يجدها تزخر بكم هائل من تراجم العلماء الذين قضوا حياتهم في سبيل تحصيل العلم وتعليمه ونشره بين الناس، فقد حازت الحضارة الإسلامية قصب السبق في مختلف العلوم وأبدع

1 - أبو الخليل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، المرجع السابق، ص111.

2 - يعيون سهى، المرجع السابق، ص204.

3 - خطيف صابرة، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ/2011م، ص66.

4- أبو الخليل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، المرجع نفسه، ص119.

5- السرجاني راغب، العلم وبناء الأمم، ط1، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1428هـ/2007م، ص201.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

علماءها في أصناف العلوم النقلية والعقلية وخلفوا لنا كما هائلا من الكتب على هذه العلوم، وهو لعمرى أمر لم تعرفه غير حضارة الإسلام.

1-2- دور العلماء في تنشئة العلماء: قامت حضارة الإسلام العظيمة على العلم ولم تبلغ الحضارة الإسلامية

مكانة عالية إلا بالعلم، والعلماء كانوا أكثر فئات المجتمع الإسلامي وعيا بهذا الأمر وأحرصهم على سيادة العلم، فكان دورهم جد كبير في إخراج العلماء، وفي تربية المجتمع على إخراج وتنشئة هؤلاء العلماء¹، لتستمر حضارة الإسلام وتدوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فأوقفوا حياتهم ووقتهم في سبيل هذه الغاية الكبرى والمقصد الجليل ألا وهو توريث العلم للجيل الذي يأتي بعدهم وهكذا دواليك²، ومن ذلك تأليفهم الكتب التي تحت على تعلم العلم، وتبيين فضله ومكانته، والكتب المؤلفة في ذلك أكثر من أن تحصى ومن أهمها:

- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.
- آداب العلماء والمتعلمين للحسين بن منصور اليميني.
- أخلاق العلماء للآجري.
- جماع العلم لمحمد بن إدريس الشافعي.
- مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على النسب لمرعي الكرمي واقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي.

وزيادة على ذلك رعايتهم واهتمامهم بشأن النابغين والموهوبين من طلبة العلم معنويا وماديا، فقد اهتم الإسلام برعاية الحاذقين والتنويه بهم، وذلك لأنهم يعدون في الأساس ثروة الأمة وعمادها³، وذلك بإتباعهم منهجا سليما هادفا يبتغون في ذلك رضوان الله تعالى والفوز بالدار الآخرة، وجرى طلبتهم على سنتهم في توريث العلم وتأليف الكتب والإشادة بدور أساتذتهم وشيوخهم وفضلهم عليهم، فكانت حلقة متواصلة مستمرة إلى يومنا هذا وهي ترجمة عملية لعظمة الإسلام ولدولة الإسلام.

1-3- المترلة الاجتماعية: حظيت فئة العلماء بمعاملة خاصة من قبل أفراد المجتمع الإسلامي في كل عصر

ومصر، حيث نظروا إليهم نظرة احترام وتقدير وتبجيل، وذلك نابع مما رسخه الإسلام في نفوسهم من مكانة، وما صنعه لهم في القلوب من مهابة، وتزداد هذه المترلة من خلال ما قام به العلماء من خدمة لمصالح الأمة

1- السرجاني راغب، المرجع السابق، ص299.

2- المرجع نفسه، ص302.

3- المرجع نفسه، ص303.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

والمشاركة فيما يساورها من هموم، وأصبحوا هم الناطقين بلسانها إذا ألت بها الحن، ويهبون للمنافحة عنها وعن دينها عند حلول الأخطار¹، وفي نفس السياق كان امتداد نشاط العلماء إلى فئة الصغار لبنة أخرى في ترسيخ وتعزيز مكانتهم الاجتماعية، تأصلت بمساهماتهم في الحياة العامة وتمثيلهم لعصرهم، وتمدى التواصل الذي حققوه مع العامة بتعليمهم للناشئة وتلقينهم للعلم الشرعي في المساجد²، وانطلاقاً من تشعب وتنوع المطالب العملية السلوكية التي تشمل جميع فعاليات المسلم في حياته من أبسط الأمور إلى أكثرها تعقيداً، فاستدعى منهم بحثاً وتقصياً وطلباً واستخباراً واجتهاداً، وأن يكونوا قدوة في ذلك حتى تبقى مكانتهم سامقة في نظر المجتمع³، كما حرصوا على نشر العلم، إلى كل فئات المجتمع بدءاً بفئة الصبيان كما ذكرنا أعلاه إلى فئات الشباب فكبار السن وحتى النساء، حتى يكون المجتمع عارفاً بأمر دينه وأمور دنياه، ولا ننسى شحذ الهمم على الجهاد في سبيل الله فكانوا يخرجون على رأس الجيوش لمقارعة العدو وبث الحماس في صفوف المقاتلين وكانوا يقضون ليلهم ونهارهم في المراقبة على الثغور وتلقين المقاتلين أحكام الجهاد وشروطه وأهدافه، والكثير منهم استشهد في سبيل الله، فضربوا بذلك أروع الأمثلة للمقاتلين والمجاهدين في سبيل الله⁴، لقد كان العلماء أكثر فئات المجتمع الإسلامي وعياً بقضية الجهاد وإعلاء كلمة الله تعالى في أصقاع الأرض ونشر دين الحق، ومن ذلك أنهم لم يتساهلوا في أمور الدين وإقامة حدوده وشرائعه والضرب على يد المبتدعين والمخالفين والمتزندقين وسعوا إلى تطهيره من الشوائب والبدع، فاستحقوا بكل ذلك منزلة راقية في نظر المجتمع الإسلامي وأصبحت لهم سلطة ونفوذ يأترون بأمرهم ويستترشدون بهم وبعديهم فهم حملة الدين والمنافحون عنه⁵.

1-4- منزلة العلماء عند الخلفاء والسلاطين: يعد اهتمام الخلفاء والسلاطين وأمراء المسلمين بالعلماء طوال

التاريخ الإسلامي أمراً جديراً بالأهمية، إذ كان له دور جوهري في تحصين السياسات أو تحويلها، وتحدد الحضارات أو تبددها لذلك وعى الخلفاء والسلاطين على طول العالم الإسلامي ضرورة الإعلاء من قدر العلماء والرفع من منزلتهم ومكانتهم⁶ انطلاقاً من دورهم الريادي في المجتمع ووجهتهم عند جمهور الناس وأعيانهم، فاستدعى عناية خاصة بهم من قبل السلطة الحاكمة، وهو مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية، فسعوا إلى

1- أبو الخليل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، المرجع السابق، ص 124.

2- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 68.

3- العابد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 61.

4- أبو الخليل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، المرجع السابق، ص 125.

5- المرجع نفسه، ص 134-135.

6- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص 81.

الفصل الأول: — الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

الاعتناء بهم والتخفيف من آلامهم، وتفريغهم لنشر العلم¹، فقد علموا أنهم مناط الاستقرار والهدوء في الدولة، فعندما تعجز السلطة عن درء الفتن والقلاقل، فلا تجد إلا العلماء لتستعين بهم في سبيل رأب الصدع وتهدئة الأوضاع²، فلا غرو عندما " نرى قادة أعلى مستوى لم يكونوا فقط يهرعون إلى العلماء باعتبارهم الملاذ الوحيد، لكنهم كانوا يقفون إزاء توجيهات العلماء بإيجابية باعتبارهم معالم المهدي إلى الطريق السوي"³، وفي نفس السياق قد يؤدي موقف العلماء إلى إسقاط الدولة إذا بلغت حدا لا يمكن تحمله⁴، ذلك أن رأيهم هو القول الفصل والعودة إلى الشرع كان ولا يزال شعار كل الناس⁵، وعليه استعمل الخلفاء والسلطين العلماء في تسيير شؤون الدولة واعتمدوا على كفاءتهم العلمية، في تثبيت الحكم وتقدير العلوم⁶، ولا ننسى دور العلماء العلماء وجهودهم في تأسيس كثير من الدول في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وفي بلاد المغرب الإسلامي كان لجهود العلماء إسهام كبير في تأسيس دولتين من أعظم الدول التي قامت بالمنطقة وهما دولتا المرابطين والموحدين، فالعلماء كانوا ركنا أساسيا في ملك المرابطين "...فكان الفقهاء يحتلون محلا عاليا في نطاق الدولة ويلعبون فيها الدور الأساسي، إذ أنهم كانوا مرشديها وموجهيها سياسيا، وكانوا يستفتون في كل مسألة صغيرة أو كبيرة من جانب أمير المسلمين قبل أخذ أي قرار وكان ما أفتوا به يطبق بحذافيره"⁷. وزيادة على ذلك تم إشراكهم في السلطة وصنع القرار حتى سميت دولة المرابطين بدولة العلماء⁸، أما الموحدين فقد تمتع العلماء عندهم بممثلة كريمة رفيعة، فكانوا يؤثرونهم، ويستقدمونهم ويعمدون إلى تقريريهم ومشاورتهم⁹ وبالإضافة إلى ذلك كان الخلفاء تعبيرا منهم على المكانة الخاصة التي احتلها العلماء والفقهاء عندهم، كانوا

1- السرجاني راغب، المرجع السابق، ص 248.

2- ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص 209.

3- التازي عبد الوهاب، جامع القرويين، ج1، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1973م. ص 444.

4 - ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص: 210.

5 - التازي عبد الوهاب، المرجع السابق، ج1، ص: 445.

6 - قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص: 81.

7 - ولد داده محمد، مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، دراسة في التاريخ السياسي ، بيروت، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ط1، 1977م، ص: 118.

8 - بن مولود وثيق، القاضي أبو بكر بن العربي وإسهامه الفقهي، أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي، ولاية عين الدفلى، دار الثقافة 8-9-10 ربيع الثاني 1429هـ/14-15-16 أفريل 2008، ص: 97.

9- أبو الخليل محمد بن إبراهيم، المرجع السابق، ص: 130.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

يحضرون جنازتهم¹، ولما كان قدر العلماء رفيعا في الدولة الإسلامية سعت السلطة الحاكمة إلى تنشئة العلماء لتستعين بهم- كما قلنا - في وظائف الدولة وخططها، بل كان لزاما على الدولة تنشئتهم حتى يتم بناء نهضتها، وفق آلية مدروسة واستشراق بعيد للمستقبل وتكوين معمق ورفع للهمم وإجراء للنفقات والأرزاق والعطايا، وبناء المدارس، والمعاهد العليا، والمكتبات العامة والخاصة²، كل هذا يعطينا صورة واضحة على دور الدولة الإسلامية في رعاية العلماء وتنشئتهم منذ الصغر وتعليمهم مختلف العلوم الدينية والدنيوية، كما أنشئت مدارس خاصة للطلبة والأيتام وبها سكناهم ومعاشهم³، وهو الملاحظ في الدولة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها حيث انفردت عن غيرها من الدول في هذه الخاصية وأضحت أعظم الدولة مكانة وقدرًا وتفوقًا. من خلال ما سبق نرى أن العلماء كان لهم القدح المعلق والمهيج الرشيد في الدولة الإسلامية واحتلوا مكان الصدارة بين فئات المجتمع الإسلامي الأخرى، وكانوا هم مناط الاستقرار والهدوء والأمن في الدولة، فسعى الخلفاء والملوك والسلطين وأصحاب الجاه إلى التقرب إليهم ورفع من قدرهم والإشادة بمكانتهم والاستعانة بهم في أمور الدولة ووظائفها وخططها ودواوينها - كما سنرى في الفصل الثالث - والأخذ بمشورتهم ورأيهم، وذلك لما تحقق لهم من نفوذ علمي وسلطة معرفية في أوساط المجتمع فاقت ما للسلطة من نفوذ، وأهم محل إجماع من عامة الناس لما يحملونه من علم شرعي، فكانت منزلتهم رفيعة مكيئة عند الحكام والمحكومين، ومن ذلك سنرى هل حظي العلماء بنفس المتزلة في العصر المريني كما كانوا في عصري المرابطين والموحدين أم لا؟.

2- طبيعة التأثيرات المتحكمة في علاقة العلماء بالسلطة السياسية:

بعد أن رأينا المتزلة التي حظي بها العلماء في الدولة الإسلامية، يجدر بنا أن نغوص في فحوى هذه المتزلة من خلال التطرق إلى أهم التأثيرات التي تحكمت في علاقتهم بالسلطة السياسية، فنرى رؤية العلماء للسلطة وكيف تعاملوا معها، لذلك تمحور تراث العلماء السياسي في صنفين متلازمين هما: " الآداب أو النصائح السلطانية " و " الأحكام السلطانية"⁴.

- 1 - شوقي نواره، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ-667هـ/1126م-1268م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر (2)، 1428هـ-1429هـ/2007م-2008م، ص98.
- 2- السرجاني راغب، المرجع السابق، ص244.
- 3 - المرجع نفسه، ص247.
- 4- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص70.

الفصل الأول: — الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

ولم تظهر هذه التصانيف إلا بعد استفحال ظاهرة الاستقلال في ربوع العالم الإسلامي وظهور الدولة السلطانية كما ذكرنا — في تعريف الملك والسلطان — إذ أن نظام الدولة بدأ مع تأسيس دولة الأمويين واستمر في دولة بني العباس¹، فاستدعى من العلماء سعياً حثيثاً للعمل على الحفاظ على وحدة المسلمين فقد عرفت الدولة العباسية انقسامات واستقلت مناطق شاسعة من حوزتها بالرغم من بقاء الخليفة العباسي، فظهرت إمارة الاستيلاء²، وأضحى الخليفة مجرد اسم دون فعل، ومنذ عصر الأمويين بدأ الانفصال بين السلطة الحاكمة والعلماء، بل استأثر الخلفاء بالأمر وحاولوا إقصاء العلماء "... طبعاً أي حاكم يحرص أن يظهر نظاماً جامعاً للسلطتين، وأن سياسته ما هي سوى بلورة لهذا الجمع"³.

وأصبح اشتراك العلماء في أمور الحكم يأخذ طابعاً شكلياً فاتجه هؤلاء لأن يجدوا لأنفسهم مكاناً ضمن هرم السلطة، بل سعوا لأن يكونوا أهم ركن فيها، وعملوا على توجيه السلطة لخدمة مصالح الرعية وإقامة حدود الدين لذلك نظروا إلى فترة الخلافة الراشدة أنها المرحلة المثالية، والظاهر أن هذه النظرة كانت المثال الملهم الذي اقتدوا به وأشاعوه، بين أولي الأمر، فقد تباعد الزمن بينه وبين الواقع الذي أصبحت الدولة الإسلامية تعرفه⁴، واستناداً على ذلك أصبح للعلماء رقابة على السلطة السياسية إذ أن شهادتهم على أي سلطة سياسية هي بمثابة صمام الأمان على مطابقتها الشريعة أو ابتعادها عنها، وبالتالي إضفاء الشرعية عليها أو نزعها عنها⁵.

وفي نفس السياق احتكم العلماء إلى مجموعة من المعايير للحكم على السلطة الحاكمة في مقدمتها تطبيق الشرع ولا ينبغي التساهل في ذلك، بالإضافة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام، ورفع المظالم وإشاعة العدل والأمن، وهذا بالغض النظر عن التفصيل في هذه المعايير، فإن حققت السلطة هذه الشروط حصلت على الشرعية من قبل العلماء فلا يهم حينئذ شخص الحاكم حيث يقول الغزالي: "إننا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوقاً إلى مزايا المصالح، ولو قضينا ببطان الولايات الآن لبطلت المصالح رأساً، فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح"⁶،

1- أو مليل علي، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 مايو 1996، ط2 أكتوبر 1998، ص 10.

2- إمارة الاستيلاء: والتي تعقد عن اضطرار، فهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير، ينظر: الماوردي، المصدر السابق، ص 66.

3- أبو مليل علي، المرجع السابق، ص 11.

4- العروي عبد الله، المرجع السابق، ص 101.

5- أو مليل علي، المرجع السابق، ص 11.

6- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج1، ص 80.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

وهو تكريس لضرورة التكيف مع الواقع والخضوع له¹، وهذا انطلاقاً مما حدث في العصرين الأموي والعباسي من ثورات وحروب، فأصبح الحفاظ على وحدة المسلمين وحقن الدماء مقدمين على طبيعة النظام الحاكم أي السلطة السياسية ولا يخلوا الأمر كذلك من توجهات مذهبية، فقد يدعم العلماء السلطة الحاكمة إن كانت على مذهب معين كما حدث مع علماء السنة والخلافة العباسية، وعلماء الشيعة والخلافة الفاطمية وهكذا دواليك، وقبل الخوض في تفصيل تراث العلماء السياسي لا بد من التطرق إلى بعض النقاط التي تصب في نفس المضمار:

2-1- استشعار العلماء لواجبهم في النصح للأئمة: اعتبر العلماء أنفسهم مسؤولين على حمل هموم الأمة،

ذلك لخشيتهم من انتشار المذكرات والمخالفات خصوصاً التي يقوم بها المتقلدون لأمرها، المسكين لأزمتهما فهم مصايح الهدى للأمة ومرجعيتها، والمسؤولون عن إعادة التوازن المختل في حياتها إلى وضعه الطبيعي²، فهم أعلم الناس بتقلب أحوال الخلفاء وأن السلطان يغوي أصحابه وشهوته لا يمكن كبحها فمهما كانوا على حال من التقوى والورع وتحرر للحق والعدل والإنصاف فإنهم لا يستطيعون بمفردهم القيام بشؤون الدولة، فيلزمهم الأعوان وعلى وفقهم تكون حال الخليفة والخلافة، حيث قال الله عز وجل: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط" (سورة آل عمران: الآية 18)، وروى الشافعي عن الحسن البصري أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يستشير أصحابه وهو غني عن المشاورة، ليستن بذلك الحكام بعده". فاندفع العلماء إلى شغل دورهم المنوط بهم، من نصح ووعظ للخلفاء والسلطين غير مباين بعدم رضاهم ولا يخشون بطشهم، فقد قدموا مصلحة الأمة وصالحها على كل شيء، واستشعروا ذلك وسعوا فيه فالنصيحة أكثر لزوماً عليهم للخلفاء والأمراء³.

فمعظم العلماء وأكثرهم ركنت إلى مفهوم النصح والإرشاد وهو يضبط علاقة العلماء بالخلفاء، فليس عليهم أن يثوروا على الخلفاء حتى ولو استشرى جورهم، فسعوا إلى تقديم النصيحة على النهج الذي لا يثيرهم ولا يستثير رعيته، والظاهر أن المبتغى المتوخى للعلماء إضافة لاستشعارهم لواجبهم أن يظهروا لصاحب السلطة أنهم ليسوا علماء شريعة معيارية وحسب، بل علماء بالسياسة يلتجأ إليهم في أمورها⁴.

1- العروي عبد الله، المرجع السابق، ص 101.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 131.

3- المرجع نفسه، ص 131-132.

4- أو مليل علي، المرجع السابق، ص 15.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

2-2- تأكيد العلماء على أهمية صلاح الخلفاء لصلاح الأمة: نظر العلماء إلى شخص حاكم الدولة الإسلامية نظرة ملؤها التحري والبحث عن مواطن الصلاح والورع فيمن يسوس المسلمين، انطلاقاً مما أعطاه الله من سلطان و تمكين في الأرض وما بوأه إياه من مكانة في نفوس الرعية فإن كان عادلاً صلح أمر دولته وشاع فيها الأمن، وإن جار استشرى الفساد في رعيته وعماله وأهل دولته، من أجل ذلك كله أكد العلماء على ضرورة صلاح الخليفة لصلاح الرعية، وأظهروه للخلفاء وليستشعروا عظمة المنصب الذين يتولونه¹.

2-3- مكانة الخلفاء لدى العلماء: اعتبر العلماء الدور الذي يقوم به الخلفاء من الأهمية بمكان في حياة الأمة الإسلامية، وعليه نال الخلفاء منزلة سامقة في نفوس العلماء، من ذلك تعظيمهم لمكانتهم في قلوب الناس وحثهم على توقيرهم واحترامهم في المواعظ والخطب وحلق العلم، وهو كفيل ببث الهدوء والأمن بين الرعية وإزالة الخزازات بينهم وبين الخلفاء والسلطين².

2-4- رأي العلماء في طاعة الخلفاء والأمراء: تعد طاعة الخلفاء والأمراء أمراً حساساً للغاية إذ هي المحن الذي يحنى به في وجه الفتن لذلك أكد العلماء على هذه القضية فسعوا إلى تبيينها واستجلاء معالمها، انطلاقاً من التأكيد على وجوب الخلافة وتنصيب الخليفة، إذ هو كفيل ببقاء الأمة، وصون الدين، وعليه فطاعة الخلفاء واجبة، فهي سبب وجودهم واستمرارهم " فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب "، قال الله تعالى: " يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " . (النساء الآية 59). فأصبح لزاماً طاعة الخلفاء والأمراء استناداً للآية الكريمة، فأولي الأمر " هم الأئمة المتأمرون علينا"³.

ويؤكد هذا الأمر الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه حيث يقول: " لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الأئمة." بالإضافة إلى ما رواه مالك بن أنس رحمه الله من حديث عبادة بن الصامت حيث قال: " بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله." وقد أريد بهذا الأمر هنا السلطان، وفي نفس السياق توافق رأي العلماء في طاعة الخلفاء مع التوجيهات القرآنية والنبوية التي تحض وتؤكد على طاعة أولي الأمر، وأشاعوها بين أفراد الأمة، لما رأوا فيها من اجتماع الكلمة ومساعدة الأئمة على القيام بدورهم دون عوائق، وما ينجر على العصيان والخروج على السلطان من

1 - عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 133-134.

2- المرجع نفسه، ص 135.

3 - الماوردي، المصدر السابق، ص 16.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

فتن وقالقل¹، وزيادة على ذلك " استمر هذا النهج لدى العلماء على مختلف طبقاتهم ومذاهبهم، في التعامل مع الخلفاء، وكانوا يفرقون بين ما يلقونه من أذى على أيدي بعض هؤلاء الخلفاء، وبين ما هو منوط بهم من تبين أصول الدين وفروعه، بعد أن أشبعوها باجتهادهم بما يوافق الزمان والمكان"².

2-5- حدود طاعة السلطان: أجمع العلماء على وجوب طاعة السلطان وسعوا في ذلك وعظا وتأليفا، وبالمقابل حددوا لها شروطا وحدودا تقف عندها تبعاً لمدلول الخلافة عينها، والغاية منها المتمثلة في حفظ الدين وحكم الدنيا به، وهذا هو المعيار الذي ارتكز عليه العلماء في تحديد المدى الذي تصله طاعة الرعية للخلفاء، فإن التزموا به وجبت طاعتهم في أعناق الرعية، وهو ما يمكن تسميته بالعقد الاجتماعي الذي أقره الإسلام، وجرى العمل به، كما حدده النبي صلى الله عليه وسلم بمدى التزام هؤلاء الخلفاء والأمراء بطاعة الله في الناس، وما داموا لا يحملونهم على معصية الله تعالى بما حولهم من سلطانه عز وجل³ حيث قال عليه الصلاة والسلام: " الطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"⁴، وفي رواية أخرى: " من أمركم منكم بمعصية فلا تطيعون"⁵ فلا غرو أن العلماء كان لهم مواقف من هذا النوع تحدد وتنظم وتضبط العلاقة والروابط بين الخلفاء والرعية فهم أحرص الناس على مصلحة الأمة والدولة، فالشافعي رحمه الله شدد على طاعة الخلفاء والأمراء، وعلى لزوم الجماعة، إلا انه في تحديده لمعنى هذه الطاعة وحدودها بتبيينه لمدلول الجماعة⁶، فيقول: " لم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، ومن قال ما تقول جماعة المسلمين قد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها"⁷ وعليه إرتأ العلماء أن طاعة الخلفاء المؤدية إلى المعاصي مردودة لأنهم يحكمون عباد عباد الله بدين الله وبسلطانه وفي سلطانه⁸.

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 137-138.

2- المرجع نفسه، ص 139.

3- المرجع نفسه، ص 141.

4- البخاري محمد بن اسماعيل، ص

5- ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، القاهرة، دار الريان، د.ت، ص955.

6- عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 142.

7- الشافعي محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ج3، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص475-476.

8- عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 143.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

كانت هذه النقاط أبرز الركائز التي اعتمد عليها العلماء في تأليفهم سواء الأحكام السلطانية أو النصائح السلطانية، التي هي عبارة عن سلسلة متواصلة الحلقات مردوها إلى وحدة الحضارة العربية الإسلامية والمصادر التأصيلية، وكذلك التوافق تحت الحقل المذهبي والعقائدي الواحد مما تمخض عنه زخم معرفي داخل النسق الفكري الواحد تحكمه لحظة التأسيس¹.

لهذا عد إنتاج العلماء في حقل السياسة² إنتاجاً رصينا محوري الأبعاد ذو مقاصد واسعة، أي معرفي معرفي قصدي الدلالة ذو وظيفة اجتماعية وسياسية ظاهرة كانت أو مضمرة³، وهو يصب في بوتقة بوتقة واحدة هي لزوم إقامة حكم جيد منظم يدير ويسير شؤون الرعية ويضبط أمورها وينسق شتى مجالات حياتها⁴.

وعليه تم التفريق في التراث العربي الإسلامي بين ثلاث أصناف من التأليف المتعلقة بالفكر السياسي⁵، نوع يتمحور أساساً حول الخلافة والإمامة ويندرج ضمن مباحث علم الكلام والفقهاء، ونوع موضوعه الآداب السلطانية ونصائح الملوك وقد تأصل بعد انتصار العباسيين واستعانتهم بعناصر فارسية في تسيير الدولة ككتاب وحجاب ووزراء ومستشارين، نوع يشتمل على المبادئ والأسس التي تقوم عليها السياسة ويمثله فلاسفة الإسلام⁶.

وفي نفس السياق تدرج كتب "الأحكام السلطانية" ضمن تصانيف العلماء في الفقه السياسي الذي هو "... مجموعة الأحكام الشرعية التي تتناول القضايا السياسية وإدارة الدولة والعلاقات الخارجية، وهذه الأحكام مستنبطة من مصادر الفقه السياسي، بالإضافة إلى الأعراف والتقاليد التي درجت عليها الدولة

1 - خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 71-72.

2- علم السياسة: هو إدراك النسب القائمة والمطابقة للواقع أي أنه يستقري الظواهر السياسية في الواقع العلمي ويبحث عن عللها وأسبابها بغرض استخلاص القوانين التي تنتظمها، فهو علم تقريري، ينظر إلى: النعيم رائق محمد عبد العزيز، الفكر السياسي عند الإمام الجويني، ط1، الجزائر، دار البصائر، 1429هـ/2008م، ص 44.

3 - خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 73.

4- ديلمي زهير، النظرية السياسية عند الماوردي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005/2004، ص 50.

5- الفكر السياسي: ويدرس القيم والمبادئ وما يفسر عنه تحليلها، بغرض الانطلاق منها نحو تقويم الواقع وتوجيهه إلى الأرشد، أو التوفيق بينهما إن أمكن...، والفكر السياسي يهتم بالسلوك السياسي الهادف لأن يقوم على أساس من المبادئ والعقائد، ينظر: النعيم رائق محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 44.

6 - عفيفي زينب شاكر، المرجع السابق، هامش، ص 214.

الفصل الأول: — الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

الإسلامية بما لا يتنافى والمبادئ الإسلامية، ويعرف كذلك على انه العلم الذي يبحث فيه عما تدبر به شؤون الدولة الإسلامية من القوانين والنظم التي تتفق وأصول الإسلام، وإن لم يقم على كل تدبير دليل خاص...¹، والمتعمن في هذه التأليف-الأحكام السلطانية - يرى أنها ترتبط بقناعة دينية على اعتبار أن سلوك الخلفاء والسلطين يكتسي صبغة شرعية بالرغم من مخالفته لأحكام الشريعة الإسلامية في كثير من الأحيان²، كما تحصر السلطة في جانبها السياسي، واقتصرت جلها على تقديم النصائح للسلطان وشرعنة النظم القائمة وتوظيف الأدبيات الفارسية في عملية النصح³، لذلك رأى فريق من العلماء أهمية الفقه السياسي وضرورة المضي قدما في التأليف حوله فهو أبلغ في الرأي وأحزم في السياسة والتدبير، فأفرد العلماء مسائل الحكم في تأليفهم أو جمعوها في تصانيف واحدة حتى يسهل الرجوع إليها⁴، ومن ذلك تنوع الجوانب التي كتبوا فيها انطلاقا من أن الفقه السياسي ينقسم إلى فروع ومباحث أولها ذكر الخلافة أو الإمامة وأحكامها وشروطها ثم الوزارة ومضامينها وأنواعها، وأيضا الحسبة أو علم الاحتساب وما يتعلق به من تطبيق للقوانين المقررة اصطلاحا أو شرعا والنظر في أمور أهل المدن، بالإضافة إلى القضاء وأحواله وشروطه وأحكامه، وأخيرا علم قيادة الجيوش الذي يجب على الخلفاء إتقانه ومعرفته⁵، ومع ذلك فلم تخل كتب الأحكام السلطانية من نقد صريح للسلطة السياسية، وكان للماوردي سبق في هذا المضمار حيث يعد أبرز المؤلفين في صنف الأحكام السلطانية حيث صنف كتابه "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" وهو مقتف في ذلك لنهج أسلافه الأشاعرة الممثلين في أبي الحسن الأشعري وأبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ت429هـ/1027م)⁶ وهو يقدم - كتابه - كقراءة جديدة لأوضاع الخلافة من خلال تمثيله للمدرسة الرئيسية الأليصق بتجربة الخلافة فاهتم أكثر من غيره بالتكيف مع الوقائع الجديدة واعتبر أن الحل المؤقت الذي جرى التوصل إليه (أن لا يباشر الخليفة الأمور بنفسه بل من خلال تفويض أمير الاستيلاء) هو الحل الوحيد

1 - ديلمي زهير، المرجع السابق، ص 67.

2- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

3- حلمي محمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 42.

4- ديلمي زهير، المرجع السابق، ص 68.

5 - خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 79.

6- المرجع نفسه، ص72.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

الممكن والمعقول¹، فجرى العمل في " كيفية البحث عن تحقيق شرعية الخلافة والتوفيق بينهما وبين المتغلب الذي فرض شوكته على دولة الخلافة من خلال إيجاد مبرر شرعي لنظام قائم تكون فيه السلطة الفعلية للأمير المتغلب والنظرية للخليفة"²، وهو الكفيل بالحفاظ على وحدة الدولة (لا على وحدة السلطة) ويترك الأمل والباب مفتوحا لتصحيح الأوضاع باتجاه توحيد السلطة والقوة من جديد³، وأضحى كتاب الماوردي مصدرا أساسيا لكل من صنف في هذا المجال مع بعض الزيادات عند إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (419هـ-478هـ/1028م-1086م) وكذلك أبو حامد الغزالي وابن جماعة وابن رضوان المالقي وحتى عبد الرحمن بن خلدون وابن الأزرق⁴، وعلى نفس المنوال صنف العلماء في الآداب والنصائح السلطانية وسعى وسعى مؤلفوها لبلوغ أفضل ما يمكن تحقيقه في المجال السياسي⁵، والذي يلاحظ على هذه التأليف تميزها بكثرة الاستشهاد بحوادث تاريخ الفرس وأقوال حكماء اليونان.

وتسمى كذلك بكتب مرايا الأمراء أو بنصائح الملوك وأطلق عليها كتب الآداب لأنها تحتوي على أفضل السياسات والآداب التي ينتفع بها في الحوادث الواقعة والوقائع الحادثة في سياسة الرعية وتحصين المملكة وفي إصلاح الأخلاق والسيرة⁶، ونسوق فيما يلي نتفا من كتب الآداب السلطانية وهي:

- كتاب " آداب السلطان" للمدائني (ت 215هـ).
- كتاب "أخلاق الملوك" للفتح بن خاقان.
- كتاب "أخلاق الملوك" لمحمد بن الحارث النعيلي.
- كتاب "التاج في أخلاق الملوك" المنسوب للجاحظ.
- كتاب "تدبير المملكة والسياسة" لأحمد بن أبي طيفور (ت 280هـ).
- كتاب "الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء" لابن الجوزي.

1 - السيد رضوان، الفكر الإسلامي السياسي، دراسة في تطور التفكير بالدولة، مجلة التسامح، العدد الرابع، السنة الثالثة، 1424هـ/2004م، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط سلطنة عمان، ص: 15.

2- بلغيث محمد الأمين، أبو هو موسى، كتابة: واسطة السلوك في سياسة الملوك ، مجلة الوعي، العددان (03-04)، جمادى الأولى والثانية 1432هـ/أفريل- ماي 2011، الجزائر، دار الوعي للنشر والتوزيع، ص 69.

3 -خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 72.

4-المرجع نفسه، ص 79.

5- العروي عبد الله، المرجع السابق، ص 105.

6- ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 16.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

- كتاب "سراج الملوك" للطرطوشي (ت 520هـ).
 - كتاب "نصيحة الملوك" للغزالي (ت 505هـ)¹.
 - كتاب "الإشارة إلى من نال الوزارة" لابن منجب الصيرفي (ت 542هـ).
 - كتاب "القوانين الوزارة وسياسة الملك" المطبوع باسم "أدب الوزير".
 - كتاب "نصيحة الملوك" وكلاهما لأبي الحسن الماوردي².
- لقد حاولت هذه الكتب وضع الخطوط العريضة والطرق الدقيقة الممكنة لإبراز الأسلوب الأنجع لإدارة وتسيير البلاد وكيفية التعامل مع مختلف خطط ووظائف الدولة ومناصبها وحقوق وواجبات الرعية سواء في زمن الحرب أو السلم، واحتوت كذلك على وصايا وحكم ومواعظ تهم أصحاب القرار والشأن، وقد استخدم العلماء خبراتهم الشخصية في معالجتهم للمشاكل ومتابعتهم للأحداث والوقائع وقضايا المجتمع، والغاية المنشودة من هذه التصانيف هو مساعدة الملوك والخلفاء في إدارة الدولة إضافة إلى النصائح التي تصب في هذا المجال³، ومن جهة ثانية فهي تبصر صاحب السلطة (الخليفة، أو السلطان) أن يختار بين أمرين: إما أن يستغل تفوقه إلى أقصى حد ممكن، لكنه يخاطر بحكمه في تلك الحال إذ يدفع الأغلبية المضطهدة إلى إن تبحث عن أية وسيلة تخلصها من نير القهر والبطش والاستعباد لهم، وله كذلك أن يختار دوام سلطانه زمنا طويلا بإشاعة الأمن وإقامة العدل ورفع الظلم وبذلك يصبح الشرع في الدولة السلطانية من لوازم السياسة ومقوماتها، يتشبث السلطان بالشرعية، من خلال تقريب العلماء واستشارتهم مظهرها لهم الاحترام والتوقير، بل يرفع علم الجهاد ويبعث سرايا ويعمر الثغور وبذلك تحصل الفائدة ويستقر سلطانه ويدوم⁴. وإذا تمعنا في الدوافع التي أدت بالعلماء للتأليف في مجال الفقه السياسي نرى زيادة عن الأسباب التي سقناها سابقا دوافع من العلماء أنفسهم الذين صنفوا تصانيفهم تعبيرا منهم عن رد الجميل وتأكيد الولاء للسلطان أو الأمير صاحب الدولة فالماوردي

1- ديلمى زهير، المرجع السابق، ص 68.

2- المرجع السابق، ص 69.

3- المرجع نفسه، ص 71.

4 - العروي عبد الله، المرجع السابق، ص: 106، والظاهر أن أقصى ما يمكن قوله عن علاقة العلماء بالدولة منذ القرن الرابع الهجري أن المرجعية العليا للإسلام، وأن السلطة الإسلامية مدنية، وأن هناك مؤسسة دينية تتولى الشأن الديني، وأن الطرفين يعترف كل منهما بالآخر، مع استمرار الصراع على أطراف المجالين، فعندما تقوى الدولة تأخذ من الفقهاء بعض الأمور وعندما تضعف الدولة ينتزع الفقهاء منها بعض الأمور، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها احتياف السلطة السياسية لصلاحيات الفقهاء والقضاة في مسألة قضاء المظالم، والحسبة وإصرار الفقهاء على تضمين كتبهم بابا في أحكام البغاة وإصرارهم على أن يحاكم هؤلاء أمام القضاء الإسلامي، وليس أمام محاكم المظالم التي يشرف عليها السلطان أو وزيره وحاجيه، ينظر السيد: رضوان: المقال السابق، ص 14.

الفصل الأول: — الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

يقول: "...أفردت لها كتابا امتثلت فيه أمر من لزم طاعته؛ ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه، وما عليه منها فيوفيه توخيا للعدل في تنفيذه وقضائه، وتحريرا للنصفة في أخذه وعطائه، وأنا أسأل الله تعالى حسنمعاونته، وأرغب إليه في توفيقه وهدايته، وهو حسبي وكفى..."¹، وألف الغزالي كتابه " التبر المسبوك" بطلب من أحد السلاطين زوده فيه بجملة من النصائح، واقترح عليه أن يطالع منه قسما كل يوم جمعة محمدا له التوقيت المناسب²، كما نظم المرادي كتابه "الإشارة إلى أدبالإمارة" لصغار أمراء المرابطين، وبين فيه قيمة الكتاب قائلا: "...فلذلك نظمت لك في هذا الكتاب دررا من آداب الإمارة والوزارة، وفصلت لك في ثناياه فصولا من أنواع الإدارة والاستشارة، واصفة لآداب المتقدمين، كاشفة لأمور الدنيا والدين..."³، وصنف ابن مرزوق الخطيب كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن" تعظيما وإعلاءا لقدر السلطان أبي الحسن المريني (731هـ-752هـ) وتبiana لشرف دولة المرينيين حيث يقول: "...فإني لما قيديني إحسان من أحسن إلي، وأفاض إنعامه علي، ومن بمجالاته شرفت، ولولا انتسابي إليه ما عرفت، فصرتلأجري على لساني إلا طيب شكره، ولا أقوم ولا أقعد إلا بذكره ولا أستشق إلا عبر نشره، ولا أسلو عن حبه بغيره، وهو مولاي..."⁴، وسار على نهجه ابن رضوان المالقي في مؤلفه "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" الذي ألفه بطلب من السلطان أبي سالم عبد العزيز (760هـ — 762هـ/1358م-1360م)، ولشغفه باقتناء نفائس الكتب وذخائر العلوم على شاكلة أسلافه⁵، و"...تخليد أثر يتبع دليله، وعلم يتضح سبيله، ولما اختصني بذلك، وحض عليه وصراف عزمه الكريم إليه بادرت أمره بواجب الامتثال، وأخذت في المقصد المذكور بما رسم من الاستعجال"⁶، وكل هذه الدوافع التي ذكرها مصنفو مؤلفات الفقه السياسي تعكس صورة واحدة وهي كيفية التكيف مع الواقع والتأقلم معه، كما لا يخلو الأمر من منافسة بين العلماء وفئة الكتاب في البلاطات السلطانية ومهما يكون الواقع فإن السلطان بقدر ما

4-الماوردي،المصدر السابق،ص13.

2-خطيف صابرة،المرجع السابق،ص74.

3-المرادي أبوبكر محمد بن الحسن،السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة،تحقيق: أ.د علي سامي النشار،ط1،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،1430هـ/2009م،ص77.

4-ابن مرزوق محمد، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريّا خيسوسبيغيرا،تقديم محمود آغا بوعياذ،طبعة خاصة،الجزائر،موفم للنشر،2011،ص92.

5-خطيف صابرة،المرجع السابق،ص74.

6-المالقي ابن رضوان،المصدر السابق،ص52.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

كان فيه من المضار فإن فيه منافع"... فالخزينة والبيروقراطية والجيش... كل ذلك ملك له يتصرف فيه كما يشاء، وبالطبع قد يشاء العدل فيتصرف حسب منطق العقل، كما قد يشاء العكس وهو الغالب.."¹، وانطلاقاً من ذلك قيل: "جور السلطان أربعين سنة خير من رعية مهملة ساعة واحدة."²؛ وعلى صنو ذلك فقد طالبوهم بانتحال منهج يرتكز على بذل الدولة لخدمة الدين فالمبتغى من ذلك "...أن يكون الدين كله وأن تكون كلمة الله هي العليا"³. من خلال ما سبق نستشف أن العلماء هم حملة الدين والمنافحين عنه وعلى ضوء ذلك أكدوا على حضورهم المتميز في السلطة، فاق تحفيز أصحاب الأمر في بذل النصيحة من العلماء وإبراز المكانة التي حظوا بها في مختلف العهود، إلى توجيه السلطة السياسية عن طريق رصيدهم الهائل والمتنوع من المصنفات السياسية آداباً وأحكاماً، خاصة أنهم المكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاستحقوا مقاسمة الملوك في حفظ الدين⁴، واستدعى بذلك اتخاذ عالم في كل قرية ليس لتعليم أهلها فقط، بل ليكون مناط الاستقرار والهدوء والحل والعقد وعلاوة على ذلك ما يكتسبه أولي الأمر من سمو ورفعة في إجلالهم للشريعة وتحقيقاً للعدل النبوي ونيلاً للدعاء وبهاء للملك وتخليداً للذكر⁵. وعليه فإن علماء الإسلام لم يتخذوا وسعاً في نصح الخلفاء والسلاطين والأمراء سواء بالقول أو بالفعل أو بالتصنيف وهو لعمرى أمر عظيم ينبىء عن بعد نظر العلماء وحسن كياستهم واستشعارهم لجلال الموقف والدور الذي يقومون به بحضورهم المتميز في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، وتجدد الإشارة أن هذا الدور ظل متواصلاً حتى نهاية العصر الوسيط، وسنرى قيمة المؤلفات التي ألفها العلماء في العصر المريني عندما تنطرق إلى ذلك في المباحث.

3-الأصول الفكرية لصلة العلماء بالسلطة:

ارتبط التراث الفكري الإسلامي في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وعلى مر الأيام والأعوام بأمرين هما: الأصول (العقيدة) والفروع (الفقه)، فاستفحل التأليف في هذين المطلبين العظيمين، وذلك بعد ظهور الفرق والمذاهب؛ ولما ارتسمت أسسها ومبادئها برز من ينافح عنها وقيد لكل مذهب من ينظر فشاع علم الكلام واستعمل كأداة للذود عن اتجاه عقدي معين، وبطبيعة الحال يتبع الفرع الأصل فلا غرو أن علماء السنة الذين

1- العروي عبد الله، المرجع السابق، ص108.

2- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص76.

3- ابن تيمية عبد الحليم، الحسبة، تحقيق صالح عثمان اللحام، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، دار العثمانية، 1424هـ/2004، ص61-62.

4- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص77.

5- المرجع نفسه، ص78.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

نحن بصدد دراسة علاقتهم بالسلطة حاربوا علم الكلام زمنا طويلا¹، والحق أن علم الكلام ظهر في المشرق الذي كان له قصب السبق، وعلاوة على ذلك حتى المذاهب التي انتحلها وتمذهب بها علماء السنة ثم انتقلت إلى بلاد المغرب الإسلامي وهي مجال الدراسة فيقضي منا تتبع تطور الفكر العقدي والمذهبي فهما أبرز الأصول الفكرية التي حددت صلة العلماء بالسلطة وكيف تطورت هذه الصلة.

3-1- البعد الأشعري: بعد كل شيء هو غايته وعمقه ودقته²، شكل الفكر العقدي أبرز أشكال الدعم التي

ارتكز عليها العلماء ومن ذلك المدى الذي بلغه والتطور الذي وصل إليه، فجسد البعد الأشعري التوجه

الفكري الأكثر انتشارا، حيث فرض وجوده أولا في المشرق الإسلامي لينتشر فيما بعد في المغرب

الإسلامي³، وفي نفس السياق يقول أحدهم: "...وهو المذهب الذي اختاره الغرب الإسلامي، وذلك على

الأقل لكون مالكية المشرق لم تتأخر في التعامل إيجابا مع المناظرة الكلامية..."⁴، إذ يقودنا هذا الكلام

للحديث عن مكانة الفكر العقدي ودوره في تطور العلوم تدريسا وتأليفا ونشر المذاهب المنضوية تحته؛ فميادين

الفقه والجدل الكلامي لا يمكن الخوض فيها دون معرفة مصادرها فظهورها في المغرب مقترن بالمشرق الإسلامي

إذ معظم الفاعلين في الحياة الفكرية سواء العقديّة أو الفقهية نهلوا مبادئ أفكارهم من المشرق أو تتلمذوا عن

درسوا هناك، وتجدر الإشارة أن التوجه العقدي الفقهي الكلامي لم ينتقل بجميع تفاصيله، ذلك أن السلطة لها

دور كبير في انتقاء التوجهات والأفكار ومراقبة تداول ما انتشر منها، فالحاكم الشيعي يفرض رقابته على

التوجهات والأفكار السنية والحاكم السني يفرض رقابة على شيوع الأفكار الشيعية والخارجية والاعتزالية، بل

التمييز يحصل حتى في نطاق المذهب الواحد⁵.

انطلاقا مما سبق وجد الفكر الأشعري ضالته في بلاد المغرب الإسلامي، وتزامن مع انتشار علم الكلام وتطوره

وقبوله في الأخير من قبل علماء السنة عموما وعلماء المغرب خصوصا، وذلك إما بصمتهم أو عدم اعتراضهم

1- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص221.

1- ميغا كنان محمد حمد، البعد السياسي المقاصدي في أجوبة الإمام المغيلي عن أسئلة بعض سلاطين السودان الغربي، أعمال الملتقى الدولي "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقه السياسة والحوار الديني"، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، يومي 12-13 ربيع الأول 1433هـ/05-06 فبراير 2012، ص26.

3- علاوة عمارة، دراسات تاريخية وفكرية، ط1، الجزائر، موفم للنشر، 2008، ص131-132.

4- الصغير عبد المجيد، في الحاجة إلى تاريخ نقدي لعلم الكلام بالمغرب، الاتجاهات الكلامية...، المرجع السابق، ص19.

5- البعرايتي ناصر، مآل علم الكلام عند ابن حزم والباجي، الاتجاهات الكلامية...، المرجع نفسه، ص170.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

إلا ما كان من الحنابلة¹. ويؤكد ذلك ابن خلدون قائلا: "...وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، واقتفى طريقته من بعده تلاميذه كابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذا ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار..."²؛ فالتيار الأشعري منسوب إلى أبي الحسن الأشعري³ الذي يعد حلقة من حلقات الفكر السني المتواصل الذي طبقت شهرته الآفاق حيث يقول ابن عساكر: "...كان رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وكان على رأس المائة الثانية محمد بن إدريس الشافعي وكان على رأس المائة الثالثة الأشعري وكان على رأس المائة الرابعة ابن الباقلاني وكان على رأس المائة الخامسة أمير المؤمنين المسترشد بالله، وعندني أن الذي كان على رأس الخمس مائة الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الفقيه لأنه كان عالما عاملا فقيها فاضلا أصوليا كاملا مصنفا عاقلا انتشر ذكره بالعلم في الآفاق..."⁴، نستشف من هذا الكلام أن القرن الثالث الهجري هو القرن الذي ارتسمت فيه معالم الفرق والمذاهب، فظهر أبو الحسن الأشعري كرأس للسنة وحاملا للوائها ومستحدثا لتوجه جديد في الفكر السني وهو علم الكلام على طريقته هو، بعد أن ظل زمنا طويلا على مذهب المعتزلة فاكتمب طرقهم في المناظرة الكلامية والحجاج العقلية الدامغة⁵، وأردف ذلك شيوع كبير للمذهب الأشعري في المشرق الذي مثل مذهب أهل السنة والجماعة وبالمقابل نلاحظ أن انتشار المذهب الأشعري في بلاد المغرب ثم مسيره بعيد إلى حد الترسيب أنه واكب تحولا فكريا عم في الواقع غرب العالم الإسلامي ومشرقه في آن واحد، تحولا تميز باكتساح الفكر السني واندحار الفكر الشيعي الذي كان يملك دولة قوية بمصر تهدد غيرها بالاكتمساح العسكري والإيديولوجي⁶، ذلك أن علم الكلام ظل معارضا مجافا عنه من قبل علماء المغرب قبل هذا التحول حيث يذكر عبد الواحد المراكشي ذلك: "...وكان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين وربما أدى

1- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص

2- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المصدر السابق، ص423.

3- هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر واسمه إسحاق بن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها سنة 324هـ، ينظر: ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، بيروت، دار الكتاب العربي، طبعة مصورة، 1399هـ-1979م، ص35.

4- ابن عساكر، المصدر السابق، ص53.

5- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص227.

6- الصغير عبد المجيد، المرجع السابق، ص22.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

أكثره إلى اختلال في العقائد في أشباه هذه الأقوال...¹، يبرز لنا المراكشي الحالة الفكرية التي عرفها المغرب قبل انتشار الفكر الأشعري، ولكن من الذي أدى بالمغرب الإسلامي إلى انتحال النهج الأشعري في الأصول؟ لقد أجمع العديد من المؤرخين للمذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي على التمييز بين طورين، طور الفردي للمذهب ويبدأ بظهوره في المشرق خلال القرن 4/10م إلى مطلع القرن 6/12م، ليبدأ بعده الطور الثاني وهو دور التغلغل والترسيم والترسيخ². والظاهر أن علماء المغرب ارتكزوا في الخوض في علم الكلام على النهج الأشعري بظهور قاضي القضاة الفقيه المالكي "أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي"³، الذي سيمثل ما يمكن تسميته "بالسند المذهبي المالكي" المتبع من قبل المالكية في المغرب الإسلامي⁴، بحيث "... كان لظهور الباقلائي (ت403هـ) في المشرق كحامل للواء الأشعرية أثر كبير في نشر المذهب الأشعري والسبب في ذلك أنه كان إلى جانب أشعريته في الأصول مالكية في الفروع، لذلك أقبل عليه طلبة العلم من المغرب يأخذون عنه المذهب المالكي والطريقة الأشعرية في آن واحد، ويظهر تأثير أهل المغرب بالباقلاني وإعجابهم به أنهم كانوا يستشيرونه في المسائل والنوازل التي كانت تطرأ لهم..."⁵، فقد كان له أبلغ الأثر في شيوع الممارسة الكلامية الأشعرية وترجمة ذلك في تأسيس إحدى أعظم الدول ببلاد المغرب الإسلامي ألا وهي دولة المرابطين⁶، من

1- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق دوزي ليدن: إ. ج. بريل، ط1، 1881، ص237.

1- مغزاومصطفى، البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه، ط1، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011، ص100.

2- هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلائي المتكلم على مذهب الأشعري من أهل البصرة سكن بغداد، وكان ثقة فاما علم الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم خاطرا وأجودهم لسانا وأوضحهم بيانا وأصحهم عبارة وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج توفي الباقلائي في يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة، ينظر: ابنعساكر، المصدر السابق، ص217.

4- الصغير عبد المجيد، المرجع السابق، ص20.

4- التهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة (دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس)، دكتوراه دولة في العقيدة الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الجزائر، دار الرسالة للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ/2002م، ص319-320.

5- يعتبر الكثير من المؤرخين أن اجتماع يحيى بن إبراهيم مع أبي عمان الفاسي هو اللجنة الأولى لتشديد دولة المرابطين وأن الفقيه المالكي الفاسي كان وراء فكرة إنشاء هذه الدولة المؤمنة المجاهدة، هذا على الأقل إذا لم نصل إلى ما استنتجه الدكتور عبد الله العروي من أن تأسيس دولة المرابطين كان ضمن خطة مرسومة من طرف الخلافة العباسية لتطويق الدولة الفاطمية بالجيوش السلجوقية شرقا والمرابطين غربا واعتمدت الدعاية السنوية العباسية على الأشاعرة في المشرق ولعب الدور الرئيسي فيه أبو بكر الباقلائي وعلى مالكية القيروان في المغرب وعلى رأسهم أبو عمران الفاسي (ت430هـ) الذي كان تلميذا للباقلاني، وإن النتائج التي توصل إليها العروي نتائج جريئة، ولكن نعتقد أنها تحمّل للوقائع بأكثر مما تحتمل، فرغم أن التصدي للشيععة كانت لدى علماء السنة وقد عمل كل على مستواه لتنفيذ هذا المشروع، فإن فكرة المخطط العام مستبعدة عمليا، ينظر: بن بيه محمد محمود عبد الله، المرجع السابق، ص55.

الفصل الأول: — الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

خلال بث تلاميذه وطلبته في هذه المنطقة وعلى رأسهم الفقيه المالكي "أبو عمران الفاسي" الذي رحل إلى بغداد سنة 399هـ ولقي الباقلاني حيث يقول: "...رحلت إلى بغداد فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني ورأيت كلامه في الأصول والفقه والمؤالف والمخالف حقرت نفسي، وقلت: لا أعلم من العلم شيئاً ورجعت عنده كالمبتدئ..."¹. وعلاوة على دور الباقلاني تواصل انتشار الفكر الأشعري وكان لعلماء آخرين الإسهام نفسه ومنهم: ابن فورك (ت406هـ) الذي كان لكتبه رواج في المغرب وخصوصاً كتابه "تأويل مشكل الحديث" و"اعتقاد الموحدين"²، ولاننسى جهود أبي ذر الهروي (ت434هـ) الذي لقن أهل المغرب الأشعرية وبنها فيهم، إذ أقبل عليه طلبة العلم من أصقاع المغرب لكونه كان جامعاً بين الأشعرية في الأصول والمذهب المالكي في الفروع³، ذلك أن "...أهل المغرب كانوا يجحون فيجتمعون به (أي بأبي ذر الهروي) ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة (أي الأشعرية) ويدلهم على أصلها"⁴، وتواصلت جهود العلماء وهذه المرة كان للإمام أبي المعالي الجويني (ت478هـ) إسهام كبير في إشاعة الفكر الأشعري بمسلك جديد، وأضحى لتصانيفه انتشار عظيم حيث اعتنى بها علماء المغرب شرحاً وتدریسا وخصوصاً كتاب "الإرشاد" وكتاب "البرهان"، فقد أعجب به المغاربة بما إعجاب⁵، والظاهر أن تطور حركة التأليف في علم الكلام على النهج الأشعري من جانب المغاربة أدت إلى بروز علماء على شاكلة علماء المشرق الأشاعرة، وسنقتصر على الذين أدلوا بدلوه في هذا المجال؛ حيث يعتبر أبو بكر المرادي (ت489هـ) أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب الأقصى وصنف في أصول الدين عدة تصانيف وعمل على تدريسها وتلقينها للطلبة المغاربة إلى غاية وفاته⁶. وواصل جهود المرادي وتبع خطاه الفقيه المالكي القاضي أبو بكر بن العربي الاشيلي (ت520هـ/1126م) الذي كان "أشعريا معروفا وصلت به أشعريته إلى التحذير من العقيدة القبروانية واعتبارها خطرا يشوش على الصغار والكبار عقيدتهم، ولكونها تهدد المعتقد الأشعري الناشئ

1- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، ج2، الرباط، مطبعة فضالة المحمدية، 1981م، ص587.

2- إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص325-326.

3- المرجع نفسه، ص327.

4- ابن تيمية عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ج2، ص101-102.

5- التهامي إبراهيم، المرجع السابق، ص330.

6- المرجع نفسه، ص338.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

بالمغرب الإسلامي¹، بحيث كان له دور كبير في نشر طريقة الجويني إذ رحل إلى المشرق والتقى بأبي حامد الغزالي (ت505هـ) تلميذ الجويني وأخذ عنه منهجه وأسلوبه في كتاب الإرشاد²، ولما عاد إلى المغرب أنكر على فقهاء الدولة المرابطية تحريمهم لعلم الكلام بحجة أنه بدعة لم يكن عليها سلف الأمة ولم يجر به العمل من قبل، ولكنه سفه رأيهم واعتبر ذلك لعجزهم عن علم الكلام أصلاً³، وقد بين ذلك في رحلته إلى المشرق حيث يقول: "... ولم نزل على تلك السجية، حتى اطلعت بفضل على أغراض العلوم الثلاثة: علما الكلام، وأصول الفقه ومسائل الخلاف التي هي عمدة الدين والطريق المهيع إلى التدرج في معرفة أحكام المكلفين؛ الحاوية للمسلك والدليل، الجامعة للتفريع والتعليل..."⁴، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص ابن العربي الكبير لإشاعة علم الكلام الأشعري إذ أصبح تحصيل حاصل وضرورة ملحة، ونستشف من خلاله تقيماً للمغرب الإسلامي لأخذ دوره للخوض في العلوم العقلية بعد أن كانت محظورة زمناً طويلاً، بل والنبوغ فيها فظهر بعد ذلك جيل من العلماء بزوا علماء المشرق أنفسهم وكذلك حواضر بوزن حواضر المشرق، وسيؤكد هذا الدور من خلال تأسيس الدولة الموحدية على يد محمد بن تومرت "... على أن ثورة ابن تومرت الفقهية ما تلبث أن تنتصر على خصومها فقهاء المالكية، ويجيء هذا الانتصار مخالفاً لما حدث في المشرق عندما تذبذب ميزان النصر والهزيمة للأشاعرة في معاركهم التي خاضوها..."⁵، ويذهب أحد الباحثين إلى أن تأخر انتشار التيار العقلي في بلاد المغرب والأندلس وكذا تطويره كم كان الحال في المشرق أحدث عدم تكافؤ فكري بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فالقرن الخامس الذي نشأ في أواخره ابن تومرت كان قرناً قد نضج فيه الفكر الإسلامي وزالت عداوة أغلب المذاهب الفقهية لعلم الكلام أحد علوم الدين⁶، ونطلق العنان لابن خلدون الذي الذي وصف محمد ابن تومرت قائلاً: "... وانطوى هذا الإمام راجعاً إلى المغرب بجراً متفجراً من العلم وشهاباً واريماً من الدين، وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في

7- مغزوي ومصطفى: المرجع السابق، ص100.

1- التهامي إبراهيم، الأشعرية في المغرب (دخولها، تطورها، وموقف الناس منها)، ط1، الجزائر، قرطبة للنشر والتوزيع، 1427هـ-2006م، ص: 25-26.

3- بن العربي أبو بكر، العواصم من القواصم، ص: 282-288.

4- أعراب سعيد، مع القاضي أبي بكر ابن العربي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1407هـ/1987م، ص: 108.

4- خلف الله ابتسام مرعي، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي (524هـ-936هـ/1130م-1529م)، ط1، دار العارف، 1405هـ/1985، ص: 224.

5- الإدريسي علي، الإمامة عند ابن تومرت (دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية)، تقدمه الدكتور أبو عمران الشيخ، ط1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص: 93.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدر أهل البدعة، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيواتحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن إتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه والاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت، فبصر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد...¹، وقد أثبت السياق التاريخي على مدى مساهمة رجل السلطة في المغرب، وخصوصا في تمهيد الطريق لتداول الكتابات الكلامية الأشعرية، فكان دور ابن تومرت حاسما في التوجه الرسمي الأشعري ذلك أن الموحدون قربوا العلماء الذي أتقنوا الفكر الأشعري قبل كل شيء²، وعلى خلاف المشرق يحق للمغاربة أن يعلنوا تميزهم؛ إذ نعموا باستقلالية المذهب الديني في القرون الأربعة الأولى الذي شهد فيها المغرب عدم الاستقرار السياسي، أصبح هناك استقرار في المذهب الفقهي، أما في المشرق فقد حاولت الفرق الكلامية أن تحمي بالمذاهب الفقهية لكي تضيفي على نفسها مزيدا من الشرعية، وترتبط المذاهب بالفرق الكلامية حتى لا تنفصل على الأصول، وبالتالي يصبح لها بعد فكري³.

شهد المغرب الإسلامي حركة إصلاحية على المستويين السياسي والفكري، فدولة المرابطين كما قلنا سلفا عملت على توحيد المنطقة وكان لفقهاء المالكية الدور الكبير في هذا التوجه، فأضحى المذهب المالكي مذهب الدولة الرسمي، ومن ذلك تم التكريس لوضع فكري معادي للانفتاح العقلي إلى حد ما⁴، حيث يقول الدكتور عبد المجيد النجار: "... وفي غياب الفكر العقدي المؤصل لمسائل العقيدة، الجامع بين ما يبدو في ظاهره متنافرا من الآيات، المفسر لنا ورد من الصفات الخبرية، ربما تكون قد مت بعض الأفهام العقديّة في اتجاه التشبيه والتجسيم الخاصة بين أولئك البدو الذين لم يحظوا بثقافة دينية أصيلة..."⁵، كان توظيف الفكر العقدي هو المعول الذي اعتمد عليه ابن تومرت في الحصول على الشرعية والتأصيل لمشروعه - فزيادة على جهوده لترسيخ المذهب الأشعري - فهو لم يعتمد على الجهد السطحي والعسكري فقط، بل أتبعه بجهد علمي من خلال التدريس والتصنيف، إذ حظيت مؤلفاته بعناية سياسية كبيرة لاسيما "المرشدة" في العقيدة الأشعرية منها لبساطتها وبلاغتها وسلامتها من القول بالمهدوية والعصمة، وعمل خلفاؤه على إشاعتها ونشرها بين الناس، وأضحى لها

1- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه الأستاذ خليل شحادة وراجعته الدكتور سهيل زكار، ج6، ط2، بيروت، دار الفكر، 1421هـ/2001م، ص302.

2- الصغير عبد المجيد، المرجع السابق، ص22.

3- الإدريسي علي، المرجع السابق، ص92.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- النجار عبد المجيد، المهدي ابن تومرت، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص57.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

دارسون وشارحون كثر، وتمخض عن ذلك التحام بين أشعرية المغرب وأشعرية المشرق بعد ابن تومرت، التي ستشهد مرحلة مد عام وكاسح؛ وفي ذلك يقول الناصري: "... فبعد أن طهره لله (أي المغرب) من فرقة الخارجية والرافضة ثانيا أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التزيه عن الظاهر، هو والله أحسن المذاهب وأفضلها، واستمر الحال على ذلك إلى أن ظهر محمد ابن تومرت مهدي الموحدين، فرحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه، ثم عاد ابن تومرت إلى المغرب ودعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة وجزم بتضليل من خالفها، وسمى أتباعه بالموحدين تعرضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد، ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على اعتناق مذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفا، وإن كان قد ظهر بالمغرب قبل ابن تومرت فظهورا ما..."¹؛ وعليه يمكننا القول أن علماء المغرب الإسلامي أثبتوا اضطلاعهم بدور ريادي في إثبات مكانتهم الحاسمة في الاختيارات العقدية والفقهية من خوض مجموعة من الإصلاحات على المستويين السياسي والمذهبي، وتأسيس دول تحمل التوجه الفكري نفسه وإشاعة الجدل الكلامي والفقهية، ومن ثم سيتواصل هذا الدور في الدولة المرينية من خلال النهج الأشعري، وبذلك شكل البعد الأشعري الأصل الفكري الأول الذي بلور صلة علماء المغرب مع السلطة السياسية.

3-2- البعد المالكي: اقترنت المذاهب الفقهية في المشرق الإسلامي بالاتجاهات الكلامية، فالمعتزلة²،

1- الناصري محمد، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري، ج1، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954م، ص63؛ يصح القول أن الأشعرية شقت طريقها إلى المغرب بالسيف والقلم، السيف الذي مثله ابن تومرت والقلم الذي مثله ابن العربي، إلا أن الذي يبدو لنا أن حد السيف كان أقوى وأمضى من مداد القلم، ومع ذلك كان لابن تومرت همة عليا على المضي قدما من أجل هدفه فاستعمل كل الوسائل المؤدية لذلك، فاتهم المرابطين بالتنشيب والتجسيم وعدم مقدرتهم على الخوض في مسائل العقيدة واهتمامهم بالفروع فقط، فأنتالذعاية الموحدية أكلها وواكبت صدرا رحبا فأعطت الشرعية للموحدين لتقويض الدولة المرابطية، ينظر: البيذق أخبار المهدي ابن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، طبعة خاصة 2011، ص80، مغزاو ومصطفى، المرجع السابق، ص101.

2- المعتزلة: نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي، وأكثر العلماء يذهب إلى أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء الذي كان يحضر مجلس الحسن البصري فنارت مسألة مرتكب الكبيرة فقال واصل مخلفا الحسن: أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا بمؤمن، بل هو في منزلة بين المنزلتين. ثم اعتزل مجلس الحسن البصري واتخذ له مجلسا فسمي وأتباعه المعتزلة. من أصول مذهبهم "التوحيد والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". يعتمدون في الاستدلال لإثبات العقائد على القضايا العقلية، متأثرين في ذلك بالفلسفة اليونانية في آرائهم، أخذين عنها كثيرا في استدلالهم فظهرت في أدلتهم مقدمات أقيستهم، وبلغوا مكانة راقية في عصر الخليفة العباسي المأمون (198هـ-218هـ) واشتهروا ببدعة خلق القرآن إلى أن نكبهم الخليفة المتوكل وأبعدهم عن حظيرته. ينظر: البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق،... المرجع السابق، صص90-150؛ رفاعي إيهاب نبيل، الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الإسلامي، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية، 2013، صص91-94؛ بن خيرة مجيب، المرجع السابق، ص357.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

ثم الماتريديّة¹، أحناف²، الأشاعرة شافعية³، ومنهم المالكية، وأتباع الإمام أحمد مشايخون له في علم الكلام⁴، والشيعية الإمامية جعفرية⁵، بينما الزيدية⁶ للإمام زيد فقها وكلاما، أما في المغرب الإسلامي فقد عجزت المذاهب، بل الدول السياسية المختلفة على أن تنال من المذهب المالكي وباءت بالفشل أعني هذه الدول، وأعني بها العبيدية أن تستبدل بالفقه المالكي فقها شيعيا، وظلت المالكية مذهب المغاربة الفقهي بإجماع ليس له نظير لأي مذهب لدى المشاركة⁷. وانطلاقا من هذا التوافق الفقهي على مذهب الإمام مالك رحمه الله "... أصبح الانتماء الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي بمثابة المعيار الأساسي لتحديد مالكية ساكنه، وهذا بفضل الانتشار الكبير لفقه إمام دار الهجرة. لكن هذا لم يكن سهلا أمام بقية الجماعات الفقهية والعقدية التي كانت السبابة إلى التموثق في عاصمة ولاية إفريقية خلال العهدين الأموي ثم الفترات الأولى لخلافة بني العباس..."⁸، وفي الواقع أن انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي لعدة أسباب يذكرها ابن خلدون قائلا: "...وأما ملك - رحمه الله تعالى - فاختص بمذهبه أهل المغرب بالأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقترضوا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم

- 1- الماتريديّة: نسبة إلى الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي وأصله من "ماتريد" محلة بسمرقند (ت333هـ/944م) وانتشر مذهبه في بلاد ما وراء النهر وخراسان وهو قريب من المذهب الحنفي بل إن مذهب الإمام أبي حنيفة هو عقيدة الماتريديّة، ينظر: رفاعي إيهاب توفيق، المرجع السابق، ص: 71، بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص: 367-371.
- 2- الأحناف: نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان (80هـ-150هـ) وهو أول المذاهب الفقهية ظهورا وكان المذهب الرسمي للدولة العباسية وانتشر في المشرق الإسلامي انتشارا واسعا، ينظر، البغدادي، المصدر نفسه، ص: 235، رفاعي، المرجع نفسه، ص: 72.
- 3- الشافعية: نسبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (150هـ-204هـ) وهو ثالث المذاهب الفقهية ظهورا بعد المذهبين الحنفي والمالكي، انتشر في العراق والشام ومكة وخراسان ومصر، ينظر، رفاعي، المرجع نفسه، ص: 73.
- 4- أسس أحمد بن حنبل (164هـ-246هـ) مذهبه وهو آخر المذاهب ظهور وعليه لم ينتشر انتشارا كبيرا كما حدث للمذاهب الأخرى نظرا لشدة الحنابلة وتعصبهم وكثرة خلافهم مع العامة، ينظر، المرجع نفسه، ص: 77.
- 5- الشيعية الإمامية: هم الذين ساقوا الإمامة - الخلافة في ولد فاطمة رضي الله عنها وعلي رضي الله عنه بالنص عليهم واحدا واحدا واشتروا معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان، ينظر ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص: 184؛ الجعفرية: نسبة إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، سمي بالصادق نسبة لصدقه، وهو سادس الأئمة الاثنا عشرية ولد سنة 80هـ - بالمدينة وتوفي عام 148هـ -، وانشغل بالعبادة عن السياسة، ينظر ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص: 220.
- 6- الزيدية: تنسب إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي خرج على الأمويين في خلافة هشام بن عبد الملك وقتل بعد أن خذله أهل العراق ومن ذلك اتخذ أنصاره مذهبه حجة وشايعة في ذلك وانقسموا إلى ثلاث فرق هي: الجارودية والسليمانية والبتيرية وكلهم يقولون بإمامته، ينظر، البغدادي، المصدر نفسه، ص: 25.
- 7- صبحي، في علم الكلام، ج2، ص: 213.
- 8- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص: 141.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

يومئذ وإمامهم مالك وشيوخهم من قبله وتلميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره، فمن لم نصل إليهم طريقته. وأيضا فالبدواة كانت غلبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البدواة...¹، يستشف من كلام ابن خلدون أن أهل المغرب استأثروا بمذهب الإمام مالك فهو الأنسب في نظره من حيث الأدلة التي ساقها لتفسير أسباب شيوع هذا المذهب في المغرب والأندلس؛ وسنحاول من خلال هذا المبحث استقصاء البعد المالكي لصلة العلماء بالسلطة التي تداولت على حكم بلاد المغرب قبل المرينيين والعمل على معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انتشاره أولا ثم ترسيخه ثانيا. فقد شكل المنهج الاستنباطي والأصول التي بني عليها المذهب من خلال استدلال الإمام مالك بنوعين من السنة؛ وأولها السنة المرفوعة المتمثلة في الأحاديث الصحيحة بالإضافة إلى السنة الأثرية وهي أقوال الصحابة وفتاويهم وعمل أهل المدينة وأعرافهم²؛ والظاهر أن التخصص المزدوج للإمام مالك الجامع الجامع بين الحديث والفقه كان له أبلغ الأثر في شيوع فقهه بين طلبته من أهل المغرب، من ذلك تأثيره فيهم بشخصيته المتميزة وأخلاقه العالية كالكرم ومحبة الناس والتواضع والحرص على الخير والزهد فيما في أيدي الناس، وعلاوة على ذلك تهيئه الشديد من الفتوى وتحريه لما ينقل ويريه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وإقباله على ما ينفذ وترك ما دونه، كما عرف عنه توقيره لحديث الرسول الكريم، حتى صح فيه قوله عليه الصلاة والسلام: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة."، فقد اتفق العلماء أنه- الإمام مالك- المقصود بهذا الحديث، ودل ذلك على مبلغ علم مالك رحمه الله³، وانطلاقا من ذلك أشاد مالك بطلبة المغرب ورفع من قدرهم فأثر فيهم تأثيرا جليلا، ما أعطى بعدا عظيما لمذهبه بينهم كَمَا⁴، ونوعا⁵. فسعوا إلى نشره ونثه في المدن والحوضر المغربية¹- وناهيك عن بقية الأسباب التي

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص410.

2- سيب خیر الدين، انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب، ملتقى المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس..، المرجع السابق، ص59.

3- المرجع نفسه، ص64-65.

4- **التأثير الكمي:** لقد رزق الله مالك بن أنس البركة في التلاميذ والأتباع ما لم يرزقه إمام من الأئمة الآخرين فلقد عد تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم بأزيد من ألف وثلاثمائة تلميذ، عدد السيوطي منهم أزيد من تسعمائة رجل بأسمائهم وألقابهم وأنسابهم وبلغ بهم الألف، وطبيعي أن ينشر هؤلاء التلاميذ علم أستاذهم ويدافعوا عن علمه، وهذا ما حدث بالضبط في المغرب من أسد بن الفرات، وعبد الله بن فروخ وبجي بن يحيى الليثي والبهلول بن راشد وزيايد بن عبد الرحمان وعلي بن زياد ومن بعدهم، ينظر، المرجع نفسه، ص66؛ وكذلك: بن سحنون محمد، كتاب آداب المعلمين، تقديم وتحقيق مقارن الدكتور محمود عبد المولى، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، صص31-35.

5- **التأثير النوعي:** لقد تمتع تلاميذ وطلبة الإمام مالك بمهية قوية ومحبة لدى الناس مكنتهم من كسبهم خاصة العامة والتأثير فيهم، فلما أراد محمد بن مقاتل العكي وكان واليا ضرب البهلول بن راشد الفقيه المالكي رمى الناس أنفسهم عليه حماية له من السياط. وكذلك وقف عبد الله بن غام ضد

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

التي سنبسطها- ننفذ للتطرق إلى دور قافلة الحج في التلقي على مذهب مالك؛ ذلك أن المدينة كانت مستقر الإمام مالك ومنها انتشر مذهبه والحج اعتبر فرصة لأهل المغرب للاستزادة من العلوم الدينية وزيارة المسجد النبوي، فأضحى الحجاز مستقر رحلات المغاربة وبذلك لم يعرجوا على العراق لبعده عن المغرب²، كما لا يخلو الأمر من العامل السياسي إذ عملت الدول والسلطات الحاكمة المتعاقبة على حكم بلاد المغرب ونشر وترسيخ وتثبيت مذهب الإمام مالك "... والملاحظ بهذا الصدد أن الكثير من المؤرخين لا ينظرون إلى دخول المالكية إلى المغرب الإسلامي إلا من زاوية نظر التأثير والتأثر واعتباره أيضا عملا فرديا قام به أمير أو فقيه، مهملين المحددات الذاتية ككل والتي جعلته يتقبل المذهب المالكي دون غيره... هذا صحيح من الناحية التاريخية، لكن يلزم أن يرفق بتحليل مواز لطبيعة الحاجات الاجتماعية والثقافية والتاريخية للمغرب الإسلامي..."³، وانطلاقا من ذلك توافق العامل السياسي مع العوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية ووجد الأرضية التي ارتكز عليها المذهب المالكي⁴؛ وهذا ما نستنبطه من كلام ابن حزم: "مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: الحنفي في المشرق والمالكي بالمغرب."⁵ فاكتمح مذهب مالك رحمه الله كل العوائق وأقصى كل المذاهب التي عرفتها منطقة المغرب الإسلامي، فلا غرو أن المذهب المالكي شق طريقه بين الحن والازمات ذلك أن دولة الأغالبة بتونس دعمت المذهب الحنفي واضطهدت المذهب المالكي، وحاولت الدولة العبيدية اجتثاثه من جذوره واستعانت بالفقهاء الأحناف، في حين قاومهم المالكية مقاومة عنيدة، واستغلت التيارات والحركات الفكرية غير السنية الفرصة للظهور من جديد والعمل على الانتشار كالاعتزال والتصوف، مما زاد في ثبات المالكية وأضحى المذهب المالكي أشد تصلبا واستماتة في البقاء وإزالة جميع هذه التيارات والمذاهب التي اجتمعت كلها للقضاء عليه⁶، وتجدد الإشارة أن الواقع الذي مر به المذهب المالكي أعطاه طابعا خاصا ومميزا إنه طابع "الدفاع عن النفس" يتجلى ذلك في توجه الفقهاء للوقوف في وجه

إبراهيم بن الأغلب من أجل استرداد أموال الناس التي أخذها الأمير ظلما وحمدها له الناس واغتنبوا به، ينظر، المالكي، رياض النفوس، ج1، ص 200-214، سامعي إسماعيل، دور المذهب الحنفي في الحظية الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن 2هـ- إلى 5هـ/8م-11م، ط1، الجزائر، دار الهدى، للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، صص 16-21.

1- سيب خير الدين، المرجع السابق، ص66.

2- المرجع نفسه، ص68-69؛ بن بيه، المرجع السابق، ص22.

3- يفوت سالم، المناخ الفكري في الأندلس ودور المالكية في تشكيله، الاتجاهات الكلامية...، المرجع السابق، ص73.

4- سيب خير الدين، المرجع نفسه، ص11.

5- ابن حزم الظاهري، إحكام الأحكام، ج1، ص567، نقلا عن، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- يفوت سالم، المرجع السابق، ص75.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

الدعايات والتيارات الفكرية غير السنية، وساروا على نهج يكرس "التقليد" واقتفاء لآثار الشيوخ وآرائهم والتزامها دون نزعة التجديد، والأكثر من هذا انعكاس ذلك حتى على الأسلوب الذي انتهجه هؤلاء الفقهاء في التعامل مع الفقه المالكي نفسه¹، وإذا عدنا إلى ما قاله ابن حزم الظاهري نستشف الدور الذي لعبه القضاة من المالكية في إشاعة الفقه المالكي وصلابتهم في تنفيذ أحكام الشرع دون هوادة وحمل الناس على معرفة أحكام المعاملات والعبادات على مذهب مالك²، فكان له أبلغ الأثر في ترسيخ الفقه المالكي حتى أن حركة المرابطين وتأسيس دولتهم جاء نتيجة جهود فقهاء المالكية، حيث اضطلعوا للقيام بحركة إصلاحية شاملة أساسها المذهب المالكي³؛ ومن ثم سيصبح لهم مكانة عظيمة في ظل دولة تبادلهم نفس الشعور المذهبي إذ "... كان الفقهاء يحتلون محلا عاليا في نطاق الدولة ويلعبون فيها الدور الأساسي، إذ أنهم كانوا مرشديها وموجهيها سياسيا وكانوا يستفتون في كل مسألة صغيرة أو كبيرة من جانب أمير المسلمين قبل أخذ أي قرار وكان ما أفتوا به يطبق بمخافة...⁴"، ومن ثم أصبح الجهد الذي بذله علماء المرابطين من توحيد المنطقة وحمل الرعية على مذهب محل محل سحق وعدم رضا من قبل أعدائهم ومناوئتهم، واعتبرهم المؤرخ الموحد عبد الواحد المراكشي علماء فروع مهملين للكتاب والسنة⁵، ولكن المتفحص لهذه الرواية الأتي تصور وضعية العلماء العلمية في العهد المرابطي (464هـ-5414هـ/1072م-1146م) وتصنفهم بالاعتصار على علم الفروع وإهمال العلوم الأخرى، تحمل مغالطة كبيرة استنادا إلى معطيات الدعاية الموحدية، فقد أكد أحد الباحثين بناء على رصد وتحليل مختلف مصادر العهد المرابطي على توسع مدارك فقهاء تلك الفترة واهتمامهم بدراسة أصول الفقه وأصول الدين بالإضافة إلى علوم أخرى كما برزت ميولهم في مجال الفقه إلى مجالات عديدة خارج مجال الفروع⁶، والدليل على ذلك إضافة لما تم تفنيده وأنها مجرد دعاية أشاعها الموحدون فمعظم علماء الدولة الموحدية في بداية تأسيسها هم من علماء عصر المرابطين، ولعل هذا التوجه الفقهي المالكي الواضح للدولة

1- المرجع السابق، ص: 76.

2- سيب خير الدين، المرجع السابق، ص: 71.

3- إن العلماء يجعلهم المذهب المالكي المذهب الرسمي للدولة لم يكونوا بدعا في ذلك بل كانوا تبعاً في هذه العادة، ولعل أبرزها اتخاذ دولة الخلافة العباسية المذهب الحنفي مذهباً رسمياً لها، ولم يكتف المرابطون بجعل المذهب المالكي مذهباً رسمياً بقرار من السلطة الحاكمة، بل سعوا إلى جعله اختياراً علمياً مدعوماً بالحجج والبراهين يصمد أمام آلية النقد، ينظر، بنبيه، المرجع السابق، ص: 101.

4- ولد دادة محمد، المرجع السابق، ص: 118.

5- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص: 254.

6- بن حمادي عمر، الفقهاء في عصر المرابطين، ص: 376 وما بعدها، بنبيه، المرجع نفسه، ص: 102.

الفصل الأول: — الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

الموحدية لم يأت من فراغ من ذلك وحدة الأصول الأولى للفقهين المالكي والموحدي والمتمثلة في الكتاب والسنة والإجماع والقياس، نكون أمام فكر فقهي "أقرب للمالكية في أصولها عند مؤسسها"¹، والظاهر أن محاولات الموحدين في القضاء على المذهب المالكي والتضييق على فقهاءه فشلت كلها، بحيث لم تجار الحركة التأصيلية الفقهية الموحدية التي أشاعتها هذه الدولة إلى غاية عصر المنصور الموحدي (580هـ — 595هـ) — الفقه المالكي فقد استلزم ذلك فترة طويلة من التكوين العلمي والرسوخ في شتى العلوم الموصلة لها، وفي نفس السياق تمكن الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي (524هـ — 558هـ) من استيعاب العديد من كفاءات الدولة المرابطية في خطط ووظائف الدولة الإدارية والعلمية والدينية²، ولكن الخليفة يعقوب المنصور أظهر الشدة في تعامله مع علماء المالكية حيث ضاق ذرعا بتشعب الآراء الفقهية في بعض القضايا، فأصدر أمرا بإحراق كتب الفروع، أي فروع مذهب مالك، فنفذ أمره في كثير من مدن المغرب والأندلس، فضاغ بسبب ذلك تراث مالكي كثير³ وقد أورد المراكشي هذه الحادثة قائلا: "... وفي أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة ابن سحنون وكتاب ابن يونس ونوادير ابن أبي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبراذعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار..."⁴، لقد كانت محاولة المنصور جدية لاستئصال كتب الفقه المالكي ولكنه فشل في ذلك، فهذه التصانيف كانت من الكثرة بحيث يستحيل إفناؤها حتى أن بعض الفقهاء كان يحفظها عن ظهر قلب بالإضافة إلى أن عملية الإحراق لم تتم بنفس الصدى في كل أصقاع دولة الموحدين، كما عز على الفقهاء إحراقها فأخفوا أكثرها⁵، وبالمقابل قلت عملية التضييق على علماء المالكية المالكية وتصانيفهم من قبل الخلفاء الموحدين المتأخرين، ذلك أن مذهب الموحدين الذي كان سبب قيام دولتهم وسر قوتها وأساس الدعاية التي قوضت الدولة المرابطية استنفذ أسباب وجوده أمام تصلب المذهب المالكي وكثرة المنافحين عنه من العلماء حيث لم يتأثر بالضربات الكثيرة وقيام الموحدين بإقصاء المالكية وتقريب

1-خطيف صابرة، المرجع السابق، ص90.

2-المرجع نفسه، صص90-92.

3-محمد محي الدين، المذهب المالكي بالمغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد05، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، ديسمبر 2004، ص:197.

4-المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص:201-202.

5-خطيف صابرة، المرجع السابق، ص:93.

الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

الظاهرية والشافعية، ولما بدأت الدولة في الضعف واشتد التنافس بين الموحدين أنفسهم على الملك، فقد أعلن الخلفية أبو العلاء إدريس المأمون (624هـ-630هـ) على الملأ ارتداده عن المذهب الموحي وبطلان مبادئه كما قتل عددا كبيرا من أشياخ الموحدين، مما يعطينا صورة واضحة لا لبس فيها عن دور علماء المالكية في تكوين الخلفاء والحيط العام للدولة بداية بفقهاء البلاط وانتهاء بالعام¹، ولما ضاقوا ذرعا بتقدم الشافعية والظاهرية عليهم حنوا إلى مكانتهم في عصر المرابطين "...وعليه لم يثر ضعف الدولة الموحدية وبداية تفككها إلى سقوطها أي اهتمام عند فقهاء المالكية إذ لم يعثر لهم في هذا المجال على أي موقف أو فتوى، عكس ما كان من أمرهم مع الدولة المرابطية، وإذا أخذ بعين الاعتبار مكانة الفقهاء المالكية في الدولة الحفصية (625هـ-893هـ/1227م-1487م)، الوريث الشرعي للموحدين يتأكد أن حضورهم في دول المغرب و الأندلس لا يعبر فقط عن إرادة السلطة الحاكمة، بقدر ما يعكس أهمية نفوذهم العلمي والروحي الذي عجز الموحدون عن إقصائه..."²، لقد أصبح الوجود المالكي أمرا محتما وأضحى طابعا يطبع بلاد المغرب وكل المحاولات المتتالية لإزالته وتحبيده من الواجهة باءت بالفشل، فكثرت الفقهاء بحيث أضحت تراجعهم تعبير عن كذب الطبقات والتراجع وكان لهم الفضل في تطور المذهب كما كثر التأليف وشاع إلى حد لا يمكن حصر مؤلفات المالكية³.

لقد استطاع المغرب الإسلامي أن يحافظ على وحدته المذهبية رغم كل المذاهب والفرق التي انتشرت في هذه المنطقة غير أنها جميعا لم تصمد أمام المذهب المالكي، الذي وجد من يؤصل له ويدعمه حيث اضطلع العلماء بهذه المهمة وأجبروا السلطات الحاكمة على الرضوخ لمذهبهم والتقيد بتوجيههم وإرشادهم وعملوا على تأسيس دول يكون المذهب المالكي هو المهيمن عليها، والأكثر من ذلك نشره وتلقيه للامة وللناشئة حتى يبقى سند تعليمه قائما ومتواصلا وهذا ما رأيناه من خلال هذا العرض للبعد المالكي الذي جمع بين العلماء والسلطة السياسية، ولما تماوت مدارس المالكي في العراق والشام ومصر والحجاز وخراسان وبلاد ماوراء النهر ظلت المدرسة المغربية قائمة متواصلة ومن ورائها مدرسة الأندلس⁴، مما ينبئ على إنفراد المنطقة بوحدة المذهب

1- المرجع السابق، ص 95.

2- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

3- محمد محي الدين، المقال السابق، ص 199.

4- زقور أحسن، مدارس المذهب المالكي، مجلة البحوث الإسلامية والدراسات الإسلامية، العدد 01، إصدارات مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر (1)، 2004م، ص 28-47.

الفصل الأول: — الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.

واستمراريته وهو لعمرى أمر لم يحدث في إقليم من أقاليم العالم الإسلامي، أظهر لنا البعد الوجودي الأصيل في المنطقة وأن انفصال المغرب عن المشرق لم يكن إلا انفصالا سياسيا حيث استطاع المغرب الإسلامي أن يكون صنو المشرق وتمكن من تخريج العلماء وبناء الحواضر وتأسيس الدول والنبوغ في مختلف العلوم النقلية والعقلية وتأليف الكتب وتأسيس المدارس ونشر الإسلام في أصقاع عديدة.

لقد كان البعدين الأشعري في العقيدة والمالكي في الفقه هما اللذين مثلا الأصول الفكرية التي بلورت صلة العلماء بالسلطة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي؛ حيث أصبح وجودهما واقعا محتما وأمر لا بد منه فوحدة الأصول والفروع سهلت من مهمة السلطة في حكم المنطقة، ومنذ حركة المرابطين التي شهدت إصلاحات كبيرة على مستوى المجتمع والسلطة والدين -عقيدة ومذهب- أصبح المغرب لا يتقبل إلا هذا التوافق العقدي المذهبي، وبدورهم العلماء سعوا إلى حمل الرعية والسلطة على تكريس هذا التوجه والحفاظ عليه بل والوقوف في وجه من يخالفه وتواصل الأمر على حاله إلى فترات مديدة من تاريخ المنطقة حيث ظلت تنعم بالوحدة الفكرية والمذهبية، وسنرى ما إذا كان هذا الالتحام سيتواصل في عصر المرينيين بين السلطة والعلماء والمجتمع.

الفصل الثاني:

العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية.

1- العلماء وتأسيس الدولة المرينية.

1-1- أصل بني مرين.

1-2- صيرورة مرحلة التأسيس وتحدياتها.

1-3- دور العلماء في تأسيس الدولة المرينية.

2- العلماء وجهاد المرينيين في الأندلس.

1-2- نظرة العلماء للجهاد.

2-2- جهود العلماء في الحث على الجهاد.

2-3- مشاركة العلماء في عمليات الجهاد بالأندلس.

3- العلماء وسياسة بني مرين الوحدوية.

1-3- طبيعة المشروع المريني.

2-3- مسار المشروع المريني.

1-2-3- علاقة المرينيين بالزيانيين.

2-2-3- علاقة المرينيين بالحفصيين.

3-2-3- دعم العلماء للمشروع المريني وتوجيهه.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

تبلورت علاقة العلماء بالسلطة كما رأينا سابقا بحيث أصبح البناء الفكري العقدي والمذهبي متكاملا، من خلال الدور الريادي الذي اضطلع به العلماء في تأسيس العديد من الدول في المغرب الإسلامي، وحتى إسقاطها إذا حادت عن المنهج السليم، فهذه الدول دائما للبحث عن الشرعية والمباركة من قبل العلماء والتسابق من أجل استقطابهم والتقرب إليهم، حيث يجمل ابن خلدون هذا التوجه قائلا: "... واعلم أن من خلال الكمال التي يتنافس فيها القبائل أولو العصبية، وتكون شاهدة لهم بالملك، إكرام العلماء والصالحين والأشراف وأهل الأحساب وأصناف التجار والغرباء وإنزال الناس منازلهم.... فالصالحون للدين، والعلماء للرجال إليهم في إقامة مراسم الشريعة، والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بما في أيديهم، والغرباء من مكارم الأخلاق وإنزال الناس منازلهم من الإنصاف وهو من العدل..."¹، ومن خلال ماتم رصده أنفا للمكانة التي تتمتع بها العلماء في الدولة الإسلامية، أضحى حضورهم في مجريات الأحداث يأخذ طابعا خاصا ومميزا في آن واحد، فهم عقد الوساطة بين السلطة والمجتمع وبهم يتوجه كلا الطرفين لتحقيق التعايش السلمي وإعمار الأرض واستيطانها.

فلا غرو أن تأسيس كثير من الدول في بلاد المغرب الإسلامي استند إلى دعوة دينية وعصبة قبلية²، فالعلماء كانوا المحرك الأساسي لهذه العصبة من خلال الإصلاح الذي يقومون به على ضوء أحد المذاهب، ويعملون على أن تؤتي هذه الدعوة أكلها وتتأسس الدولة التي هي خاتمة لها، ويهيئوا جيلا آخر يأخذ مشعل الدعوة والدولة معا، بحيث أفصحت كثير من التجارب وأبانت عن جهود العلماء في تأسيس الدول التي توالى على المنطقة، بدءا بإدريس بن عبد الله³، الذي كان عالما من علماء بيت النبوة وتأسيسه للدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى⁴، ثم دولة المرابطين التي عدت دولة العلماء بدون منازع⁵، وأيضا الدولة المؤمنية الموحدية التي

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص139.

2- المصدر نفسه، ص150.

3- هو الإمام القائم بالمغرب الأقصى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مؤسس الدولة الإدريسية، بويع بمدينة ويلي يوم الرابع من شهر رمضان سنة 172هـ، كانت مدة حكمه خمسة أعوام وسبعة أشهر وتوفي في مفتح شهر ربيع الآخر سنة 177هـ، ينظر: الفاسي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، صور للطباعة والوراقة، 1972، صص 20-23.

4- بوزيدي أحمد، العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المربي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله-ظهر المهرز-فاس، 1428هـ-1429هـ/2007م-2008م، ص90.

5- بن بيه محمد محمود عبد الله، المرجع السابق، صص 49-82.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

أسسها الفقيه محمد بن تومرت من خلال الثورة التي قادها ضد الفقهاء¹. كما استند الزيانيون منذ تأسيس دولتهم على العلماء كسبا للشرعية، ومن قبلهم الحفصيون الذين أقاموا دولتهم على مذهب الموحدين²، واستطاع الماليك أن يؤسسوا دولتهم بفضل دعم العلماء ووقوفهم إلى صفهم لتوحيد البلاد والتصدي لأعداء الخارج³.

إن هذه المقاربة التاريخية لجهود وأدوار العلماء تبرز لنا مدى الثقل الذي تشكله هذه الشريحة، وأن تواجهها تحصيل حاصل وأمر لا بد منه فلا يكفي الجند والأعوان والأنصار والمال في قيام الدول، بل ينبغي أن يكون العلماء في طليعة الدولة وأساسها، وعليه فالسؤال الذي يتبادر إلينا هو: كيف كان حضور العلماء وتأثيرهم في تأسيس الدولة المرينية؟

1- العلماء وتأسيس الدولة المرينية: سنحاول من خلال هذا المبحث الوصول إلى السياق العام الذي دارت

عليه أدوار العلماء في تأسيس الدولة المرينية، حيث جاءت هذه التجربة مصاحبة للتجارب السابقة في جوهرها، ولكن اختلفت في آلياتها، ولكنها أكدت من جديد على دور هذه النخبة عند بداية تأسيس الدولة وبنائها، من خلال تسليط الضوء على بعض النماذج في هذا الدور في المنحى الإيجابي الذي يدعم ويسند ويخدم مشروع الحركة الوليدة⁴، ولكن قبل الشروع في ذلك يحسن بنا الحديث عن المرينيين والتعرف عليهم:

1-1- أصل بني مرين: ينتسب المرينيون إلى قبيلة زناته الكبيرة حيث صنفهم ابن خلدون في الطبقة الثانية من زناته "...وهم أكثرهم عددا وأقواهم سلطانا وملكا وأعظمهم دولة..."⁵، كما عظم ابن أبي زرع من أصلهم أصلهم قائلا: "...أما بنو مرين فهم أعلى قبائل زناته حسبا وأشرفها نسبا، وأغزرها كرما، وأحسنها شيما، وأرعها ذماما، وأرجحها أحلاما، وأشدّها في الحروب بأسا وإقداما، وأكثرها ديناً،.... والبعث عن الغدر والعار والحيف، والأدب والدين، وإكرام العلماء وتوقير الصالحين لم يزالوا على هذا السن القويم، والمنهج المستقيم، يعرفون به في الحديث والقديم، أبواقهم الله تعالى متصلة أيامهم، منصوره أعلامهم

1- المرجع نفسه، ص 207-231.

2- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 96-103.

3- سماح بنت سعيد عبد القادر باحويرث، الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين الماليك (648هـ-)

923هـ/1250م-1517م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1431هـ-2010م، ص 22-26.

4- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص 20.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر... المصدر السابق، ج 7، ص 79.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

نافذة أحكامهم، ماضية في الأعداء سيوفهم وأقلامهم، بمنه وكرمه...¹ "، ووافقه على ذلك محمد ابن مرزوق الخطيب². وإسماعيل بن الأحمر³.

المهم أنهم بطن من بطون قبيلة زناته "... وهم من ولد مرين، بن ورتاجن بن ماخوخ، بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم، بن سجيح بن واسين..."¹.

وكانوا يعيشون بالصحاري والقفار من فكيك إلى سجلماسة⁴، إلى ملوية، وربما يصلون في بعض الأزمنة⁵، إلى بلاد الزاب⁶، بحكم الطبيعة البدوية التي كانوا يعيشونها وهذا دأب القبائل التي تعيش على الأنعام والمواشي، تحتاج إلى الترحال الدائم بحثاً عن الكأ والماء، فاعتادوا على شظف العيش وصعوبة التضاريس والمناخ، مما أكسبهم قدرة على التحمل وشدة البأس والاستماتة في القتال والمراس، فعدوا من أقوى القبائل الزناتية⁷؛ وهذا مانحاً ببعض المؤرخين لإضفاء النسب الشريف عليهم بحيث يقول ابن الأحمر: "...هم فخذ من زناته من أشرفهم، وقد قيل إنهم شرفاء، ورفع بعض أهل التاريخ نسبهم الشريف من جدهم عبد الحق إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه..."⁸. والظاهر أن الرقعة التي احتلتها قبيلة بني مرين الزناتية مردوها لكثرة البطون المنضوية تحتها، فكانت من الكثرة بحيث شكلت قوة لا يستهان بها لها تأثيرها في مجريات الأحداث بالمنطقة منذ عصر المرابطين⁹.

1-2- صيرورة مرحلة التأسيس وتجلياتها: شهدت بلاد المغرب الإسلامي مع بداية النصف الأول للقرن

12/07م تحولات جذرية، صاحبها أفول دول وتأسيس دول جديدة ومنها الدولة المرينية التي قامت في بلاد

1- المصدر السابق، ص278.

2- المسند...، المصدر السابق، ص107.

3- ابن الأحمر إسماعيل، روضة النسر في دولة بني مرين، ط1، الرباط، المطبعة الملكية، 1382هـ/1962م، ص09.

4- سجلماسة: مدينة كبيرة كثيرة العامر وهي مقصد للوارد والصادر كثيرة الخضض والجنات رائقة البقاع والجهات ولا حصن عليها وإنما هي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر لها، ينظر: الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1409هـ/1989م، ص225.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص221، Jose Crespo Redodo. **Historia de**

Marruecos. Consejeria de educion embajada de España Marruecos. p79.

6- بلاد الزاب: وهي على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد، وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخيلها، وهي مدن كثيرة، وأنظار واسعة وعمائر متصلة، فيها المياه السائحة والأنهار والعيون، ينظر: مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب)، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، ط1، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت، ص171.

7- الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م-869هـ/1465م)، ط2، دبي، دار القلم، 1987، ص04، ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص40.

8- المصدر السابق، ص09.

9- حول كثرة قبائل بني مرين ينظر: المصدر نفسه، ص11-12.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

المغرب الأقصى، فالمتعمن لأطوار هذه الدولة يرى أنها لا تخرج على الأدبيات التاريخية التي تتبنى التقسيم الثلاثي الشهير "النشأة-الأوج-الانحطاط"¹، فأجديات التعامل مع مرحلة التأسيس تقتضي منا الغوص في أغوار المعطيات التاريخية التي صاحبت البداية الأولى للدولة، وتتبع الأدوار والمراحل المتعاقبة التي عرفتها الدولة من التأسيس إلى العظمة، إن هذا النسق المتصل ينبئ على تبلور فكرة الدولة في فكر المؤسسين الأوائل من المرينيين فكان عليهم أن يشبوا للجميع أنهم أحق بورثة الموحدين.

لقد تعددت العوامل التي أدت إلى تأسيس الدولة المرينية ولكن المتفق عليه بين المؤرخين أن العامل الديني والمذهبي لم يوظف ويعتمد عليه في بداية التأسيس "... فلم يكن ثمة من إقامة مذهب جديد أو عقائد مستحدثة، حيث أن مذهب مالك قد تركز في المغرب منذ المرابطين وفشلت جهود الموحدين بعدهم في إرغام الناس على اعتناق مبادئ المهدي بن تومرت بصورة نهائية..."²، أما بخصوص العامل الاقتصادي فقد كان حاضرا وبقوة ذلك أن قوة المرينيين منعت بني مرين من الإنسياح في المناطق الشمالية وتملك أراضيها، فلما ضعف شأنهم وتضععت دولتهم، وجدوا متنفسا وتطلعوا لأخذ بلادهم واستغلال خيراتها وثرواتها³، كما لا يخلو الأمر من العامل القبلي حيث أثرت الحزازات السابقة التي كانت بين المرينيين وبني عبد المؤمن في إذكاء الصراع بين الطرفين، فلم ينس بنو مرين تنكيل الموحدين بهم واستعانتهم بأبناء عمومتهم بني عبد الواد لقتالهم ومظاهرهم لهم ضدهم⁴. فلا غرو أن الدولة المرينية وجدت الأرضية التي ارتكزت عليها وأصبح الزمن مهيا لتقبل قيام هذه الدولة، ذلك أن الدولة الموحدية الكبرى كانت قد استنفذت أسباب بقائها وبدأ الضعف يسري في جسمها، وانفرط عقد السلطان على الجملة وفقدت السلطة المركزية هيمنتها على الأقاليم والمناطق الخاضعة لها⁵ وقد أكد ابن أبي زرع ذلك قائلا: "... لما أراد الله إظهار الدولة السعيدة المرينية المباركة العبد الحقية

- 1- الشريف محمد، إصدارات في تاريخ الغرب الإسلامي (قراءات نقدية)، ج1، ط1، الرباط، 2005، ص68.
- 2- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، ج2، الدار البيضاء، دار الرشد الحديثة، د.ت، ص12. لم يكن المرينيين أصحاب فكرة جديدة أو أصحاب دعوة إصلاح كباقي الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأقصى، ولكنهم انتصروا استجابة لمطامح الشعب العميقة فلي تعبير الوضع وإعادة الأمور إلى نصابها، إذ سجل التاريخ تخلي الحكام الجدد عن الأفكار الموحدية فيما يخص المذهب والعقيدة، وكانت دعوة المغاربة إلى المذهب المالكي بعد نزعة الظاهرية الموحدية، كما أخذ المرينيين على عاتقهم مهمة تنقيح العقيدة الأشعرية مما كان يشوبها من أفكار مقتبسة من المعتزلة وغلاة الشيعة، ينظر، أشقر سعاد، التفسير والمفسرون بالمغرب الأقصى، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1431هـ/2010م، ص23.
- 3- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص12.
- 4- المرجع نفسه، ص13.
- 4- المنوني محمد، ورفقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 25 جمادى الأولى 1399هـ/23 أبريل 1979م، ص05.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

ونسخ الدولة الموحدية المومنية لما سبق في قدره وعلمه، من مبرم حكمه، كان من تقدم من ملوك الموحدين أولي حزم ورأي ودين، إلى أن كانت وقعة العقاب فأذنت دولتهم.... فتحاسدوا فيما بينهم على الرياسة، وناقض بعضهم بعضا تكبرا ونفاسه، وأدرك رؤساءهم الإعجاب، فأضاعوا الأمور وأغلظوا الحجاب، وقطعوا الأرحام، وجاروا في الأحكام، وولوا أمورهم سفلتهم، وتحكم عليهم أشراهم، فبدأ الفساد في ملكهم.... وبعث لفنائهم عصابة مرين، وأيدهم عليهم فأصبحوا ظاهرين...¹، ومهما تعددت الأسباب المؤدية سقوط دولة الموحدين²، إلا أن الإقدام على تقويض دولة عظيمة كهذه لم يكن أمرا هينا، في ظل الإمكانيات المتوفرة في مرحلة التأسيس فبالرغم من قوة بني مرين إلا أنها لم ترق إلى قوتي المرابطين والموحدين³، ومع ذلك لا يمكن إغفال القوة المرينية التي استطاعت تقويض أركان دولة الموحدين والثأر لهزائمهم التي ألحقوها بهم، فقد صاحب لحظة التأسيس الأولى عنفوان واندفاع هائل ودماء جديدة، لها هممة عالية على الماضي قدما لهذه الغاية، والظاهر أن الموحدين أنفسهم قد ساهموا في انهيار صرح دولتهم من خلال تصارعهم على الحكم وغفلتهم عن استقلال مناطق كثيرة عن سلطانتهم، فأذهب هيبتهم وقوتهم في نظر تلك القبائل التي قهروها بادئ أمرهم بفضل دعوتهم⁴، أضف إلى أن الأمراء الأولين من بني مرين كانوا على علم بأوضاع دولة الموحدين فاهتبلوا فرصة الضعف الذي كانت تعيشه للإجهاز عليها والحلول مكانها، ولكن الأمر سيأخذ منحني آخر من خلال اشتراك المرينيين مع الموحديين في الخدمات المخزنية الحكومية وكذلك في الجهاد

1- الأنيس المطرب... المصدر السابق، ص281، الذخيرة السنية... المصدر السابق، ص24-25.

2- هناك عدة أسباب ساهمت مجتمعة في سقوط دولة الموحدين لعل أبرزها مايلي:- ظلمهم القطيع للمرابطين وسفكهم للدماء واعتداؤهم على الأموال وسيبهم للنساء بدون وجه حق-ثورة بني غانية وهم بقايا المرابطين: حيث قامت هذه الثورة على أسس فكرية وعقدية ناهضت الأصول العقديّة والأسس الفكرية التي قامت عليها دولة الموحدين-ثورات الأعراب المتتالية حيث إن قبائل بني سليم وبني هلال التي سكنت إفريقية والمغرب الأوسط وبعد ذلك المغرب الأقصى لا تنظر إلا لمصالحها، فأحيانا تتحالف مع بني غانية ومع قراقوش ضد الموحديين-ثورات الأندلس ضد دولة الموحديين ومن أشهر هذه الثورات، ثورة محمد ابن مردنيش، وثورة ابن هود، وعامل بلنسية الذي التجأ إلى ملك ليون، وتقاوس الأندلسيون عن نصره الموحديين لأول فرصة واتتهم، عندما أهانهم الوزير ابن جامع خلال معركة العقاب-التزاع على الخلافة بين الموحديين، ولم يستطيعوا أن يضعوا نظاما ثابتا لتولي الخلافة عندهم: كان لهذا التزاع آثار وخيمة على الدولة ومصيرها-الانهيار العسكري الذي أصاب دولة الموحديين، وتغير أهداف الجيش الموحدية: لاشك أن التزاع السياسي وضعف الهيكل الإداري للدولة تركا أثرا بالغا في التنظيم العسكري للدولة-تقلص أراضي الدولة في إفريقية والمغرب والأندلس: فنتيجة لضعف السلطة المركزية، وتناحر عناصرها، اغتنمت المراكز البعيدة الفرصة وانفصلت فخرجت الأندلس عن طاعة الموحديين وتبعتها إفريقية، وتقلص نفوذ الموحديين بالمغرب الأقصى نفسه حتى سقطت عاصمتهم في يد المرينيين-فتور مبادئ ابن تومرت في نفوس الموحديين، بل هناك من زعماء الموحديين من أعلن البراءة منها: كانت فكرة الموحديين قائمة على العقائد ومرتكزة على المهديّة الهادفة للتجديد، وهي سر حيوية التنظيم في أجهزة حزب الموحديين ينظر: الصلابي علي محمد، دولة الموحديين، ط1، المنصورة، مكتبة الإيمان، 1424هـ-2004م، ص211-222.

3- المنوني محمد، المرجع السابق، ص09.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة... المصدر السابق، ص151-153، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب... المصدر السابق، ص281.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

بالأندلس، فتعرفوا عليهم من داخلهم وفقهوا أساليبهم في الحكم والإدارة ووقفوا على مواضع القوة والضعف في الدولة¹، فتوطأ طريق المرينيين وواتتهم الفرصة التي كانوا ينتظرونها بعد وقوع معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، وأسفرت عن هزيمة منكرة للجيش الموحدية عجلت بضعف الدولة حيث يقول ابن أبي زرع في ذلك: "... فلما كان عام عشرة وستمئة أتوا على عادتهم من البرية فوجدوا المغرب قد باد أهله ورجاله، وفي خيله وحماته وأبطاله، ومات الكل بغزاة العقاب، واستولى على بلادهم الخراب، عمرته السباع والذباب، فأقاموا بمكائهم وبعثوا إلى إخوانهم وأخبروهم بحال البلاد وخصبها وطيب مزارعها وسعة مراعيها وكثرة مياهها ومشارعها والتفاف أشجارها... وقالوا لهم أسرعوا إليها، فليس بها من يصدكم عنها ولا من ينازعكم فيها، فوصل الخبر إلى مرين فبادروا إلى المغرب مقبلين..."²، إن الحالة التي كان يعيشها المغرب بعد هزيمة الموحدين جعل المنطقة تخلوا من السكان، فبادر إليها المرينيون واستوطنوها وملؤوا شعابها وسهولها وهضابها وأوديتها حتى وصلوا وادي تلاغ فدخلوا بلاد المغرب منه³.

وفي نفس السياق صاحب مرحلة الانتقال من الصحراء إلى الشمال تبلورا في فكرة الانتقال من القبيلة إلى الدولة-أي من مرحلة البداوة إلى مرحلة المدنية والتحضر- حيث تطلع المرينيين لأخذ مكائهم في مجريات الأحداث فمنذ سنة 614هـ عندما تولى الإمارة أبو سعيد عثمان⁴ بن الشيخ عبد الحق الذي خلف والده بعد مقتله، بدأت معالم تأسيس الدولة تتضح من خلال ما قام به هذا الأمير من تثبيت لسلطانه على المناطق المجاورة وإخضاع القبائل التي تسكنها، وخصوصا بعد معركة نهر بوقر قرب مدينة فاس، وأضحى المرينيون بعدها أصحاب الشأن والقرار على شمال الغرب الأقصى وفرضوا على تلك المدن الضرائب والإتاوات⁵.

5- مال الله نضال مؤيد عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب (685هـ-706هـ/1286م-1306م) دراسة سياسية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، صفر 1425هـ/نيسان 2004م، ص 07-.

2- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر نفسه، ص 282.

3- المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

3- هو الأمير عثمان بن عبد الحق، تولى الإمارة بعد مقتل أبيه سنة 614هـ، وكان شديد الحزم، ذا نجدة وشجاعة وعزم، له رأي شديد، وعضد شديد، وكرم وإيثار، وحماية للدمار وحفظ للحار، وحياء ودين، وفضل مستبين معظما للفقهاء، مكرما للصلحاء، سلك بذلك نهج أبيه وطريقته، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي رحمه الله، اغتاله عالج له كان ربا صغيرا ضربه بحجرة في منجره فمات من حينه، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وستمئة، فكانت أيام إمارته على مرين وبوادي المغرب من وفاة والده وبيعة قبائل مرين له ثلاثا وعشرين وسبعة أشهر، ينظر: ابن أبي زرع، الذخيرة السننية...، المصدر السابق، ص 37-38.

4- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص 287-289، ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص 45، مال الله نضال مؤيد، المرجع السابق، ص 10.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

وبعد مقتل أبي سعيد عثمان، سارع رؤساء بني مرين وشيوخهم لمبايعة أخيه الأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق¹ وأن يسمعو له ويطيعوا وقيموا معه على حرب عدوهم، وأن يسالموا من سالم، حيث واصل ما قام به أخوه في مقارعة الموحدين واجتثاث سلطاتهم من جذوره، ولكن الحظ خالف المرينيين هذه المرة حيث انهزموا أمام جيوش الموحدين في المعركة التي جرت بموضع يعرف بصخرة أبي بياش من أحواز مدينة فاس، وقتل فيها الأمير أبو معرف محمد سنة 642هـ²، كانت هذه الهزيمة ضربة قاسمة للمرينيين حيث انسحبوا ليلاً من أرض المعركة وتحصنوا بجبال غيثة، ثم اجتمعوا وتداولوا الأمر بينهم واستقروا على مبايعة الأمير أبي بكر بن عبد الحق³ أخو الأمير محمد بن عبد الحق في 09 جمادى الآخرة سنة 642هـ... وهو أول ملك في بني مرين جند الجنود، وضرب الطبول ونشر البنود، وملك الحصون والبلاد، واكتسب الطارف والتلاد، وأعطى النصر والتمكين، فكان عنوان سعد بني مرين...⁴، لقد أخذت الحركة المرينية في عهد أبي بكر طابعها السياسي وهو تكريس لما قام به من سبقه من الأمراء⁵، ولكنه بادر في البداية إلى تقسيم البلاد على أشياخ المرينيين وقبائلهم وأنزل كلا منهم ضاحية من الضواحي كخطوة تنظيمية إصلاحية⁶؛ لقد أظهر هذا الأمير مقدرته الإدارية وحنكته السياسية حيث تدرج في اتخاذ القرارات قبل الانتقال إلى الحسم العسكري⁷.

فيمم وجهه صوب مكناسة⁸ وأخذها صلحا في سنة 643هـ، ومن الواضح أن هذا الأمير كان يعرف ما يريد وكيفية التصرف عند المواقف المخرجة، فمنذ دخوله إلى مكناسة بدأ الموحدون يدركون خطر المرينيين

-
- 5- هو الأمير محمد بن عبد الحق ويكنى أبو معرف، بويغ بعد أخيه عثمان بوادي رداد في أول المحرم من عام 638هـ، وقتل في المعترك يوم الخميس 09 جمادى الآخرة سنة 642هـ وله 42 سنة، وكانت إمارته 04 سنين و06 أشهر، ينظر: ابن الأحرر، المصدر السابق، ص 16.
- 1- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص 289-290، الذخيرة السنينة...، المصدر السابق، ص 59-60، ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص 43.
- 2- هو الأمير أبو بكر بن عبد الحق ويكنى أبا يحيى وهو العسكري، بويغ بعد أخيه محمد يوم الخميس 09 جمادى الآخرة سنة 642هـ، وتوفي في قصبة مدينة فاس يوم الخميس منسلخ جمادى الآخرة سنة 656هـ، وله 52 سنة وكانت دولته 14 سنة، ينظر: ابن الأحرر، المصدر السابق، ص 17.
- 4- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر نفسه، ص 292، الذخيرة السنينة...، المصدر نفسه، ص 64.
- 5- الشريف محمد، المرجع السابق، ص 69.
- 6- ابن أبي زرع، المصدران نفسهما، والصفحتين نفسهما، ابن خلدون، العبر...، ج 7، المصدر السابق، ص 227.
- 7- ولد خسال سليمان، المرجع نفسه، ص 43.
- 7- مكناسة: وهي أربع مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون، المدن منها تاقارات وتفسيره الخلة، وهو محدث البناء وهو مشرف على بطاح وبقاع مملوءة بفيضات الزيتون فسميت به. وهذه المدينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة، وهي مدينة حليلة فيها أسواق حافلة...، ينظر، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 187.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

وتهددهم لسلطانهم، لذلك قرر الخليفة الموحد السعيد¹ إيقاف الزحف المريني حيث خرج من مراكش² على رأس جيش عرمرم حتى وصل إلى وادي بهت، ولما وقف الأمير أبو بكر على جلية الأمر بنفسه قرر مصالحة الموحدين والدخول في طاعتهم وبعث بذلك إلى الخليفة السعيد فقبل بذلك³، واشترط عليه أن يرسل إليه خمسمائة فارس للخدمة لكي يستقوي بهم على حرب بني عبد الواد الذين استقلوا بتلمسان، ولكن الخليفة السعيد قتل على حين غرة بيد يغمراسن بن زيان زعيم بني عبد الواد وانتهت بذلك مغامراته وتفرق جيشه وانتهت محلته ومعسكره، ولما علم الأمير أبو بكر بذلك أجهز على بقايا جيش الموحدين "بكر سيف" وأخذ أسلحتهم وانتزع الآلة من أيديهم⁴.

لقد أعطى هذا الانتصار نفسا كبيرا لبني مرين الذين اندفعوا لضم المدن والحوضر المغربية حيث دخلت في سلطانهم تباعا كل من مكناسة ورباط تازة وجميع حصون ملوية وذلك في آخر صفر سنة 646هـ، أما مدينة فاس فقد دخلها الأمير أبو بكر صلحا في آخر شهر ربيع الأول سنة 646هـ⁵، لقد أثبت الأمير أبو بكر أنه رجل المهمات الحقيقية حيث نقل قومه من مرحلة القبيلة إلى مرحلة الملك واستكمل ضم جميع أقاليم المغرب الأقصى وهزم الموحدين في عدة مواضع حيث يذكر ابن أبي زرع ذلك: "... وذلك بعد موت السعيد بشهرين، فاستقامت له الأمور بالمغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة والتهنئة وتمهدت البلاد وتأمنت الطرقات وعمارة القرى والمداشر الخالية والاستكنار من الحرث، فرخصت الأسعار وصلاح أمر الناس..."⁶، حيث مهد الطريق للأمراء الذين جاؤوا بعده في مواصلة مرحلة التأسيس وبناء الدولة، فبعد وفاته سنة 656هـ بويح الأمير عمر بن أبي يحيى⁷.

8- هو عاشر الخلفاء الموحدين واسمه علي بن المأمون وتلقب بالسعيد، كانت خلافته خمس سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما، توفي في صفر سنة ست وأربعين وستمائة على يد يغمراسن بن زيان أمير تلمسان، ينظر: أبو القاسم محمد بن سماك المالقي الغرناطي، الحلل المشوية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق الدكتور عبد القادر بوباوية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010م، ص253-254.

9- مراكش: هي مدينة حسنة القطر جميلة المنظر، ومن أكبر مدن المغرب الأقصى لأنها كانت دار إمارة لتونة ومدار ملكهم وسلك جميعهم، ينظر: الشريف الإدريسي، المصدر السابق، المجلد الأول، ص234.

1- ابن أبي زرع، الأنييس المطرب...، المصدر السابق، ص292، ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص228-229، ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص43.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص229.

5- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص293، ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص230.

6- المصدر نفسه، ص294.

5- هو الأمير عمر بن أبي يحيى بن عبد الحق ويكنى أبا حفص، بويح بعد أبيه أبي يحيى بمدينة فاس يوم الخميس منسلخ جمادى الآخرة سنة 656هـ ثم خلعه عمه يعقوب فدولته بفاس ستة أشهر، وكانت دولته بمكناسة سنة واحدة وستة أشهر، ينظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص17.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

ولكن نفرا من أشياخهم وأهل الحل والعقد ارتأوا أن عمه يعقوب بن عبد الحق¹، أصلح للإمارة منه، وكاد الأمر أن يزداد سوءا ويقع الاختلاف بينهم لكن تصالح الأمير عمر وعمه يعقوب على أن تكون بلاد تازة وبطوية وملوية للأمير عمر، وفاس للأمير يعقوب إلى أن خلص الأمر ليعقوب بن عبد الحق بعد مقتل الأمير عمر سنة 656هـ²، وكان هذا الأمير غرة في جبين الدولة المرينية حيث اضطلع بدور ريادي لإيصال المرينيين لتحقيق مبتغاهم المنشود وهو تأسيس الدولة، فقد توفرت فيه صفات القيادة والزعامة والحكمة وبعد النظر والإقدام على الأمور العظيمة ومواصلة ما قام به أخوه الأمير أبوبكر حيث ضم كل أقاليم المغرب الأقصى من بلاد السوس إلى وجدة، وقضى على دولة الموحدين وأزالها من الوجود، وضم مدينة سجلماسة وبلاد درعة ومدينة طنجة، وبلغ ملكه سبتة وبلاد الأندلس ما يزيد عن خمسين إقليمًا وحصنًا وحاضرة، حتى خطب له على جميع منابر المغرب³، واستحق لقب المنصور حيث لم تكسر له راية في معركة من المعارك، لقد كان المنصور عند حسن ظن الجميع حيث أثبت لهم أنه أمير من طراز فريد، قادر عنيد لا يستسلم بسهولة، ولا يصبر على عدوه، أقام العمران وقمع الشرور والفساد، وأجى رسم الجهاد، وأسس دولة عظيمة ووحّد البلاد على كلمة واحدة⁴.

إن المتمعن لصيرورة مرحلة التأسيس يرى طبيعة الظرف الذي استغله المرينيون لإقامة صرح دولتهم، ألا وهو ضعف الدولة الموحدية وكذلك استغلال الفرص التي واتتهم، ثم إن عزيمة وهمة وطموح الأمراء المرينيين كانت وراء نجاحهم الباهر كما لا يخلو الأمر من توظيف لمبدأ الشرعية والأحقية لاكتساب ثقة الناس وتأييدهم، من خلال تمذهب المرينيين بمذهب مالك بن أنس رحمه الله، كل هذا جسد لنا مرحلة التأسيس.

1-3- دور العلماء في تأسيس الدولة المرينية: استغرقت مرحلة التأسيس زمنا معتبرا من عام 614هـ إلى غاية

سقوط مراكش بيد يعقوب المنصور سنة 668هـ، لقد كان المغرب يشهد مرحلة انتقالية بين الدولة الموحدية المنقرضة والدولة المرينية الفتية التي سعت للإثبات وجودها، من خلال البحث عن الشرعية المتمثلة في العلماء واكتساب دعم هذه الفئة، وتجدد الإشارة أن القرائن التاريخية التي تعرضت للتأريخ لهذه الدولة سياسيا وعسكريا، أثبتت لنا دور وجهود النخبة العاملة في إقامة صرح دولة بني مرين، شأنها في ذلك شأن الدولة المرابطية

6- هو أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبا يوسف، لقبه القائم بأمر الله والمنصور به وتلقب في أول أمره بالمؤيد بالله، بويع في سنة 656هـ وتوفي بالجزيرة الخضراء بالأندلس وهو معسكر للجهاد عند الزوال يوم الثلاثاء 22 محرم سنة 685هـ، ودفن بمجمع قصره من البنية، ثم نقل لبر العدة فدفن بشالة من سلا، وله 75 سنة، مولده في عام 609هـ، وكانت دولته 29 سنة وستة أشهر و22 يوما، ينظر: المصدر نفسه، ص 17-19.

2- نضال مؤيد، المرجع السابق، ص 11-12.

3- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص 299.

4- (ـ)، الذخيرة السنينة...، المصدر السابق، ص 118-119.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

بغض النظر عن المتغيرات والاختلاف في جوهر كل حركة¹، وانطلاقاً من هذا التوافق يحق لنا القول أن العلماء اضطلعوا بهذا الدور وسعوا إلى دعم الدولة المرينية، حيث أفصحت المصادر عن سيرة أمراء بني مرين في بداية أمرهم، واتصافهم بصفات الصلاح والتقوى فهذا الأمير عبد الحق²، رأس الأسرة المالكة اشتهر بالتقوى والفضل والدين، والصلاح والبركة واليقين فعد من العلماء والصلحاء والزهاد والأتقياء³. إذ أضحى "... من الضروري أن ينتمي المؤسسون إلى الصف العلمي حتى يكون لحركتهم السياسية والعسكرية مشروعية، وأن المجتمع لم يعط الولاء لدولة وينقض أخرى إلا إذا كان المسؤول عنها عالماً..."⁴، مما يبرز لنا التوجه العام للأمراء الأوائل فقد كان الأمير عثمان بن عبد الحق ذا حياء ودين وفضل مستبين، معظماً للفقهاء مكرماً للصلحاء⁵، ويسوق لنا ابن أبي زرع الفاسي صفات يعقوب بن عبد الحق المنصور التي لا تخرج عن ما اتصف به سلفه من توقير للصلحين وإكرامهم وتعظيم للعلماء وتقريبهم منه⁶.

شكل اتصاف أمراء بني مرين بتقريب العلماء والصلحاء بداية الطريق للمشروع التأسيسي، ومن جهة ثانية أفصح العلماء على حضورهم في مسرح الأحداث وتأثيرهم فيها، فقد وفروا كثيراً من الجهد والعناء على الأمراء عند ضمهم للمدن والأقاليم، فهم أعلم الجميع بشؤون الرعية وصلاحها، ونستشف ذلك عند ضم الأمير أبي بكر لمدينة فاس⁷ حيث "... دخلها صلحاً عن رضا أهلها، فبعث إليه أشياخها فأتاهم فبايعوه بالرابطة التي بخارج باب الشريعة، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه الصالح عبد الله الفشتالي، ثم الفقهاء والأشياخ..."⁸، لقد كان العلماء في مقدمة أهل فاس الذين بايعوا الأمير أبا بكر وعلى رأسهم الفقيه عبد الله الفشتالي الذي كان "... حضوره ملاك تلك العقيدة والبركة التي يعرف أثرها خلفهم في تلك

1- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص91.

4- هو الأمير عبد الحق بن الأمير محيو ويكنى أبا محمد، أبو ملوك بني مرين، ولد ببلاد الزاب سنة 542هـ، دامت ولايته 03 أعوام و06 أشهر، قتل يوم الأحد 22 جمادى الثانية سنة 614هـ وله 73 سنة ودفن بمكناسة، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص14-15.

3- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص285.

4- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص92.

5- ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية...، المصدر السابق، ص38.

6- (-، -)، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص298.

4- فاس: بالسين المهمل، بلفظ فاس النجار: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تحتط مراکش، وفاس محتطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه وقد فجرت كلها عيوناً تسيل إلى قرارة وادبها إلى نهر متوسط مستنبت على الأرض منبجس من عيون في غربها على ثلثي فرسخ منها، ينظر: الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، المجلد الرابع، ط2، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، 1995م، ص230.

8- الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص293.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

البيعة"¹، فانقادوا ورائه واستمعوا لرأيه وشكلت بيعتهم الضمان الذي يلتزم به الأمير أبوبكر² اتجاه أهل المدينة. وغير خاف أن ولع العامة بتقليد العلماء و الانقياد لهم باعتبار أنهم الرموز التي يقتدى بها، فإن هذا الانقياد والولاء عند تأسيس الدولة لم يكن فقط للعلماء المساندين لها بل تجاوز حتى إلى العلماء المعارضين وهذا إن دل على شيء فإنما يدل عن الدور الذي اضطلع به العلماء³، فقد استطاعوا التعامل مع التناقضات والأزمات والأزمات وبالخصوص عندما ثار أهل فاس على المرينيين، حيث اقترح الفقيه ابن الخبا تنفيذ حكم القصاص على أصحاب الثورة وتغريم الباقين، فاستصوب الأمير أبوبكر رأيه ونزل عند اقتراحه، لا لشيء إلا للمكانة التي تمتع بها العلماء عند الأمراء الأوائل حيث يورد ابن أبي زرع هذه الحادثة قائلاً: "... فلما رأى ذلك منهم قبض على أشياخها ورؤسائها وأشرفها فتقفهم في الحديد وطالبهم بالمال والأثاث الذي انتهوه من قصره فقال لهم شيخ منهم يعرف بابن الخبا إنما فعل الذنب منا ستة، فكيف تملكننا بما فعل السفهاء منا؟ ولو فعلت ما أقول لك لكان صوباً وجزماً، قال وما هو أيها الشيخ قال: تخرج هؤلاء الستة الذين سعوا في الفتنة وكانوا رؤوسها للسيف فتعشف بهم وتأخذنا نحن بغرم الأموال، قال صدقت، فقتل الأشياخ الستة...".⁴، يستشف من هذا الكلام أن السلطة حكمت العلماء في قضية شائكة وجسدت قرارهم رغم تبعاته، وهذا يبرز لنا البعد التوافقي التبركي في علاقة السلطة بالعلماء.

والظاهر أن الأمر اكتسى كذلك بعداً مصلحياً تجسد في حرص كلا الفئتين على تثبيت وجودها، من خلال توظيف السلطة لكل نفوذها لإخضاع المناطق والأقاليم وضبطها، أما العلماء فيسعون لإعادة الاعتبار لهم ولمذهبهم خصوصاً بعد ما لقوه من تضييق مذهبي في عهد الموحدين⁵، وهذا ما دفع البعض منهم وخصوصاً الفشتالي للوقوف في وجه التيار الرجعي واستئصاله من جذوره نهائياً⁶، وهو تجسيد لتوجه الدولة للقضاء على المعارضين لها وتم تنفيذ الحكم على الفقيه المغيلي ومن كان معه حيث قتلوا جميعاً حتى يكونوا عبرة لغيرهم⁷.

1- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص205.

2- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص93.

3- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

4- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص295.

5- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص94.

3- الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ج2، فاس، مطبعة حجر، 1316هـ، ص:52، بوزيدي أحمد، المرجع نفسه.

7- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص294-295.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

وفي نفس السياق يمكن الوقوف على صفات العلماء الذين اعتمدتهم الدولة لترسيخ وجودها بحيث "... يمكن إجمالها في استعمال فئة من العلماء موالية للسلطة القائمة وفي نفس الوقت متناقضة في قناعاتها ومصالحها مع التيار المعارض، وهو ما عكسته قصة المغيلي آنفا، أي أن مصلحة الدولة في علماء يناصرونها ويوافقون على مقترحاتها، وإن تعلق الأمر بإعدام زملائهم، تحت غطاء القضاء على الفتنة وموظفيها...¹، إن الظرفية التي تأسست فيها الدولة المرينية كما وضحنا آنفا جعلها تبحث عن مباركة العلماء ودعمهم، وتعرضها لثورة يتزعمها العلماء يفت في عضدها، لذلك لا نستغرب حجم القرار المتخذ من قبل السلطة حتى تضمن تثبيتا كاملا لنفوذها² واستمرارية في قراراتها المستقبلية والأكثر من ذلك جعل العلماء يسكتون عن حوادث الاغتيال السياسي متمثلا في نكبة كثير من العلماء المقربين للسلطة وتصفيتهم كما جرى مع عبد العزيز المزروزي وأبي يحيى بن أيوب ومحمد الكناني، أي أن الدولة تعاطت مع هؤلاء بمنطق نفعي³، كما تم توظيف الجانب الدعائي من خلال تقريب نماذج من العلماء لأهم الأقدار على هذه المهمة من خلال القصائد التي ينظمونها؛ وهذا ما قام به عبد العزيز المزروزي حيث يقول:

أبا يوسف أنت الغياث لدينا وأولوا العلم في أخبارهم بك بشروا
ستملكها شرقا وغربا وقبلة وجوفا فهذا كان في الجفر يذكر⁴

لقد أبان فيها عن استشرافه لمستقبل الدولة كما كان في الوقت نفسه موصلا لخطابها الجديد⁵، بأسلوب الجديد⁵، بأسلوب بسيط مفهوم لدى الخاص والعام جامع بين الحاضر والماضي، وبالمقابل هو يربط الصلة ويوثقها بين شرعية الحكم المريني بالمشروعية الأولى للخلافة، وبين تشييعه على خلفاء الموحدين الأواخر، وهذا يقودنا إلى الجزم بأن الانتماء القبلي للعلماء إلى زناتة وبصرهم باللسان البربري كان له أبلغ الأثر في البعد التواصلية بين السلطة والرعية والسعي للتهدئة والتوفيق بين الثائرين والدولة⁶ ولكنها ارتبطت باحتياجات ومتطلبات السلطة المرينية، التي توافقت وتقاطعت مع رغبات النخبة العاملة، فكيف ستتطور هاته المساندة، وما

1- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص94.

2- المرجع نفسه، ص95.

3- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص385، بوزيدي أحمد، المرجع نفسه، والصفحة نفسها، الهامش رقم01.

4- المزروزي عبد العزيز، نظم السلوك، ص08، نقلا عن بوزيدي أحمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- بوزيدي أحمد، المرجع نفسه.

6- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص377، بوزيدي أحمد، المرجع نفسه، ص96.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

طبيعتها، وكيف استطاعت السلطة توظيف العلماء خدمة لمشروعها وشرعنة سلوكها؟¹ مرة في الجهاد بالأندلس ومرة في مشروع الوحدة المغربية على عاتق المرينيين.

وجمل القول أن العلماء اضطلعوا بأدوار طلائعية عند تأسيس الدولة المرينية، حيث وجدوا فيها نفسا جديدا وعودة لمكانتهم السابقة التي كانت زمن المرابطين بعد أن فقدوها في عصر الموحدين؛ لذلك وقفوا إلى جانبها ودعموها بكل ما لهم من نفوذ علمي وروحي عند العامة، وسعوا إلى لم الشمل وإحقاق الحق ودحض الباطل وتأسيس دولة جديدة صحيحة العقيدة والمذهب يكون فيها الناس أمة واحدة، وإقامة رسم الجهاد ورفع الغبن عن المسلمين وتوحيد المنطقة من جديد وإصلاح أحوالها وإشاعة العدل ورفع الظلم. وهذا ما سيؤكده حضورهم عندما بدأ المرينيون جهادهم في الأندلس وحمائيتهم لسلطان المسلمين بها.

2- العلماء وجهاد المرينيين في الأندلس: استشعر العلماء واجب الجهاد الذي يعد ذروة سنام الإسلام والنفس الذي يحرك المسلمين لرفع راية الحق، ويث الرعب في نفوس أعدائهم فهو أسلوب متقدم من أساليب الدعوة الإسلامية، ووسيلة أكيدة لإزالة المعوقات التي تحول دون انتشار الحق؛ لهذا كان العلماء أدرى الناس بأهمية هذا الواجب وأثره في حياة المسلمين².

2-1- نظرة العلماء للجهاد: الجهاد من جهد يُجهد جهدا، والجهد بفتح الجيم، المشقة والمبالغة والغاية، وبضمها الوسع والطاقة³، ومنه الجهاد وهي الأرض الصلبة المستوية الغليظة الظاهرة التي لانبت بها⁴، ومنه الجهاد الذي نعنيه، وهو مجاهدة العدو ومقاتلته، فيكون الجهاد استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل في مجاهدة الأعداء⁵، تارة بالمال وتارة بالنفس وأحيانا بهما معا⁶. لقد نظر إليه العلماء على أنه مطلب عظيم ووسيلة شريفة شريفة للدعوة إلى الإسلام وإشاعته بين الناس وصنفوه إلى أربعة أصناف هي: جهاد القلب، جهاد اللسان، وجهاد اليد، وجهاد السيف؛ فجهاد لقلب يتمثل في مغالبة الشيطان ودفع مكائده، وحمل النفس على القيام بالواجبات وترك المحرمات⁷، مصداقا لقوله عز وجل: "أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ" (سورة النازعات: الآيتان 40-41)، وأما جهاد اللسان فهو الأمر بالمعروف والنهي عن

1- بوزيدي أحمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- بن بيه محمود، المرجع السابق، ص 288.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 708.

4- المصدر نفسه، ص 709.

5- المصدر نفسه، ص 710.

6- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 418.

7- النووي يحيى بن شرف، المصدر السابق، مج 3، كتاب الجهاد- فضل الجهاد-، ص 396.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

المنكر إذ... ينبغي للذي يأمر بالمعروف أن يقصد به وجه الله تعالى وإعزاز الدين ولا يكون لحماية نفسه، فإنه إن قصد به وجه الله وإعزاز الدين نصره الله تعالى ووقفه لذلك، وإن كان أمره لحماية نفسه خذله الله تعالى...¹.

فذلك كفيلا بكف أصحاب المعاصي عن غيرهم وأمرهم بإتيان الطاعات والقيام بالواجبات وإقامة الحدود وإحياء السنن²، قال الله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"، الآية: 110 سورة آل عمران. وأخيرا جهاد السيف وهو الدعاء إلى الدين الحق³ بقتال المشركين الذين أقيمت عليهم الحجة بدعوتهم بالكلمة الحسنة فأبوا الاستجابة فيصبح لزاما على المسلمين جهادهم بالسيف فهم يشكلون حائلا بين المسلمين والدعوة إلى الإسلام لجميع الناس⁴، حيث قال الله عز وجل: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (سورة الأنفال الآية: 39)، فلا غرو أن الجهاد في سبيل الله يعد مطلبا عظيما أساسيا في حياة الأمة الإسلامية، فهو صمام الأمان لها وبه تظهر على أعدائها وتعلو مكانتها وتحتل مكان الصدر في العالم، فعلى مر الأزمنة يقيض الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة من يصونها ويحميها ويدفع عنها غائلة الأعداء، فكلما ضعفت دولة من الدول سخر الله من يحيي هذه الفريضة العظيمة، ومن ذلك أنه متى تراخت همّة الدولة عن الجهاد وتناقلت عن القيام به إذا هاجم الأعداء حياض المسلمين، أصبح وجودها لا معنى له وسقوطها وشيكا لتترك مكانها لدولة أخرى تعيد هذه الفريضة وتقيمها⁵؛ ونفس السياق توافقت نظرة العلماء مع أهمية الجهاد كونه الأسلوب الأنجع لتبليغ ونشر الرسالة الحمديّة حتى تضمن سلامة وأمن واستقرار المجتمع إزاء أعدائه المتربصين به الدوائر⁶، فالمبادرة بالجهاد والمرابطة على الثغور ومقارعة أعداء الإسلام لها أبعاد كبيرة على المجتمع الإسلامي، والعكس صحيح ذلك أن أقصى الدفاع هو الهجوم، وهذا ما أكدّه النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: "ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بعدابه" وفي الرواية "إلا ذلوا"⁷، فعد من أعظم القربات وأفضل الأعمال وأكثرها أهمية وأجلها ثوابا عند الله لأن فيه بذل للنفس والمال وهما قوام الحياة

1- السمرقندي نصر بن محمد، المصدر السابق، ص44.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص418.

3- الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص58.

4- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص419.

5- بنت سعيد سماح، المرجع السابق، ص12.

6- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

7- الرازي، مناقب سيدنا الإمام مالك، ص: 369، نقلا عن عبد الحكيم عبد الحق، المرجع نفسه، ص: 420.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

الدنيا¹، لذلك فإن الجهاد يكون وإعلاء لكلمة الله تعالى وإحقاقاً للحق وإشاعة للعدل ما دفع العلماء للرفع من قدره وتبيان فضله وأهميته لبقاء الدين وحماية بلاد المسلمين من الأعداء.

2-2- جهود العلماء في الحث على الجهاد: تيقن العلماء أنه لامناص من التأكيد على ضرورة الجهاد في حياة

المسلمين، وبالمقابل خطورة التملص والتقاعد على هذا الواجب العظيم إذ فيه ذل وهوان؛ فعملوا على توجيه المسلمين للجهاد والدعوة لله تعالى وتمكين الدين الحق، مستندين في ذلك على كم معتبر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الصحيحة، التي تعظم الجهاد وتحبه إلى النفوس وتبرز منزلة المجاهدين والشهداء عند الله تعالى وما أعده سبحانه لهم من أجر كريم ودرجات رفيعة في الجنة²، لذلك بذل العلماء جهوداً معتبرة

للتحريض على الجهاد باللسان والتأليف والوعظ والإرشاد والدعاء ووهبوا أموالهم وأنفسهم في سبيل هذا المطلب العظيم³، فهذا ابن مرزوق يبرز لنا من خلال مؤلفه "المسند" فضل الجهاد ومكانته عند حديثه عن جهاد جهاد السلطان المريني أبي الحسن علي، من خلال إيراده لعدد من الأحاديث الصحيحة الإسناد التي استعان بها العلماء لترغيب الجهاد إلى قلوب للمسلمين⁴، فبدأ واضحاً أنهم-العلماء-أدركوا خطورة الموقف إذا لم يبادر المسلمون إلى الجهاد حيث اشتد الضغط الصليبي على المسلمين في الأندلس وأصبحوا في موقف لا يحسدون عليه، لذا اضطلعوا بهذه المهمة العظيمة والغاية المباركة لإنقاذ ديار الإسلام وتثبيت أقدام المسلمين بها، حيث يؤكد أحمد المقرئ هذا الجهد قائلاً: "...ولما تقلص ظل الإسلام بالجزيرة أعادها الله للإسلام، واسترد الكفار، دمرهم الله أكثر أمصارها وقراها، على وجه العنوة والصلح والاستسلام، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميات ذوي البصائر والأبصار، ويستنهضون عزائمهم من كل الأمصار..."⁵، ثم يحدثنا عن عن أحد العلماء وهو الكاتب الرئيس عبد الله بن زمرك رحمه الله على لسانه فيقول: "...فمن ذلك ما كتب به الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرك -رحمه الله- لما نزل المسلمون بآخر مرج غرناطة، متوجهين لفتح خير: اعلموا أنا نذكر لكم ما لا يغيب عن أديانكم و أحسابكم، إن هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده إليها، ورضهم عليها فالآيات في المصاحف مسطورة، والأحاديث مشهورة، لبيع النفوس فيها من

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، ص: 421.

3- ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص: 351.

4- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص: 387-388.

3- المقرئ أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق الدكتور علي عمر، المجلد الأول، الجزء الأول، طبعة خاصة، الجزائر، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011، ص: 54.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

الرحمان، وبذل المهج رغبة في حصول ثواب الملك الديان، يتزل الله فيها الملائكة المسومين، وتفرح الحور العين، وتوسع الرحمة من رب العالمين، ويباهي الله ملائكته بالمجاهدين، وقد تضافرت على ذلك النصوص، وكفى شرفا الفوز بحبة الله في قوله: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص" -سورة الصف: الآية 04- فينبغي فيه الاستغفار من سالف الذنوب، وتطهير السرائر والقلوب واجتماع الأيدي والكلمة في مرضات علام الغيوب...¹، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وعي العلماء بمسألة الجهاد وما فيه من الأجر والثواب في الدنيا والآخرة، وما ينتج عنه من رفعة وسؤدد وقوة وعزة ووحدة الكلمة والصف والتمكين في الأرض، ولم يذخروا وسعا في سبيل ذلك، حيث... صنع الفقيه الأديب مالك بن المرحل رحمه الله قصيدة يحرص فيها بني مرين وسائر المسلمين على جهاد الكافرين ونصرة من في بلاد الأندلس من المسلمين... فقرئت القصيدة بصحن جامع القرويين من فاس يوم الجمعة بعد صلاة فبكى عند سماعها وانتدب كثير منهم للجهاد...²، ونحنا نحوه الفقيه أبو القاسم العزفي صاحب سبته³ حيث بعث برسالة إلى قبائل المغرب و صلحائهم يستنفرهم بها إلى الجهاد، فقرئت في سائر أنحاء بلاد المغرب وسمعها الناس⁴، ميرزا فيها أهمية الذود عن حياض المسلمين وأجر ذلك عند الله تعالى، وذكر ابن مرزوق في نفس السياق ما جرى في مجلس الإمام الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن الإمام حينما فتح السلطان أبو الحسن المريني جبل طارق فقال هذا الأخير: "...أبشروا معشر المسلمين، هذا جبل الفتح قد أعاده الله للمسلمين وجبر صدعهم وعاد الفتح الأول كيف كان..."⁵، فعمت الفرحة وأصوات الحمد والشكر، ثم طلب أبو زيد من الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي الدعاء "...يا فقيه أبا محمد، ادع الله لنؤمن على دعائك لمن فتحه الله على يديه فارتفعت الأصوات بالدعاء وانطلقت الألسنة بالثناء..."⁶، وهذا أبرز دليل على تفاعل العلماء مع أخبار الجهاد والانتصارات التي بلغتهم وتمنوا تواصلها واستمرارها، ساعين في ذلك لعز الإسلام والمسلمين.

2-3- مشاركة العلماء في عمليات الجهاد بالأندلس: لم يكتف العلماء بالدعوة للجهاد باللسان والتأليف

وتحريض الناس فقط، بل اعتبروا أنفسهم أكثر أفراد المجتمع الإسلامي مسؤولية لإقامة رسم الجهاد، فلم يفوتوا

1- المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

2- ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية...، المصدر السابق، ص 98، وانظر القصيدة في الصفحتين 99-100.

2- سبته: هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة، ينظر: الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص 182.

4- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 102، وكذلك نص الرسالة في الصفحات 102-103-104-105-106-107-108-109.

5- المستند...، المصدر السابق، ص 390.

6- المصدر نفسه، ص 391.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

أي فرصة تسنح لهم للخروج إلى المعارك والمشاركة فيها، حيث أضحى حضورهم بجانب الجنود يكتسي طابعا خاصا، ويعطيهم الحيوية وقوة الإقدام وشدة البأس ورباطة والثبات في حرب العدو حتى النصر أو الشهادة.

إن الحديث عن الجهاد الذي قام به المرينيون في الأندلس حديث يكتسي خصوصية فيما جرى بهذه البلاد، ومعرفة لمواطن القوة والضعف التي عرفها تاريخها الطويل فقد "... فقد كانت عدوة الأندلس منذ أول الفتح ثغرا للمسلمين، فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم، وكانت مواطنهم فيه على مثل الرضف، وبين الظفر والتاب من أسود الكفر لتوقر أمهم جوارها وإحاطتهم بها من جميع جهاتها..."¹، هذا ما جعل دولة الإسلام في الأندلس في مواجهة دائمة مع نصارى الشمال حيث لم تتوقف الحرب بين الطرفين إلى غاية سقوط آخر معاقل المسلمين بها وضياعها إلى الأبد، وفي كل مرة يبعث الله من ينقذ المسلمين خصوصا إذا أدركنا بأن الوجود الإسلامي في الأندلس تميز بالمد والجزر، على حسب قوة المسلمين وطبيعة السلطة الحاكمة لذلك كله بذل العلماء كل ما في وسعهم للحفاظ على كل قطعة من أرض الأندلس²، آخذين في اعتبارهم ضرورة توحيد كلمة المسلمين من جديد وأن العدو لا يقوى إلا باختلافهم "... بما وهبهم الله من وعي لتدابير الأعداء، وسبر لمكائدهم؛ وكذلك بما يدركونه من واجب عليهم اتجاه دينهم وأمتهم هبوا يستنفرون الناس، ويستنهضون الهمم ويلهبون المشاعر، ويستثيرون الحماس، ويذكون جذوة الإيمان في قلوب مجاهدة ذلك العدو، والتصدي لأعماله العدوانية، وغارته التخريبية، ومخططاته التوسعية..."³، فالتمتع لصيرورة تاريخ المسلمين في الأندلس يتضح له أن بقاء الحكم الإسلامي بها مرهون بوحدة المسلمين يتضح له أن بقاء الحكم الإسلامي بها مرهون بوحدة المسلمين وتراص صفوفهم فيها يغلبون أعداءهم ويكون لهم التمكين، وتأتلف قلوبهم ويتعدون عن الفرقة والاختلاف والتشردم والتنازع، فهو كفيل بمنعهم من تهديد النصارى المتربصين بهم الدوائر سواء الممالك في الشمال أو الأقليات الموجودة في صلب الدولة الإسلامية بالأندلس⁴، لذلك اضطلع العلماء بدور ريادي لإضفاء الوحدة السياسية من جديد على هذا الصقع المنقطع عن بقية بلاد المسلمين؛ حيث كانت بلاد المغرب ضمانا للأندلس والمجن الذي يحميها، فلا غرو أنهم مدوا أيديهم لدولة المرابطين⁵ لإضفاء الوحدة وقطع دابر التنازع والفرقة التي شهدتها عصر ملوك الطوائف (422هـ -

1- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص250.

2- ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص351.

3- أبا الخليل محمد بن إبراهيم، المرجع السابق، ص153.

4- المرجع نفسه، ص176، بن بيه، المرجع السابق، ص139.

5- الصلابي علي محمد محمد، دولة المرابطين، ط2، المنصورة، مكتبة الإيمان، 2006، ص137.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

479هـ/1031م-1086م¹، و اغتبطوا كثيرا لقدوم رهط المرابطين بقيادة أميرهم يوسف بن تاشفين(400هـ-500هـ)² وعدوه نصرا كبيرا³، حتى اعتبره أحد العلماء أنه حدث "...رغم أنوف الفسقة سلاطين الأندلس..."⁴ وأخيرا نجحت جهود العلماء وتم إنقاذ حياض المسلمين في معركة الزلاقة سنة 479هـ⁵، التي تعد من المعارك الهامة في إطار الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس⁶، كما أدى العلماء دورهم على أحسن وجه ولم يكتفوا بالدعوة إلى الجهاد وتوحيد الكلمة واستنهاض المهمة بالمواظ⁷، بل شاركوا في معركة الزلاقة مؤثرين الشهادة في سبيل الله دحرا للصليبيين ونكاية فيهم وإعازا للإسلام وأثبتوا من جديد أنهم ضمير الأمة الحي وأساس ثباتها⁸.

أضحى واضحا أن الأندلس ستشهد عهدا جديدا يختلف تماما عن الواقع الذي عرفته، لذلك شكلت معركة الزلاقة منعطفًا حاسما ونقطة تحول في تاريخها ومستقبلها القادم، وانطلاقا من ذلك أصبح موقف العلماء من ملوك الطوائف يأخذ منحى آخر يتجه نحو إزالتهم وخلعهم عن عروشهم، وبدؤوا أولا بإبراز مساوئهم وتعسفهم وإرهاق كاهل الرعية بالضرائب والمكوس⁹، وتجديد الاتصال بالعدو ومهادنته، فلاغرو أن العلماء

5- يعد عصر ملوك الطوائف من أكثر عهود التاريخ الأندلسي تعقيدا وتشابكا واضطرابا، ففيه انفرط عقد البلاد وتقاسمته نحو ستة وعشرين دولة تتفاوت فيما بينها في الحجم والقوة والضعف، حتى كان لكل مدينة تقريبا حكمها المستقل متخذة لقب الملك أو الأمير أو الوالي أو القاضي تبعا لحجم المنطقة أو التي يحكمها، ينظر، طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر. والتوزيع، 1429هـ/2008م، ص427.

6- هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت الصنهاجي الحميري، كنيته أبو يعقوب، وكانت خلافته من أول ولايته بالمغرب باستخلاف ابن عمه الأمير أبي بكر بن عمر، وانصرافه إلى الصحراء إلى حين وفاته أربعاً وثلاثين سنة، وبالأندلس من خلعه لعبد الله بن بلقين إلى حين وفاته سبع عشرة سنة، ينظر: بن سماك العاملي، المصدر السابق، صص 70-72.

3- بن بيه، المرجع السابق، ص143.

1- ابن بلقين عبد الله، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة "مذكرات الأمير عبد الله"، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف، 1955م، ص134.

5- ينظر تفاصيل معركة الزلاقة في: ابن سماك العاملي، المصدر السابق، صص 93-123.

6- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص490.

4- وانس صلاح الدين، علماء الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف (دراسة في أدوارهم العلمية والسياسية-422هـ-479هـ/1030م-

1086م-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص تاريخ وحضارة، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر(1)، 1431هـ-1432هـ/2010م-2011م، ص265، بن بيه، المرجع السابق، ص145.

5- استشهد في هذه المعركة جماعة من العلماء منهم: قاضي مراكش أبو مروان عبد الملك المصمودي ورفيقه الفقيه أبو محمد يعلى المصمودي الذي كان قاضيا بالدعوة، وكذلك الفقيه أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي، ومن استشهد أيضا الفضل والد الحافظ أبي محمد بن حزم وكان من أهل العلم، أما الذين حضروا المعركة من العلماء المرابطين فكثير كان في طليعتهم قاضي الجماعة بمراكش يوسف بن الملحوم والفقيه أبو مروان العذري والفقيه أبو بكر بن القصيرة، ينظر: المقرئ، نفح الطيب...، ج6، المصدر السابق، ص: 145، بن بيه، نفسه، صص 145-146.

9- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص498، بن بيه، المرجع السابق، ص151.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

أدركوا أن ضم الأندلس للحكم المرابطي ضرورة ملحة جدا ستحقق هدفين أحدهما: دفاعي آني لحماية ما تبقى من بلاد الإسلام، والثاني استراتيجي بعيد المدى وهو حماية المغرب الأقصى من هذه الحملة الصليبية الشرسة¹، مستندين في ذلك على الأثر الذي ستخلفه فتاوبهم على أفراد المجتمع الإسلامي صغيرهم وكبيرهم وعالمهم وجاهلهم²، فأفتوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بجواز خلع من تناقل عن جهاد العدو من ملوك الطوائف أو ثبتت خيانتته³، وأن لا تأخذه رافة بهم إن امتنعوا عن ذلك⁴، تحقيقا لوحدة الكلمة ثم مقارعة الأعداء. والظاهر أن العلماء ما فتئوا ينفرون إلى ساحات الوغى سعيا منهم للمشاركة في المعارك القادمة مع نصارى الشمال، ضارين أروع الأمثلة لبقية أفراد المجتمع الأندلسي؛ فصحبوا الجيوش المجاهدة رافعين راية التوحيد منتضين الأسلحة وممتشقين السيوف ومتقدمين الصفوف⁵ مقبلين غير مدبرين ناشدين الشهادة في سبيل سبيل الله أو النصر، وقد تواصل ذلك في عصر المرابطين حتى نهايته، ثم استمروا على هذا النحو في عصر الموحدين بل كانوا في مقدمة من استدعاهم لبسط سلطانهم على الأندلس طالما أنهم رفعوا علم الجهاد وأقاموا رسمه وبذلوا الرجال والمال والعدة لمقارعة ممالك النصارى في الشمال حفاظا على سلطان المسلمين في الأندلس⁶، وكان دأب العلماء الاشتراك في المعارك سواء الصغيرة أو الكبيرة كما مر بنا في معركة الزلاقة، ومن المعارك المصرية التي شاركوا فيها معركة الأرك في 09 شعبان 591هـ⁷.

في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور (580هـ-595هـ/1184م-1199م)⁸، وقد صحب معه علماء المغرب

1- بن بيه، المرجع نفسه، ص157.

2- أبا الخليل محمد بن إبراهيم، المرجع السابق، ص154.

3- المرجع نفسه، ص178.

4- المقرئ، نفع الطيب...، ج4، المصدر السابق، ص373.

5- أبا الخليل محمد بن إبراهيم، المرجع السابق، ص273.

2- القرظي معمر الهادي محمد، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (541هـ-629هـ/1146م-1233م)، ط1، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، صص88-128، أبا الخليل محمد بن إبراهيم، المرجع نفسه، صص218-228، طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، صص532-536.

3- جرت المعركة في الجواز الثاني للخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور، وفيها كانت الهزيمة العظمى على النصارى التي لم يعهد مثلها، وهي تسمى وقعة الأرك، وأمر كاتبه أبا الفضل بن أبي الطاهر أن يوجز في كتاب هذا الفتح، وأن ينحو فيه منحى كتب الصحابة رضوان الله عليهم سنة إحدى وتسعين وخمسائة، ينظر: ابن سماك العاملي، المصدر السابق، صص241-242.

4- يعد من أعظم خلفاء الموحدين، تولى بعد أبيه الخليفة يوسف، كنيته أبو محمد وأبو يوسف، لقبه المنصور بالله، دامت خلافته: أربع عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة أيام، وكان ذا رأي وعزم ودين وسياسة، وهو أول من كتب العلامة بيده من الموحدين (الحمد لله وحده)، فجرى عملهم على ذلك، وهو واسطة عقدهم الذي ضخم الدولة وشرفها، ينظر: المصدر نفسه، ص:240، ابن زرع الفاسي، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص217.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

وصلحائه وكان يعتبر دعاءهم أقوى سلاح له في مجاهدة النصارى¹، شكلت هذه المعركة انتصارا حاسما للمسلمين في وقت مهم للغاية عزز جبهة المسلمين مما جعل العلماء والفقهاء يفرحون ويسرون كثيرا بهذا النصر الذي من الله به عليهم² الذين بذلوا جهودا معتبرة في التعبئة للجهد وشحذ المهمة وإبداء النصيحة، حتى إذا إذا تكاملت حشود المسلمين قام الخطباء يعرضون على الجهاد والثبات رفعا للمهم³، في مواجهة العدو حتى "... خلصت لله ضمائرهم وسرائرهم، وقويت أنفسهم واعتزاهمهم، وتضاعفت نجاتهم وإقدامهم..."⁴، وكان المنصور معولا على دعاء العلماء واعتبره أمضى سلاح في هذا الوقت فتوجه إلى أن ينصره على عدوه فطلب أن يدعو بذلك "كل من يظن عنده خيرا من الصالحين..."⁵، ولم ترد إشارات في المصادر المؤرخة للمعركة ذكر لعلماء استشهدوا بأرض المعركة ويكفيهم فخرا أنهم كانوا في طليعة الجيش الإسلامي وأدلوهم بدلوهم في أحداث المعركة.

لم تكن معركة الأرك آخر المعارك الكبرى في الأندلس بل تسارعت الأحداث لتفصح عن مواجهة من أكبر المواجهات على طوال تاريخ المسلمين وعلى ضوئها سيشهد تاريخ الأندلس تحولا كبيرا، وتتغير المعطيات تغيرا جذريا بحيث قاد الخليفة الموحد محمد الناصر (595هـ-610هـ/1199م-1214م)⁶ حركة جهادية ضد نصارى قشتالة وحلفائهم، بدأت بعبوره إلى الأندلس في ذي القعدة سنة 607هـ/1211م⁷، وانتهت بوقعة العقاب في صفر سنة 609هـ/1212م⁸. التي شارك فيها جمع من العلماء العلماء كدأهم في كل معركة⁹، حيث خرجوا من كل حذب وصوب بدءا بمدن الأندلس وكورها وحواضرها

1- القروطي معمر الهادي محمد، المرجع السابق، ص197، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص:222، أبا الخليل، المرجع السابق، ص291.

2- الصلابي محمد، دولة الموحدين، المرجع السابق، ص180.

3- أبا الخليل، المرجع نفسه، ص293.

4- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1406هـ/1986م، ص219.

5- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص359.

6- هو أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الزناتي الكومي الموحد، لقبه الناصر لدين الله، بويغ له بولاية العهد في حياة أبيه، ووجدت له البيعة بعد وفاته، وذلك يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه، وأخذت له البيعة في جميع أقطار طاعة الموحدين، ودعي له على المنابر، وكانت مدته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما، ووفاته بمراكش في شعبان سنة عشر وستمائة، ينظر: بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص231، ابن سناك العاملي، المصدر السابق، ص244.

7- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص398.

8- ابن سناك العاملي، المصدر السابق، ص244.

9- أبا الخليل محمد بن إبراهيم، المرجع السابق، ص295.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

وإنتهاءا بجواضر المغرب وأقاليمه¹، اصطفوا في صدر الجيش الموحي استعدادا للمعركة الفاصلة التي أسفرت عن هزيمة ساحقة ونكسة مفجعة للمسلمين² قتل فيها عدد هائل منهم³، "طائفة كبيرة- يطول تعدادهم- من العلماء الفضلاء..."⁴ الذين جاؤوا كما أشرنا سابقا من كل المدن والأقاليم الأندلسية والمغربية والمغربية على ضوء ما تم رصده في المصادر التي بينت على أن كل منهم قد قضى نحبه في هذه الموقعة الكبرى. وحرى بنا الفخر بمؤلاء العلماء الذين أظهروا شجاعة كبيرة وبسالة عظيمة محرزين على الجهاد والثبات وصدق النية وطلب الشهادة في سبيل الله، مقبلين غير مدبرين ضارين أروع الأمثلة في ذلك⁵، فقد كان ديدن العلماء المسلمين وفقهائهم وقضاتهم تصدر المقدمة عند الأحداث والملمات وفي المخاطر ويتسابقون في بذل دمائهم وأرواحهم من أجل الإسلام والمسلمين⁶، وكما سجلوا حضورهم في المعارك المصيرية واصلوا على نفس نفس المنوال مشاركتهم في الدفاع عن المدن وحمايتها؛ فقد خاطروا بأنفسهم وتسللوا من المدن لمقابلة القادة المنوط بهم رد العدو ودحره، كما لم يفوتوا الفرصة من أجل الكتابة إلى أصحاب الشأن في الأندلس لاطلاعهم على ظروف المدينة وتذكيرهم بأنجح الوسائل لإنقاذها من براثن العدو⁷. لقد أضحى الموقف حرجا بعد معركة معركة العقاب وما انجر عنها من انفراط عقد السلطان على الحملة وضياع حواضر الأندلس الكبرى تباعا، أمام اتحاد جبهة النصارى الذين انطلقوا لدك الحصون واحتلال المدن الأندلسية، وبالمقابل حالة الذعر والفوضى وانحطاط الروح المعنوية، ومما زاد الطين بلة هو دخول الموحيين وأشياخهم في صراع حول الحكم أدى إلى استقلال عدة أقاليم عن الدولة الموحدية وإهمال الأندلس التي أصبحت كالريشة في مهب الريح⁸، وزيادة على ذلك فقد انحصر الوجود الإسلامي في أقصى جنوب الأندلس بمدينة غرناطة⁹، التي تأسست فيها دولة بني نصر

1- المرجع نفسه، ص 299-300.

7- للوقوف على أسباب هزيمة المسلمين في موقعة حصن العقاب، ينظر: طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص 555-556، الصلابي محمد، دولة الموحيين، المرجع السابق، ص 207-208، القرقوطي معمر الهادي محمد، المرجع السابق، ص 235.

8- يذكر ابن أبي زرع الفاسي أنه بقي القتل في المسلمين إلى الليل، وتحكمت فيهم سيوف الروم فاستأصلوهم حتى فني جميعهم ولم ينج منهم إلا الواحد في الألف، ينظر: الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص 239.

9- النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا "تاريخ قضاة الأندلس" بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1400هـ/1980، ص 116.

5- أبا الخليل محمد بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 301.

6- الصلابي محمد، المرجع السابق، ص 207.

7- أبا الخليل، المرجع السابق، ص 357-363.

8- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص 559-575.

4- غرناطة: معنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس، سمي البلد لحسنه بذلك؛ وهي أقدم مدن كورة ألبيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، بينها وبين ألبيرة أربعة فراسخ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 195.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

نصر أو بني الأحمر (635هـ-897/1237م-1492م)¹، حيث تمكن محمد بن الأحمر في ظل هذه الظروف من تأسيس آخر مملكة إسلامية حفظت سلطان المسلمين بالأندلس، وقد ضمت الطرف الجنوبي من الجزيرة الأندلسية جنوب نهر الوادي الكبير إلى البحر المتوسط، حيث الجزيرة الخضراء وجبل طارق، وفي لورقة في ولاية مرسية شرقا إلى البحر المتوسط؛ ومن الشمال حتى قلعة يحصب في ولاية جيان إلى شذونة في ولاية قانس غربا؛ شملت ثلاث ولايات كبيرة: ولاية غرناطة في الوسط وفيها العاصمة غرناطة وولاية ألمرية في الشرق، وولاية مالقة في الجنوب والغرب²، لقد مهد محمد بن الأحمر لبداية أمره في سنة 629هـ/1232م حيث بويع بالإمارة في مدينة أراجونة مسقط رأسه³، وأبدى هممة عالية وسموا إلى الملك حيث دخلت في طاعته إشبيلية⁴ وقرطبة⁵ وجيان⁶، كما دعا للخليفة العباسي المستنصر⁷، بحثا عن الشرعية حتى استقام له ويمكن لدولته على أسس ثابتة وبذلك تأسست مملكة غرناطة في وقت عصيب، مغتتما هذا الظرف واستعمل كل الطرق والوسائل لبلوغ غايته مدركا خطورة الوضع والمغامرة والمجازفة غير المحمودة العواقب في مقاومة المد النصراني الجارف الذي التهم كل حواضر الأندلس ومدنها الكبرى⁸، فاكتشف استحالة رده مقابل التفاهم على تأمين مملكته والانضواء تحت ملك قشتالة، مضحيا بحريته السياسية متطلعا إلى تطورات جديدة في وضع الأندلس، ووجه نظره إلى بلاد المغرب جريا على نهج الأندلسيين الذين رأوا في أمراء المغرب أعظم سند لهم ورأى أن يلتمس

5- أسسها محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن حميس بن نصر بن قيس الخزرجي، بالمعروف بابن الأحمر، نظرا لنظرة وجهه واحمرار شعره على الأرجح، ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، *المحة البدرية في الدولة النصرانية تحقيق لجنة إحياء التراث العربي*، ط3، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1400هـ/1980م، ص42، طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص: 577، الصلابي محمد، المرجع السابق، ص236، الحجي عبد الرحمان علي، *التاريخ الأندلسي (من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92هـ-897هـ/711م-1492م)*، ط2، دمشق، بيروت، دار القلم، 1402هـ-1981م، ص157.

2- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص28-30، الحجي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص518.

3- المصدر نفسه، ص42.

1- إشبيلية: بالكسر ثم بالسكون، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، ولام، وياء خفيفة؛ مدينة كبيرة عظيمة وليس اليوم بالأندلس أعظم منها، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريه، وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، تقع غربي قرطبة بثلاثين فرسخا، ينظر: الحموي، المصدر السابق، المجلد1، ص195.

2- قرطبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة أيضا، والباء الموحدة، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريرا للملكها وقصبتها بينها وبين البحر خمسة أيام، ينظر: المصدر نفسه، المجلد4، ص324.

3- جيان: بالفتح ثم التشديد، وآخره نون، مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة ألبيرة مائلة عن ألبيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلدان، ينظر: المصدر نفسه، مجلد02، ص195.

7- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص43، القرقوطي معمر الهادي محمد، المرجع السابق، ص258.

8- طقوش محمد سهيل، المرجع نفسه، ص579.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

مساعدتهم¹، وطبيعي أن يكون المرينيون -بحكم القرب الجغرافي- أكثر الدول استجابة لاستغاثة ابن الأحمر حيث رفعوا راية الجهاد، وحز في نفس السلطان يعقوب المنصور ما بلغه من أخبار الأندلس المتردية ووصلته رسائل مشحونة بطلب المساعدة للذود عن حياض الإسلام وبتدارك الوضع قبل وقوع الكارثة، فنارت حميته وقرر إرسال الجيوش إلى الأندلس حيث يقول ابن أبي زرع "...وفي هذه السنة (662هـ) جاز الفارس الأنجد عامر بن إدريس في جمع من بني مرين المطوعة يزيدون عن ثلاثة آلاف فارس برسم الجهاد، فعقد لهم أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رايته المنصورة، وأعطاهم العدد والخيول وودعهم ودعا لهم، وهو أول جيش من بني مرين جاز إلى الأندلس..."²، فاستقوى بهم محمد بن الأحمر وتمكن بفضلهم أن يجبر ألفونسو العاشر ملك قشتالة، على رفع الحصار الذي فرصة على حاضرة ملكه، وحصل بعض الظفر عندما استولى على مدينة شريش من أيدي النصارى³، وكان المنصور قد كتب إلى الفقيه أبي القاسم العزفي طالبا منه تجويز المقاتلين إلى العدو الأندلسية⁴، المهم أن السلطان أبا يوسف لما فرغ من تأسيس الدولة المرينية ودخول مراكش، واتجه للاهتمام بشؤون الأندلس حيث في سنة 672هـ "...اتصل به ماهي عليه بلاد الأندلس من الضعف ومكاثرة العدو وشدة الخوف..."⁵، وفي نفس الوقت بلغه كتاب من ملك غرناطة يطلب منه العون والمدد وإعانة المسلمين في الأندلس، فوافق فيه عزمًا على المضي قدما للجهاد في سبيل الله فلبى استغاثة؛ مدركا أن الأمر يحتاج إلى انتصار كبير يقطع خطر النصارى زما طويلا ويعيد للأندلس بعض ما ضاع منها⁶، والظاهر أن أمير المسلمين بدأ بالتعبئة على وجه السرعة فعندما بلغ طنجة أرسل إلى الفقيه أبي القاسم العزفي وأوماً إليه "...بتعمير الأساطيل لجهاد المشركين، وإصلاح الأجفان وإعدادها لجواز المجاهدين..."⁷، فجهز العزفي عشرون سفينة حملت خمسة آلاف مجاهد، كانت هذه الحملة جس نبض واستكشاف للبلاد ولطرق العدو في الحرب لذلك عادت الحملة محملة بالغنائم والسي⁸، شجعت هذه الحملة المنصور على الجواز بنفسه هذه المرة معتمدا على

1- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص580.

2- الأنيس المطرب... المصدر السابق، ص:303، الذخيرة السننية... المصدر السابق، ص:98.

3- ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السننية... المصدر نفسه، ص:100، طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص:580.

4- المصدر نفسه، ص:98.

5- المصدر السابق، ص140.

6- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر... ج7، المصدر السابق، ص:253، ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب... المصدر السابق، ص:313.

7- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص:313.

8- المصدر نفسه، ص:314، ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص:254.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

جهود العلماء وواجبهم الشرعي في رفع الهمم وتعبئة المجاهدين لتأدية واجب الجهاد والنصرة¹، وفي نفس الصدد طلب من ابن الأحمر أن يتنازل له عن بعض المعامل ليتخذها قاعدة ينطلق منها لجهاد العدو فأعطاه رندة وطريف²؛ ولن نخوض طويلا في تفاصيل الجواز حتى لا نخرج عن سياق الموضوع؛ وعليه لما تكامل جمع المرينيين المرينيين وعساكرهم واستقروا ببلاد الأندلس وانتشرت من مدينة طريف إلى الجزيرة الخضراء، قدم المنصور مع خاصته ووزرائه وخدام دولته ومعه جماعة من صلحاء المغرب يوم الخميس 21 صفر 674هـ³، وسار من فورهِ بجيوشه إلى حصن الفرنتيرة مستبيحا البسائط والحصون القشتالية حتى بلغ حصن القورة وأبدا على مقربة من شرقي قرطبة، مما أدى إلى خروج القشتاليين للذود عن أراضيهم في جيش ضخم بقيادة "دون نونيو دي لارا" صهر الملك ألفونسو العاشر⁴، وفي هذه الأثناء كان المنصور وجيشه في مدينة أستجة فانتهاز الفرصة ودعا "...أشياخ قبائل مرين وأمراء العرب وقواد الأندلس والأغزاز ومن في عسكره من الفقهاء والصلحاء والقبائل وأشياخهم المطوعين ليشاورهم كيف يكون العمل في لقاء العدو المقبل إليهم إتباعا لأمر الله تعالى واقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم..."⁵، كان واضحا أن المعركة ستكون مصيرية على المدى المتوسط والبعيد بالنسبة للجانين، نشبت المعركة يوم السبت 15 ربيع الأول 674هـ/08 أيلول 1275م وتمخض عنها انتصار حاسم للمسلمين ثبت أقدامهم بالأندلس وقطع دابر ملك قشتالة الذي تكبد جيشه خسائر فادحة بما فيهم "نونيو دي لارا" قائد الجيش وغنم المسلمون جميع ما في المعسكر من غنائم⁶، كما كتب كتب المنصور رسالة بعث بها إلى المغرب يشرح فيها مجريات المعركة والنصر الذي تحقق على أعداء الملة، والأكثر من ذلك أثبت العلماء حضورهم بحيث كتب الفقيه أبو القاسم العزفي إلى فقهاء المغرب وصلحائه بتفاصيل الغزوة مما يوضح تكاثف العلماء والفقهاء وتشوقهم لمعرفة أخبار الجهاد وأحوال النصر والتمكين للإسلام⁷، مدركين أهمية هذا النصر وأبعاده حيث كان بوزن معرفتي الزلاقة والأرك، حيث أعاد الروح في نفوس المسلمين وأزال الخطر على مملكة غرناطة ولو إلى حين وأنساهم هزيمة معركة العقاب الوخيمة⁸، وفي

1- ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص352.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص254.

3- ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنوية...، المصدر السابق، ص145.

4- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص586، الصلابي محمد، المرجع السابق، ص241.

5- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص148.

6- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص255، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص57.

7- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص152، وبخصوص تفاصيل الرسالة ينظر الصفحات التالية: 152-153-154-155-156.

8- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص586.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

نفس السياق شجع هذا الظفر الكبير على مواصلة المنصور جوازه إلى الأندلس وتحقيق انتصارات أخرى؛ ذلك أن التدخل المريني في الأندلس تمخض عنه عدة نتائج أثرت في مستقبل كلتا الدولتين ولكن بدرجات متفاوتة¹، والظاهر أن هذه الغزوات التي غزا بها المنصور الأراضي القشتالية لم تغير شيئاً من حال الطرفين المتحاربين وبقيت الأراضي والشعور على حالها، إذ كانت المبادرة بالهجوم خيراً من المدافعة وإبرازاً لقوة المرينيين وبحثاً عن الشرعية بإقامة رسم الجهاد²، وبغض النظر عن ما شاب علاقة المنصور بابن الأحمر محمد الثاني³، ومن الثاني³، ومن فتور ودسائس ووحشة وتخوف⁴، لذلك تميز الجواز الرابع للسلطان يعقوب المنصور سنة 681هـ. بإعادة الأمور إلى مجاريها وسابق عهودها وتعهد بعدم التدخل في شأن ابن الأحمر في أي أمر من الأمور وأن لا يضره فيما سواه⁵.

وقبل محمد الثاني من جهته باستقبال نفر من بني مرين في دولته حتى يعينوه على مدافعة النصارى ويرابطوا بشكل مستمر، وسموا بمشيخة الغزاة وهي منصب مستحدث دعت إليه الضرورة الملحة⁶، كانت هذه المشيخة عنواناً على تواصل الدعم المريني لمملكة غرناطة حيث يقول عنها: "... ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال، وتركوا منهم حصّة معتبرة من أقارب السلطان بالأندلس غزاة، فكانت لهم وقائع في العدو مذكورة، ومواقف مشكورة، وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطة، وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة..."⁷، وسار على نهج يعقوب المنصور ابنه يوسف الناصر⁸، في التعامل مع ملوك غرناطة ومواصلة الجهاد؛ إذ "... كان أول شيء أحدث من أمره أن بعث إلى ابن الأحمر

4- هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة (670هـ-783هـ/1271م-1381م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م-2009م، ص42.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص586-587.

6- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر الملقب بالفقيه لعلمه وتقواه، خلف أباه في الحكم بعد وفاته، ويعد المؤسس الحقيقي لدولة بني نصر ومدير السلطان ورسومه ومنظم الدواوين وجبايتها، كان داهية محنكا ذو حزم، حكم ثلاثين سنة، توفي سنة 701هـ، ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص50.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص262.

5- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص273، عامر أحمد عبد الله حسن، المرجع السابق، ص105.

6- حول مشيخة الغزاة ينظر: الفصل الثاني من رسالة ماجستير هلال فؤاد، المرجع السابق.

7- المقري، نفح الطيب، ج4، المصدر السابق، ص385.

2- هو عبد الله يوسف أمير المسلمين، ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق، كنيته أبو يعقوب ولقبه الناصر لدين الله، ولد في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلثين وستمئة، بويع له بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس يوم وفاة أبيه وذلك في غرة صفر من سنة خمس وثمانين وستمئة، وكانت مدته إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ونصف أشهر، ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص374، ابن سبائك العاملي، المصدر السابق، ص271.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

وضرب له موعدا للاجتماع به فبادر إليه ولقيه بظاهر مرباله...وتجافى له عن جميع الثغور الأندلسية التي كانت في ملكة أبيه ونزل له عنها ما عدا الجزيرة ورندة وطريف وتفرقا من مكائهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة...¹، وبذلك توطأ للسلطان يوسف أمر الأندلس واستراح باله منها فكانت الخطوة الآتية أنه عقد لأخيه أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوماً إليه بضبطها وولى الشيخ المجاهد أبي الحسن علي بن يوسف بن يزكاتن على مسلحتها وفوض إليه أمور الحرب وأمدته بثلاثة آلاف من بني مرين والعرب ثم عبر البحر إلى المغرب²، وفي سنة 690هـ/1291م نقض شاذحة الرابع معاهدة الصلح في ظروف غامضة وهاجم ثغور مملكة غرناطة³، فأوعز أبو يعقوب إلى صاحب الحرب الشيخ علي بن يوسف بن يزجاتن بالإغارة على شريش وأتخن في بلاد العدو شرقا وغربا⁴، في انتظار جواز السلطان يوسف على رأسه جنده، وفي هذه الأثناء بعث شاذحة أسطوله إلى بحر الزقاق لقطع الطريق ويمنع الإمدادات من بلوغ العدو الأندلسية، فبعث السلطان المريني أسطوله لمواجهة الأسطول القشتالي في شعبان 690هـ/آب 1291م، غير أنه تعرض للهزيمة ثم أرسل أسطولا ثانيا لكن الأسطول القشتالي آثر الإنسحاب على المواجهة مع المرينيين⁵، وقد ساهم العلماء بدورهم في دفع المقاتلين إلى إخلاص العزائم لله ووعظهم ورفع هممهم وذكروهم بالصبر ومجالدة العدو، وقد أحسن الفقيه أبو حاتم العزفي صاحب سبته باستنفار الأساطيل على وجه السرعة، وهياً خمسة وأربعين سفينة لقتال العدو كما عبأ جميع أهل سبته من المحتلم إلى الشيخ من نصرة إخوانهم في بحر الزقاق⁶، وعلى أية حال تواصلت تواصلت عمليات الجهاد في زمن السلطان أبي يعقوب يوسف الذي كان على شاكلة والده المنصور، فقد بذل كل جهده لدعم بني الأحمر وأثبت لهم أن غرضه هو الجهاد ورفع راية الإسلام، وأظهر لهم حسن نيته منذ توليه السلطنة كما ذكرنا سابقا، لذلك ستعرف الحركة الجهادية المرينية نوعا من الفتور خاصة بعد مقتل هذا السلطان حيث اضطربت أوضاع الدولة المرينية⁷. ولكن بعد تولي السلطان المريني أبو الحسن علي⁸، عادت

1- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص: 376، الناصري، الاستقصا...، ج3، المصدر السابق، ص: 66.

2- نفس المصدرين، ونفس الصفحتين.

3- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص: 592.

4- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص: 380، ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص: 284.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص: 285، طقوش محمد سهيل، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- الناصري، المصدر نفسه، ص: 52.

7- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص: 595.

2- هذا السلطان هو أفخم ملوك بني مرين دولة وأضخمهم ملكا وأبدهم صيتا وأعظمهم أمة وأكثرهم آثارا بالمغربين والأندلس، ويعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لأن أمه كانت حبشية، تولى بعد أبيه السلطان أبي سعيد عثمان وكانت مدته عشرين سنة وأربعة أشهر، توفي بجبل هنتاة

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

الحركة الجهادية على سابق عهدها من الدعم والنصرة لمملكة غرناطة، فالمتعمن في شخصية هذا السلطان يدرك مدى غيرته على الإسلام والمسلمين وحبه للجهاد وتمتين الصلات مع بني الأحمر¹؛ وهذا ما أكده ابن مرزوق في سياق كلامه عن جهاد السلطان أبي الحسن حيث وصفه أنه كان أشد ملوك الأرض قياما برسم الجهاد بنفسه وماله وحرصه الشديد على تواصل الحركة الجهادية²، لقد ساهم العلماء في عصر أبي الحسن المريني بنقسط كبير في أمور الجهاد، فقد تباروا في ملاحقة العدو وحماية بلاد المسلمين باذلين أغلى ما يملكون³، وأثبتوا أهم أهل للمهمات الصعبة فكان ديدهم مشاركة المسلمين في محنتهم وأفراحهم لذلك "...فمنهم من استشهد ومنهم من أسر، ومنهم من عطب، وهكذا تحولت المجالس إلى مجامع لحض الناس على الجهاد والترغيب في التضحية، وعبئت سائر الطاقات لدفع الضرر عن البلاد..."⁴، استطاع أبو الحسن المريني أن يستعيد جبل طارق لما اشترك مع صاحب غرناطة محمد الرابع⁵ حيث قاما معا بافتكاكه من حوزة القشتاليين في يوم الثلاثاء الثاني عشر من ذي الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمئة⁶، بحكم موقعه الاستراتيجي حيث أضحى "...فيه للمسلمين أجل المنح استخلاص جبل الفتح، الذي هو فرضة الحجاز، وهو الجبل الذي لانظير له في العدوتين، هو باب عدوة الأندلس ومغلقها ومفتاحها على القدم وقفلها منها..."⁷، لذلك كان فتحه نصرا كبيرا بلغ صداه الآفاق وشاع خبره في مدن وحواضر بلاد المغرب⁸، وكان العلماء في طليعة من تلقف خبر الفتح بأفئدة ملؤها الفرح والسرور ومباركة فعل السلطان أبي الحسن والدعاء له⁹، مما جعله يرغب أكثر في مواصلة الجهاد حيث أوماً بذلك إلى ابنه الأمير أبي مالك الذي اضطلع بمهمة اكتساح الأراضي

من مراكش في آخر شهر ربيع الأول من عام اثنتين وخمسين وسبعمئة، ينظر: الناصري، المصدر نفسه، ص118، ابن سناك العاملي، المصدر السابق، ص274.

1- عامر أحمد عبد الله حسن، المرجع السابق، ص:116.

2- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص388.

3- ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص353.

4- التازي عبد الهادي، المرجع السابق، ج2، ص442.

7- هو محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد، كان معدودا في نبلاء الملوك صرامة وعزة وشهامة وجمالا وخصلا، عزب الشمال حلوا لبقا لودعيا هشنا سخيا، أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه يوم الثلاثاء السابع والعشرين لرجب عام خمسة وعشرين وسبعمئة، وناله الحجب واشتملت عليه الكفالة إلى أن شد وظهر وشب عن الطوق، وفتك بوزيره المتغلب على ملكه وهو غلام ييقل خده، فهيب شباه ورهبت سطوته وبرز لمباشرة الميادين وارتياذ المطارد واحتلاء الوجوه، فكان ملء العيون والصدور، كانت وفاته يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمئة، ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص90-97.

6- المصدر نفسه، ص94، طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص597.

7- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص389.

8- المصدر السابق، ص390.

9- المصدر نفسه، ص391.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

القشتالية، فتوغل في سهول الجزيرة الخضراء فسبى وغنم¹، ولم يسكت ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر وعجل بإرسال قواته "...فصبحهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخاطبهم في إبايتهم، وأدرك الأمير أبو مالك بالأرض قبل أن يستوي على فرسه فجذلوه واستلحموا الكثير من قومه، واحتوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم، ورجعوا على أعقابهم..."²، لم يفت استشهاده الأمير أبو مالك في عضد السلطان أبي الحسن بل صمم على المضي قدما للجهاد في سبيل الله والأخذ بثأر ابنه مهما بلغ الثمن³، فبدأ بالتعبئة وتجهيز الجيوش والأساطيل وأجزل العطاء وباشر بنفسه كل صغيرة وكبيرة من سبته⁴، وكان قد ملكها للفقير أبي زكرياء يحيى بن أبي طالب بحكم موقعها الاستراتيجي في حروبه ضد نصارى الشمال حتى يقر باله⁵، كما أضاف "...قيادة البحر ودار الصناعة للفقير أبي زيد عبد الرحمان وأبي الحسن أخويه، وأخرج الأموال الطائلة لفك الأسرى في سائر بلاد النصارى..."⁶، وبالمقابل توغلت القوات النصرانية في عمق أراضي مملكة غرناطة حتى بلغت بسائط الجزيرة الخضراء كما أرسلوا أسطولا ليحول دون تدفق المدد والمؤن⁷، لذلك أوعز السلطان أبو الحسن إلى محمد بن علي العزفي بقتلهم ومناجزتهم واستئصال أصنافهم حتى انتهت من إجازتهم جميعا إلى العدو الأندلسية، فكان آخر من جاز مع خاصته وحشمه وذلك سبعمائة وأربعين للهجرة ضاربا معسكره⁹ في طريف، حيث انضم إليه ملك غرناطة أبو الحجاج يوسف (733هـ-755هـ) بجيشه استعدادا للمعركة الحاسمة التي حشد فيها القشتاليون جيشا ضخما ضم جموعا من الصليبيين الذين أتوا من أقصى شمال أوروبا بمباركة البابا¹⁰، حتى بلغ عددهم 100 ألف مقاتل إمعانا في إعطاء المعركة صبغة دينية، وأسفرت عن انتصار كبير للصليبيين وهزيمة منكرة للمسلمين¹¹، كانت وبالاً

1- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص345.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص599.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5- ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص351.

6- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص119.

7- طقوش محمد سهيل، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص346.

9- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

10- طقوش محمد سهيل، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

11- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص106.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

عليهم وشبيهة بواقعة العقاب حيث يقول المقرئ عنها: "...ففضى الله الذي لامرد لما قدره أن صارت تلك الجموع مكسرة، ورجع السلطان أبو الحسن مغلولاً وأضحى حسام الهزيمة عليه وعلى من معه مسلولاً... وقتل جمع من أهل الإسلام ولمة وافرة من الأعلام... واشرب العدو الكافر لأخذ ما بقي من الجزيرة ذات الظل الوريث، وثبت قدمه إذ ذاك في بلد طريف وباجملة فهذه المواقع من الدواهي المعضلة الداء، والأرزاء، التي تضعع لها ركن الدين بالمغرب، وقرت بذلك عيون الأعداء..."¹، ونستشف من كلام المقرئ مدى الأبعاد التي خلفتها معركة طريف على صعيد الحركة الجهادية²، وما نتج عنها من كثرة الشهداء وفي مقدمتهم العلماء الذين شاركوا في هذه المعركة بجموع كبيرة وفيما يلي قائمة لأسمائهم:

- الفقيه المالكي المشهور ابن جزى الكلبي الغرناطي³.
- الفقيه أحمد بن محمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي السعدي⁴.
- الفقيه محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن بكر بن سعيد الأشعري المالقي ويكنى أبا عبد الله¹.

1-المقرئ، المصدر السابق، ج6، ص317.

4- كانت معركة طريف ضربة قاسية ليوسف الأول، كما تعد من النذر المخيفة لاقتراب نهاية الصراع على مصير الأندلس، لذلك استثمر ألفونسو الحادي عشر انتصاره هذا، فهاجم قلعة بني سعيد أو بني بحصب، وهي من أحواز غرناطة واستولى عليها، وذلك في عام (742هـ/1341م)، فلا غرو أن السلطان أبو الحسن الثائر للمصيبين اللتين حلتا به، وهما مقتل أسرته، وهزيمة طريف، فحشد أسطولاً للعبور إلى الأندلس في عام 743هـ/1342م فنصدى له الأسطول القشتالي وهزمه، الأمر الذي الذي أدى إلى عزل الأندلس بشكل شبه نهائي، والأكثر من ذلك شكلت معركة طريف، وما نتج عنها، نهاية مؤسفة لتاريخ الجهاد المغربي في الأندلس، وتعد آخر الحملات الكبرى التي قامت بها دول المغرب المتعاقبة إلى أرض الجهاد في الأندلس، أي أن مصير ما تبقى من الأندلس ترك لأهله، وبدا مرة أخرى أن أيام غرناطة باتت معدودة، لكن هذه المملكة عاشت بعد ذلك مائة وأربعين عاماً في صراع مع مصيرها القاسي، ينظر: طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص600-601.

5- هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمان بن يوسف بن جزى الكلبي، يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة وذوي الأصلة والنباهة فيها، كان على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتيات من حر النشب، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين فقيها حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، حفظة للتفسير مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح البطن، تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حدائثه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته، ومن أهم مؤلفاته: التسهيل لعلوم التنزيل في التفسير، والمختصر البارع في قراءة نافع، أصول القراءة الستة غير نافع، الأنوار السننية في الألفاظ السننية، الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار، الضروري من علم الدين، الفوائد العامة من لحن العامة، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والخنفية والحنبلية، وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، النور المبين في قواعد عقائد الدين، تقريب الوصول إلى علم الأصول، توفي الفقيه ابن جزى شهيداً يوم معركة طريف في الأندلس بين المسلمين والنصارى سنة 741هـ حيث فقد وهو يحرض المسلمين على الجهاد بعد أن أبلى بلاءاً حسناً رحمه الله، ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد الثالث، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1395هـ-1975م، صص20-23، التنبكي أحمد بابا، نبيل الابتهاج بتطريز الديباج، صص398-399، ابن جزى محمد بن أحمد، تقريب الوصول إلى علم الأصول، اعتناء محمد مرابي، ط1، الجزائر، دار الإمام مالك، 1434هـ-2013م، صص09-11.

1- من بيت علم بفاس وأصالة، أصلهم من الأندلس كان فقيهاً خطيباً مدرساً مقرئاً، توفي شهيداً في وقعة طريف سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ينظر: التنبكي أحمد بابا، المصدر السابق، صص92.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

- الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني².
- الفقيه أبو محمد عبد الله بن علي الكناني الغرناطي³.
- الفقيه أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماني،والد الوزير الغرناطي والأديب الكاتب لسان الدين بن الخطيب⁴. وغيرهم من العلماء والفقهاء والصلحاء الذين كان همهم نصره دين الله والموت في سبيل الله تعالى⁵، كما وقع البعض منهم في الأسر مثل الفقيه محمد بن عبد الرحمان بن سعد التميمي السلي الكرسوطي من أهل فاس نزيل مالقة الذي يكنى أبو عبد الله،أسر مع والده إبان المعركة حيث لقيا شدة ونكالا ثم سرحا وخلصا⁶،وفي سياق الكلام عن أدوار العلماء في المعارك فقد صحب ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى السلطان أبا الحسن وشهدا معه المعركة ولا ننسى كذلك محمد بن مرزوق صاحب المسند،كما عملوا على رفع الروح المعنوية للسلطان أبي الحسن والربط على قلبه والوقوف إلى

2- كان من صدور العلماء وأعلام الفضلاء سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفننا،فسيح الدرس أصيل النظر واضح المذهب،مؤثرا للإنصاف عارفا بالأحكام والقراءة،ميرزا في الحديث تاريخا وإسنادا،وتعديدا وجرحا،حافظا للأنساب والأسماء والكنى،قائما على العربية،مشاركا في الأصول،والفروع،واللغة والعروض والفرائض والحساب،مخفوض الجناح،حسن الخلق عطوفا على الطلبة،محبا في العلم والعلماء،مطرح التصنع عدم المبالاة بالمبلس،بادي الظاهر،عزيز النفس نافذ الحكم،تقدم للشياخة بمالقة،ناظر في أمور العقد والحل ومصالح الكافة،ثم ولي القضاء فأعز الخطة وترك الهوادة،وأنفذ الحق،ملازما للقراءة والإقراء،فقد في المصاب يوم المناجزة بطريف؛زعموا أنه وقع عن بغلة يركبها وأشار إليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يقدر وقال له:انصرف هذا يوم الفرح،إشارة لقوله في الشهداء:"فرحين بما آتاهم الله من فضله" وذلك ضحى الاثنين سابع جمادى الأولى سنة741هـ،ينظر:المصدر نفسه،ص396-398.

3- كان من أهل العلم والفضل والدين المتين،والدؤوب على تدريس كتب الفقه،استظهر كتاب "الجواهر" لابن شاس،واضطلع بها،فكان مجلسه من مجالس الحفاظ،حفاظ المذهب،وانتفع به الناس،وكان معظما فيهم،متبركا به،على سنن الصالحين،من الزهد،والانقباض له،تقيد بحسن في الفرائض،وجزء في تفضيل التين على التمر،وكلام على نوازل الفقه،وتوفي في الكائنة العظمى بطريف،ينظر:ابن الخطيب،المصدر السابق،مج3،ص64-65،ابن فرحون،المصدر السابق،ص391-392.

3- لم أعثر له على ترجمة لحياته.

5-والد لسان الدين بن الخطيب،غرناطي الولادة والاستيطان،كان فذا في حسن الشكل والأهبة،وطلاقة اللسان،ونصاعة الطرف،وحضور الجواب،وطيب المجالسة،وتقرب الفهم،مشارا إليه في الخلاوة وعدوبة الفكاهة،واسترسال الانبساط،مغيبا في ميدان الدعابة،جزلا مهيبا،صارما،متجنندا،رايق الخصل ركضا وثقافة،وعدوا وسباحة وشرط نجا حافظا للمثل واللغة،وإخباريا،مطلعا بالتاريخ،ناظما نائرا،جميل البزة،فاره المركب،مليح الشبية،ولد بحضرة غرناطة في جمادى من الأولى من عام اثنتين وسبعين وستمائة،توفي بعد الواقعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعمائة،ابن الخطيب،المصدر نفسه،مج2،ص386-391.

5-الصلابي محمد،المرجع السابق،ص255.

7- كان غزير الحفظ،متبحر الذكر،عديم القرين،عظيم الاطلاع،ينثال منه على السائل كتيب مهيل،ينقل الفقه منسوبا إلى أمانة،ومنوطا برجاله،والحديث بأسانيده ومتونه،محله من الشهرة بالحفظ والاستظهار لفروع الفقه،وله من التأليف:"الغرر في تكميل الطرر" طرر أبي إبراهيم الأعرج ثم "الدرر في اختصار الطرر" المذكورة،وتقييدان على الرسالة:كبير وصغير ولخص "التهذيب" لابن بشير،وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة،والترزم إسقاط التكرار،واستدرك الصحاح الواقعة في الترمذي على مسلم والبخاري،وقيد على مختصر الطليطلي،وشرع في تقييد على قواعد الإسلام لأبي الفضل عياض،رحمه الله،أسر هو والدة في طريف،ولقيا شدة ونكالا ثم سرحا وخلصا،مولده بفاس عام تسعين وستمائة،ينظر:ابن فرحون،المصدر السابق،ص399-400.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

جانبه في محنته¹، حيث قال ابن مرزوق: "...وحدثني رضي الله عنه قال: كنت أجد في نفسي ما أجد وأكابد من مرارة الصبر ما أكابد حتى وصل فقهاء فاس، قال: فلما دخل علي الفقيه عبد النور تلا بعد الاستعادة" وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله" (إلى قوله تعالى: الكافرين)، قال: فذهب من نفسي ما كنت أجده، لما وصل الفقيه أبو زيد ابن الإمام زاذني سلوة هذا كله، ولم يظهر عليه رضي الله عنه أثر الحزن ولا دليل كرب...²، ويضيف ابن مرزوق مشاركته مع الفقهاء في تنفيذ أمر السلطان أبي الحسن بحمل الشهداء الذين كانوا في طريقهم إلى شالة³. وكان من العوامل المؤدية لتراجع مستوى الدراسة بجامع القرويين، هو استطراد الحركة الجهادية مما جعل العلماء والطلبة يقبلون عليها ويتركون تحصيل العلوم، واعدت الأوقاف موردا هاما لصنع السفن وتجهيز الجيوش وتشييد الحصون⁴، كما لم يحتج الطلبة على الإنقاص من أعطياتهم بل اضطلعوا بمهمة الدفاع عن حياض حياض الإسلام، وأصبح دأب العلماء الطواف في مجالس جامع القرويين من أجل الدعوة للجهاد وحماية البلاد⁵. البلاد⁵.

ومحمل القول أن العلماء اضطلعوا بأدوار طلائعية في دفع الحركة الجهادية المرينية وتوطيد العلاقات مع النصرين، حيث كان لهم عزم فاق جميع فئات وشرائح المجتمع الإسلامي، وهم حقيقون به بما استودعهم الله من العلم بمكائد العدو وتدابيره التي تسعى لاستئصال المسلمين، ولم يتركوا وسيلة وجدوها تخدم الحركة الجهادية إلا واستعملوها في سبيل هذه الغاية العظيمة، فتارة بالوعظ وتارة بالتحريض ورفع الهمم وأخرى بالتأليف والأكثر من ذلك المشاركة في المعارك وبذل النصيحة والرأي، وما قائمة الشهداء التي سقناها إلا خير دليل على دورهم الريادي، وأيضا رفع الروح المعنوية للسلطين عندما تحل المحن بالمسلمين والعمل على توحيد الصف والكلمة لمواصلة الجهاد حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

3- العلماء وسياسة بني مرين الوجودية: كان توحيد المغرب الإسلامي من جديد يكتسي خصوصية في الواقع الذي أضحت هذه المنطقة تشهده خاصة بعد انهيار صرح الموحدين بعد معركة حصن العقاب- كما ذكرنا آنفا- لذلك شغلت فكرة إعادة الوحدة وبعث الخلافة والدولة التي تجمع الناس في أمة واحدة، ففكر

1- ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص354.

2- المصدر السابق، ص225.

3- نفسه، ص307.

4- التازي عبد الهادي، المرجع السابق، ج2، ص442.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

العلماء فسعوا لبلورة هذه الفكرة سعيا حثيثا ومستمرًا، بالإضافة إلى وقوفهم إلى جانب الدولة الأكثر قدرة على تجسيد هذا المشروع العظيم منذ اللحظة الأولى التي تفكك فيها المغرب الإسلامي، فلا غرو أن المنهج الوحدوي كان أهم الركائز التي ارتكز عليها المشروع المريني في هيكله الدولة المغربية الجامعة المانعة. لقد أضحي دور العلماء جوهريا في دعم سياسة المرينيين الوحدوية، خاصة بعد معركة طريف سنة 741هـ وما تمخض عنها من نتائج أثرت على تطور المنطقة، لذلك عملوا جاهدين على توحيد إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، مدركين أن بلاد المغرب هي ضمانه الأندلس والمجن الذي يحميها من السقوط في براثن الصليبيين؛ وانطلاقا من هذا سنحاول تتبع النسق العام الذي فعل هذا المشروع ومدى النجاح الذي بلغه؟ وماهي عوامل الفشل؟ وقبل كل ذلك ماهي طبيعة هذا المشروع؟.

3-1- طبيعة المشروع المريني: إن الحديث عن طبيعة المشروع المريني الوحدوي، هو حديث عن إعادة التناسق والانسجام والتلاحم بين أمصار بلاد المغرب الإسلامي، ذلك أن الدولة الموحدية تفككت بعد أن عمرت مائة وأربع وأربعين سنة (524هـ-668هـ)؛ وانبثق عنها أربع دول هي: الدولة الحفصية (المغرب الأدنى) والدولة الزيانية (المغرب الأوسط) والدولة النصرية (الأندلس) والدولة المرينية (المغرب الأقصى)، ولم تكتف كل دولة بحدودها بل سعت إلى وراثته الموحدية¹ وتزعم المغرب وقيادته على حسب بواعث كل واحدة، فالحفصيون استندوا إلى المذهب الموحد لبلوغ حكم المغرب بأجمعه² والزيانيون بحكم توسطهم المغربيين الأدنى والأقصى، أما المرينيون فمشروعهم كان أكثر تأصيلا وشرعية بحكم إسقاطهم للدولة الموحدية ودخولهم عاصمتهم مراکش، مما جعلهم مطالبين بإعادة توحيد بلاد المغرب وإقامة رسم الجهاد، أضف إلى ذلك أنهم كانوا أقوى هذه الدول³ من حيث تعداد الجيوش وتوافر المدد والدعم، حيث عرف الجهاز المريني على طول تاريخه تناقضا فعليا ومبدئيا بين "المعطي القبلي" و"المعطي الدولي"، وذلك حول الإدارة الفعلية وتسيير البلاد وحول سلطة القرار⁴، وعلى ضوء ذلك استند المشروع المريني على جميع فئات المجتمع حيث تفاعلت كلها في بلورت

1- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13م-15م) -دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي- ط1، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ص156، حاجيات عبد الحميد، أبو هو موسى الزياني (حياته وآثاره)، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، ص11-12.

2- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص95.

3- ذكر عبد الرحمان بن خلدون عن الدولتين المرينية والزيانية كيف تغلبتا على دولة الموحدية، وأن بني مرين في أول ملكهم كانوا أكثر من بني عبد الواد لذلك كانت دولتهم أقوى منها وأوسع نطاقا وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد أخرى حيث يقال أن عدد بني مرين لأول ملكهم كان ثلاثة آلاف، وإن بني عبد الواد كانوا ألفا، ينظر: المقدمة، المصدر السابق، ص68.

4- الشريف محمد، المرجع السابق، ص68.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

هذا المشروع، لذلك اضطلع العلماء بدور ريادي في تفعيله وتوظيف السلطة في تسخير كل إمكانياتها وطاقاتها للوصول إلى الهدف المنشود، فلطالما كان حضورهم متميزا في تأسيس الدولة المرينية، وفي دعم الحركة الجهادية بالأندلس، فأضحى لزاما عليهم أن يواصلوا جهودهم لتوحيد المغرب الإسلامي، إن البعد التكاملي في المشروع المريني ينطلق من الأسس الوجودية العقديّة والمذهبية والجغرافية والطبيعية والبشرية، إذ سعت الدويلات المغربية الثلاث: المرينية والحفصية والزيبانية إلى تعميم اللغة العربية وترسيخ العقيدة الأشعرية والفقهاء المالكي، وهذا ينم على تهيئتها لتقبل الوحدة السياسية بالرغم من التناقضات التي بينها¹. كان العلماء أكثر وعيا بهذا الواقع والتناقضات واستحكام العصبية القبلية بين دول المغرب الإسلامي، وأن المنطقة تحتاج إلى دماء جديدة تعيد الوضع إلى سابق عهده، لذلك احتاج الأمر إلى بذل الغالي والنفيس وتقديم المصلحة العامة على المصالح الضيقة الأثنية مهما كلف الثمن، وغير خاف علينا طبيعة العلاقة التي جمعت بين الدويلات الثلاثة وعدم رضوخ أي دولة للأخرى مما عمق الحزازات بين كل منها وانعكس على الحركة الجهادية في الأندلس التي تأثرت بتطور المشروع الوجودي المريني منذ تأسيس هذه الدولة وإلى غاية سقوطها².

3-2- مسار المشروع المريني: لم يخرج المشروع المريني عن النسق العام الذي تأصل منذ تجرّبي المرابطين والموحدين، هاتين الدولتين اللتين توفر لهما إمكانيات بشرية ومادية ضخمة³، استطاعتا توحيد المغرب الإسلامي، كما تجدر الإشارة أن المشروع المريني كان حاضرا على الصعيد الرسمي، إذ شكل حجر الزاوية في البرنامج السياسي للمرينيين، ولا يمكن استبعاد علاقة المشروع الوجودي المريني بأثر العوامل الداخلية والتناقضات القبلية وكذلك الصراع مع دار الحرب، عجلت في ميلاد هذا المشروع الذي تسلم بدعم العلماء كقاعدة مكيئة يركز عليها ويراهن عليها في أغلب المراحل الكبرى لصيرورة فعاليته وتوظيف الميكانيزمات المساعدة لضمان نجاح المشروع على مستوى جميع الأصعدة⁴، وفي نفس السياق يستدعي منا للإحاطة بسياسة المرينيين الوجودية إمطة اللثام عن طبيعة العلاقات التي ربطت بين الدولة المرينية والدولتين الزيبانية والحفصية:

3-2-1- علاقة المرينيين بالزيبانيين: تميزت العلاقة بين بني مرين وبني زيان بالطابع العدائي واشتداد الصراع بينهما وحدته، حيث تسلم المرينيون بالقوة التي ملكوها بعد قضائهم على الموحدين، وتطلّعوا لوراثةهم وهذا يعني

2- نقادي سيدي محمد، إسهامات العلامة الأبلي التلمساني في الحياة الفكرية بمواضع المغرب، ط1، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص188-189.

2- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص156، ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص355.

3- الشريف محمد، المرجع السابق، ص17.

4- المرجع نفسه، ص17-18.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

التأسيس لمشروعهم الساعي لتوحيد المغرب الإسلامي تحت رايتهم ولوائهم بسحق الدولتين الزيانية والحفصية وإزالتها من الوجود¹، وزاد الأمر سوءاً في علاقة الدولتين أن كلاهما ينتميان إلى نفس القبيلة وسعيهما لترغم رئاسة زناتة وبطونها بحكم الجوار حيث "... كان بين هذين الحيين من المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة..."²، نظر لأن المرينيين كانوا أكثر عدداً وقوة من الزيانيين كما قلنا، وعلى ضوء ذلك كانوا المبادرين دائماً لغزو تلمسان³ وحصارها والتضييق على بني عبد الواد أصحابها⁴، فلا غرو أنهم أدركوا قيمة هذه المدينة ودورها الحاسم في الاعتبارات الإستراتيجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية لكامل منطقة المغرب الإسلامي، لذلك راهنو عليها وسعوا لضمها مهما كلف الثمن بتكثيف الحملات بعد أن فرغوا من تأسيس دولتهم وبسطوا نفوذهم على جميع أقطار المغرب الأقصى، حيث وقف يعقوب المنصور في وجه توسعات يغمراسن بن زيان (633هـ-681هـ) في شرق المغرب الأقصى وجنوبه وهزمه في معارك كثيرة مما جعله يقنع بالدفاع عن تلمسان وإيقاف الحروب وعقد السلم مع المنصور وتوصية خلفه بعدم الدخول في صراع مع المرينيين⁵، وبعد وفاة المنصور تطلع ابنه أبو يعقوب لإخضاع تلمسان إذ "... منذ سنة 695هـ/1295م أصبح غزوها سنوياً، بل كانت توجه إليها أكثر من غزوة في السنة الواحدة، واستمر ذلك حتى سنة 699هـ/1299م..."⁶، وقد بلغت هذه الحملات أوجها في سنة 699هـ/1298م عندما ضرب ضرب السلطان أبو يعقوب الحصار على المدينة مدة سبع سنوات كاملة⁷، وذلك "... لما توفرت عزائم السلطان عن النهوض إلى تلمسان، ومطاولة حصارها إلى أن يظفر بها ويقومها، واستيقن أنه لا مدافع له عن ذلك فخص

- 1- لعرج عبد العزيز، مجموعة المنشآت المعمارية للسلطان المريني أبي الحسن بالعباد تلمسان (737هـ-749هـ/1336م-1348م)، مجلة دراسات ثراتية، العدد 02، 2008م، إصدارات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، معهد الآثار، جامعة الجزائر (2)، ص 53، عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 159.
- 2- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج 7، المصدر السابق، ص 111.
- 3- تلمسان: هذه المدينة هي قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة، ينظر، المصدر نفسه، ص 102، تعد تلمسان من الحواضر الهامة في بلاد المغرب الإسلامي وكانت دار ملك بني عبدالواد تسمى بلغة البربر تلمسن وهي كلمة مركبة من تلم ومعناها تجمع وسن ومعناها اثنان، أي الصحراء والتل... ويقال تلشان وهو أيضاً مركب من تل ومعناه لها وشان أي لها شأن، مدينة عريقة في التمدن لدنة الهواء عذبة الماء، كريمة المنبت، اقتعدت بسفح جبل ينظر: ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات، ج 1، ط 1، الجزائر، المكتبة الوطنية، 1400هـ/1980م، ص 85-86.
- 4- بنو عبد الواد ينتمون إلى قبيلة زناتة البربرية التي كانت مضارها بين التل والصحراء، وهم من ولد بادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، ويصل نسبهم إلى مادغيس الأبت، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان، العبر، ج 7، المصدر السابق، ص 84، ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج 1، ص 186.
- 5- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج 7، المصدر السابق، ص 292-293.
- 6- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص 53.
- 7- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص 219، مال الله مؤيد، المرجع السابق، ص 45.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

من فاس شهر رجب من سنة ثمان وتسعين وستمائة بعد أن استكمل حشده، ونادى في قومه، واعترض وعساكره وأجزل أعطيائهم وأزاح عليلهم، وارتجل في التبعية واحتل بمساحة تلمسان ثاني شعبان وأناخ عليها وضرب معسكره بفنائها...¹، فألى على نفسه ألا يرجع إلى حاضرة ملكه إلا بعد أن يدخل تلمسان خاصة بعد أن أخضع جميع أقاليم المغرب الأوسط²، كان دخول تلمسان غنيمة كبرى ومفتاح حكم المغرب الأوسط ومن ثم التطلع إلى المغرب الأدنى، فلما طال الحصار إرتأ السلطان يوسف أن يؤسس مدينة جديدة سماها "المنصورة" تيمنا بالنصر³، كما شيد قصرا له ومسجدا جامعاً للصلاة وكل متطلبات المدينة الجديدة وأوماً إلى الناس والعساكر ببناء بيضاء الدور والمنازل والقصور الفخمة، وجلب المياه لسقي البساتين ولا ننسى السور الذي فرغوا منه سنة اثنتين وسبعين⁴، حتى غدت من أعظم حواضر المغرب الإسلامي وأضحت قاعدة المغرب الأوسط والأقصى وقبلة التجار، فكثرت عمرانها وأسواقها وبلغ صيتها الآفاق⁵،

وفي نفس الصدد صمم بني عبد الواد على الصمود بقيادة السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681هـ-703هـ)⁶، وبعد وفاته واصل ابنه أبو زيان (703هـ-707هـ)⁷، الصبر على مرارة الحصار، ولكن الحظ كان مع بني عبد الواد حيث قتل السلطان يوسف وفشل المرينيون في ضم مدينة تلمسان⁸، وبعدها اضطرب أمرهم وانتشرت الفوضى في صفوف الجند فاستغل الزيانيون هذه الفرصة وهاجموا معسكرهم وهزموهم ورفعوا

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص291-292.

2- المصدر نفسه، ص292.

4- EZZIANE RACHID, **Tlemcen la Miraculée**, ALGER, edition el Maarifa, 2011, PP 60-63.

لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص292-293.

5- المصدر نفسه، ص293، لعرج عبد العزيز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- ولد سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان شهماً مقداماً، محبباً إلى القلوب، ذا سياسة وصهر للحوادث، بويغ أوائل ذي الحجة متم سنة إحدى وثمانين وستمائة، وفي يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ثلاث وسبعمائة، كانت وفاة السلطان أبي سعيد رحمة الله عليه بغتة لتزلة أصابته في الحمام وعمره أربع وستون سنة، فكانت مدته إحدى وعشرين سنة غير شهر واحد، ينظر: ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص209-210.

8- ولد سنة تسع وخمسين وستمائة، وكان فاضلاً مباركاً حسن الملكة لين الجانب، بويغ يوم الأحد ثاني شهر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعمائة، توفي صبيحة يوم الأحد الحادي والعشرين لشهر شوال من السنة 707هـ، فكان عمره ثمانية وأربعين سنة وملكه أربع سنين غير سبعة أيام، ينظر: المصدر نفسه، ص210-212.

9- التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، تحقيق وتعليق محمود بوعياد، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/1985م، ص134، الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص219، نضال مؤيد مال الله، المرجع السابق، ص46، فيلالى عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص28.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

الحصار عن مدينتهم في سنة 707هـ/1307م¹، أمام هذا الوضع اضطر بنو مرين لعقد الصلح مع بني عبد الواد كما طلب السلطان المريني الجديد أبو ثابت²، إعانته بالجند وبالطبول والرايات لمواجهة منافسيه على عرش فاس، مقابل رفع الحصار عن مدينة تلمسان³.

أدى تراجع بني مرين صوب المغرب الأقصى إلى عدم تفكيرهم زمنا طويلا في إعادة الكرة لضم حاضرة بني عبد الواد باستثناء حملة السلطان أبي سعيد المريني⁴ سنة (714هـ/1314م)، حيث "...اعتزم على غزو تلمسان فنهض إليه سنة أربع عشرة وسبعمئة ولما انتهى إلى وادي ملوية قدم ابنيه أبا الحسن وأبا علي في عسكريين عظيمين في الجناحين، وسار في ساقتهما ودخل بني عبد الواد على هذه التعبئة، فاكسح نواحيها واصطلم نعمها، ونازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا وامتنعت عليه ثم نهض إلى تلمسان فترل بالملعب من ساحتها. وانحجر موسى بن عثمان من وراء أسوارها، وغلب على معاقلها ورعاياها وسائر ضواحيها..."⁵، وواضح أن الأمر سيتغير جذريا لتعود رغبة المرينيين ومعها حلم المشروع الوحيد عندما تولى تولى الحكم السلطان أبو الحسن علي بن السلطان أبو سعيد المريني (731هـ-752هـ/1331م-1352م)، الذي كان أكثر عزيمة وإقداما ومضيا لتحقيق مسعى أسلافه في ضم تلمسان والمغرب الأوسط ثم المغرب الأدنى ومن بعدها استنقاذ الأندلس⁶؛ وفي نفس السياق أدى تدخل الزينيين في شؤون المرينيين وإذكائهم للصراع بين السلطان أبي الحسن وأخيه الأمير أبي علي⁷، وكذلك توسعهم على حساب أراضي أصهاره الحفصيين ورفضهم لإيقاف الزحف على بلادهم، فقرر السلطان أبو الحسن دخول تلمسان مهما

-
- 1- بشاري لطيفة، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرنين 70هـ-10هـ/13م-16م، مجلة أفكار وآفاق، ع03، (جانفي-جوان) 2012م، إصدارات جامعة الجزائر(2)، ص65.
 - 2- تولى بعد جده السلطان يوسف، هو أبو ثابت عامر بن الأمير أبي عامر عبد الله بن السلطان أبي يعقوب يوسف بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وذلك بتلمسان بعد اختلاف وقع ونزاع انجلي الأمر فيه عن قتل جماعة من أكابريهم رحمهم الله، كانت مدته سنة واحدة وثلاثة أشهر وعمره أربع وعشرون سنة، ينظر: ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص272.
 - 3- فيلاي عبد العزيز، المرجع نفسه، ص28-29.
 - 4- هو السلطان أبو سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، مولده في حياة جده سنة أربع وسبعين وستمئة، وكانت مدته عشرين سنة وستة أشهر، ووفاته في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة بخارج فاس إثر مقدمه من تلمسان، ينظر: ابن سماك العاملي، المصدر نفسه، ص274.
 - 5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص321.
 - 6- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص54، بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص66، فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ص45، الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص220.
 - 7- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص336-337.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

كلف¹، فجهز عسكريا وافرا لإزالة سلطان الزيانيين وضم أراضيهم، ويفصل لنا ابن خلدون مراحل حملة أبي الحسن على المغرب الأوسط حيث يقول: "...فانبعثت عزائم السلطان للصمود إليهم، وعسكر بساحة البلد الجديد، وبعث وزرائه إلى قاصية البلاد المراكشية لجند القبائل والعساكر... وفصل بمعسكره من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة وسار يجز الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة، فجمر الكتائب لحصارها، ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم واقتحمها، فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ثم سار على تعبيته حتى أناخ على تلمسان..."²، والظاهر أن أبا الحسن اتبع أسلوب السلطان يوسف حيث أرجأ أخذ تلمسان حتى يستولي على كل أقاليم المغرب الأوسط وحواضره، بالإضافة إلى نزوله بمدينة المنصورة غربي تلمسان³، وعلى ضوء ذلك "...اتصلت الحرب مدة عامين، ثم اقتحمها السلطان غالبا لسبع وعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة..."⁴، بعد أن اكتشف المرينيون مصدر ماء بمول بمول المدينة فقطعوه مما جعلهم يتقدمون ويحترقون أسوارها ويدخلونها⁵، أما السلطان أبو تاشفين عبد الرحمان الأول (718هـ-737هـ)⁶ فقد قتل مع جملة أولاده ووزرائه وأصحاب دولته وبذلك زالت دولة بني زيان بعد صراع طويل ومرير، فحقق السلطان أبو الحسن أكبر نصر منذ الحصار الأول لمدينة تلمسان⁷.

كان ضم تلمسان بداية الطريق نحو استكمال المشروع الوحدوي، لذلك اضطلع السلطان أبو الحسن بدور طلائعي من أجل المضي قدما لإضفاء الوحدة السياسية والمذهبية على بلاد المغرب الإسلامي، انطلاقا مما توفر لهذا السلطان من نفوذ سياسي وعلمي كبيرين جعلاه أكثر سلاطين بني مرين قدرة على تحقيق هذه الوحدة؛ وهذا ما دفع به لاتخاذ جميع الإجراءات والترتيبات الكفيلة بإنجاح مشروعه، من ذلك توحيد كلمة بطون زناتة وخاصة المرينيين والزيانيين حيث يقول التنسي: "...ولما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان، رأى أن من كمال سلطانه، استخدام بني عبد الواد، حتى يعد في مفخره جمعه بين القبيلين مرين

1- ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ج1، ص218، التنسي، المصدر السابق، ص145-146.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص339.

3- ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ج1، ص219.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص341.

5- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص46.

6- ولد سنة اثنتين وتسعين وستمائة، وكان فاضلا حميد السير، رحب الجناب عظيم الخلق جميل الخلق، في أيامه تحضرت الدولة وأخذ الملك زخرفه وتزين، بوبيع يوم الخميس الثالث والعشرين لجمادى الأولى سنة ثمان عشرة وسبعمائة بالمعب، خارج باب كشوطة، قتل في يوم الأربعاء 27 رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وهو يدافع عن ملكه وحرمة وأولاده، ينظر: ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ج1، ص215-219.

7- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص341.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

وعبد الواد...¹، فلا غرو أن توحيد الحيين كان مقدمة لمواصلة المشروع الوحدوي؛ حيث أن الأمر احتاج لتوحيد الكلمة والصف ونبذ الفرقة والتنازع؛ حتى دان له المغربين الأقصى والأوسط منجزا ما راود أسلافه زما طويلا، فأعد كل الإمكانيات للتوجه صوب بلاد الحفصيين² وضمها لسلطانه ودخل تونس فسر سرورا عظيما³، وأضحى "...ملك زناتة بعد أن كان ملك بني مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب..."⁴، وهذا ما سنفصله عند حديثنا عن علاقة المرينيين مع الحفصيين وعلى ضوء ذلك سيشهد المشروع المشروع المريني هزات عنيفة وذهاب كل تلك الجهود سدى، خاصة بعد هزيمة أبي الحسن في واقعة القيروان سنة 749هـ/1348م⁵، ثم انسحابه من إفريقية.

وزاد الأمر سوءا خروج ابنه الأمير أبي عنان فارس⁶، عليه بعد مبايعته في تلمسان سنة (749هـ/1348م)⁷، عندما بلغه نبأ وفاة أبيه السلطان، ولما تبين له عكس ذلك دخل في صراع معه على الملك وأغلق في وجهه جميع المنافذ وحال دون عودته إلى فاس واستعادته لملكه، ودارت بينهما معارك طاحنة يندى لها الجبين وتحز في النفس، ذلك أن المصالح الضيقة قدمت على المصالح العامة وعلى حساب الوحدة السياسية التي تحققت لأول مرة منذ سقوط الدولة الموحدية⁸، المهم تجدد الصراع بين بني عبد الواد وبني مرين من جديد، خاصة بعد إحياء دولتهم على يد الأميرين الأخوين أبي سعيد وأبي ثابت مستغلين هزيمة أبي الحسن في القيروان⁹، ثم غرق أسطوله وخروج ابنه أبي عنان عليه، فأصبح الطريق ممهدا إلى تلمسان إذ "...اجتاز الأميران وجمعهما إفريقية والمغرب الأوسط، حتى وصلوا إلى سكاك في ملتقى وادي الصفصيف بوادي يسر، قرب تلمسان، وهناك اعترضت سبيلهم فرقة أرسلها ابن الجرار لصددهم، بقيادة أخيه، ولكنها هزمت، وتابع الأميران سيرهما، فدخلتا تلمسان، في جمادى الآخرة 749هـ، وأعادا لقبيلتهما

1- المصدر السابق، ص149.

2- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص47.

3- ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص356.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص342.

5- للمزيد من التفصيل حول واقعة القيروان، ينظر: المصدر نفسه، ص361-366.

6- هو السلطان أبو عنان فارس، تلقب بالمتوكل على الله أمير المؤمنين، وكانت مدته سبع سنين وتسع أشهر، ووفاته في أربع وعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين وسبعماية، ينظر: ابن سناك العاملي، المصدر السابق، ص274-275.

7- الناصري، المرجع السابق، ج3، ص164.

8- عياش محمد، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية وأثرية)، بحث مقدم لنيل

شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005م-2006م، ص19.

9- التنسي، المصدر السابق، ص149.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

ملكها...¹، وبعد دخول تلمسان وإتمام الأمر بادرا إلى إصلاح أحوالها وتنظيم الدولة وتقسيم المهام بينهما حيث تولى أبو سعيد السلطنة وأبو ثابت قيادة الجيوش²، ثم عملا على استعادة نفوذ الدولة الزيانية على أقاليم المغرب الأوسط، وعندما خلص الأمر للسلطان أبي عنان المريني وجه كل ثقله لإعادة النفوذ المريني على المغرب الأوسط وتلمسان³؛ باعتبار أن أبا عنان "...سلطان بني مرين، كان من دهاة السلاطين ممن اشتهر بالحزم والكفاية والعزم..."⁴، حيث تمكن بدائه من استخدام بني عبد الواد كحاجز في صراعه مع أبيه، ثم لما خشى تعاضم نفوذهم قرر الاستغناء عن خدمتهم وأزال سلطانهم من جديد في آخر شهر ربيع الثاني 753هـ/1352م⁵، فكانت مدتهما أربع سنين وأشهر⁶، وعموما تواصلت علاقة بني عبد الواد بين المد والجزر ولكن المؤكد أن المرينيين كانوا هم المبادرين وأصحاب مشروع وفكرة وحدوية سعوا لتحقيقها منذ تأسيس دولتهم، وعلى ضوء ذلك سنرى كيف تطورت علاقتهم مع بني حفص أصحاب المغرب الأدنى.

3-2-2-علاقة المرينيين بالحفصيين: تبلورت علاقة المرينيين بالحفصيين وفق اعتبارات عدة تعلقت أساسا بمدى التطورات التي شهدتها الدولة المرينية من جهة، وبالمقابل تلقب الحفصيون⁷ بألقاب الخلافة ونهجهم المذهب الموحي في تأسيس دولتهم وسعيهم كذلك لإعادة دولة الموحدين تحت رايتهم وحكمهم⁸ من جهة ثانية، وزيادة على ذلك أنهم أول الدول تأسيسا بعد ضعف الدولة الموحدية، ولذا أدرك المرينيون ابتداءا أنه ينبغي

1- حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ص25.

2- ابن خلدون مجي، المصدر السابق، ج1، ص241، ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص155-156، التنسي، المصدر نفسه، ص152، حاجيات عبد الحميد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها، فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص48، بشاري لطيفة، المقال السابق، ص67.

3- حاجيات عبد الحميد، نفسه، ص29-31.

4- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان (760هـ-764هـ/1359م-1363م)، عناية وتقدم محمد بن أحمد باغلي، ط1، الجزائر، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م، ص50.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص161.

6- ابن خلدون مجي، المصدر السابق، ج1، ص247، التنسي، المصدر السابق، ص156.

7- يرجع نسب هذه الدولة إلى أبي حفص عمر بن مجي الهنتاتي، وقد قيل إن نسبهم يتصل إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والحفصيون من قبيلة هنتاتة أعظم قبائل المصامدة، وأكثرهم جمعا وأشدهم قوة، تأسست هذه الدولة سنة 626هـ/1229م بعد استقلالها عن دولة الموحدين، وأول سلاطينها هو أبو زكرياء مجي الحفصي، ثم تواصل الملك في عقبه، إلى غاية سقوطها نهائيا سنة 982هـ/1574م، ينظر: ابن الشماخ أبو عبد الله محمد ابن أحمد، الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تحقيق وتقديم الدكتور الطاهر بن محمد المعموري، ط1، الدار العربية للكتاب، 1984م، ص48-54، الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، ص22-25، كزير زينب عبد الله أحمد، أهل الذمة في العهد الحفصي (626هـ-982هـ/1227م-1574م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2005م، ص80-86.

8- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص211.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

مداراتهم حتى ينهوا تأسيس دولتهم والانضواء تحت سلطانهم بحثا عن الشرعية¹، وكسبا للوقت حيث يقول عبد الرحمان بن خلدون: "...حذر بنو مرين حينئذ غائلتهم، وخافوا أن يظارهم الأمير أبو زكرياء عليهم، فألأنوا له في القول ولاطفوه على البعد بالطاعة وخاطبوه بالتمويل، وأوجبوا له حق الخلافة، ووعدوه أن يكونوا أنصارا لدعوته وأعاونوا في أمره، ومقدمة في عسكره إلى مراكش وزحفه، وحملوا من تحت أيديهم من قبائل المغرب وأمصاره على طاعته والاعتصام ببيعتهم..."²، وانطلاقا من ذلك أبقى التبعية للحفصيين حتى بعد أن أسسوا الدولة إذ "...في سنة ثمان وستين وستمائة قرئت بيعة صاحب المغرب الأقصى الأمير أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق على المولى المستنصر..."³، وهذا ما ينم عن سعة أفق السلطان يعقوب المنصور الذي قدر قدر حال الناس الذين كانوا لازالوا حديثي عهد بدولة الموحدين، وأيضا حتى يتفرغ للجهاد في الأندلس والصراع مع بني عبد الواد⁴، على أية حال لما انتفى هذا السبب وتعود الناس على الوضع الجديد بعد سقوط الدولة الموحدية، وعودة المذهب المالكي من جديد ومعه مكانة علمائه، أضحت التبعية تكتسي طابعا شكليا بحيث لم تراجع قوة الحفصيين أمام الزيانيين، فاستغل المرينيون ذلك لمواصلة مشروعهم؛ خصوصا بعد دخولهم تلمسان كما رأينا وأيضا توسعهم في أراضي المغرب الأوسط؛ ودخول المغرب الأدنى لذلك شهدت العلاقات بين الطرفين تحسنا، وانتقلت من طور التبعية إلى طور الند للند إلى طور الخضوع، تبعا للمرحلية التي اتبعها المرينيون في علاقتهم مع الحفصيين، كما أن عدا كلاً الطرفين لبني عبد الواد جعلهما يتحدان ضدهم في مناسبات عديدة، من ذلك عندما حاصر السلطان يوسف بن يعقوب تلمسان استعان بالأسطول الحفصي لإحكام الحصار عليها وتضييق الخناق حولها⁵، كان هذا التقارب بين البلاطين ينبى عن رغبة كلاهما في إزالة الدولة الزيانية على ضوء المثل القائل "عدو عدوي صديقي" لذلك ستتوثق العلاقة بينها عن طريق التحالف والمصاهرة حيث يقول عبد الرحمان ابن خلدون: "...واعترزم مولانا السلطان أبو يحيى على الوفادة على ملك المغرب السلطان أبي سعيد صريخا على آل يغمراسن، وأشار حاجبه محمد بن سيد الناس بإنفاذ ابنه الأمير أبي زكريا صاحب الثغر استنكافا له عن مثلها، فتقبل إشارته وأركب ابنه البحر... وقدموا على السلطان أبي سعيد بحضرته وأبلغوه صريخ مولانا السلطان أبي يحيى، فاهتز لذلك هو وابنه الأمير أبو الحسن... ووالله

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- المصدر نفسه، ص397.

3- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، المصدر السابق، ص39.

4- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص212.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص289-290.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

لأبذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي، ولأسيرن بعساكري إلى تلمسان فأنزلها مع أبيك، فانصرفوا إلى منازلهم مسرورين...¹، وتمخض عن هذا التحالف والمظاهرة التي قدمها المرينيون للحفصيين انعقاد المصاهرة بين الأمير أبي الحسن الذي تزوج ابنة²، السلطان أبي يحيى (718هـ-747هـ)³، فلا غرو أن السلطان أبا الحسن ضم تلمسان كما رأينا عندما رفض السلطان أبو تاشفين كف أيديه وسطوته عن أراضي الحفصيين، لذلك انطلقت حميته لتأييد أصهاره ولكن الأکید في الأمر أنه أرجأ ضم المغرب الأدنى حتى تواتيه الفرصة، حيث أوماً السلطان أبو يحيى بالوصاية على عرشه إذا توفى وبتنفيذ تواصل ولاية العهد والالتزام بها وإرغام الأمراء الحفصيين على ذلك⁴، فاتصل أن وقع الخلاف بين أفراد البيت الحفصي عندها وجد أبو الحسن المبرر لاستعمال مشروعه الوحيد الذي كان متوفقاً بسبب المصاهرة⁵، وعليه لما وصل إلى السلطان أبي الحسن الحسن خبر مقتل ولي العهد الأمير أبي العباس أحمد على يد أخيه الأمير أبي حفص عمر يوم السبت السادس عشر من رمضان سنة 747هـ⁶، لذا... "تعلل بأن النقص أتى على ما أحكمه فأجمع غزو إفريقية ومن بها، فعسكر بظاهر تلمسان، وفرق الأعطيات، وأزاح العلل، ثم رحل في صفر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة يجر الدنيا بما حملت...⁷"، ولما أنهى السلطان أبو الحسن ترتيباته تحرك من فوره نحو إفريقية في صفر (1347/748م) بعد أن عقد لابنه الأمير أبي عنان على المغرب الأوسط وفوضه بإدارة شؤونه⁸، ثم مضى مضى قدما لمواصلة ما بدأه أسلافه... "ولما دخل إفريقية محاسن الموحدين...⁹"، وبدأ واضحا أن السلطان أبو الحسن نجح نجاحا باهرا في مشروعه الذي مكث يحضر له طيلة عشرة سنوات ويجهز له الجند والأموال والخطط والتنظيمات المختلفة¹⁰، فاكتسح جميع أقاليم إفريقية بما فيها حاضرة بني حفص ودخلها في الثاني

1- المصدر نفسه، ص333.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- هو السلطان أبو يحيى أبو بكر بن يحيى أبي زكرياء يحيى بن السلطان أبي إسحاق إبراهيم ابن أبي زكرياء يحيى ولد بقسنطينة في شعبان 692هـ وبويع له الخميس السابع من ربيع الآخر عام 718هـ وتكررت له البيعة واستوطن تونس وشرفها بآثاره وحسن سيرته وتوفي ليلة الأربعاء 02 رجب 747هـ وعمره خمسة وخمسون عاما غير شهر وخلافته تسع وعشرون سنة وعشرة أشهر وخمسة وعشرون يوم، ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص166.

4- المصدر نفسه، ص82، الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص214.

5- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- الزركشي، المصدر نفسه، ص166، ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج6، ص520.

7- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8- الزركشي، المصدر نفسه، ص82.

9- ابن الشماخ أبو عبد الله محمد بن أحمد، المصدر السابق، ص95.

10- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص47.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

جمادى الآخرة سنة 748ه¹، حيث تلقاه "...وفد تونس وملؤها من شيوخ الشورى وأرباب الفتيا فاتوا طاعتهم وانقلبوا مسرورين بملكتهم، ثم عبي يوم السبت إلى دخولها مواكبه، وصف جنوده سمطين من معسكره بسيجوم إلى باب البلد يناهز ثلاثة أميال أو أربعة..."²، ومن فوره حرص السلطان أبو الحسن على زيارة أضرحة الأولياء في مختلف الكور والحواضر التونسية، كسبا لود الناس وعطفهم واحترامهم³، ولم يعكر صفو السلطان أبي الحسن سوى تزايد نفوذ القبائل العربية وكثرة إقطاعاتهم واشتداد وطأتهم وجثومهم على جسم الدولة⁴، لذلك قرر السلطان ابتداء استئصال نفوذهم حتى يتم له الأمر عن طريق تجريدهم من إقطاعاتهم⁵ وفرض الإتاوات عليهم⁶، مما جعلهم بتمردون ويشنون الغارات الواحدة تلو الأخرى بعد أن بايعوا بايعوا الأمير أحمد بن عثمان بن أبي دبوس (750ه-751ه) الحفصي، لقد أضحى المشروع المريني يواجه خطرا كبيرا فتدخل السلطان أبو الحسن لمواجهة تمرد القبائل العربية في المعركة التي حطمت مشروعه بفحص القيروان يوم الاثنين سابع محرم سنة تسع وأربعين وسبعمئة⁷، وأسفرت عن هزيمة كارثية للجيش المريني⁸، وقد أورد ابن ابن الشماع تفاصيل المعركة حيث يقول: "...وزحف إليهم السلطان بعساكره من تونس في سنة ثمان وأربعين (748هـ/47-1348م) فالتقى معهم بالهنية قرب القيروان، فغلبهم وانجلوا أمامه، ثم تزايدوا ورجعوا مستمتين وذلك في اليوم الثاني من شهر محرم سنة تسع وأربعين (749هـ/02 أبريل 1348م) فاختلت مصافه وهزم ودخل القيروان هاربا، فأخذوا معسكره... وأخذوا بمخنقه وحاصروه..."⁹، وفي نفس السياق تضافرت أسباب عديدة أدت إلى هزيمة السلطان أبي الحسن المريني أبرزها انسحاب بني عبد الواد ومغرواة وبني توجين من أرض المعركة بدايتها، فاضطرب أمر الجيش المريني الذي تعرض للهزيمة¹⁰، التي كان لها أبعاد وخيمة على المشروع المريني حيث انفرط عقد السلطان، وأضحى السلطان أبو الحسن في موقف حرج جدا وضاع كل ما بناه وبذله، وعبثا حاول إنقاذه ما يمكن إنقاذه عندما دخل في مفاوضات مع زعماء القبائل

1- الزركشي، المصدر السابق، ص166، ابن الشماع، المصدر السابق، ص96.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص357.

3- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص163-165، فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص47.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص363.

5- الزركشي، المصدر نفسه، ص166.

6- ابن الشماع، المصدر نفسه، ص96.

7- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص235.

8- فيلالي عبد العزيز، المرجع نفسه، ج1، ص48.

9- المصدر نفسه، ص96-97.

10- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص121.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

أسفرت عن ميل أولاد مهلهل للسلطان وتوفيرهم الحماية له عند خروجه من القيروان وركوب البحر باتجاه مدينة تونس¹، ولكن الحظ خان أبا الحسن المريني في استعادة نفوذه في إفريقية فقرر الرجوع إلى بلاده "...فأجمع بلاده"... فأجمع الرحلة إلى المغرب وركوب السفن من تونس أيام الفطر من سنة خمسين وسبعمئة فعصفت به الرياح وأدركه الغرق، فغرق أسطول من أساطيله، فنجا فيه إلى الجزائر وبها حمو بن يحيى بن العسري قائده وصنيعه أبيه، فقتل عليه..."²، كان غرق أسطول أبي الحسن أمرا غير متوقع وزاد الأمر سوءا هو استبداد ابنه الأمير أبي عنان وخروجه عليه حتى وهو يعلم أنه لا يزال حيا ودخل في صراع معه وحسمه لصالحه³. لما تم للسلطان أبي عنان الأمر حاول أن يقتدي بأبيه ويواصل ما بدأه ويعيد توحيد المغرب الإسلامي من جديد، فقد كان صاحب طموح كبير لذلك ابتداء ببي عبد الواد وأزال ملكهم كما ذكرنا آنفا، ثم وجه كل جهده لضم إفريقية حتى لا يترك الفرصة لتزايد نفوذ القوى التي استعادت المغرب الأدنى⁴، ومثل السلطان أبو عنان آخر السلاطين المرينيين الأقوياء حيث تلقب بأمير المؤمنين المتوكل على الله مما شجعه على المضي قدما لإتمام المشروع الوحدوي، ولكن الظاهر أن أبا عنان كانت تطلعاته كبيرة تفوق إمكانياته المادية والعسكرية⁵، المهم بدأ أبو عنان في تنفيذ مشروعه بداية من سنة 755هـ/1355م حيث أخذ مدينة بجاية⁶، ثم حاصر قسنطينة بضعة بضعة أشهر حتى سقطت في يده، وانتقل بعدها إلى عنابة ثم تونس حاضرة بني حفص محققا انتصارات كبيرة، وبذلك نجح نجاحا باهرا في توحيد المغرب الإسلامي من المحيط الأطلسي إلى أطراف إفريقية الشرقية

1- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص225، ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، تونس، مطبعة الدولة التونسية/1286هـ، ص139، الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص122.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص158.

3- يبدو أن السلطان أبا الحسن المريني كانت الظروف أقوى منه لذلك لما جرت المعركة في القيروان هرب بنو مرين وبلغوا المغرب الأوسط، وأشيع خبر وفاة أبي الحسن، وشهدوا على ذلك أمام ابنه الأمير أبي عنان الذي لم يفوت الفرصة ودعا لنفسه بحكم المغربين الأوسط والأقصى وأخذت له البيعة، وبذلا من أن يساعد أباه عندما علم بأنه على قيد الحياة وبقائه في تونس ويبعث بحملة تنقذ المشروع المريني ويغير مسار الأحداث، إلا أنه انتهج أسلوبا آخر لما خشي عقاب أبيه، كما احتار في حقيقة وفاة أبيه أم لا، والظاهر أن شهوة السلطان قد غلبته لذا بذل كل جهده ليحول دون عودة إلى ملكه، وساعده القدر على ذلك عندما تعرض أسطول أبي الحسن للغرق، وسد أمامه كل الطرق ثم احتدم الصراع بينهما ودارت معارك بينهما انتهت بالقضاء على السلطان أبي الحسن وتم الأمر لأبي عنان فارس ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص85، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص98-99، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص139، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص162-166، الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، ص122، عياش محمد

المراجع السابق، ص19.

4- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، ص125.

5- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص52.

6- ابن الشماخ، المصدر السابق، ص102، الزركشي، المصدر السابق، ص94.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

سنة 758هـ/1357م¹، وفور دخوله إلى تونس بادر إلى تنظيم أحوالها إلا أن الثورات تفجرت في وجهه فاضطر إلى مغادرة إفريقية والمغرب الأوسط باتجاه المغرب الأقصى لإخمادها بالإضافة إلى تدمير الجند المريني وجنوحهم إلى التمرد وخلعهم طاعة السلطان أبي عنان نتيجة لكثرة الحروب وبعد الشقة والتعب والإرهاك².

لقد انهار المشروع الوحدوي المريني وفشل السلطان أبو عنان في جمع شتات المغارب الثلاث رغم ما بذله من جهد كبير، ذلك أن الدولة المرينية لم تتبن إصلاحا دينيا على المستوى الشعبي، كما أن هزيمة السلطان أبي الحسن في واقعة القيروان كانت القشة التي قسمت ظهر البعير بحيث أذهبت هيبة بني مرين، بالإضافة إلى أن الجيش المريني كان يحمل عدة تناقضات وحزازات وخاصة عندما استعمل السلطان أبو الحسن بني عبد الواد ومغراوة وتوجين، ففقد بذلك توازنه وتشتت ولاؤهم لسلطينهم، وأخيرا كانت محاولة أبي عنان آخر المحاولات المرينية الجريئة إذ بعدها دخلت الدولة المرينية مرحلة الضعف والتراجع خاصة بعد وفاته³.

3-2-3- دعم العلماء للمشروع المريني وتوجيهه: راهن المرينيون منذ تأسيس دولتهم على دعم العلماء

لذلك اعتمدوا عليهم في مشروعهم الوحدوي، حيث عرف المغرب الإسلامي فترات عصيبة أعقبت سقوط الدولة الوحدوية، من ذلك التقاتل بين الدول الثلاث الذي أهلك قواها وبدد جهدها وكرس سياسة التمزق والتفرقة⁴، لذا تدخل العلماء لجبر الصدع وإعادة الأمور إلى نصابها، فرأوا أن المشروع المريني هو الأكثر نجاعة وفعالية وقدرة على التجسيد لما توفر للمرينيين من إمكانيات عسكرية ومادية ضخمة.

لقد أثبت العلماء حضورهم في أغلب فترات صيرورة المشروع المريني لإدراكهم خطورة الموقف ومدى التحديات التي ستواجهها المنطقة إذا لم تتحد من جديد، وطالما أن علماء المغرب الأقصى كانت لهم اليد الطولى في تأسيس الدولة المرينية، ولما استكمل المرينيون بناء دولتهم عملوا على ضم تلمسان وأقاليم المغرب الأوسط، فلا غرو أن أول اتصال بين علماء تلمسان والسلطة المرينية أثناء حصارها من قبل السلطان يوسف بن يعقوب في مرات عديدة، هذا الأخير تمكن من استقطاب عدد من الفقهاء إلى صفه⁵؛ في مقدمتهم الفقيه أبو

1- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص52.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص394.

3- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ص53.

4- ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص355.

5- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص105.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

الحسن علي التنسي¹ الذي كان سفيرا بين الزيانيين والمرينيين كما أنه وجد في السلطان يوسف خير عزاء إذ "...تمكن من السلطنة، وكان له فيها ما لم يعهد مثله لفضيه مكانة وحظوة، وكان يغشى مجلس السلطان في كل يوم يجلس وكان يقوم له يعظمه اعتقادا فيه وفي أخيه أبي إسحاق..."²، هذه المكانة التي بلغها أبو الحسن التنسي جعلت السلطان يوسف يفتديه وعائلته وأسرته أخيه الحسن مقابل أبو العباس أخو السلطان أبو سعيد عثمان الزياني³، ومن الفقهاء الذين تجاوز عنهم السلطان يوسف أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبو بكر محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني القيرواني (629هـ-681هـ/1231م-1282م)⁴ رأس الأسرة المرزوقية وبذلك كسب دعمها، الذي تطور في عهد السلطان أبي سعيد المريني والأكثر من ذلك تأثيرهم فيه مما جعله يقلع عن حصار تلمسان⁵. كان لظهور السلطان أبي الحسن المريني كرافع للواء المشروع المريني حيث أدرك كأسلافه وزن العلماء، كما ورث عن أبيه حسن الخلق وجودة الإدراك سلامة الفهم وذكاء العقل وبعد النظر⁶، أثر بارز في تعاضم مترلة العلماء، إذ يعد من أعرف السلاطين المرينيين بالطريقة المثلى التي يحقق بها بسط ملكه واسترجاع الإرث الموحد مغربا وأندلسا منتهجا سياسة دينية علمية واجتماعية تتمحور أساسا على استقطاب العلماء واسترضائهم واحتوائهم وكسبهم إليه⁷، حيث يقدم لنا ابن مرزوق صورة واضحة عن صنيعه صنيعه بالعلماء عبر مراحل مشروعه بقوله: "...فكان رضي الله عنه أبر الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم، استخلصهم لنفسه وجمعهم من سائر بلاده في حضرته، إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته، وجعله من خواص أهل مجلسه وأجرى عليهم الجرايات... فاجتمع بحضرته أعلام، ثم ضم لهم من كان بتلمسان وأحوازها حين استيلائه عليها، ثم استمر هذا العمل في دخوله بلاد إفريقية..."⁸، وفي هذا

5- أبو الحسن من كبار العلماء العاملين، معظم عند الملوك والعامّة، ذو ورع شديد، وتصرف في الرسالة بين ملوك المغرب والمشرق، فأنجرت بها إليه التهمة من ملوك تلمسان أيام الحصار الأول، فخرج إلى السلطان أبي يعقوب، ملك المغرب، فبالغ في بره واحتفاله إلى أن مات فحضر جنازته وقبره رحمه الله بالعباد، ينظر: ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ج1، ص114.

2- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص479.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها، خطيف صابرة، المرجع السابق، ص106.

3- الفقيه أبو العباس أحمد، مولده ليلة الثاني لشهر الله الحرم سنة إحدى وثمانين وستمائة، قرأ القرآن على الشيخ الولي يوسف بن يعقوب بن علي الصنهاجي وأخذ الفقه عن أبي الحسن الصغير، والفقيه أبي محمد خلف الله، وأبي إسحاق إبراهيم القاري، والفقيه أبي محمد عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي والفقيه أبي عمران الزريهني والفقيه أبي عبد الله المليلي والفقيه أبي عبد بن عبد الرزاق وكل هؤلاء بفاس، وكان صالحا زاهدا ورعا، حج وحاور بالمدينة، ومات حاجا بمكة في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ينظر: ابن خلدون يحي، المصدر نفسه، ص115.

5- ابن مرزوق محمد، المصدر نفسه، ص117-120.

6- المصدر نفسه، ص125.

7- خطيف صابرة، المرجع نفسه، ص107.

8- المصدر نفسه، ص260.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

الصدد أول ما ابتداء به السلطان أبو الحسن عندما دخل تلمسان وهو ضم علمائها لمجلسه العلمي، كما لعبوا دورا مهما في تهدئة الوضع إذ "... انطلقت أيدي النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرات في أموالهم وحرمتهم، وخلص السلطان إلى المسجد الجامع مع لمة من خواصه وحاشيته، واستدعى شيوخ الفتيا بالبلد أبو زيد وأبو موسى ابنا الإمام، وفاء بحق العلم وأهله، فخلصوا إليه بعد الجهد ووعظوه وذكره بما نال الناس من النهب... وقبض أيديهم عن الفساد وعاد إلى معسكره..."¹، نستشف من هذا الكلام أن علماء تلمسان بادروا من فورهم للانضمام إلى مجلس السلطان أبي الحسن الذي يعد أعظم مجالس العلم التي عرفتها الدولة المرينية وأضحى مدرسة راقية يطمح الكثير للتعلم فيها، حيث تخرجت منها شخصيات فذة لها أثرها في تطور العلم والفكر الإنساني²، لذا ضم مجلس السلطان أبي الحسن شريحة واسعة من علماء تلمسان الذين راهن عليهم في دخوله إفريقية، وفيما يلي جدول يبين لنا العلماء الذين استقطبهم مجلس السلطان المريني أبو الحسن علي:

اسم العالم	المكانة العلمية
1- أبو زيد عبد الرحمان بن الإمام وأخوه أبو موسى عيسى. (ت743هـ، ت750هـ)	"... كانت لهما شهرة في أقطار المغرب، أثبتت لهما في نفس السلطان عقيدة صالحة، فاستدعاهما لحين دخوله، وأدنى مجلسهما، وأشاد بتكريمتهما، ورفع محلهما على أهل طبقتهما، وصار يجمل بهما مجلسه، متى مر بتلمسان، أو فدا عليه في الأوقات التي ينفذ فيها أعيان بلدهما، ثم استنفرهما للغزو، وحضرا معه واقعة طريف، وعادا إلى بلدهما..." ³ ، "... فرأسا الناس وجالسا الملوك، على هدي العلماء وسمة الرؤساء رحمة الله عليهما، وتركا بتلمسان خلقا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا، بلغ كثير منهم مقام التدريس والعلم والفتيا في النوازل نجابة درس ونظر..." ⁴ "... واختصا به، فأكرم مثواهما، ورفع في حضرته محلها وقرب مجلسهما وصارا لديه أعز الفقهاء عليه وأقربهم إليه وكانا حقيقين بذلك، درسا في مجلسه، وكان محبا فيهما وكانا محبين

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، ص341.

2- سكاكو مريم، مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14م-15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م، ص61.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عارضه بأصوله وعلق حواشيه: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، الجزائر، 2007، ص30.

4- ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص130.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

<p>فيه، لازماه مدة مقامه بتلمسان وسافرا صحبتته، فلما توجه للمغرب برسم حركة الجهاد أذن لهما في الرجوع إلى تلمسان، وأسقط عنهما كلفة السفر...¹.</p>	
<p>"...ومن لازمه من أهل تلمسان، وكان له مدة قد استوطن المغرب، الفقيه الأستاذ التعليمي المحقق المشارك أبو عبد الله محمد بن علي الآبلي، شيخ الغرب في العلوم العقلية وإمام وقته... ولما لازم مجلس مولانا المرحوم الإمامان ابنا الإمام كان يجريان ذكره وعرفاه قدره، فوجه عنه فلازم الحضرة إلى أن تخلف بتونس بعد سفر إمامنا المرحوم، وانتفع به في تونس وبلاد إفريقية خلالتق وحصلت له مشيخة على الجميع...²"، وكان طلابا للعلم، جماعة لكتبه، فعكف عنده على النظر إلى أن فاق فاق أهل زمانه في العلوم العقلية كلها، حتى لا أعرف بالمغرب وإفريقية فقيها كبيرا إلا وله عليه مشيخة، توفي رحمة الله عليه ورضوانه، بفاس في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وسبعمائة...³"، فانتشر علمه، واشتهر ذكره؛ فلما فتح السلطان أبو الحسن تلمسان ولقي أبا موسى بن الإمام، ذكره له بأطيب الذكر، ووصف بالتقدم في العلوم، وكان السلطان معنيا بجمع العلماء لمجلسه، فاستدعاه من مكانه بفاس، ونظمه في طبقة العلماء بمجلسه، وعكف على التدريس والتعليم، ولازم صحابة السلطان، وحضر معه واقعة طريف، وواقعة القيروان بإفريقية...⁴.</p>	<p>2- أبو عبد الله محمد بن علي الآبلي (681هـ-757هـ)</p>

1- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص265.

2- المصدر نفسه، ص266.

3- ابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص120.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص36-37.

<p>"...ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور، من أعمال ندرومة، ونسبه في صنهاجة، كان مبرزا في الفقه على مذهب الإمام مالك ابن أنس... ولما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان طلب يومئذ من ابن الإمام أن يختار له من أصحابه من ينظمه في فقهاء المجلس، فأشاروا عليه بابن عبد النور هذا، فأدناه، وقرب مجلسه، وولاه قضاء عسكره، ولم يزل في جملة إلى أن هلك في الطاعون بتونس سنة تسع وأربعين..."¹،... والشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد النور، من الفقهاء المدرسين وأهل الفتيا والدين المتين، ولي قضاء بلده، فحمدت سيرته عدلا وحسن خلق، وتوفي رحمة الله عليه، في وجهته صحبة السلطان أبي الحسن إلى تونس، وهو قاضي حضرته..."²،... وممن لازمه من أهل تلمسان، الفقيه الفاضل المتخلق أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور التلمساني من أهلها الناشئين فيها... فلما رآه مولانا المرحوم استحسنت طريقه، وكان أفصح الناس لسانا وأحسنهم طريقة وأعذبهم عبارة، فاستحسنه مولانا لذلك واستعمله في الزكوات وسماع الشكايات، ثم ولاه قضاء تلمسان، ثم ولي قضاء الحضرة... كان أفصح الناس لسانا بالعربية والزناية يتصرف في لسان زناية وأشعارهم... وكان مشاركا في علوم، وأعانه على ظهوره لسانه..."³.</p>	<p>3- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور التلمساني (ت750 هـ / 1349م).</p>
---	---

1- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص46.

2- ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص121-122.

3- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص267.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

<p>"...الفقيه التعاليمي، نخبه وقته، من بيت نباهة في الإمامة والعدالة، مراكشي النجر، ساد أهل زمانه في العلوم المعقولة، مع شعر نبيل وكتابة راقية، وتوفي بتونس في الطاعون الأكبر سنة تسع وأربعين وسبعمائة...¹"، "...ومنهم شيخ التعليم أبو عبد الله محمد بن النجار من أهل تلمسان؛ أخذ العلم ببلده عن مشيختها، وعن شيخنا الآبلي، وبرز عليه، ثم ارتحل إلى المغرب، فلقى بسبته إمام التعاليم، أبا عبد الله محمد بن هلال شارح المخصطي في الهيئة، وأخذ بمراكش عن الإمام أبي العباس بن البناء وكان إماما في علوم النجامة وأحكامها، وما يتعلق بها، ورجع إلى تلمسان بعلم كثير، واستخلصته الدولة، فلما هلك أبو تاشفين، وملك السلطان أبو الحسن نظمه في جملة وأجرى له رزقه، فحضر معه بإفريقية، وهلك في الطاعون...²".</p>	<p>4- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن النجار (ت749هـ)</p>
<p>"...ومن لازمه مدة أيضا من أهلها الساكنين بها الفقيه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي البجائي النشأة، عالم مشارك، مدرك متبحر، ولما عزم على استخلاصه وإلحاقه بعلماء حضرته أدركته الوفاة في سنة خمس وأربعين أو نحوها...³"، "...الفقيه العالم المتفنن الجماعة، أبو موسى عمران المشدالي، أعرف أهل عصره بمذهب مالك...⁴"، "...وكان كثير الاتساع في الفقه والجدل، مديد الباع فيما سواهما مما ذكر، سألته عن قول ابن الحاجب في السهو...⁵"، "...والفقيه أبو عمران موسى المشدالي، من كبار الفقهاء العلماء العاملين، صالح زاهد مشهور الولاية والدين في المعاصرين...⁶"، "...كان فقيها حافظا علامة محققا كبيرا، أخذ عنه العلامة المقرئ وغيره...⁷".</p>	<p>5- أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي (ت670هـ-745هـ)</p>

1- ابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص119.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص47.

3- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص268.

4- التنسي، المصدر السابق، ص141.

5- المقرئ، نفع الطيب...، المصدر السابق، ج5، ص223.

6- ابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص121.

7- التنبكي أحمد بابا، المصدر السابق، ص350.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

<p>"...جد الحفيد الإمام ابن مرزوق لأمه، قال: كان جدي هذه قاضي تلمسان، فقيها محدثا صالحا قاضيا عدلا، أجازه أبو جعفر بن الزبير، ولقى أبا حيان والجلال القزويني وغير واحد من الأكابر، وكان معمرا توفي سنة ثمان وستين وسبعمائة، وقال غيره: نشأ بتلمسان وأخذ عن ابني الإمام، استعمله أبو الحسن المريني في الزكاة وسماع الشكاة إلى أن ولي قضاء تلمسان في زمن أبي عنان، واستمر عليه إلى أن توفي...¹"، من بني عبد العزيز، من أحواز تلمسان، نشأ بتلمسان، وأخذ عن ابن الإمام، استعمله أبو الحسن المريني في الزكوات، وسماع الشيكيات، ودام على ذلك إلى أن ولي القضاء بتلمسان أيام أبي عنان، واستمر على ولاية القضاء إلى أن توفي...²"، وممن لازم مجلسه في مدد مختلفة، الفقيه أبو العباس أحمد ابن الحسين بن سعيد المديوني من بني عبد العزيز من أحواز تلمسان، نشأ في تلمسان، استعمله مولانا أمير المسلمين رضي الله عنه في الزكوات وسماع الشيكيات، ودام على ذلك إلى أن ولي القضاء بتلمسان أيام المولى أبي عنان رحمة الله عليه واستمر على ولاية القضاء إلى أن توفي...³"</p>	<p>6- أبو العباس أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني (768هـ/1366م).</p>
<p>"...الفقيه أبو عبد الله محمد، مولده سنة إحدى عشرة وسبعمائة، فقيه محدث قرأ القرآن على الفقيه أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب بن علي، وله مشائخ جلة بالمشرق والمغرب، خطيب مصقع ذو وجهة عند السلاطين، نبذ طريق أبيه وجده ظهريا، وخدم الملوك من بني مرين...⁴"، "شمس الدين شهر بالخطيب وبالجد ابن مرزوق، شارح العمدة في الحديث والشفاء...⁵"، "برع في الطلب والرواية، وكان يجيد الخطين؛ ثم رجع سنة خمس وثلاثين إلى المغرب، ولقي السلطان أبا الحسن بمكانه من حصار تلمسان، وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما؛ وكان عمه ابن مرزوق خطيبا به على عادتهم بالعباد، ولما عمه توفي، فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه، وسمعه يخطب على المنبر، ويشيد بذكره والثناء عليه، فحلى بعينه، واختصه، وقربه، وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين ابني الإمام، ويأخذ نفسه بلقاء الفضلاء، والأكابر والأخذ عنهم...⁶"</p>	<p>7- الخطيب محمد بن محمد بن مرزوق (711هـ-781هـ)</p>

1- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ص105.

2- ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، المجلد1، القاهرة، دار التراث، تونس المكتبة العتيقة، (د.ت)، ص62-63.

3- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص267-268.

4- ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص115.

5- التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ص450.

6- ابن خلدون عبد الرحمان، *التعريف...*، المصدر السابق، ص50.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

كان هؤلاء الفقهاء الثمانية هم الذين تم رصدهم حيث أشارت المصادر المترجمة لهم للمكانة العلمية التي حازوها لذا عمل السلطان أبو الحسن المريني على ضمهم لمجلسه العلمي¹، حيث يقول في ذلك عبد الرحمان ابن ابن خلدون: "... هذا ذكر من حضرنا من جملة السلطان أبي الحسن، من أشياخنا، وأصحابنا؛ وليس موضوع الكتاب الإطالة، فلنقتصر على هذا القدر..."²، وزيادة على ذلك فإن السلطان عند اصطحابه لجمهور العلماء العلماء والفقهاء عمل على اكتساب الشرعية منهم لاستكمال مشروعه الوحدوي، إذ أن استقطابه لأي فقيه من هؤلاء هو كسب لجميع طلبته، بالإضافة لكل من له علاقة بهذا الفقيه من أقاربه وأصحابه وجيرانه، بحكم المترلة التي حظي بها هؤلاء الفقهاء على المستويين الاجتماعي والسياسي³. على أية حال استطاع أبو الحسن المريني أن يجمع علماء وفقهاء المغريرين الأقصى والأوسط في مجلس واحد ثم اصطحبهم معه إلى إفريقية، وعلى ضوء ذلك ستشهد حركته حشدا هائلا من العلماء الذين عملوا على دعم مشروعه وتوجيهه وفق المعطيات التي ساعدت على نجاحه في الأخير، وساهموا في إنجاحه في الأخير، وساهموا في إنجاحه إلى حد ما وتدارك النقائص والأخطاء، وسندكر العلماء الذين دخلوا مع السلطان إلى تونس زيادة على علماء تلمسان الذين ذكرهم، وذلك وفق الجدول التالي:

اسم العالم	المكانة العلمية
1- أبو عبد الله محمد بن علي بن سليمان السطحي (ت750هـ).	"... الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن سليمان السطحي خزانة مذهب مالك مع مشاركة تامة في الحديث والأصلين واللسان وديانة شهيرة وصلاح متين، كان حظي المكان لديه، إمام الفريضة والمدرس في حضرته و المفتي.. قرأ على شيوخ عصره من أهل فاس، و اختص بالشيخ أبي إسحاق إبراهيم اليزناسي وله تقييدات صالحة، وكان مقبلا على ما يعنيه، مكبا على النظر والقراءة والتقييد لا تراه أبدا إلا على هذه الأحوال حتى في المجلس السلطاني، وكان يسرد الصوم رضي الله عنه وكان معظما عند إمامنا، قليل فضول اللسان، ولا يتكلم في المجلس حتى يسأل، مات رضي الله عنه شهيدا غريقا في الجفن الذي غرف فيه إمامنا ونجا بمقربة من بجاية في قفوله من تونس..." ⁴ ، "... كان منهم الإمام محمد بن سليمان، وقدم علينا علينا بتونس في حملته، وشهدنا وفور فضائله، وكان في الفقه من بينهم لا يجارى

1- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص117.

2- المصدر نفسه، ص55.

3- خطيف صابرة، المرجع نفسه، ص114.

4- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص261.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

<p>، حفظا وفهما، عهدي به</p>	
<p>وأخي محمد رحمه الله يقرأ عليه من كتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي، وهو يصححه عليه من إملاته وحفظه، في مجالس عديدة، وكذا كان حاله في أكثر ما يعاني حمله من الكتب...¹.</p>	
<p>"...الفقيه الإمام علم الأعلام أبو محمد عبد المهيم بن الإمام القاضي أبي عبد الله الحضرمي، كان هذا الشيخ نادرة وقته وأعجوبة زمانه، أحفظ الناس بعلم اللسان واللغة والأدب بحر في ذلك زاهر هذا، مع إمامته وتقدمه في علم الحديث والمعرفة برجاله وضبطه والقيام به يحمل عن ألف شيخ قد حلاهم وذكر مروياتهم في مشيخته التي كانت لديه... كان هذا الفقيه أبو محمد آية في الحفظ والضبط والإتقان، لا يجري ذكر شيء يحاضر فيه إلا ويستحضر فيه من الشواهد ما يقضى منه العجب، كان صاحب العلامة، وإمام الكتبة وأحد علماء الحضرة وأهل الشورى، تقلد ذلك لمولانا أبي سعيد، ثم مولانا ولم يزل على خطته وحظوته إلى أن توفي بتونس المحروسة...²"،... ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن، وصاحب علامته التي توضع أسافل مكتوباته، إمام الحديث والنحاة بالمغرب، أبو محمد بن عبد المهيم بن عبد المهيم الحضرمي؛ لازمته، وأخذت عنه، سماعاً، وإجازة الأمهات الست، وكتاب الموطأ، والسير لابن إسحاق، وكتاب ابن الصلاح في الحديث، وكانت بضاعته في الحديث وافرة، ونحلته في التقييد والحفظ كاملة، كانت له خزانة من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سفر، في الحديث والفقه، والعربية، والأدب، والمعقول، وسائر الفنون...³</p>	<p>2- أبو محمد عبد المهيم الحضرمي (ت749هـ).</p>
<p>"...فممن حضر معه بإفريقية من العلماء، شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي، شيخ القراءات بالمغرب؛ أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس، وروى عن الرحالة أبي عبد الله محمد بن رشيد، وكان إماماً في فن القراءات وصاحب ملكة فيها لا تجارى، وله مع ذلك صرت من مزامير آل داوود، كان يصلي بالسلطان التراويح، ويقرأ عليه بعض الأحيان حزبه...⁴"،... ثم لزم الحضرة أخيراً الأستاذ</p>	<p>3- أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي (ت750هـ)</p>

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص32.

2- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص264.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص20.

4- المصدر نفسه، ص45.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

<p>العلامة المشارك أبو العباس الزواوي الشهير، الذي لم ير في عصره أطيّب منه نعمة ولا أحسن صوتا ولا أنداء، كان آية من آيات الله عز وجل، لم أر في المشرق والمغرب نظيرا له ولا رأيت من رأى مثله، يسلب العقل ويذكر بالله، لا تملك النفوس ولا الشؤون عند سماعه، هذا مع إتقان الضبط وأحكام الروايات وعلو السند، له تصانيف في القراءات والعربية نظما ونثرا... ولازم الحضرة وارتسم في جملة الفقهاء الملازمين، فسافر معنا إلى إفريقية ومات رحمه الله غريقا في الجفن المتقدم الذكر شهيدا نفعه الله ونفع به...¹</p>	
<p>"...أصله من الأندلس، نشأ بمالقة، وأخذ عن مشيختها، وحذق في العربية والأدب، وتفنن في العلوم، ونظم ونثر، وكان مجيدا في الترسيل ومحسنا في كتابة الوثائق، وارتحل بعد واقعة طريف، ونزل بسبته، ولقي بها السلطان أبا الحسن ومدحه، وأجازته، واختص بالقاضي إبراهيم ابن أبي يحيى، وهو يومئذ قاضي العساكر، وخطيب السلطان، وكان يستفتيه في القضاء والخطابة، ثم نظمه في حلبة الكتاب بباب السلطان، واختص بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب، والأخذ عنه، إلى أن رحل السلطان إلى إفريقية، وكانت واقعة القيروان، وانحصر بقصبة تونس من انحصر بها، من أشياعه مع أهله وحرمه، وكان السلطان قد خلف ابن رضوان هذا بتونس في بعض خدمه...²"... شيخنا الفقيه الخطيب البليغ النحوي اللغوي الراوية المتفنن الناظم الناثر الصدر الأوحده رئيس الكتاب أبو القاسم ابن الفقيه الوزير الجليل الماجد الأصيل الفاضل، كان متفنا في معارف شتى عارفا بعقد الشروط أخذنا بحظ وافر من الرواية، شاعرا مجيدا كاتبنا بليغا حسن الخط ذا هيئة حسنة وخلق حسن، يبذل جهده في قضاء حوائج معارفه ومن بلجأ إليه، محبا لأهل الدين معظما لهم... وله تأليف حسن في السياسة السلطانية...³</p>	<p>4- أبو القاسم عبد الله ابن يوسف بن رضوان النجاري المالقي (ت784هـ)</p>
<p>"...ومن حضر معه بإفريقية، الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكناسة، كان ميرزا في النقول والمعقول، وعارفا بالحديث ورجاله، وإماما في معرفة كتاب الموطأ وإقراءه؛ أخذ العلوم من مشيخة فاس، ومكناسة ولقي شيخنا أبا عبد الله الأبلي، ولازمه، وأخذ عنه العلوم العقلية، فاستنفذ بقية طلبه عليه، فبرز</p>	<p>5- أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ (ت750هـ).</p>

1- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص269.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص41.

3- التنبكي أحمد بابا، المصدر السابق، ص221-222.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

<p>آخر، واختاره السلطان لمجلسه، فاستدعاه، ولم يزل معه إلى هلك غريقا في ذلك الأسطول...¹</p>	
<p>6- أبو العباس أحمد بن شعيب (ت742هـ). "...ومنهم أبو العباس أحمد بن شعيب من أهل فاس؛ برع في اللسان، والأدب، والعلوم العقلية، من الفلسفة، والتعاليم، والطب، وغيرها، ونظمه السلطان أبو سعيد في حلبة الكتاب، وأجرى عليه الرزق مع الأطباء؛ لتقدمه فيهم، فكان كاتبه وطيبه، وكذا مع السلطان أبي الحسن بعده، فحضر بإفريقية، وهلك بها في ذلك الطاعون، وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين، وكانت له إمامة في نقد الشعر، وبصر به...²، "أحمد بن شعيب النحوي، الأديب المعقولي، الطيب، كاتب أبي الحسن المريني السلطان وطيبه، هلك بالطاعون في إفريقية سنة 749هـ...³</p>	

انطلاقاً من هذا الجدول يتبين عدد العلماء الذين ذكرتهم كتب التراجم وخاصة ابن خلدون الذي شهد بنفسه مقدم هؤلاء العلماء بصحبة السلطان أبي الحسن، فقد اقتصر على ذكر الأفاضل منهم من علماء المغربين الأقصى والأوسط؛ هذا ماتم رصده؛ ولكن ابن خلدون لم يفصح عن بقية العلماء الذين رافقوا الحملة المرينية وقدر قدر عددهم بحوالي 400 عالماً وفقهه⁴، وهو عدد ضخم ينبئ عن إدراكهم لمدى المسؤولية الملقاة على عاتقهم سواء في جمع الكلمة وتوحيد الصف وتدارك الآزمات والنقائص التي شهدتها دخول السلطان أبي الحسن إلى المدن والحواضر الإفريقية وحتى مغادرته من ذلك الحكم على الأسرى حيث يقول عبد الرحمان ابن خلدون: "...ووصل إليه فل الأمير أبي حفص والأسرى بقابس مقرنين في أصفادهم، فأودعهم السجن بعد أن قطع أبا القاسم بن عتو وصخر بن موسى من خلاف، لفتيا الفقهاء بحرابتهم...⁵، إذ لا شك أن أبا الحسن اتخذ قرارات صائبة من خلال مشاوراته للعلماء الذين جلبهم معه، ولم ترد إشارات تبين لنا هل شاركوا في واقعة القيروان أم لا؟، حيث لم تشر المعلومات إلى موت أحد العلماء في المعركة⁶، ولكن الكثير منهم هلك

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص45-46.

2- المصدر نفسه، ص48.

3- ابن القاضي، المصدر السابق، مج1، ص45.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص32، الناصري، المرجع السابق، ج3، ص171، فيلالى عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص49، الحريري

محمد عيسى، المرجع السابق، ص338.

5- العبر...، المصدر السابق، ج7، ص358.

6- الزركشي، المصدر السابق، ص85.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

في الطاعون الجارف سنة 749هـ¹. كما ذكرنا عن العلماء الذين تم رصدتهم، على أية حال وقف العلماء إلى جانب السلطان أبي الحسن في كل الأحداث التي جرت إبان تملكه لإفريقية، وحتى في الحن التي حدثت له من ذلك غرق الأسطول المريني على سواحل بجاية²، إذ "...أقلع من مرسى تونس وخمس دخل مرسى بجاية وقد اجتاحوا إلى الماء فمنعهم صاحب بجاية الورود وبعث إلى سائر سواحلهم أن يمنعهم فقاتلوا من منعهم... فطرق الأسطول هول البحر فتغرق شذر مذر وتكسر الجفن المختص بالسلطان ببعض سواحل بجاية فبينما السلطان بين الغرق والسلامة وقد تعلق بججر قريبا من البر وهو ينظر مصارع الفقهاء مثل السطي وابن الصباغ ويشاهد اختطاف البحر إياهم..."³، واصل أبو الحسن طريقه إلى المغرب الأقصى، وكان أكبر خطر واجهه هو خروج ابنه أبي عنان- كما أسلفنا سابقا- الذي استند هو الآخر على دعم العلماء حيث لما بلغه خبر موت أبيه السلطان، بادر من فورهِ للإمساك بمقاليد الأمور وأخذ البيعة لنفسه بتلمسان، واختار أحد كبار علمائها وهو أبو عبد الله محمد المقرئ الجد⁴ لكتابة نص البيعة وقراءته على الملأ في يوم مشهود⁵، حيث راهن على مكانة المقرئ الجد في كسب ولاء الناس وطاعتهم خصوصا وهو بعيد عن فاس حاضرة المرينيين⁶، إذ المرينيين⁶، إذ أن جل علماء تلمسان المرزبين قد رافقوا السلطان أبا الحسن إلى إفريقية، كما أن المقرئ لم ينضم إلى مجلسه ولم تكن له رابطة تجمع به، أي أنه لم تكن له في عنقه بيعة⁷.

6- ارتبطت هذه الأزمة بوباء الطاعون الأسود الذي اجتاح جل أطراف العالم والذي لم يفلت من مخلفاته الخطيرة إلا مناطق قليلة واجتاح هذا الوباء بسرعة كبيرة المغرب العربي وأوروبا الغربية وذلها منذ 1348م، وعانت أوروبا الوسطى بدورها من هذا الوباء في السنة التالية، وخلال 1350م عبر الوباء بحر المانش كما اكتسح شبه جزيرة اسكندنافيا، و كان هذا الوباء أخطر ما عرفته البشرية قبل سنة 1348م وبعدها وتراوحت النتائج الديمغرافية التي اختلفت حدتها حسب المناطق، و التي تراوحت بين ثلث ونصف السكان ينظر: بوشرب أحمد، أزومات القرن 14م ودورها في تغيير ميزان القوى لصالح الدول المسيحية المشرفة على الحوض الغربي للأبيض المتوسط، أعمال الملتقى الدولي الثاني عن ابن خلدون، فرندة، من 01-04 يوليو 1986م، المركز الوطني للدراسات التاريخية، ص 213.

1- بجاية: بالكسر، وتحفيف الجيم، وألف، وباء، وهاء: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، في حدود سنة 457هـ، بينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام، كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة... ينظر: الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج 1، ص 339.

3- الزركشي، المصدر السابق، ص 89.

3- هو الفقيه القاضي الأعدل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المقرئ، من العلماء الأعلام وقضاة العدل والدين والجزالة، مدرس، ولي قضاء الجماعة بفاس فحمدت سيرته، ومات بها سنة ست وخمسين، ينظر: ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ج 1، ص 121.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 60.

6- أبو الأحنان محمد بن الهادي، الإمام أبو عبد الله محمد المقرئ التلمساني، ط 1، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1988م، ص 79.

7- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 120.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

لقد استطاع أبو عنان فارس استغلال الفرص التي لاحت له حيث كان الحظ إلى جانبه، إذ أدرك أنه لا يمكن التراجع فلما تم له الأمر في تلمسان ارتحل إلى فاس¹، ووضع الحواجز أمام أبيه لإضعافه قوته تمهيدا للقضاء المبرم عليه، من ذلك سماحه للزيانيين باستعادة سلطاتهم وحالوا بين وصول أبي الحسن إلى تلمسان ودخلوا معه في معارك أنهكت قواه، ثم أجهز عليه ابنه أبو عنان². لما فرغ السلطان أبو عنان فارس من توطيد سلطانه نهج منهج أبيه في استقطاب العلماء³ واحتوائهم، في مجلس علمي على شاكلة المجلس الذي شكله أبوه، ويبدو أن طموحه كان كبيرا إلى درجة إعادة بعث المشروع المريني الوحدوي، حيث تلقب بأمر المؤمنين المتوكل على الله وسعى إلى مواصلة ما بدأه أبوه، فقد أبدى هممة عالية واستشرفا لما ستؤول له الأوضاع إذا لم يعد التناسق والانسجام للمنطقة، والظاهر أنه حاول استعادة العلماء الذين بقوا من مجلس والده، وكذلك جلب إليه علماء بوزنهم ازدان بهم مجلسه وهم كما يلي:

* أبو عبد الله محمد المقرئ الجدد (759هـ): تمت الإشارة إلى ترجمته ومكانته على المستوى

الاجتماعي، لذلك ندبه السلطان أبو عنان لكتابة نص البيعة- كما ذكرنا- وقراءته على الناس، ثم "... ارتحل مع السلطان إلى فاس؛ فلما ملكها، عزل قاضيها الشيخ المعمر أبا عبد الله بن عبد الرزاق، وولاه مكانه، فلم يزل قاضيا بها..."⁴، وضمه إلى مجلسه العلمي بفاس⁵ إضافة إلى تقليده منصب القضاء وبني له المدرسة المتوكلية⁶، وبقي قاضيا للجماعة سبع سنين حتى عزله السلطان أبو عنان في آخر سنة 756هـ⁷، ثم ندبه للسفارة للسفارة بينه وبين صاحب غرناطة ولكن المقرئ لم يشأ العودة إلى فاس، فجد السلطان أبو عنان في طلبه حتى عاد إلى فاس بوساطة ملك غرناطة⁸، واستقر بها ممنوعا من المناصب والنفقة وحدثت له محنة من السلطان، ثم عفا عفا عنه وولاه قضاء العسكر في حملته على قسنطينة⁹ سنة 758/1356م، فلما فتحت عاد إلى فاس وبها توفي في سنة 759هـ¹⁰.

- 1- ابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص242، ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج7، صص368-370.
- 2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، صص378-380.
- 3- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص175، خطيف صابرة، المرجع السابق، ص119، سكاكو مريم، المرجع السابق، ص67.
- 4- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص60.
- 5- المقرئ، نفح الطيب...، المصدر السابق، ج5، ص264.
- 6- المقرئ، أزهار الرياض...، المصدر السابق، ج1، ص05.
- 7- أبو الأصفان محمد بن الهادي، المرجع السابق، ص80.
- 8- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 9- المصدر نفسه، ص61، خطيف صابرة، المرجع السابق، ص120.
- 10- المصدر نفسه، ص62.

الفصل الثاني: - العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

*أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني (ت 771هـ): هو الإمام العالم الفذ، فارس المعقول والنقول، وصاحب الفروع والأصول¹، وبلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر وفصاحة اللسان عند الإلقاء، وواحد عصره²، لذلك استخلصه السلطان أبو عنان لمجلسه العلمي وأخذ معه إلى فاس سنة 756/1355م³، ثم ساءت العلاقة بينهما لأسباب ولكن السلطان أرجعه إلى مجلسه العلمي بعد دخوله قسنطينة 758هـ-1356م⁴.

*أبو الحسن علي بن عبد النور (ت): هو الفقيه أبو الحسن علي بن عبد النور من أهل العلم والفضل والسخاء⁵، تولى قضاء تلمسان عندما أنابه أخوه محمد نظراً لمرافقته السلطان أبا الحسن المريني إلى إفريقية⁶، استخلصه السلطان أبو عنان وأخذ معه إلى فاس وولاه قضاء مكناسة⁷.

*أبو الحسن علي بن أحمد بن الفحام: هو الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام أعرف أهل زمانه بفنون التعاليم⁸، استدعاه السلطان أبو عنان حيث صنع له الساعة المائية المقابلة للباب الشمالي للمدرسة العنانية سنة 758/1357م، فأعجب بها أبو عنان وبالغ في إكرامه ورفع قدره⁹.

*أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي (ت 786هـ): هو الكاتب القاضي أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي من أهل الأندلس وبالتحديد من برجة التي نشأ بها وأتم تحصيله العلمي فيها حيث برز في النظم والنثر، ولما خلع أبو عنان والده السلطان واستبد بالأمر استكتبه وحمله معه إلى المغرب¹⁰.

*أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق (ت 759هـ): شيخ وقته جلالته، وتربية وعلمًا وخبرة بأهل بلده، صاحب قدر رفيع فيهم، نشأ بفاس، ونهل من مشيختها، ثم رحل إلى تونس، وأخذ عن القاضي أبي إسحاق بن عبد الرفيق¹¹ والقاضي أبي عبد الله النفزاوي، وأهل طبقتهم من العلماء الأجلاء، ثم عاد إلى المغرب، حيث

1- المصدر نفسه.

2- ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص120.

3- التنبكي أحمد بابا، المصدر السابق، ص432، ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص63.

4- المصدران نفسهما، الصفحتان نفسهما.

5- ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص122.

6- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص267.

7- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص46.

8- ابن خلدون يحيى، المصدر نفسه، ص119.

9- سكاكو مريم، المرجع السابق، ص69.

10- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص64-65.

11- المصدر نفسه، ص65.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

ولاه السلطان أبو الحسن قضاء فاس، إلى غاية مقدم السلطان أبي عنان بعد خلعه لأبيه فعزله وأسكنه بيته. ولم أسس السلطان أبو عنان مجلسه العلمي استدعاه وضمه إليه، فكان يأخذ عنه الحديث، ويقرا عليه القرآن بروياته في مجلس خاص إلى أن هلك رحمه الله، بين يدي السلطان أبي عنان¹.

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر التميمي التلمساني (ت 756هـ): الفقيه الرئيس الوزير الحاجب أبو عبد الله محمد ذو الهمة السنية والرياسة السرية، تولى الحجابة للسلطان أبي عنان سالكا مذاهب الفضلاء الأجداد قي الوظيفة التي أوكلت له، توفي أميرا ببجاية سنة ست وخمسين وسبعمائة، ودفن بتلمسان².
ومن العلماء الذين انضموا إلى مجلس السلطان أبي عنان الآبلي وابن مرزوق الخطيب، فرقع قدرهما وأشاد بمكانتهما وقدمهما في مجلسه³.

هذه نماذج عن العلماء الذين ذكروهم المصادر بحيث استطاع السلطان أبو عنان أن يستقطبهم إليه وينظمهم في مجلسه، وغيرهم كثير لم تفصح عنهم المصادر⁴، ولعل هذا الحشد الهائل من العلماء مرده إلى كثرة مراكز العلم العلم وحواضره واتصال سند التعليم والرحلة العلمية، وانعدام الحدود بين الدول، لذلك جعلهم المرينيون ركيزة يرتكزون عليها في سبيل توحيد المغرب الإسلامي من جديد، مما يجعل المنطقة تضطلع بدور ريادي في سبيل استعادة الأندلس؛ لهذا نجح المشروع المريني نجاحا مؤقتا ارتبط بقوة الدولة المرينية وطموح سلاطينها، فلما انتفى هذين الأمرين بوفاة السلطان أبي عنان، وئد المشروع الوحدوي إلى الأبد ولم يجد من يعطيه النفس لمواصلة ما بدأه السلطانين أبو الحسن وأبو عنان، وإفشال المشروع المريني لكن المحاولتين التين ذكرناهما كانتا محاولتين جريئتين لولا الظروف التي حالت دون النجاح النهائي، وعلى ضوء ذلك كان حضور العلماء حاسما في مدى صيرورة المشروع ونجاحه وسعوا إلى دعمه وتوجيهه، فقد كانوا أكثر إدراكا لمدى خطورة التمزق والتشرذم والاختلاف بين المسلمين، خصوصا أمام وجود عدو متربص بالأندلس يسعى حثيثا للقضاء على الإسلام بها وطرده المسلمين تمهيدا لاحتلال بلاد المغرب، فبذلوا وسعهم كما فعلوا مع الجهاد وشاركوا في معاركه واستشهدوا، ورأينا أن كثيرا منهم هلك في الطاعون الجارف الذي عم المنطقة، وأيضا غرق أكثرهم في البحر لما

1- المصدر نفسه، ص 66.

2- ابن خلدون يجي، المصدر السابق، ج 1، ص 132.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف... المصدر السابق، ص 37-38-52.

2- يقول عبد الرحمان ابن خلدون: "... إلى آخرين، وآخرين، من أهل المغرب والأندلس، كلهم لقيت وذكرت وأفدت منه، وأجازني بالإجازة العامة...". ينظر: المصدر نفسه، ص 66.

الفصل الثاني:- العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية

غرق الأسطول المريني، كل ذلك من أجل تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة مضحين بأنفسهم وبأعلى ما يملكون في سبيل هذه الغاية العظيمة.

الفصل الثالث:

منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

-تمهيد .

1-العلماء ومشاركتهم في وظائف الدولة.

1-1-الوظائف الدينية.

أ-إمامة الصلاة والخطباء.

ب-الفتيا.

ج-القضاء.

د-الحسبة.

1-2-الوظائف السلطانية.

أ-السفارة.

ب-الكتابة.

ج-المظالم.

2-مجالات مشاركة العلماء في الحياة السياسية من خلال النصح والوعظ.

1-2-نصح العلماء لسلاطين بني مرين.

2-2-وعظ العلماء لسلاطين بني مرين.

3-موقف العلماء من أساليب تداول السلطة.

1-3-طبيعة السلطة المرينية.

2-3-ولاية العهد.

3-3-اهتمام العلماء بأمر سلاطين بني مرين.

غصت مجالس سلاطين بني مرين بالعلماء والفقهاء والمحدثين واللغويين والأدباء الذين احتلوا مكانة سامقة في المجتمع المغربي، لذا كانت السلطة المرينية تؤمن إيمانا جازما بأنه "... باتفاق العلماء وأصحاب السلطان وتعاونهم في الخير يصلح أمر البلاد والعباد، فالعلماء ورثوا من مقام النبوة العلم، وأهل السلطان ورثوا من مقام النبوة القوة..."¹، انطلاقا من الأدوار الطلائعية التي بذلها العلماء في تأسيس الدولة المرينية ومشاركتهم في الحركة الجهادية بالأندلس، وأيضا في إعادة توحيد بلاد المغرب الإسلامي، لذلك سعت الدولة المرينية للاستفادة من خدمات هؤلاء العلماء وإشراكهم في خططها ووظائفها، بحكم ما يملكون من علم وافر يمكنهم من تولى بعض الوظائف الحساسة في الدولة التي لا يحسنها سواهم. فلا غرو أن العلماء اتخذوا عدة أساليب للمشاركة في الحياة السياسية في العصر المريني، لعدة اعتبارات ترجع لشخصية كل عالم وللظروف التي عاشها²، لذلك تباينت مواقف العلماء ولكن بدون شك تفاعلوا كغيرهم من شرائح وفئات المجتمع المغربي مع السلطة وسعوا لوضع بصمتهم على الحياة السياسية وتوجيه السلطة لما فيه صالح البلاد والعباد وتحقيق الأمن والاستقرار وإشاعة العدل، فاتخذوا أسلوب النصح والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باعتباره الأسلوب الأنجح والكفيل بتحقيق هذا الأمر وقد اختلفت هذه المواعظ والنصائح بين اللين والشدّة، الضعف والقوة، القسوة، بين التقرّيع والتودد نظرا للمنهج الذي سلكه كل عالم، وتبعاً لما يستلزم الحال من مقال³، كما أن العلماء في السياق ذاته كانت لهم مواقف متباينة من أساليب تداول السلطة بين أفراد البيت المريني وحجم الصراعات التي عرفها منذ دور التأسيس إلى دور القوة والعظمة وانتقال الحكم من النمط الأفقي (من الأخ إلى الأخ) إلى النمط العمودي (من الأب إلى الابن) ومدى تأثير هذا الصراع على تطور الحياة السياسية وباقي المجالات الأخرى. وعليه يمكن تقسيم منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية في العصر المريني إلى ثلاثة مواقف هي:

—موقف الإنزواء والعزلة: إن عدد من العلماء رفض المشاركة في الحياة السياسية واعتزلها وآثر الحياد الإيجابي والابتعاد عن أبواب السلاطين⁴، ولعل الكثير من هؤلاء فعل ذلك "ورعا ورغبة في التفرغ للعلم والتأليف والتدريس"⁵، ومع ذلك هناك من ولي قسرا وظيفه من الوظائف، ولكن سرعان ما يعود إلى جو العلم

1- البدنة خلود، الأسر العلمية في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (648هـ-923هـ/1250م-1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 1425هـ، ص148.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص177.

3- المرجع نفسه، ص178.

4- ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص185.

5- نايف خالد إسماعيل، الفقهاء والخلفاء، مجلة الحكمة، العدد 08، صفر 1420هـ، بريطانيا، ص405.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

والتدريس¹، بالإضافة رفض البعض منهم المشاركة لعدم امتلاكه الإمكانيات التي تؤهله للعمل السياسي والتأثير فيه²، ولكن الظاهر أن الخوف من بطش السلاطين وظلمهم كان أكبر سبب في رفض هؤلاء العلماء³.

*موقف المعارضة: في الوقت نفسه انتهج فريق آخر من العلماء موقف المعارض للسلاطين وأعوأهم، وقد تميز هذا الموقف بالطابع السلمي الإيجابي، بمعنى أن هؤلاء العلماء كانوا يعارضون متى لمسوا اعوجاجا وانحرافا وخطرا يحدق بمصالح المجتمع وقد يدفعهم الأمر إلى الثورة أحيانا⁴.

*موقف المشاركة: أما الصنف الثالث من العلماء فقد أيقن أنه ينبغي المشاركة في وظائف الدولة والتعامل مع السلطة الحاكمة على أساس الأمر الواقع، حيث عدوا السلاطين أولياء أمور المسلمين الذين تجب طاعتهم، ولا يجوز الخروج عليهم حفاظا على المصلحة العامة، ودرءا لمفسدة بقاء الأمة بدون سلطان فيختل أمرها وتذهب ريحها وتجتالها الشياطين وتتداعى عليها الأعداء⁵، معتمدين في ذلك على فتوى الإمام مالك رحمه الله إذ يقول الونشريسي: "سئل مالك عن بيعة ابن الزبير، فقال: ما كنت أرضاه، وابن الزبير أحق عندي من عبد الملك، وابن عمر أحق من ابن الزبير..."⁶، نستشف من هذه المسألة أن الإمام مالك رحمه الله آثر التعامل مع الأمر الواقع وظروف ذلك العصر التي لا يعرف قدرها إلا الذين عاصروها، فالعالم شأنه في ذلك شأن الطبيب يعمل على تشخيص الداء ويبحث عن الدواء ويبحث في الوقت ذاته عن الدواء ويسعى لتحقيق المصلحة العليا للإسلام⁷، وقد أصل الإمام المقري لهذه المسألة حيث يقول في القاعدة الثانية والثمانون بعد المئة في كتابه القواعد: "...يجب ضبط المصالح العامة، ولا تنضبط إلا بتعظيم الأئمة في نفوس الرعية، ومتى اختلف عليهم أو أهينوا تعذرت المصلحة... فمن ثم أوجبنا تقديمهم في الصلاة حتى على صاحب المنزل، وولي الميت، لأن تأخيرهم يخل بأبنتهم..."⁸، وكذلك القاعدة الحادية بعد المتين "...عناية الشرع بدرء المفسد أشد من عنايته

1- ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص185.

2- نايف خالد إسماعيل، المرجع السابق، ص405.

3- ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص188.

4- المرجع نفسه، ص190.

5- المرجع نفسه، ص196.

6- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد الحجي، ج10، ط1، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1401هـ/1981م، ص06.

7- ولد خصال سليمان، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

8- المقري أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، القواعد، بتحقيق ودراسة أحمد بن عبد الله بن حميد، ج2، مكة المكرمة، مركز إحياء التراث الإسلامي، ص492.

بجلب المصالح، فإن لم يظهر رجحان الجلب قدم الدرء...¹، إن العلماء شاركوا في الحياة السياسية في العصر المريني حتى يكون لهم تأثير وقدرة على التغيير، لأن غرضهم من ذلك هو تحقيق مصالح المسلمين، حتى ولو تعرضوا للأذى والحن بل إنهم قدموا للسلطين أكثر مما أخذوه منهم²، فقد أدركوا أن حاجة السلطين إليهم أكثر من حاجتهم إليهم³.

1- العلماء ومشاركتهم في وظائف الدولة: لما كان للعلماء والفقهاء مكانة في المجتمع وشأن بين العامة عظيم

تنقاد لهم وتستجيب لأقوالهم، فقد مثلوا حلقة الوصل بين الحكام وجمهور الأمة، فهم مناط الاستقرار في الدولة، ومحل تقدير من كلا الطرفين⁴، وعلى ضوء ذلك فإن السلطة الحاكمة بدون العلماء والفقهاء لا يمكن أن تقوم وتستمر وتستقر، وهذا الأمر كانت السلطة تعيه جيدا، ولكنها لم تشأ الإفصاح عنه خوفا من التبعيات التي تنجر عن ذلك⁵، فلا غرو أنهم أدركوا وزن هذه الفئة لذلك اختاروا منهم الوزراء والحجاب والقضاة والكتاب والفتين والخطباء والأئمة والمختسين والموثقين وأمناء الأسواق والناظرين على الأوقاف وأموال الأيتام⁶، بحيث يصبح العلماء أقرب إلى السلطين ويستطيعون من مواقعهم التأثير عليهم وردهم إلى الحق إذا زاغوا عنه وإلا حدث ما ذكره الونشريسي حيث يقول: "...فساد الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب الجاه والمال..."⁷، فمتى تخلى العلماء عن علمهم وورعهم استولى عليهم حب الدنيا فتفسد الرعية والسلطة بفسادهم، وعليه سنحاول من خلال هذا المبحث تتبع مشاركة العلماء في مختلف وظائف الدولة وحجم هذه المشاركة، وماهي الوظائف التي أقبل عليها بكثرة، وأسباب هذا الإقبال، وبالمقابل أسباب عزوف الكثير منهم عن بعض الوظائف الأخرى.

لقد قسم ابن خلدون وظائف الدولة إلى قسمين: الوظائف الدينية والوظائف السلطانية⁸.

1- المصدر السابق، ص443.

2- ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص196.

3- ابن الشماخ، المصدر السابق، ص82.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص321.

5- ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص198.

6- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص492.

7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المصدر السابق، ص203.

1-1- الوظائف الدينية: توجه أكثر العلماء لتولي الوظائف الدينية لتناسبها مع مؤهلاتهم العلمية، إذ لا يصلح لمثل هذه المهام إلا من كان فقيها لغويا¹، وهذه الوظائف يعرفها ابن خلدون بقوله: "...فاعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة، فكأنها الإمام الأكبر والأصل الجامع، وهذه كلها متفرعة عنها وداخله فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر أحوال الملة الدينية والدنيوية، وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم..."²، إذن عدد لنا ابن خلدون خمسة خطط دينية هي الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة، فلاحظ أن الترابط بين هذه الخطط واضح لذا يمكن للفقهاء أن يتولوا كلها أو بعضها دون أن يؤثر عليه ذلك ولعل هذا هو السر وراء إقبال العلماء عليها دون غيرها من الخطط السلطانية.

أ- إمامة الصلاة والخطباء: هي أرفع هذه الخطط كلها وأرفع من الملك بخصوصه المدرج معها تحت الخلافة³، كما تعد من الوظائف الهامة في المسجد وتليها الخطابة⁴، ولعل الأهمية التي حظيت بها الإمامة كونها تتعلق بالركن الثاني من أركان الإسلام، مما أعطى للقائم بها مكانة كبيرة فهو يمثل القائد الروحي لجماعة المؤمنين في أداء صلواتهم⁵، وقد قسم الماوردي إمامة الصلاة إلى ثلاثة أقسام هي:

- الإمامة في الصلوات الخمس - الإمامة في صلاة الجمعة - الإمامة في صلوات الندب (العیدین، الخسوف، الكسوف، الاستسقاء)⁶، وعليه أخذت السلطة على عاتقها تقليد أئمة للصلوات الخمس ابتداءً، إذ نصب الإمام معتبر بحال المساجد من حيث كثرتها وانقسامها إلى مساجد سلطانية ومساجد عامة، فاختمت السلطة بالمساجد السلطانية التي هي المساجد والجوامع والمشاهد، وتعرف كثرة من الناس وإقبال المصلين بأعداد كبيرة فأصبح لزاماً على السلطة أن تنتدب إماماً للصلوات، حتى لا تعمل الرعية بدون أمره⁷.

1- ولد حسال سليمان، المرجع السابق، ص 199.

2- المصدر السابق، ص 203.

3- نفسه، الصفحة نفسها، ابن الأزرقي، المصدر السابق، ج 1، ص 208.

4- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 148.

5- البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة، ج 1، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2002م، ص 249، خطيف صابرة، المرجع نفسه، ص 149.

6- الماوردي، المصدر السابق، ص 160.

7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

ولهذا تم وضع شروط ينبغي توفرها في تقلد إمامة المساجد السلطانية هي:- الإسلام-العقل-البلوغ-
الذكورية-العدالة-الفقه-حفظ القرآن الكريم-سلامة اللسان من النقص واللثغ-القدرة على توفية
الأركان¹، بالإضافة إلى هذه الشروط يستحب أيضا: العلم، والورع، والحسب، والسن، وحسن الخلق
والخلق، والسمت، والصوت، والثياب، وكل صفة محمودة²، أما الشروط المكروهة فهي: العبد، وولد الزنى، الخصي
والخنثى، الأغلف، الأعمى، الأشل، الأقطع³، وزيادة على هذه الشروط ينبغي على الإمام أن يعلم كتب الفروع
ويتفقه في المسائل، ويعرف كتب الحديث كالموطأ والبخاري والصحاح⁴. وفي السياق ذاته قد يقلد للمسجد
الواحد أكثر من إمام للصلوات الخمس، فينتدب له إمامين يتعاقبان على الصلوات الخمس بالنهار والليل، أو يوما
يوما⁵، أما صلاة الجمعة فيقلد لها إمام خاص، وليس لهذا الأخير أو لإمام الصلوات إقامة صلوات الندب إلا إذا
قلد جميع الصلوات⁶، كما ترجع تولية الإمام بشكل عام إلى القاضي⁷، ولكن الأكيد في كل هذا أن الإمامة
بالسلطان إذا اقترنت مع وظائف سامية أخرى فترجع إلى نظر السلطان ذاته⁸. والظاهر أن التداخل بين وظيفتي
إمامة الصلوات والخطابة لذلك المصادر التي ذكرت العلماء الذين تولوا هاتين الوظيفتين جمعت بينهما حيث أن
بعض الخطباء تولوا إمامة الصلوات والعكس صحيح، ومع ذلك لم تسعنا كتب التراجم في رصد هؤلاء الأئمة
والخطباء، فقد جاءت شذرات مقتضبة أشارت إليهم وهم كالتالي:

-الفقيه محمد بن أبي الصبر أيوب بن ينكول الجاناتي اليفسحي: فخطب بعد ذلك الشيخ الفقيه محمد بن أبي
الصبر أيوب بن ينكول الجاناتي اليفسحي من بني سدرا وأضيف له الإمامة، كل ذلك بأمر مولانا أمير المسلمين
أبي يعقوب سنة تسع وثمانين وستمئة، إلى أن توفي في تاسع ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وستمئة⁹.

1- ابن جزري محمد بن أحمد الغرناطي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية تحقيق عبد
الكريم الفضيلي، ط1، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، 1433هـ/2012م، ص90، الماوردي، المصدر السابق، ص162، ابن الأزرق، المصدر
السابق، ج1، ص209.

2- ابن جزري، المصدر السابق، ص90.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص239.

5- الماوردي، المصدر السابق، ص161.

6- المصدر نفسه، ص167، خطيف صابرة، المرجع السابق، ص151.

7- الونشريسي، المصدر نفسه، ج1، ص135-136، البرزلي، المصدر السابق، ج1، ص303.

8- خطيف صابرة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

9- الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1411هـ/1991، ص61.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

- *الفقيه يحيى بن عبد الرحمان المزدغي: فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح يحيى بن عبد الرحمان بن محمد بن يوسف بن عمران بن الفتوح المزدغي، في يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وستمئة¹، وأضيفت له الإمامة إلى أن توفي في الخامس والعشرين شوال سنة ست وعشرين وسبعمئة.
- الفقيه أحمد بن راشد العمراني: وتقدم للإمامة الفقيه المحدث الأصولي أحمد بن راشد العمراني عن أمر مولانا أمير المسلمين أبي يعقوب رحمه الله في موفى عشرين من جمادى المذكورة، وأقام إماما ثلاثة أعوام².
- الفقيه أبو الفضل محمد بن يحيى المزدغي: خطب بعد والده يحيى، وهو الفقيه المحدث أبو الفضل محمد، وكان حسن السميت قليل الضحك، مولعا بقضاء حاجات الناس من عرف ومن لم يعرف، تارة بنفسه، وتارة بماله، وتارة برسالته، مؤثرا جوادا حتى أنه لا يرد من قصده شاعرا كان أو غيره³.
- الفقيه عبد الله بن محمد الجنياري الحمدي: فخطب من بعده الشيخ الصالح الورع الخاشع التالي لكتاب الله تعالى عبد الله بن محمد الجنياري الحمدي، وكان رحمه الله كثير الصوم وصدقة السر، وقدمه لذلك مولانا أمير المسلمين أبو الحسن رحمه الله إلى أن توفي يوم الخميس سادس وعشرين جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمئة⁴.
- الفقيه يوسف بن عمر الأنفاسي: فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح العالم الخاشع الورع الزاهد يوسف بن عمر الأنفاسي بتقدم مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله بعد الاستخارة في ذلك والنظر الأصلح للمسلمين،... وأقام خطيبا إلى أن اعتل وظهر عجزه عن الخطبة⁵.
- الفقيه عبد الله بن الخطيب: فخطب بعد عجزه الفقيه العدل الصالح عبد الله ابن الخطيب الصالح الورع الخير عبد الواحد ابن الخطيب الأشهر محمد بن أبي الصبر بتعيين مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله لذلك في يوم عجز من ذكر، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وسبعمئة⁶.
- الفقيه سليمان بن يوسف: هو سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي، تقدم نائبا عن أبيه في الإمامة، واستمر على ذلك إلى أن توفي والده في يوم الأحد الثالث عشر لشعبان سنة إحدى وستين وسبعمئة، واستقل ولد سليمان بالإمامة وظهر منه خير واستقامة، ثم تأخر من تلقاء نفسه نفع الله به لأمر ظهر له في ذلك¹.

1-المصدر السابق، ص61.

2-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3-المصدر نفسه، ص61-62.

4-المصدر نفسه، ص63.

5-المصدر نفسه، ص63-64.

6-المصدر نفسه، ص64.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

-الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى بكر التسولي التازي: قلده السلطان أبو الحسن المريني قضاء الحضرة بمدينة فاس، ثم ولاه إمامة الصلاة عندما سافر أبو عبد الله السطي إلى تونس بغرض الخطبة، توفي في سنة إحدى وخمسين بفاس، كان أجمل الفقهاء محاضرة وأجمعهم مشاركة وأحسنهم في حسن المعاملة طريقة، مقبول القول، معظما عند الخاصة والعامة، أحفظ الناس بتاريخ².

-الفقيه أبو عبد الله محمد بن ولي الله الجزولي: الفقيه الإمام القاضي الخطيب أبو عبد الله محمد بن ولي الله أبي الحسن علي بن عبد الرزاق الجزولي، نادرة وقته، ووحيد عصره، أحسن الناس خلقا وخلقا، وأفضلهم طبعًا، وأجملهم ملاقة ومحاضرة، وأنفعهم لمن والاه. كان قاضي حضرة مولانا أبي سعيد وخطيبها، ثم أقره أبو الحسن على القضاء والخطابة، كما لازمه في سفره لما عاد إلى فاس راجعا من تلمسان، فقلده قضاء الجماعة بها والخطابة في جامع المدينة البيضاء، توفي في حدود سنة خمس وخمسين³.

-الفقيه أبو العباس الزواوي: هو الأستاذ العلامة المشارك أبو العباس الزواوي الذي لم ير في عصره أطيب منه نعمة ولا أحسن صوتا ولا أنداء، كان آية من آيات الله عز وجل، تقدم إماما في غيبة الفقيه أبي عبد الله السطي، وكان القائم بالمزيد على التراويح المعهودة في رمضان⁴.

-الفقيه ابن رضوان المالقي: هو كاتب السلطان أبي الحسن كما تولى الخطابة وإمامة الصلاة حيث كان كثيرا ما يصلي بالسلطان⁵.

-الفقيه محمد بن مرزوق الخطيب: تولى بعد وفاة عمه أبي العباس الذي كان خطيب مسجد العباد، فولاه السلطان خطابة المسجد مكان عمه⁶، وقد وصفه يحيى ابن خلدون بأنه خطيب مصقع ذو وجهة عند السلاطين⁷.

هذا ما تم رصده من أئمة وخطباء المساجد الذي تم توليتهم من قبل سلاطين بني مرين، وعلى ضوء ذلك اهتم المرينيون أكثر بإقامة صلاة الجمعة وأحيانا يتولى إمام الصلوات الخمس إمامة صلاة الجمعة ويلقي

1-المصدر نفسه.

2-ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص262.

3-المصدر نفسه، ص262-263.

4-المصدر نفسه، ص269.

5-ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص23.

6-التبكي، المصدر السابق، ص451، ابن مرزوق محمد، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، ج2، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429هـ/2008م، ص304.

7-المصدر السابق، ج1، ص115.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

الخطبة، وأحيانا أخرى يتندب خطيب يختص فقط بصلاة الجمعة، وكان اختيار الخطيب وفق معايير خاصة لأن الجميع يحكم عليه، بخلاف المفتي والقاضي اللذين يتوليان وظيفة سياسية ودينية¹، ولهذا على الخطيب أن يكون لديه الاستعداد الفطري بالإضافة إلى الفصاحة والشجاعة الأدبية، وأيضاً المراس وحسن الأخلاق والهيئة². لقد كانت الخطابة من الخطط الهامة في الدولة المرينية لأنها من شارات الملك والسلطنة- كما ذكرنا- وعليه تم تولية أشهر الخطباء وأفصحهم لسانا وبيانا وتأثيراً، لا شيء إلا لإرتباطها بالجهاز السياسي للدولة وبالقضاء على الخصوص³، لذا كانت البلاغات والأوامر الرسمية تقرأ عند إقامة صلاة الجمعة، أما خطبة الجمعة فتبدأ كالعادة بالصلاة على النبي الكريم والتسليم على خلفائه الأقرين والدعاء للسلطان صاحب البيعة⁴، على أية حال فخطبة الجمعة فرض عين كما تحتوي على مواضيع يكون مضمونها تارة أخلاقياً، وتارة أخرى تتمحور حول الأحداث اليومية التي يعيشها المجتمع مع التأكيد على الدعاء للسلطان مما يعطيها بعداً سياسياً في أغلب الأحيان⁵.

المهم أن خطة إمامة الصلوات والخطابة كان لها وزن كبير ضمن خطط الدولة المرينية، لذا أولاهها سلاطينها اهتماماً كبيراً فانتدبوا لها أحسن الأئمة والخطباء ذوو الباع الطويل والخبرة الكبيرة، وبدورهم العلماء أقبلوا على هاته الخطة بحكم تخصصهم الشرعي واللغوي مما قربهم من السلطة والمجتمع أكثر.

ب-الفتيا: الفتوى هي إخبار عن حكم شرعي بدون إلزام⁶، أي بلا تطبيق للحكم عند إصداره، وخطة الفتيا من أشرف الخطط الدينية وأرفعها، حيث أن متوليها يكون بمقام النبي صلى الله عليه وسلم⁷، ويتصدر لتبليغ أحكام الله تعالى باعتبار أن "...نظر المفتي أعم من نظر القاضي..."⁸، لذلك أصبح لزام على السلطان اختيار المفتين من أهل العلم والتدريس والذين هم أهل لهذا المنصب الخطير ورعايتهم والإحسان إليهم⁹؛

1-سكاكو مريم، المرجع السابق، ص78.

2-المرجع نفسه، الصفحة نفسها، خطيف صابرة، المرجع السابق، ص158-159.

3-خطيف صابرة، المرجع نفسه، ص161.

4-روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نيقولا زيادة، ط1، بيروت، نيويورك، مؤسسة وكلين للطباعة والنشر، 1967م، ص:45.

5-خطيف صابرة، المرجع نفسه، ص156.

6-خطيف صابرة، المرجع السابق، ص164.

7-ابن الأزرق، المصدر السابق، ج1، ص211.

8-الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص104.

9-ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص204.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

هذا إضافة إلى أنه يجب على المفتي أن يكون له زاجر من نفسه يمنعه عن التصدي لما ليس له بأهل فيدل به المستهدي ويضل به المسترشد¹، فلا غرو أن مزاولة الفتيا بالمساجد السلطانية تكون بتقليد من السلطان ذاته²، وزيادة على ذلك لا ينبغي للعالم أن يفتي إلا إذا حصل على ترقية وإجازة من قبل العلماء، وهذا كاف لتصدره لمنصب الفتيا³، وانطلاقاً من ذلك يحتاج لمن يتولى هذه الخطة أن يكون على قدر كبير من العلم والتعمق في الفقه ونظر معتبر في آيات الأحكام وعلوم القرآن وعلوم الحديث والقياس⁴، كما ينقل أقوال إمام المذهب الذي يتمذهب به كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم، فينبغي أن يفتي بالمشهور الذي قاله إمامه في النازلة التي يفتي فيها⁵، ويشترط كذلك أن يكون "...مكلفاً مسلماً ثقة مأموناً مئزها عن أسباب الفسوق ومسقطات المروءة؛ لأن من لم يكن كذلك، فقلوه غير صالح للاعتماد، وإن كان من أهل الاجتهاد ويكون فقير النفس سليم الذهن رصين الفكر صحيح التصرف، والاستنباط متيقظاً..."⁶، هذا بالإضافة يجب على المفتي أن يجتمع فيه شروط الاجتهاد⁷ في المذهب المتبع، وقد عادت مكانة المذهب المالكي في العصر المريني ومعه فقهاؤه الذين بلغ بعضهم درجة الاجتهاد، ولكن في أغلب الأحيان تراجعت حركة الاجتهاد الفقهي في العالم الإسلامي- في عصر الدراسة- إلا بعض النماذج كما قلنا، وعليه فالعالم إذا لم يصل إلى درجة الاجتهاد جاز له أن يستفتي ويقلد إماماً، أما إن وصل درجة الاجتهاد، فلا يجوز له التقليد⁸، فمتى توفرت هذه الشروط جاز للشخص الإفتاء في مختلف القضايا والمسائل والنوازل التي يعرفها، المجتمع وتطراً عليه، إذ المستفتي يسعى للسؤال في مسألة ما ولا يعرف طرق الأحكام، فلماذا يجب عليه أن يستفتي من يعرف حاله في العلم والفقه والعدالة، ويجوز له أن يقلده⁹.

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- ابن الأزرق، المصدر نفسه، ص212.

3- البربرلي، المصدر السابق، ج4، ص55، الوئشريسي، المصدر نفسه، ج10، ص39، ابن الأزرق، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- سكاكو مريم، المرجع السابق، ص79.

5- ابن جزري، المصدر السابق، ص146.

6- ابن الأزرق، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

7- ابن جزري، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8- المصدر نفسه.

9- المصدر نفسه، ص146-147.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

أعطى سلاطين بني مرين أهمية كبرى لخطة الفتيا، فانتدبوا لها كبار الفقهاء المبرزين والمجتهدين في المذهب المالكي، الذين تصدوا لمعالجة مختلف المسائل والنوازل التي شهدتها المجتمع المغربي في عصر الدراسة، وعليه سيتم رصد عدد العلماء الذين تولوا منصب الإفتاء كآآي:

—الفقيه عبد الله بن موسى الفشتالي: الشيخ الشهير، الولي الصالح الكبير؛ أبو محمد عبد الله بن موسى الفشتالي من أهل الفقه والصلاح والكشف والولاية والنسك والدين والعناية¹، كانت له شعبية عالية في أوساط المجتمع الفاسي حيث تم تعيينه إماما لجامع القرويين امتثالا لرغبة أهل فاس وإلحاحهم، كما تولى الخطابة، وأسند له الإفتاء بالحضرة السلطانية باعتباره من أكبر فقهاءها ومقدميها وأعيانها ومكانته حيث كانت له اليد الطولى في تعيين خطيب جامع القرويين وإصراره على ذلك²، توفي في أواسط القرن السابع.

—الفقيه أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان، شهر بالقباب: هو الإمام الحافظ العلامة الصالح الزاهد، أحد محققي المتأخرين من الحفاظ المشهورين بالدين والصلاح والتقدم في العلوم، تولى الفتيا بفاس، وله فتاوى مشهورة مجموعة وقفت عليها، وهو أول من نقل الونشريسي عنه في المعيار³، توفي سنة تسع وسبعين وسبعمائة.

—الفقيه أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي: فمنهم شيخ الفتيا بالمغرب، وإمام مذهب مالك⁴، تولى منصب الفتيا في عهد السلطان أبو الحسن، وقد مرت مرت ترجمته فيما سبق.

—الفقيه أبو عبد الله الرندي: الفقيه الحافظ النحوي المفتي أبو عبد الله الرندي، أصل السلف، الفاسي المستقر، كان حافظا للمذهب، قائما به، إماما في العربية، مقدما في النظر، انتفع به خلائق، لازم إمامنا المرحوم قي وجهته بتلمسان إلى أن فتحت تلمسان، وبعد ذلك إلى أن توفي في سنة تسع وأربعين في وباء⁵.

—الفقيهان أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى ابني الإمام: سبقت الإشارة لهما عند حديثنا عن مجلس السلطان أبي الحسن المريني، وكانا من شيوخ الفتيا في تلمسان، وقد بلغا درجة الاجتهاد فألحقهما أبو الحسن المريني بمجلسه وأبقى لهما منصب الإفتاء بالإضافة للتدريس والمشورة.

—الفقيه أبو عبد الله محمد المقرئ: نظمه السلطان أبو عنان فارس في مجلسه وولاه القضاء وكان المقرئ معلوم القدر مشهور الذكر ممن وصل إلى الاجتهاد المذهبي ودرجة التخيير والترفيف بين الأقوال، وتبعه بعد موته من

1- الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحاذة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج2، ص52.

2- المصدر نفسه، ص53، بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص93.

3- التنبكي، المصدر السابق، ص102.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص19.

5- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص261.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى له النفع به يوم اللقاء وعوارفه معروفة عند الفقهاء، مشهورة بين الدهماء¹، ومن المؤكد أن المقري قد أسندت له وظيفة الإفتاء بحكم أنه قد بلغ مرتبة الاجتهاد الفقهي في المذهب المالكي.

—الفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني: كان أحد رجال الكمال علما وذاتا وخلقا وخلقا، عالما بعلوم حجة من المنقول والمعقول، بلغ رتبة الاجتهاد أو كاد، بل هو أحد العلماء الراسخين وآخر الأئمة المجتهدين².

—الفقيه أبو إسحاق التنسي: هو الذي انتهت إليه رياسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها، ترد عليه أسئلة من تلمسان وبلاد إفريقية كلها³.

لم تسعفنا المصادر التي اطلعنا عليها عن تحديد واضح لعدد العلماء الذين تولوا منصب الإفتاء ولعل السبب في ذلك هو التداخل بين خطة الفتيا وخطة القضاء ومدى التقاطع بينهما، لذا لا يمكن تحديد العدد النهائي للمفتين في عصر الدراسة لصعوبة الفصل بين القضاء والمفتين، ومرد ذلك لكثرة الفقهاء في هذه الفترة وإقبالهم كما قلنا على الوظائف الدينية، فرما يتولى فقيه واحد عددا من هذه الخطط فعندها يستحيل ضبط أعداد العلماء الذين تولوا هذه الخطط.

ج-القضاء: لم تنحصر مهمة العلماء والفقهاء على التعليم والتدريس والتأليف والتصنيف والفتوى، بل شاركوا في أحداث عصرهم وقضايا الناس وعلاقاتهم ومنازعاتهم وعقودهم، بل أضحي لزاما عليهم أن يعملوا على ربط واقع الناس بأحكام الشرع وذلك عن طريق إشاعة العدل بينهم بإغاثة المظلوم ورفع الضر عنه، والاقتصاص من الظالم، وإيصال الحقوق إلى أصحابها ومستحقيها، وفض المنازعات والخصومات والإصلاح بين الناس، ولا يتجسد ذلك إلا بتقلد منصب القضاء⁴. والقضاء لغة يعني الحكم⁵، أما اصطلاحا فهو إظهار ما هو ثابت⁶، وقد عرف ابن خلدون منصب القضاء بقوله: "...وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع..."⁷، أما أبو العباس

1-التبكي، المصدر السابق، ص420.

2-المصدر نفسه، ص431.

3-المصدر نفسه، ص38.

4-بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص342-343.

5-الجرجاني، المصدر السابق، ص124.

6-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

7-المقدمة، المصدر السابق، ص204.

- أحمد القلقشندي فيرى أن: "...القاضي هو عبارة عن يتولى فصل الأمور بين المتداعين في الأحكام الشرعية..."¹، ومنصب القضاء من أعظم الخطط الدينية قدرا وأهمها وأجلها خطرا²، لذلك اشترط الفقه الإسلامي شروطا ومعايير ينبغي أن تتوفر فيمن يتولى هذه الخطة، حيث وضع له دستورا يعمل به في قضاائه بين الناس، بحكم أن القضاء مسؤولية كبيرة فلا ينتدب له إلا من كان عدلا يأمن الجور والميل وقد عرف منه ذلك، ويكون ذا أفق واسع وذكاء وفطنة وفراسة بصيرا. بمسائل القضاء وأحكامه وله القدرة على التأمل في الدلائل والقرائن ومعرفة الحق³، لا لشيء إلا لأن القضاء منصب رفيع يأتي بعد الخلافة مباشرة فصاحبه يمثل الشرع وأحكام الدين⁴. إن منصبها هذا شأنه جعل القاضي يضطلع بمهام جسيمة تتمثل فيما يلي:
- 1- حسم النزاع وقطع التشاجر والتخاصم بالصلح والتراضي أو بأمر من القاضي وحكم شرعي يصدر عنه.
 - 2- إستيفاء الحقوق لمن طلبها، وتوصيلها إلى مستحقيها وأصحابها بعد ثبوت استحقاقهم لها من أحد وجهين: إقرار أو بينة⁵.
 - 3- إثبات الولاية وإلزامها على من كان ممنوع التصرف بجنون أو صغر والحجر عليه سفاهة أو إفلاس حفظا للأموال على مستحقيها، وتصحيحا لأحكام العقود فيها.
 - 4- النظر في الأوقاف والأحباس بحفظها وتنميتها، وصرفها في مواضعها وتفقد أحوالها وأحوال الناظرين فيها⁶.
 - 5- تنفيذ الوصايا على شروط الموصي فيما أباحه الشرع ولم يحظره.
 - 6- تزويج الأيامي بالأكفاء إذا عد من الأولياء ودعين إلى النكاح.
 - 7- إقامة الحدود على مستحقيها، فإن كان من حقوق الله تعالى تفرد باستيفائه من غير طالب إذا ثبت بإقرار أو بينة، وإن كان من حقوق الأداميين كان موقوفا على طلب مستحقه.
 - 8- النظر في مصالح عمله من الكف عن التعدي في الطرقات والأفنية، وإخراج ما لا يستحق من الأجنحة والأبنية، وله أن ينفرد بالنظر فيها وإن لم يحضره خصم.
 - 9- الإشراف على معاونيه الذين يساعدونه في مهام وظيفته، واختيار نوابه في حال انشغاله أو غيابه.

1- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1340هـ/1922، ص451.

2- ابن الأزرق، المصدر السابق، ج1، ص218.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص343.

4- العبادي أحمد مختار، تاريخ العصر الإسلامي الوسيط، ط1، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2013، ص95.

5- الماوردي، المصدر السابق، ص119.

6- المصدر نفسه، ص120.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

10-التسوية في الحكم بين القوي والضعيف والعدل في القضاء بين المشروف والشريف، ولا يتبع هواه في تقصير المحق أو مميالة مبطل¹.

وعلى ضوء ذلك تم تحديد شروط ينبغي أن تتوفر في القاضي وهي: *الإسلام*العدل*العقل*الحرية(أي ليس عبدا)*سلامة الحواس*غير أُمي*غير مستضعف*غير فقير*الذكورية²؛ ولا ينعقد مجلس القضاء إلا إذا توفرت فيه الأركان التالية:

1-القاضي وهو الذي يعلن الحكم.

2-المقضي به وهو الحكم الصادر.

3-المقضي فيه وهو القضية المتنازع حولها.

4-المقضي له وهو الطرف الذي يكون الحكم في صالحه.

5-المقضي عليه وهو الطرف الذي يكون الحكم ضده³.

لقد أعطى المرينيون أهمية كبيرة لمنصب القضاء لما له من دور في تحقيق العدالة واستقرار النظام الإداري للدولة،فهو صمام الأمن والأمان للرعية وموظفي الإدارة الأخرى⁴،ولذلك أضحي منصب القضاء يحتل مكانا سامقا في الدولة المرينية،كما كان زمن الموحدين،لذا حرص سلاطين بني مرين على تعيين القضاة بأنفسهم⁵،وفق هيكل تسلسلي يكفل صلاحيات القضاة وطبيعة الجهة التي تعينهم، وأنماط الانتقال من رتبة أعلى منها ولهذا فإن أول مناصب القضاء في الدولة المرينية هو منصب قاضي الجماعة الذي يعد رئيسا للقضاة في حاضرة الدولة⁶،ويقابلة قاضي القضاة في المشرق⁷،وبحكم ذلك فالمتقلد لهذا المنصب يمثل أعلى رتبة في سلم سلم القضاء مما جعل السلاطين يطلبون في مشورته في جميع الشؤون القضائية⁸،والأكثر من ذلك فإن قاضي الجماعة كانت لديه صلاحيات تعيين قضاة الأقاليم⁹ وأيضاً مراقبة صاحب الشرطة والمحتسب¹.

1-المصدر نفسه،ص121.

2-المصدر نفسه،ص110-112،العبادي،المرجع السابق،ص96.

3-فاروق عمر فوزي،المرجع السابق،ص286.

4-الحريري محمد عيسى،المرجع السابق،ص270.

5-المرجع نفسه،ص271.

6-خطيف صابرة،المرجع السابق،ص182.

7-النباهي،تاريخ قضاة الأندلس،ص21.

8-الحريري محمد عيسى،المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

9-النباهي،المصدر السابق،ص21.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

يلي قاضي الجماعة قضاة الأقاليم الذين يمارسون الفصل في الخصومات والنظر في أمور الزواج وتصفح الشهود والأمناء والنواب لتحصيل الوقوف²، وهؤلاء القضاة يعينهم السلطان بذاته³ أو ينتدب بعض الولاة الذين يلون الحواضر الكبرى لتعيينهم مثل مدينة سبتة التي كان لواليها صلاحيات تعيين قاض لها، ناهيك عن المكانة التي يحتلها هؤلاء الولاة⁴؛ وقد أوكلت لقضاة الأقاليم صلاحيات حمل الناس على الصلاة في أوقاتها ولزوم الجماعة واستعمال الشدة إذا اقتضى الأمر في تنفيذ الأمر ومعاينة كل مخالف على أداء الفريضة⁵، بالإضافة إلى قضاة العسكر (قضاة المحلة) الذين كان يعينهم السلطان بنفسه للفصل في القضايا الخاصة بالجند والجيوش⁶، وقاضي العسكر هو الذي يقوم بالفصل في قضايا الجند فضلا عن الفصل في قسمة غنائم البر والبحر⁷، والظاهر أن السمة الغالبة على أكثر قضاة الدولة المرينية شدة الصلاح والخوف من الله تعالى فيما يصدرونه من أحكام قضائية⁸، مما جعلهم يتشددون على أنفسهم ويتحسّن سلوكهم، كما كان للقاضي الحرية في استخدام الطرق التي يراها أكثر نجاعة للتعرف على المخالفين لأحكام الشرع⁹، وقد لحق بمنصب القضاء خطة العدالة التي "... هي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفه، وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم، تحملا عند الإشهاد وأداة عند التنازع، وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم..."¹⁰، ويسمى القائم بهذه الخطة عدلا وهو موظف قضائي يكلفه القاضي بمهمة صياغة الوثائق التي يطلبها المتقاضون لإثبات موقفهم في القضايا، والقاضي هو الذي يقرر صحة نص الوثائق من عدمها¹¹، كما يجب عليه تصفح أحوال هؤلاء العدول والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم¹²،

1- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، نضال مال الله مؤيد، المرجع السابق، ص75.

2- المرجع نفسه.

3- ابن مريم، البستان، ص155.

4- النباهي، المصدر نفسه، ص132-133.

5- نضال مال الله مؤيد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- الحريري، المرجع نفسه.

7- الماوردي، المصدر السابق، ص117، نضال مال الله مؤيد، المرجع نفسه.

8- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص271.

9- المرجع نفسه، ص272.

10- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص208.

11- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، ص273.

12- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

وبهذا يصبح أهلاً للتوثيق مما جعلهم موضع ثقة من سلاطين بني مرين، الذين انتدبهم لمهام سلطانية تتطلب الدقة¹.

وفي نفس السياق عمل سلاطين بني مرين على إكرام القضاة والإحسان إليهم وتلبية حاجاتهم، فأجروا المرتبات والأعطيات لهم بمقدار مثقال من الذهب في كل يوم، كما منح كل قاضي قطعة أرض يزرع بها ما يحتاجه لنفسه وعليق دوابه²، وقد حرص بعض القضاة أن يكون عطاؤه من بيت المال ورفضوا أن يأخذوه من أرباب الخصومات³، وانطلاقاً من ذلك سنقوم بعملية إحصائية للقضاة الذين أسندت لهم خطة القضاء بمختلف أسلاكه، وتتبعهم في المدن التي باشرها فيها مهامهم وذلك وفق الجدول التالي:

القضاة	المدن	مصادر الترجمة
الفقيه علي بن أحمد المعروف بابن القزاز.	قضاء الجماعة بفاس.	- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص: 298.
الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمران.	قضاء الجماعة بفاس.	- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص: 298، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 19، ابن أبي زرع، الذخيرة السنينة، ص: 86.
الفقيه أبو جعفر المزدغي.	قضاء الجماعة بفاس.	ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 19، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 298، الذخيرة السنينة، ص: 86، ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج 3، ص: 244-245.
الفقيه أبو الحسن بن القاضي	قضاء الجماعة بفاس.	ابن أبي زرع، الذخيرة السنينة، ص: 86.

1- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- القلقشندي أحمد، المصدر السابق، ج 5، ص 205.

3- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، ص 272.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

		أبي عبد الرحمان المغيلي.
ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 86، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 19.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه أبو الحسن بن أحمد المعروف بابن عذار.
ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 298، ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص: 19، ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص: 86.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه أبو أمية الدلائي.
ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص: 19، ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 86.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه يوسف بن الحكم البلنسي.
ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص: 19، ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج 3، ص: 244.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه أبو الحسن بن أبي عبد الرحمان المليلي.
ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص: 86، الأنيس المطرب، ص: 298.	قضاء مراکش.	الفقيه أبو عبد الله الشريف.
المصدرين نفسهما، والصفحتين نفسهما.	قضاء مراکش.	الفقيه أبو فارس العمراني.
ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 375، الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص: 50، ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 21، ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج 2، ص: 26.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر الجاناتي.
ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 21، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 375.	قضاء الجماعة بفاس القديمة.	الفقيه أبو حامد بن البقال.
المصدرين نفسهما، والصفحتين نفسهما، ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج 3، ص: 244.	قضاء الجماعة بفاس ومدينة المنصورة.	الفقيه علي بن أبي بكر بن عبد الرحمان بن أحمد المليلي.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

المصدرين نفسهما،الصفحتين نفسهما،ابن القاضي،المصدر نفسه،ص:148،المنوني محمد،ورقات،ص:73.	قضاء الدار البيضاء ومراكش، و ذكر المنوني أنه تولى قضاء العسكر.	الفقيه أبو عبد الله عبد الملك بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن موسى الفشتالي يكنى مروان.
المصدرين نفسهما،الصفحتين نفسهما،ابن القاضي،نفسه،ج2،ص:249،الجزنائي،جنى زهرة الآس،ص:32.	قضاء الجماعة بفاس وأزمور.	الفقيه محمد المغيلي.
المصدرين نفسهما،الصفحتين نفسهما،ابن القاضي،نفسه،ص:272.	قضاء الجماعة بفاس القديمة.	الفقيه أبو فارس العمراني.
ابن أبي زرع،الأنيس المطرب،ص:375.	قضاء الجماعة بمراكش.	الفقيه محمد السقطي.
الصفدي،الوافي بالوفيات،ج2،ص:141.	قضاء سلا.	الفقيه محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله الدراج الأنصاري التلمساني.
حركات إبراهيم،المغرب عبر التاريخ،ج2،ص:129،النباهي،تاريخ قضاة الأندلس،ص:40-41،الزركلي،الأعلام،ج4،ص:334،ابن خلدون عبد الرحمان،التعريف،ص:31.	قضاء تازة وقضاء الجماعة بفاس.	أبو الحسن علي بن محمد عبد الحق بن الحسن المعروف بالصغير.
حركات إبراهيم،المغرب عبر التاريخ،ج2،ص:101-102.	قضاء الجماعة بمراكش.	أبو العباس أحمد بن محمد الأزدي المراكشي المعروف بابن البنا المراكشي

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي.	قضاء مراكش.	النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص: 40-41، شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، ص: 97.
أبو علي الحسين بن عفيفي بن الحسين بن رشيق التغالبي.	قضاء سبتة.	شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، ص: 80.
أحمد بن محمد المالقي .	قضاء أغمات.	
محمد بن محمد اللخمي العزفي.	قضاء سبتة.	ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج2، ص: 108.
أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف.	تولى القضاء في بعض المدن المغربية.	
أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى الغافقي الإشبيلي.	قضاء سبتة.	النباهي، المصدر السابق، ص: 133.
أبو غالب المغيلي.	قضاء الجماعة بفاس.	ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 22، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 389.
الفقيه أبو عمران الزرهوني.	قضاء الجماعة بفاس.	ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص: 24، ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 396.
الفقيه محمد بن أبي الحسن بن أبي بكر المليبي.	قضاء الجماعة بفاس.	المصدرين نفسهما، الصفحتين نفسهما.
الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى بكر التسولي التازي.	قضاء الجماعة بفاس.	ابن مرزوق، المسند، ص: 262، ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص: 179.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص: 262، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص: 26.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه أبو عبد الله محمد بن ولي الله أبي الحسن علي بن عبد الرزاق الجزولي.
المصدر نفسه، ص: 267، ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف، ص: 46، ابن خلدون يحيى، بغية الرواد، ج 1، ص: 122.	قضاء تلمسان، قضاء مكناسة، قضاء العسكر، قضاء الحضرة.	الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور.
المصدر نفسه، ص: 267.	قضاء تلمسان.	الفقيه أبو العباس أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني.
المصدر نفسه، ص: 268.	قضاء طرابلس.	الفقيه أبو عبد الله الفشتالي.
المصدر نفسه، ص: 268.	قضاء سلا.	الفقيه أبو العباس أحمد بن الحفيد السلوي.
ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 26.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه عبد الله بن أحمد بن الملجوم الأزدي.
المصدر نفسه، ص: 29، ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف، ص: 29، التنبكي، نيل الابتهاج، ص: 420.	قضاء الجماعة بفاس.	أبو عبد الله محمد المقرئ.
ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص: 66.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق.
ابن الأحمر، المصدر نفسه، ص: 29.	قضاء الجماعة بفاس.	الفقيه محمد بن أحمد الفشتالي.
المصدر نفسه، ص: 29.	قضاء الجماعة بفاس.	عبد الله بن محمد الأوربي.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

يلاحظ من خلال هذا الجدول أن المصادر قد ركزت على منصب قاضي الجماعة وذكرت أسماء الفقهاء الذين تولوا قضاء الجماعة بفاس، بينما سكنت عن قضاة الأقاليم وقضاة العسكر إلا بعض النماذج، وهذا بسبب المؤلفات التي أرخت لحياة السلطان فاقترنت على ذكر قضاة العاصمة فاس، إضافة إلى ذلك فلم يكن منصب القضاء محصوراً في فقهاء الدولة المرينية بل تعداهم إلى فقهاء الدولة الزيانية والدولة الحفصية وحتى فقهاء الأندلس، وعليه فإن المرينيين استفادوا من كفاءات هؤلاء الفقهاء بمختلف انتماءاتهم فنظموهم في مجالسهم العلمية وأسندوا لهم أهم وظائف وقدموا الأصلاح فيهم والأكثر كفاءة سعياً وراء المصلحة العامة لدولتهم ورعتهم.

د- الحسبة: تعد خطة الاحتساب أو الحسبة مندرجة ضمن منصب القضاء ومن توابعه¹، باعتبار أنها "...وظيفة

أنها"... وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين..."²، لهذا فإن نظام الحسبة ابتدعه المسلمون في المجتمع الإسلامي الوسيط، يهدف للتنظيم الاجتماعي ومراقبة النشاط الاقتصادي بالإضافة إلى تطبيق القوانين الإسلامية وتحقيق مصالح الأمة ودفع الأذى والشر عن الناس، وتتولى السلطة نظام بتعيين الأكفاء في كل بلد ومصر³، فلاغرو أن هذه الخطة من أولى النظم الإسلامية ظهوراً وتأصيلاً ومنهجاً⁴، وذلك انطلاقاً من التغيرات التي طرأت على المجتمع الإسلامي فقد أضحت المدينة الإسلامية مركزاً أساسياً للحياة العامة ومعها السوق الذي كان محور النشاط الاقتصادي ومقراً لنشاط أهل الحرف والصنائع والأصناف⁵؛ ناهيك على ذلك فإن وظيفة الحسبة ساهمت بشكل فعال في تماسك بنية المجتمع المجتمع الإسلامي وجعله أكثر استعداداً وقدرة على مواجهة الأخطار الخارجية⁶.

لقد أدرك العلماء والفقهاء بدورهم مكانة هذه الخطة ضمن خطط الدولة وأهميتها بالنسبة للحكام والرعية، لذا أقبلوا على تنظيم أحوال المجتمع وإرشاد أفرادهم وتقويم سلوكهم، فالاحتساب فرض عين على كل مسلم ثم أصبح؛ مع مرور الوقت وتغير المجتمع وضعف الوازع الديني؛ فرض كفاية إذ "...لما لم يكن من طبيعة كل الناس الاستجابة إلى النصح بالتي هي أحسن فقد نشأت وظيفة المحتسب للضرب على أيدي العابثين

1- العبادي، المرجع السابق، ص108.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص208.

3- أبطوي محمد، الأساس الكلامي لمؤسسة الحسبة في الغرب الإسلامي، الاتجاهات الكلامية...، المرجع السابق، ص293.

4- العبادي، المرجع السابق، ص109.

5- فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص312.

6- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص217.

الذين لا يراعون أصول الشريعة في سلوكهم، أي كانوا موظفين أو صناعا أو تجارا... إلخ أو يضايقون الناس بقول أو فعل، فجوهر هذه الوظيفة منع الفساد والمحافظة على الأمن...¹، وعلى ضوء ذلك اضطلع العلماء والفقهاء بشغل هذه الوظيفة التي تغوص في أعماق المجتمع، وتلهمهم حسن التبصر بأحواله والعمل على تحسينها، فهم أعلم الناس بأحكام الدين وشرائعه وسبل تطبيقها من خلال ما أفردوا لهذه الخطة من مصنفات وتأليف مثل الأحكام السلطانية والفقهاء والموسوعات والتصوف وغيرها² بحيث حددت هذه التأليف وظائف المحتسب واختصاصاته كما يلي:

- 1- البحث عن المنكرات والتعزير على قدرها.
- 2- حمل الناس على المسالمة العامة في المدن.
- 3- المنع من المضايقة في الطرقات.
- 4- منع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل.
- 5- الحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة.
- 6- الضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربها للصبيان المتعلمين.
- 7- عدم توقف حكمه على تنازع أو استعداد، بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه.
- 8- لا يجب عليه إمضاء الحكم في الدعاوى مطلقا، بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها، وفي المكاييل والموازين.
- 9- حمل المماطلين على الإنصاف، وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة، ولا إنفاذ حكم³.

وحتى يؤدي المحتسب هذه المسؤوليات ينبغي توفر عدة شروط فيه وهي كما بينها الماوردي بقوله: "... فمن شروط والي الحسبة أن يكون حرا عدلا، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة...⁴، معتمدا في ذلك على الأعوان والغلمان الذين يتسقطون له الأخبار، وهذا أدى لبث الخوف والرعب في قلوب العامة والمخالفين⁵. وفي السياق ذاته اعتبر المرينيون خطة الحسبة من أهم الخطط في

1- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي (41هـ-132هـ/611م-750م) دراسة سياسية، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ/2008م، ص490.

2- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص217.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص208-209.

4- المصدر السابق، ص350.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص208، الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص276.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

دولتهم، إذ أن المدن تدار بواسطة الوالي والقاضي وصاحب الشرطة والاحتسب، والظاهر أن مهمة المحتسب في الدولة المرينية هي النظر في شؤون الأسواق والسقائين والحمامات، بالإضافة إلى الإشراف على ما يستعمل في الأسواق أيضا من المكاييل والموازين، والتأكد من جودة البضائع حفاظا على الصحة العامة، كما يحرص على نظافة الحمامات ومراعاة الآداب العامة بها¹، ناهيك على ذلك فالاحتسب بنى "ذراعا" مضبوط قياسها لتكون أساسا لمقاييس جميع أهل القيسارية التي تباع فيها الأقمشة والمنسوجات²، كما كان يفصل في الخصومات التي تقع بين أرباب الحرف وعمالهم وبين الباعة والمشتريين مستندا في ذلك على زمرة من الأعوان الأكفاء الذين لهم بصر بأمور الصناعات والبضائع وأحوال الأسواق وطبيعة الأسعار والتبادل التجاري³، ما يعني أن المحتسب-في زمن الدراسة- كان مشرفا على أكثر قطاعات النشاط الاقتصادي في الدولة المرينية⁴، وقد خول للمحتسب إمضاء العقوبات وتعزيز أصحاب الصناعات الرديئة والسلع المغشوشة والمعطوبة، فقد كان بفاس مصطبة لعرض المصنوعات الرديئة وعليها أسماء أصحابها من الصناع المهملين، ومن ثبت عليه الإهمال يجب عليه ترك المدينة والرحيل عنها، وإذا باع جزار لحما فاسدا فإنه يطاف به في أزقة المدينة ويجعله يعترف بصوت عال بذنبه⁵. لقد انتدب لخدمة الحسبة كبار العلماء والفقهاء الذين تولوا عدة مناصب في الدولة المرينية، حيث أسندت هذه الوظيفة لبعض القضاة بحكم الصلة الوثيقة بين الخطتين وحتى بعد انفراد الحسبة عن القضاء كما ذكر ابن خلدون⁶، لذا كان اختيار المحتسب من كبار موظفي الدولة وخصوصا موظفي الخطط الدينية وبإشراف من قبل قبل السلطان نفسه، لا لشيء إلا لخطورة هذا المنصب الذي هو واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم⁷، ومع ذلك فإن الغموض يكتنف وظيفة الحسبة في عصر الدراسة رغم ما تمت الإشارة إليه، وعلى ضوء ذلك نصطدم بشح المادة العلمية التي تشير إلى عدد العلماء والفقهاء الذين مارسوا وظيفة المحتسب، حيث لم أجد إلا الفقيه والشاعر أبي فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد المنزوي المكناسي الذي أسند له النظر في أمور الحسبة ببلاد المغرب⁸، وقد أمره السلطان يوسف بن يعقوب بتبديل الصيعان وجمعها على المد النبي

1- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص65.

3- الحريري، المرجع نفسه.

4- روجيه لوتورنو، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- المرجع نفسه، ص154، الحريري، المرجع نفسه.

6- المصدر السابق، ص209.

7- الماوردى، المصدر السابق، ص352.

8- المنوني محمد، المرجع السابق، ص63.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

صلى الله عليه وسلم بعد مجاعة سنة 693هـ¹، وقد اختاره السلطان يوسف لهذه المهمة لأنه من المقربين له ولأمانته وعدالته وكان هناك آخرون يقومون بهذه الوظيفة²، ويعزى عدم ذكر بقية العلماء والفقهاء الذين تولوا تولوا خطة الاحتساب إلى التداخل كما قلنا بين هذه الأخيرة وخطة القضاء وخطط أخرى، ذلك أن محاولة الفصل بين هذه المهام عمل شاق أشبه بتدوير المربع أو تربيعة الدائرة لا يكاد يستقيم على حال.

1-2- الوظائف السلطانية: تدرج هذه الوظائف تحت منصب الخلافة، فالخليفة أو السلطان لا يمكنه إدارة ملكه دون الاستعانة برجال يسند لهم وظائف تكون تحت نظره³، وهي الوزارة والحجابه والسفارة والكتابة وولاية المظالم والشرطة، وكالعادة لم يستثنى العلماء والفقهاء من هذه الوظائف على حساسيتها واتصالها المباشر بالسلطان حيث يقول عبد الرحمان ابن خلدون: "...والفقيه ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها استبدادا على الخلافة وهو معنى السلطان، أو تعويضا منها وهو معنى الوزارة عندهم، وفي نظره في الأحكام والأموال وسائر السياسات مطلقا أو مقيدا، أو في موجبات العزل إن عرضت، وغير ذلك من معاني الملك والسلطان، وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة أو جباية أو ولاية، لا بد للفقيه من النظر في جميع ذلك..."⁴، إذن نستشف من هذا الكلام أن الفقهاء بإمكانهم الإشراف على الوظائف السلطانية السلطانية بحكم معرفتهم بأحكام الشرع وسبل تحقيق السياسة الشرعية الحكيمة الكفيلة بجلب المصالح ودرء المفاسد، وعلى ضوء ذلك يمكنهم التأثير في مصادر القرار وفتح مجال المشورة من أجل الوصول إلى ما فيه الأصلاح.

أ- السفارة: تعد السفارة من أهم الوظائف السلطانية فهي بمثابة الرابط بين مختلف الدول قديما وحديثا، وللسفارة معان وأهداف وأغراض مختلفة⁵، منها: الإصلاح بين القوم⁶، والسفير من سفر بين القوم: إذا انتقل بالسفر وأصلح واجمع سفراء⁷، وأيضا يقال سفرت بين القوم أي كشفت ما بين قلب هذا وقلب هذا

1- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص384.

2- نضال مال الله مؤيد، المرجع السابق، ص78.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص217، ابن الأزرق، المصدر السابق، ج1، ص243.

4- المصدر نفسه، ص217-218.

4- سندس زيدان خلف، البعثات العلمية في العصر العباسي (132هـ-400/749م-1009م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة بغداد، 1425هـ/2004م، ص24.

6- ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مادة سفر، ج4، ص370.

7- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة سفر، ج5، ص120، نقلا عن سندس زيدان خلف، المرجع السابق، ص24.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

للإصلاح بينهم¹، ولذلك فإن السفير هو الرسول المصلح بين القوم والجمع سفراء²، ظهرت السفارة للوجود منذ أن اتسعت رقعة لدولة الإسلامية وجاورت حدودها عدة دول، أصبح لزاما على الخلفاء والسلاطين إرسال السفارات إلى هذه الدول لإقامة علاقات معها من أجل تحسين وتمتين الروابط مع شعوب تلك المناطق³، وكان هؤلاء السفراء المنتدبين هم الناطقون باسم الخلافة أو الملك أو السلطان ولهم صلاحيات إجراء المفاوضات وعقد المعاهدات وإبرام الهدنة والصلح⁴. إن الحديث عن السفارة في عصر المرينيين يكتسي طابعا خاصا حيث أولوا أهمية معتبرة للعلاقات الخارجية بحكم اضطلاعهم بمشروع توحيد المغرب الإسلامي، لذا اختاروا كبار العلماء والفقهاء لهذه المهمة، فمجرد أن يكون السفير عالما وفقهيا فهذا مدعاة لكي تكون السفارة ناجحة، إذ أن العلماء والفقهاء أصلح الناس للإصلاح بين الدول والممالك ورأب الصدع وإصلاح ذات البين، فينبغي للسفير أن يكون ذا سمع عالي وبعد نظر ولباقة في الكلام وحسن الأدب والثبات في المواقف الحرجة ويكون ملهما بحسن التبصر بأحوال الدول والملوك والسلاطين حتى ينجز المهمة بكل نجاح، والعلماء الذين أسندت لهم مهمة السفارة بين الدول التي أقام معها المرينيون علاقات وهم:

-الفقيه أبو الحسن علي التنسي الذي تولى السفارة ما بين الزيانيين والمرينيين، ولما استخلصه السلطان أبو يعقوب يوسف إلى حضرته واستفاد من خبرته في السفارة⁵.

-الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى بكر التسولي التازي الذي كثر استعماله في السفارات في عهد السلطان أبي الحسن المريني⁶.

-الفقيه أبو عبد الله السطي الذي أرسله السلطان أبو الحسن المريني في سفارة بغرض خطبة ابنة السلطان الحفصي وكذلك لتمتين العلاقات بين البلاطين⁷.

-الفقيه محمد بن مرزوق الخطيب الذي كان يستعمله السلطان أبو الحسن المريني في السفارة عنه إلى ملك غرناطة، وأيضا مع ملك قشتالة لإبرام الصلح واستنقاذ الأمير أبي عمر تاشفين⁸.

1- الزبيدي، تاج العروس، مادة سفر، ج7، ص212.

2- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مادة سفر، الكويت، دار الرسالة، 1983م، ص300.

3- سندس زيدان خلف، المرجع السابق، ص25.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج1، ص114، خطيف صابرة، المرجع السابق، ص105.

6- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص262.

7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص50.

-الفقيه أبو عبد الله محمد المقرئ الذي بعثه السلطان أبو عنان بالسفارة إلى ملك غرناطة¹.
والملاحظ أن هؤلاء الفقهاء انتدبوا للسفارة رغم أنهم كانوا يشغلون مناصب أخرى كالخطابة والقضاء، كما كان المكانة التي احتلها الفقهاء من أجل إنجاح معظم السفارات التي بادر بها المرينيون في عصر الدراسة.
ب-الكتابة: احتلت خطة الكتابة مكانا مرموقا وخطيرا ضمن الوظائف السلطانية المرينية، باعتبار أن صاحب هذه الخطة معاون للسلطان المريني، لذا أفرد لها سلاطين بني مرين ديوانا خاصا يدعى ديوان الإنشاء والعلامة²، وقد أشار عبد الرحمان ابن خلدون إلى الحاجة بهذه الوظيفة حيث يقول: "... وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد، فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر..."³؛ والدولة المرينية كغيرها من الدول لما اتسعت نظم إدارتها وكثرت حاجاتها، استدعى الأمر استحداث هذه الوظيفة التي هي من وسائل زيادة المعلومات وكانت تعنى بإنشاء الرسائل والخطب⁴، لذلك أعلا القلقشندي من قدرها بقوله: "... وليس من الصنائع صناعة تجمع هذه الفضائل الفضائل إلا صناعة الكتابة، وذلك لأن الملك يحتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها، أحدها رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهي، وترغيب، ووعيد، وإحماد وإذمام..."⁵، وانطلاقا من أهمية هذه الخطة في ربط السلطان بعماله وأعوانه ورعيته، اضطلع صاحب هذا المنصب بمهام تكون تحت إشرافه مباشرة منها: إصدار السجلات بصفة مطلقة وكتابة اسمه عليها في آخرها، ثم يختم عليها بخاتم السلطان الذي هو طابع منقوش فيه أو شارته، يغمس في طين أحمر مذاب بالماء، ويسمى طين الختم، ويطبع به على طرفي السجل عند طيه وإصاقه، ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان، ويضع الكاتب فيها علامته أولا أو آخر، على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها⁶، ومن خطط الكتابة أيضا التوقيع حيث يجلس الكاتب بحضور السلطان في مجلس الحكم ويقوم بتوقيع كل الكتب والمحاضر والرسائل التي يقيدها بإملاء السلطان في أمر من أمور الدولة، ويبدل جهده حتى يخرجها في حلة بديعة قشبية بأوجز لفظ وأبلغه كما يحتاج إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها

1-المصدر نفسه، ص60.

2-الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص265.

3-المقدمة، المصدر السابق، ص226.

4-نضال مال الله مؤيد، المرجع السابق، ص68.

5-المصدر السابق، ج1، ص39.

6-ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص227.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

توقيعه¹، وعلى ضوء ذلك ينبغي للقائم بهذه الوظيفة أن يختار من أرفع طبقات الناس، وأصحاب المرؤة والحشمة منهم، ذو علم وافر، وعارضة البلاغة، حتى يحكم النظر في أصول العلم، لما يعرض في مجالس الملوك ومقاعد أحكامهم من أمثال ذلك، مع ما تدعو إليه عشرتهم من الآداب والتخلق بالفضائل²، وقد تميزت الكتابة في عصر الدراسة... بطولها وتهويلها وبخط وفير من الحضارة، ومن الأساليب التي التزمها كتاب هذا العهد أن مخاطبة المكتوب إليه والمكتوب عنه قد تكون حذف بميم الجمع أو نون وذكر اسم المكتوب إليه في ثنايا الكتاب...³، وكغيرها من الخطط عرفت خطة الكتابة تسلسلا هيكليا في المراتب منها رتبة صاحب العلامة وهو الذي يضع العلامة في أسفل المكتوبات السلطانية⁴، كما يكتب بخطه نيابة عن السلطان، فإذا كانت علامة الصك أو الكتاب "وكتب في التاريخ المؤرخ" فهي بخط يد السلطان، أما إذا كانت "وكتب في التاريخ" فهي بخط صاحب العلامة⁵، ويولي صاحب العلامة كاتب التوقيع الذي بينا مهمته سابقا، وكذلك كاتب الإنشاء والصكوك⁶، والظاهر أن منصب الكتابة عرف تطورات كبيرة منذ تولي الفقيه عبد المهيمن الحضرمي، فالكتاب الذين كانوا قبله يجيدون الخط ويعجزون عن الترسل بمستواه الرفيع⁷، بحكم أن الدولة المرينية كانت لازالت في طور البداوة مما جعلها خالية من صناعة الترسل⁸، لذا أخذ معظم كتاب الدولة المرينية أساليب البيان والبلاغة وطرق الديباجة والتعجير من عبد المهيمن الحضرمي الذي أضحى رئيسا للكتاب في عهدي أبي سعيد وأبي الحسن، والفقهاء الذين تولوا منصب الكتابة بمختلف رتبهم:

-الفقيهان أبو عبد الله الكنائي وأبو الطيب سعد الكنائي⁹.

-الفقيه أبو عبد الله ابن الربيب¹⁰.

-الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي بكر¹¹.

1- ابن الأزرق، المصدر السابق، ج1، ص240.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها، ابن الأزرق، المصدر نفسه، ص241.

3- نضال مال الله مؤيد، المرجع السابق، ص68.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص20.

5- المنوني محمد، المرجع السابق، ص62.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص265.

8- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص328.

9- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص299.

10- المصدر نفسه، ص299، الذخيرة السنينة...، المصدر السابق، ص87.

11- المصدر نفسه، ص87.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

- الفقيه أبو عبد الله العمراني¹.
- الفقيه عبد الله بن أبي مدين العثماني².
- الفقيه عبد الرحمان بن الحرار³.
- الفقيه محمد بن عبد الرحمان بن علي بن أحمد المغيلي الذي تولى كتابة العلامة والإنشاء والعروض للسلطان يوسف⁴.
- الفقيه أحمد بن الحسن البلياني التلمساني الذي كتب المصحف ليوافقه السلطان يوسف على مكة المكرمة⁵.
- الفقيه أبو علي الحسين بن رشيق الثعالبي⁶.
- الفقيه محمد بن محمد بن عبد الرحمان المغيلي وهو كاتب بارع الخط⁷.
- الفقيه أبو عبد الملك المراكشي.
- الفقيه مالك بن المرحل كان حسن الكتابة في التوثيق⁸.
- الفقيه عبد الرحمان بن الخزاعي التسولي تولى إنفاذ الكتب⁹.
- الفقيه أبو علي بن رشيد، كان يتولى تنفيذ الكتب¹⁰.
- الفقيه أحمد بن علي الملياني المراكشي صاحب العلامة¹¹.
- الفقيه أحمد بن صابر أو جعفر القيسي المغربي.
- الفقيه محمد بن أبي مدين¹².

-
- 1- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص299، الذخيرة السنوية، المصدر السابق، ص87.
 - 2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
 - 3- المصدر نفسه، ص375.
 - 4- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص21، ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص207.
 - 5- المنوني، المرجع السابق، ص131.
 - 6- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة...، ج1، المصدر السابق، ص482، شقرون، المرجع السابق، ص80.
 - 7- ابن الأحمر، النفحة النسرينية، ص39.
 - 8- شقرون، المرجع نفسه، ص64.
 - 9- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص375، ابن الأحمر، روضة النسرين، المصدر نفسه، ص21، النفحة النسرينية، المصدر السابق، ص39.
 - 10- ابن أبي زرع، نفسه، ابن الأحمر، نفسهما.
 - 11- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص232.
 - 12- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص393، ابن الأحمر، روضة النسرين...، المصدر السابق، ص23.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

- الفقيه أبو محمد صالح بن حجاج اللخمي¹.
- الفقيه أحمد بن سعد بن إبراهيم بن جعفر التجيبي المعروف بابن القراف².
- الفقيه عبد المهيمن الحضرمي تولى العلامة للسلطانين أبي سعيد وأبي الحسن³.
- الفقيه علي بن علي القبائلي الموحد التنملي⁴.
- الفقيه أبو القاسم عبد الله ابن يوسف بن رضوان النجاري المالقي تولى العلامة للسلطانين أبي الحسن وأبي عنان⁵.
- الفقيه أبو محمد عبد الله المرسي السيتي⁶.
- الفقيه أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن الأشقر الفاسي⁷.
- الفقيه أبو العباس أحمد بن شعيب⁸.
- الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاج النميري⁹.
- الفقيه أبو الحسن القبائلي¹⁰.
- الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن سعود¹¹.
- الفقيه عبد الرحمان بن خلدون الذي استعمله السلطان أبو عنان في منصب الكتابة والتوقيع بين يديه¹².
- الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي صاحب الإنشاء والسر في عهد أبي عنان¹³.

1-ابن الأحرر، المصدر نفسه، ص24.

2-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3-ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص40، ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص396، ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص374.

4-ابن الأحرر، المصدر نفسه، ص26.

5-ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص41، ابن الأحرر، المصدر نفسه، ص29.

6-ابن مرزوق محمد، المصدر نفسه، ص375.

7-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8-المصدر نفسه، ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص48.

9-المصدر نفسه، ص376، ابن الأحرر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

10-المصدر نفسه، ص377.

11-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

12-ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص59.

13-المصدر نفسه، ص64.

كان هؤلاء الكتاب الذين تولوا منصب الكتابة في-عصر الدراسة- كما يقول ابن مرزوق: "...أعلام من علماء الإسلام، وأئمة من فضلاء الأنام، وكفى بهذا شرفاً وفخراً، كل واحد من هؤلاء يفيد ويبيد في ضروب العلوم، ويعيد ما بين قاض وخطيب وسري ماجد وحسيب..."¹، لا لشيء إلا لأهمية خطة الكتابة في الدولة المرينية فهي بمثابة الجريدة الرسمية في وقتنا الحاضر، التي تمثل الناطق الرسمي باسم السلطة من خلال المراسيم والتقارير والقوانين التي تصدر عنها.

ج-المظالم: هذه الخطة من لواحق منصب القضاء استحدثت نظراً للتطورات التي شهدتها الدولة الإسلامية فأصبح الخليفة أو السلطان ينظر بنفسه في القضايا التي تتجاوز نظر قاضي الجماعة²، والمقصود بخطة المظالم هو قود المتظلمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبية³، أما ابن خلدون فقد عرف هذه الخطة الخطة بقوله: "...وهي وظيفة ممتزجة، من سطوة السلطنة ونصفة القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المعتدي وكأنه يمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه، ويكون نظره في البيئات والتقارير واعتماد الأمارات والقرائن، وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق، وحمل الخصمين على الصلح، واستحلاف الشهود، وذلك أوسع من نظر القاضي..."⁴، ونفذ من هذا الكلام إلى أهمية خطة المظالم في الدولة السلطانية حيث طرأت قضايا جديدة تتعلق بموظفي الدولة، فاستدعى أن يكون السلطان هو المشرف على هذه الخطة حتى يقرر الحكم الرادع، وأحياناً كان السلطان ينتدب قاضي الجماعة أو أحد الفقهاء الكبار، حيث يشترط فيه أن يكون "...جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع؛ لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة وثبت القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين..."⁵، لأن هذه الشروط مرتبطة بالاختصاصات التي أوكلت له وهي: وهي:

1-المصدر نفسه، ص377.

2-الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص273.

3-الماوردي، المصدر السابق، ص130.

4-ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص205.

5-الماوردي، المصدر السابق، ص130.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

-النظر في تعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة، فهذا من لوازم النظر في المظالم الذي لا يقف على ظلامة متظلم، فيكون سيرة الولاة متصفحاً عن أحوالهم مستكشفاً ليقويهم إن أنصفوا ويكفهم إن عسفوا، ويستبدل بهم إن لم ينصفوا¹.

-جور العمال فيما يجبونه من الأموال، فيرجع فيه إلى القوانين العادلة في دواوين الأئمة فيحمل الناس عليها وبأخذ العمال بها وينظر فيما استزادوه، فإن رفعوه إلى بيت المال أمر برده، وإن أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه².

-كتاب الدواوين؛ لأنهم أمناء المسلمين على ثبوت أموالهم فيما يستوفونه له ويوفونه منه أعاده؛ فيتصفح أحوال ما وطل إليهم، فإن عدلوا بحق من دخل أو خرج إلى زيادة أو نقصان إلى قوانينه وقابل على تجاوزه³.
-تظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم أو تأخرها عنهم وإجحاف النظر بهم، فيرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العادل فيجريهم عليه وينظر فيما نقصوه أو منعه من قبل، فإن أخذه ولاه أمورهم استرجعه منهم، وإن لم يأخذوه قضاه من بيت المال⁴.

-رد الغصوب: وهي ضربان، أو لاها غصوب سلطانية قد تغلب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضة عن أربابها تعدياً على أهلها، وثانيها ما تغلب عليه ذوو الأيدي القوية وتصرفوا فيه تصرف المالكين بالقهر والغلبة⁵.
-الإشراف على الأوقاف العامة والخاصة لتجري في سبلها وتمضي على شروط واقفيها، وتسمى الأحباس والحبوس⁶.

-تنفيذ ما وقف القضاة من أحكامها لضعفهم عن إنفاذها وعجزهم عن المحكوم عليه، لتعززه وقوة يده، أو لعلو قدره وعظم خطره، فيكون ناظر المظالم أقوى يداً وأنفذ أمراً فينفذ الحكم على من توجه إليه بانتزاع ما في يده، أو بإلزامه الخروج مما في ذمته⁷.

1-المصدر نفسه، ص134.

2-المصدر نفسه، ص135.

3-المصدر نفسه، ص136.

4-المصدر نفسه.

5-المصدر نفسه، ص135-136.

6-المصدر نفسه، ص137.

7-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

-النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة في المصالح العامة، كالمهجرة. بمنكر ضعف عن دفعه، والتعدي في طريق عجز عن منعه، والتخيف في حق لم يقدر على رده، فيأخذهم بحق الله تعالى في جميعه وأمر بحملهم على موجه¹.

-مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والأعياد والحج والجهاد من تقصير فيها وإخلال بشروطها، فإن حقوق الله أولى أن تستوفى وفروضه أحق أن تؤدى².

-النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين، فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق مقتضاه، ولا يسوغ أن يحكم بينهم إلا بما يحكم به الحكام والقضاة، وربما اشتبه حكم المظالم على الناظرين فيها فيجورون في أحكامها، ويخرجون إلى الحد الذي لا يسوغ فيها³.

وانطلاقاً من ذلك كان الغرض من إنشاء ديوان المظالم هو التصدي لتجاوز أصحاب النفوذ والجاه⁴، حيث والجاه⁴، حيث اضطلع سلاطين بني مرين بالنظر والإشراف على ولاية المظالم، فهذا السلطان أبو يعقوب يوسف يوسف تولى بنفسه ذلك حيث "...قضى على المظالم والاعتداء والجور على الرعية..."⁵، وكذلك السلطان أبو أبو الحسن الذي كان يجلس كل اثنين وخميس من كل أسبوع، وحتى بعد صلاة الجمعة فترفع له الشكاوي وتعرض عليه القضايا المختلفة فيقضي فيها⁶، ثم يواصل ابن مرزوق الحديث عن السلطان أبي الحسن وإشرافه المباشر على ولاية المظالم وكذلك الفقهاء الذين عينهم السلطان في هذه الوظيفة حيث يقول: "...وكان رضي الله عنه قد بنى قبة العدل في منصوره تلمسان وبنها بسبته، وكان يجلس فيها ويعين من يثق به من كبار أهل حضرته من الوزراء والفقهاء لذلك، فمن المعينين لذلك، فيمن أدركته وحضرته بين يديه، من الفقهاء: الفقيه أبو عبد الله الرندي، والفقيه أبو عبد الله بن عبد النور، والفقيه أبو محمد عبد النور، والفقيه أبو عبد الله الفشتالي، وغيرهم، ومن الفقهاء الكتاب أبو الحسن القبائلي، والفقيه أبو القاسم بن رضوان، والفقيه أبو الحسن بن سعود، ومن يتعين لذلك إذا طلب..."⁷، حتى ابن مرزوق نفسه عينه أبو الحسن المريني وأسند إليه

1-المصدر نفسه، ص138.

2-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3-المصدر نفسه.

4-مال الله نضال مؤيد، المرجع السابق، ص77.

5-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص374.

6-ابن مرزوق، المصدر السابق، ص173.

7-المصدر نفسه، ص173-174.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

القضايا التي ترفع إليه ويتركها عنده حتى يباشر النظر فيها بنفسه¹، بالإضافة إلى تفقد أحوال الرعية في أرجاء البلاد، فكان السلطان أبو الحسن يبعث من يقوم بهذه المهمة، ثم ترفع له الشكاوي من جميع أقاليم الدولة المرينية فيقضي فيها ويرسل من أعوانه لولاية الأقاليم لإنفاذ أحكامه، كما كلف والي وقاضي وخطيب وعدل كل ولاية لسماع الشكاوي والنظر فيها وإنفاذ الأحكام المتعلقة بها². وعليه لم يتردد العلماء والفقهاء في المشاركة في خطة المظالم لتقديرهم خطورة هذه الخطة في استقرار أمر العدالة في الدولة المرينية والأوضاع السياسية والاجتماعية، فرفع المظالم عن الناس والضرب على يد الظالم وأصحاب الجاه والنفوذ الذين يستغلون نفوذهم من أجل التملص من متابعات القضاء ودعاوى الناس وشكاويهم، لذا كان العلماء والفقهاء في طليعة من أدلوا بدلوهم في سبيل ضمان نجاح وفعالية هذه الخطة على مستوى جميع الأصعدة.

2- مجالات مشاركة العلماء في الحياة السياسية من خلال النصح والوعظ:

إن طبيعة العلاقة بين العلماء والسلطة المرينية، جعلت هؤلاء العلماء يقدرون دور السلطة في جمع الناس وتنظيم أحوالهم، والسير بهم لبناء الدولة الإسلامية ومجتمع إسلامي مثالي وحضارة راقية تتفاعل فيها جميع شرائح المجتمع، لذا استدعى منهم أن يكونوا أكثر تبصرا وبعد نظر في سبيل تحقيق هذه الغاية، فزيادة على مشاركتهم في وظائف الدولة بشقيها الدينية والسلطانية، اتجهوا إلى أسلوب آخر يكفل تجسيد ما يصبون إليه وهو النصح والوعظ، فلم يخلوا بالنصيحة والإرشاد لأصحاب السلطة في موضع النصح، والوعظ والتذكير في موضع الوعظ متدرجين في ذلك بين اللين والشدّة، لقد كان منهج النصح والوعظ منهجا متكاملا ذو أبعاد حضارية منبثقا مما تقرر في آيات القرآن العظيم حيث يقول الله عز وجل "أذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" (سورة النحل: 125). وقال أيضا موجهها نبيه الكريم إلى هذا المنهج، ومخذرا إياه من مخالفته: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُم مَّوَلُو كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفُسُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿159﴾" (سورة آل عمران: 159)، وقال تعالى موجهها نبيه موسى عليه السلام إلى اتباع هذا المنهج، عندما أرسله وأخاه هارون إلى فرعون "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَنَا" (سورة طه: 44). وقال عز وجل في موضع آخر "وَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا كَرِيمًا" (سورة الإسراء: 23)، وقال كذلك مؤكدا على هذا المعنى والتوجه "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ دَفَعُ بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿34﴾" (سورة فصلت: 34).

1- المصدر نفسه، ص 174.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

(34 الآية: 34.)، وغيرها من الآيات القرآنية التي تدعو القائمين بإصلاح أحوال الناس، إلى الرفق واللين معهم، خصوصا إذا كان الخطاب موجها إلى الخلفاء والسلاطين والأمراء¹، وكذلك فيما تقرر في توجيهات السنة النبوية الشريفة سواء القولية منها والفعلية لعموم المسلمين، وللعلماء بالتحديد إلى نهج منهج الرفق واللين لإصلاح أحوال الناس وخصوصا الحكام²، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبيده له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا فقد أدى الذي عليه..."³، كما تتضح ملامح هذا المنهج أكثر إذا كان الناصح ينصح لأخيه سرا فقد رفع من قدره، وإذا نصحه علانية فقد أنزل من قدره⁴، وقد تعرض العديد من العلماء إلى هذا المنهج على طول التاريخ الإسلامي إلى أهمية اتباع هذا المنهج في تقديم النصح والوعظ للخلفاء والسلاطين والأمراء، من ذلك ما قاله الشيرازي: "...وليكن يقصد الذي ينصح الحكام) وعظه وقوله في ردعهم عن الظلم لطيفا طريفا، لين القول بشوشا، غير جبار عبوس..."⁵، كما أكد ابن الجوزي على ضرورة التزام العلماء بهذا المنهج الهادئ خصوصا مع الحكام حيث يقول: "...ينبغي لمن وعظ سلطانا أن يبالغ في التلطف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم، فإن السلاطين حظهم التفرد والقهر والغلبة، فإذا جرى نوع من التوبيخ لهم، كان إذلالا وهم لا يهتمون..."⁶، وانطلاقا من ذلك لم يذخر علماء العصر المريني وسعا في سبيل نصح ووعظ سلاطين بني مرين وتوجيههم لما فيه صالح البلاد والعباد.

2-1- نصح العلماء لسلاطين بني مرين: النصح هو إخلاص العمل عن شوائب الفساد والنصيحة هي الدعاء

إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد⁷، لذا استشعر العلماء واجبه في النصح لسلاطين بني مرين في القضايا والأحداث التي عرفها-عصر الدراسة-فسعوا إلى بذل النصيحة وتوجيه وإرشاد أولي الأمر متى استجد أي طارئ، ساعين في ذلك لرأب الصدع وتصحيح الرؤى ورفع الظلم وإزالة الفساد؛ من ذلك حصار السلطان أبي يعقوب يوسف لتلمسان لمدة ثماني 08 سنوات وضيق الخناق على أهلها وعزم على دخولها مهما كلف

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 226.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1- رواه أبي عاصم في السنة، كتاب كيفية نصيحة الرعية للوالي، حديث رقم (1096)، تحقيق محمد ناصر الألباني، ج 2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1400هـ/1986م، ص 521.

4- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 227.

5- الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العربي، د.د.م.ت، ص 115.

6- ابن الجوزي، صيد الخاطر، الإسكندرية، دار ابن خلدون، د.ت، ص 190.

7- الجرجاني، المصدر السابق، ص 167.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

الثلث، حتى جاءه الفقيه الولي أبو زيد عبد الرحمان الهزميري¹ ونصحه برفع الحصار عنها ولكن السلطان أبي ذلك، وقد أشار التنسي إلى هذه الحادثة بقوله: "...وتمادى بها الحصار ثماني سنين وثلاثة أشهر، وحرك الله تعالى في آخر تلك المدة الولي الشهير أبا زيد عبد الرحمان الهزميري من مدينة أغمات، حتى ورد على يوسف بن يعقوب، وهو في مدينته محاصرا لتلمسان، فكلمه في الإنصراف عنهم، ورغبه فيه غاية الترغيب فأبى إلا التصميم على ما هو عليه، فلما ينس منه قام عنه مغضبا وقال: يجيء سعادا، يقضي هذا" وانصرف مغربا...²، وهذا ينم عن بعد نظر كبير من قبل الفقيه الهزميري الذي لم ييخل بنصحه للسلطان يوسف بن يعقوب لرفع الحصار عن أهل تلمسان. ومن النصائح المهمة التي جاءت ضد تماطل السلاطين في محاربة الباطل، كتاب إبراهيم السريفي³، إلى السلطان أبي سعيد المريني في شأن البخاري المفتي العايب⁴، حيث قال فيه: "...مسألة البخاري المضل قد ظهر فيها من عظيم المنكر المستبح لوجهه ما ظهر من عقوبته بين أيديكم ما نفذ على ما هو به ممال كان مستحقا له قبل ظهور تلك الكبيرة عليه لجرأته على العلم والعلماء وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعواه الاجتهاد في دين الله... فصار يعبث في دين الله كيف يشاء لا يبالي ما صنع وأكد هذا كله مخالطة أولي الأمر من القضاة والحكام ذوي الجاه والسلطان، تلبيسا منه على العامة أيضا، فزاد عليها صولة، فصارت العامة تهابه لذلك.... وهذه نصيحتي قد بذلتها لكم، والمقصود التبليغ وزوال مالكم من العهدة لما لم يبلغني أن أحدا قبح ذلك عندكم ولا استعظم ما عظم الله...⁵، تنبئ هذه النصيحة التي بذلها الفقيه إبراهيم السريفي عن حسن تبصره بعواقب سكوت السلطان عن تمادي أحد المفتين في ادعائه للعلم وطعنه للعلم والعلماء وحديث النبي صلى الله عليه وسلم فسعى صاحب النصيحة إلى تذكير السلطان وتبصيره بخطورة الموقف وعلى السلطان أن يقوم باللازم.

وكان الفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني رفيع القدر عند السلاطين، مقدما في مجالسهم، يلاطفهم تارة ويجهر بالحق تارة أخرى وينصر المظلوم، قاضيا للحوائج، حيث قال لأحد السلاطين أمر بضره أحد

6- هو الفقيه الولي الصالح أبو زيد عبد الرحمان بن الهزميري توفي بمدينة فاس بعد انصرافه من تلمسان بسنة، ودفن عند مسجد الصابرين سنة 706هـ، قيل في السنة التي تليها بعدها في أولها، ينظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ج3، ص78.

2- المصدر السابق، ص133.

3- هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي المعافري السريفي ثم الفاسي من القرن الثامن الهجري، ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص92.

3- هو موسى بن يموم بن باكرين بن ياسين الحني المسكوري ثم الفاسي المعروف بالبخاري كان على قيد الحياة عام 723هـ، ينظر: ابن القاضي، المصدر السابق، ص293 وما بعدها.

5- الونشريسي، المصدر السابق، ج4، ص506-509.

الفقهاء¹ "إن كان عندك صغيرا فهو عند الناس كبيرا وإنه من أهل العلم فنجأ الفقيه وسرح مكرما..."²، فقد محض الشريف التلمساني النصيحة لهذا السلطان حيث ذكره بمقام ومترلة أهل العلم والعلماء ومكانتهم في نفوس الرعية، فتراجع عن ضربه وأكرمه وأحسن إليه. ومن النصائح الراقية التي قدمها الفقهاء ما ذكره ابن مرزوق بقوله: "...ومن عجيب ما يذكر وينشر قضينه مع شيخنا الفقيه أبي زيد بن الإمام علي الجزائر، ولم أحضرها يومئذ وذلك أنهم رضي الله عنهم اشتدوا في عمارة الأسطول المبارك الذي كان فيه الفتح العظيم واقعة الملند المشهورة، وكان بظاهر الجزائر فأخبره أن أهل الجزائر تناقلوا في بعض ما وظف عليهم من الرماة، فأعاد الاشتداد عليهم فتلكعوا وأخبر رضي الله عنه فاشتد عليهم، وقيل بين يديه أنهم كانوا بالأمس يرمون في وجه مولانا وهل هم إلا أعداء، فقال: "يؤخذون جبرا" وأغلظ في القول فدخل الفقيه ابن الإمام في أثناء ذلك، فالتفت إليه وقال له: "كيف ترى هؤلاء يطلبون بالرماة للجهاد ويتوقفون، أما يستحقون العقوبة شرعا" فقال له الفقيه "ولا بد أن أقول؟" فقال له "قل" فقال "إذن لا يجب عليهم ما طلب منهم ولا تلزمهم عقوبة في توقعهم". فاستشاط رضي الله عنه غضبا وقال له "تقول هذا في الجهاد" فقال "نعم" فقال له "أما تدري أي إذا عينت أحدا تعين عليه"، فقال له "إن الله عز وجل قد استرعاك رعية وجعلك وكيلاً على من استرعاك عليهم، وللمسلمين عليك حق كما لك عليهم، وهل هذه البيوت بيوت الأموال التي تجمعونها والجبايات التي تجبونها إلا مرصدة لما يحتاج إليه المسلمون حتى إذا فنيت بيوت الأموال وفعلت ما فعل من أنت تقتدي به الفاروق رضي الله عنه، حين كنس بيت المال وصلى فيه، ثم يكون لهم نظر غير هذا، وحينئذ يوظف عليهم بحسب القدرة وما تدعو إليه الضرورة..."³، يستشف من هذا الكلام أن الفقيه أبو زيد بن الإمام أبدى نصحا خالصا للسلطان أبو الحسن المريني، معرضا نفسه لغضب السلطان حتى بلغ غايته وجعل أبا الحسن يجسد نصيحته ويقبلها ويعمل بها، كما قدر جرأة ابن الإمام في بذل النصيحة الخالصة وتذكيره إياه بالحق والعدل بين رعيته. وكذلك في المواقف الحرجة كانت النصيحة مجدية وفعالة لاستنهاض من ذلك ما قاله ابن مرزوق: "...وحدثني رضي الله عنه (أي السلطان أبو الحسن) قال: "كنت أجد في نفسي ما أجد وأكابد من مرارة الصبر ما أكابد حتى وصل فقهاء فاس" قال: "فلما دخل علي الفقيه عبد النور تلا بعد الاستعادة

1- ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص201.

2- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ص119.

3- المصدر السابق، ص161-162.

"وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿146﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبَّتْ

أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿147﴾ آل عمران، قال: "فذهب من نفسي ما كنت أجده، لما وصل الفقيه أبو زيد بن الإمام زاذني سلوة هذا كله" ولم يظهر عليه رضي الله عنه أثر حزن ودليل كرب (نفعه الله)¹، وعليه يتبين لنا أن أسلوب النصح كان مجدياً من خلال النصائح التي أوردناها، ذلك أن العلماء والفقهاء آثروا اتخاذ هذا الأسلوب في التغيير لأن نتائجه أكثر نجاعة وفعالية، وهذا ما رأيناه في النصائح التي بذلها هؤلاء العلماء والفقهاء لسلطين بني مرين حتى أتت أكلها.

2-2- وعظ العلماء لسلطين بني مرين: الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب²، من خلال المضامين التي يحتويها الوعظ ويتطرق إليها، لذا فإن العلماء هم الأكثر قدرة على الوعظ، بحكم إطلاعهم الواسع على أمور الدين وقضايا العامة فهم عقد الوساطة بين الحكام والمحكومين، ناهيك عن ذلك لا يخشون في الحق لومة لائم، كما يحتاج من يعظ السلطان إلى حجة دامغة تؤثر في نفس السلطان، وإلى رباطة جأش وثبات كبيرين حتى يأتي الوعظ أكله ويرضخ السلطان للحق ويعمل به، والعلماء في العصر المريني بذلوا وسعهم في سبيل وعظ السلطين المرينيين والأخذ بأيديهم لما فيه صالح الرعية والبلاد. وحقيق بنا أن نذكر المواعظ التي أبداهها العلماء لبعض السلطين المرينيين، من ذلك ما حدث عند دخول السلطان أبي الحسن المريني إلى تلمسان إذ لما... انطلقت أيدي النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرات في أموالهم وحرمتهم، وخلص السلطان إلى المسجد الجامع مع لمة من خواصه وحاشيته، واستدعى شيوخ الفتيا بالبلد أبو زيد وأبو موسى ابنا الإمام، وفاء بحق العلم وأهله، فخلصوا إليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب فركب لذلك بنفسه وسكن وأوزع جنوده وأشياعه من الرعية وقبض أيديهم عن الفساد وعاد إلى معسكره بالبلد الجديد...³، لقد قبل السلطان أبو الحسن وعظ ابني الإمام اللذين ذكراه بما حدث للناس من الضرر والنهب، فعمل من فوره على رفع الضرر ورد الأمر إلى نصابه، لا لشيء إلا لتعظيمه للعلماء وإصغائه لمواعظهم.

1- المصدر نفسه، ص225.

2- الجرجاني، المصدر السابق، ص176.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص341.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

وكان هذا ديدن العلماء كل مرة لا يفوتون الفرصة لوعظ السلاطين إذا جد طارئ يستحق ذلك، فقد ذكر ابن مرزوق قضية تزيين مسجد العباد بتلمسان وما جرى من حوار بين السلطان أبو الحسن المريني والفقهاء ابنا الإمام والفقهاء ابن مرزوق وقد أنكر ابني الإمام مبالغة السلطان أبو الحسن في تنميق وتزيين جامع العباد¹، واعتبرا هذا العمل بدعة، وقد حاول ابن مرزوق الدفاع عن عمل السلطان ولكنها أفضاهما إذ... طال في ذلك البحث إلى أن سلمت لأنهما رضي الله عنهما إعتلا بإشغال المصلين، فلم أجد عنه مندوحة...² وفي الأخير اقتنع أبو الحسن بوعظ ابني الإمام حيث قال: "...يزال ما دون هذا الخطر(الذي هو مظنة إشغال المصلين) ويكف عن رقم الباقي من الجامع فما لنا بالبدع حاجة..."³، وأيضا ماجرى في مجلس السلطان أبي عنان فارس للفقهاء أبو عبد الله المقرئ وأبرز لنا مدى قوة شخصيته وقدرته على الوعظ عندما "كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم وكان مزوار الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان قام له السلطان وجميع من في مجلسه إجلالا له إلا الشيخ المقرئ فلا يقوم معهم فأحس المزوار من ذلك وشكاه للسلطان فقال له السلطان: هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله حتى ينصرف، فدخل المزوار يوما له السلطان وغيره على العادة، فنظر المزوار إلى المقرئ فقال له: أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل نصره، وأهل مجلسه إكراما لجدي وشرفي، ومن أنت حتى لا تقوم لي، فنظر إليه المقرئ فقال له: أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبته ولا يرتاب فيه أحد، وأما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحبته منذ أزيد من سبع مائة، ولو قطعنا بشرفك لأقمنا هذا من هنا وأشار للسلطان أبي عنان، وأجلسناك مجلسه فسكت المزوار..."⁴، فقد أبانت هذه على مدى مكانة الفقيه المقرئ الجد وقوة تأثيره على السلطان ووعظه لذلك المزوار المدعي لشرف النسب، وهذا الوعظ في حقيقته وعظ للسلطان أبي عنان وتذكيره له بمثلة العلماء في قلوب الناس، وأن العلم هو الذي يرفع صاحبه ويزده شرفا على شرف، وعلى أية حال فإن العلماء أعطوا بعدا كبيرا للوعظ إذ يدخل ضمن مشاركتهم في توجيه السلطة وتوجيهها، من أجل تحقيق المصلحة العليا المتمثلة في خدمة الدين الإسلامي ونشر العلم وإصلاح الناس⁵، فالوعظ أبلغ في الرأي وأحزم في السياسة والتدبير وينبئ عن استطاعة العلماء على قيادة الدولة إذا كان السلطان ضعيف الرأي غير قادر على إدارتها، حيث يقول

1- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص288.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه.

4- الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص507.

5- ولد خصال سليمان، المرجع السابق، ص212.

الشوكاني "ولا يخفى على ذي عقل أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين عن مداخلة الملوك لتعطلت الشريعة المطهرة لعدم وجود من يقوم بها وتبدلت المملكة الإسلامية والمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية من ديانة ومعاملة... ولا سيما الملوك الذين لا يفعلون ذلك إلا مخافة على ملكهم أن يسلب، وعلى دولتهم أن تذهب، وعلى أموالهم أن تنهب، وعلى حرمتهم أن تنتهك، وعلى عزهم أن يذل، ووجدوا أعظم السبيل إلى التخلص من أكثر أحكام الإسلام قائلين: جهلنا لم نجد من يعلمنا، لم نلق من يبصرنا فر عنا العار قوة الدين، وهرب منا العلماء العاملون..."¹، وهذا الأمر استقر في نفوس السلاطين الذين كان أكثرهم بعيدا عن أحكام الشريعة، لذا استعملوا الفقهاء يتحكمون بهم في غالب الأحيان، ولكن العصر المريني شهد عددا من الفقهاء ذوي الشخصيات القوية الذين اتخذوا سبيل الوعظ طريقا للتسيير الحسن لأمر الدولة ووظائفها وخططها ودواوينها، وكانوا دائما يقفون بالمرصاد لتجاوز السلاطين عليهم، حيث قال العالم الفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني صراحة للسلطان المريني أبي عنان "...أما تقريبيك إياي فقد أضرتني أكثر مما نفعني..."².

من خلال ما سبق يتضح أن مجالات مشاركة العلماء في الحياة السياسية في العصر المريني من خلال النصح والوعظ، كانت -أي مشاركتهم- أكثر فعالية ونجاعة وعظيمة الأثر على تطور واقع المنطقة، فمخالطة السلاطين ليس أمرا سهلا بل إن جل العلماء يفضل عدم مخالطتهم حتى لا يتم احتواؤه من قبلهم، ومن هذا المنطلق أضحى الواجب عليهم تقديم النصح والوعظ للسلاطين فيما فيه صلاح الإسلام والمسلمين مهما كلفهم ذلك من ثمن، وقد رأينا نماذج من بعض نصح العلماء ووعظهم لسلاطين بني مرين، هؤلاء الذين أخذوا بنصح ووعظ العلماء لهم بكل قناعة وفرح، كما عملوا على تطبيقها بحذافيرها سعيا وراء المصلحة العامة.

3- موقف العلماء من أساليب تداول السلطة:

لم يقتصر الإسلام على نمط معين لتداول السلطة في الدولة الإسلامية، بل ترك زمام الأمور لجمهور المسلمين ليختاروا المنهج الأمثل، وذلك بمراعاة الظروف الواقعية التي يعيشونها والتغيرات التي عرفتها الدولة الإسلامية، على أن هذا الاختيار لا ينبغي أن يخرج عن مبدأ الشورى³، سواء الحكم عن طريق التزكية والاختيار من الأمة الإسلامية للرجل الذي تراه مناسبا لممارسة السلطة، أو أسلوب التوريث أي أن يعهد الخليفة أو

4- الشوكاني محمد علي، رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين، تحقيق محمد الصغير العبادلي، بيروت، دار ابن حزم، 2004، ص 74 وما بعدها.

2- ابن مريم، البستان، ص 176.

3- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 273.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

السلطان بولاية العهد لأحد أبنائه أو إخوته بموافقة من قبل أهل الحل والعقد، وهذا النمط عرف في جميع فعاليات أنظمة حكم الدول والممالك الإسلامية على طول التاريخ الإسلامي، من ذلك الدولة المرينية التي لم تخرج على هذا النمط وعرفت تغيرات في أساليب تداول السلطة بين أفراد البيت المريني الحاكم، من تأسيس الدولة إلى غاية وفاة السلطان أبي عنان.

والعلماء باعتبارهم من أهل الحل والعقد ويدهم القدرة على اختيار السلطان الأنسب كانت لهم مواقف من الطرق التي اعتمدها المرينيون في الوصول إلى السلطة وتداولها فيما بينهم، ساعين-أي العلماء- في ذلك لبناء نظام سياسي متكامل، يكفل مشاركة جميع أفراد المجتمع الإسلامي في اختيار الحاكم ومباركته، وسنرى إلى أي حد تمكن العلماء من تحقيق هذا المبتغى على ضوء مواقفهم العملية في العصر المريني.

3-1- طبيعة السلطة المرينية: سبق لنا الحديث عن مفهوم السلطة وفصلنا فيها الكلام¹، لذا سنحاول الإمساك

بمفهوم السلطة عند المرينيين بتوظيف عدد من المفاهيم التي تشخص السمة البنيوية التأسيسية مثل: "التقسيم"،

"الإشراك"، "السيطرة المتعددة"، "السيطرة المشتركة"، "التملك الخصوصي للمجال الترابي"، "التوزيع المسبق

للأرض" وغيرها²، نظرا للبعد القبلي الذي تمحورت عليه السلطة المرينية والانتقال من المعطى القبلي إلى المعطى

الدولتي، مما حتم على السلاطين المرينيين القيام بمجموعة من الإجراءات المحسدة لهذه المفاهيم، وبالمقابل ضمان

استمرارية السلطة في بطن واحد من بطون بني مرين والحد من نفوذ البطون الأخرى التي لها نفس القوة

والامتيازات، من خلال رصد الإجراءات التي وظفها سلاطين بني مرين لمعالجة الحركات الانشقاقية التي طبعت

بعمق الدولة منذ بدايتها إلى نهايتها، ننفذ بذلك إلى فرض الإقامة الجبرية بالأندلس لمشيخة الغزاة الذين هم من

ذوي الشأن في بني مرين، وهذا الإجراء راجع على ما يبدو لحقيقة سيكولوجية خاصة متعلقة بحل الاقتسام

والتسوية المحلية، وهو أسلوب مناقض مبدئيا للمركزية، ولكنها تركزت مع تركيز الدولة المرينية، لتصبح من بين

السمات الهيكلية للسلطة³، ناهيك على ذلك فقد تطلع المرينيون للانتقال بدولتهم إلى المعطى الوحدوي ببسط

نفوذهم على كامل بلاد المغرب الإسلامي، وهذا ما جعلهم يتخذون الطابع المركزي في تسيير أقاليم الدولة، حيث

أن الولاة يخضعون مباشرة للسلطة المركزية بفاس والمتحسدة في شخص السلطان المريني الذي له الأمر والنهي في

1- ينظر، الفصل التمهيدي من الدراسة.

2- الشريف محمد، المرجع السابق، ص72.

3- المرجع نفسه، ص73.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

أرجاء البلاد¹، وعلى ضوء ذلك أضحى السلطان المريني مصدراً للسلطة السياسية فقط، وأسندت السلطة الدينية للعلماء والفقهاء، حتى يكون هناك تكامل بين السلطات²، ولكن هذا لا يعني أن السلطان المريني لم يتحكم في السلطة الدينية بل في كثير من الأحيان يخرجون عن هذه القاعدة ويقومون بتجميد دور العلماء والفقهاء في هذا المجال، وقد أوماً السلطان أبو الحسن المريني إلى هذا الأمر حيث قال: "...أوصى جدنا عبد الحق رضي الله عنه بوصية التزمناها وهي أن ثلاثة من الولاة لا مدخل للرعية فيهم مع السلطنة وهم صاحب القصبه وصاحب الشرطة والوالي وثلاثة المرجع فيها للرعية وهم إمام الصلاة والخطبة والقاضي والمحاسب..."³، فلا غرو أن نظام السلطنة أنبأ عن فلسفة متكاملة جسدها سلاطين بني مرين في نظام جديد أسسه ترك الحرية العقدية والفقهيّة الكاملة للرعية دون تقييدها بأفكار مذهبية معينة⁴، إضافة إلى ذلك كان السلطان المريني يبايع بيعتين الأولى خاصة والثانية عامة؛ حيث يقوم أهل الحل والعقد⁵، في البداية بمبايعة ولي العهد ثم بعد وفاة السلطان السابق يعلن على الملأ بالبيعة العامة حيث يبايعه "...قبائل زناتة والعرب والقبائل والعساكر والحاشية والموالي والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء..."⁶، كما اتخذ سلاطين بني مرين شارات الملك وكانت دولتهم من أقوى دول المغرب الإسلامي وأكثرها بذخاً وأبهة وهيبه. وفي السياق ذاته هناك فرق جوهري بين السلطة المرينية والسلطة الموحدية فيما يخص توزيع السلطة؛ بين جهاز هرمي ذي التراتبية الصارمة بالنسبة للموحديين، والتوزيع الأفقي للامتيازات بالنسبة للجهاز المريني، هذا التوزيع الأفقي كان مصحوباً

1- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص268.

2- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، ص259.

3- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص:

4- الحريري، المرجع السابق، ص260.

2- أهل الحل والعقد: هم علماء المسلمين وقلّتهم، من يعقد الإمامة من أفاضل المسلمين المؤمنين على هذا الشأن، أهل الاجتهاد والورع، العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر اجتماعهم، تقوم بهم الحجة وتنعقد بهم الخلافة، الأفاضل المستقلون الذين حنكتهم التجارب، المعتبرون للاعتبار والعارفون بالنقد، أهل القدرة على الحل والعقد، العلماء وأهل الرأي والتدبير، العلماء المشهورون، وجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، الأشراف والأعيان، أهل الشهرة، والعلماء الذين ينكرون على السلطان الغاصب ويأخذون على يده، الواحد المطاع منهم كاف، ينتظم الأمر بهم ويتبعهم سائر الناس، أهل الشوكة والقدرة، السراة، أصحاب العصبية لا العيال على غيرهم، بهم يؤمن عصيان الأمة وخروجها، تختارهم الأمة من أهل العلم والعدالة والرأي وتتبعهم في أمورها العامة وأهمها اختيار الخليفة، ينوبون عن الأمة، جماعة المسلمين، يتألف منهم مجلس أعلى، يرعون مصالح الأمة يرجع إليهم الناس في الحاجات، أولوا الأمر، تعرفهم الأمة بآثارهم فتوليهم الثقة والتقدير، أهل التخصص في كل مجال، يمثلون الأمة، يحققون أهداف المجتمع والدولة، يقوم بهم مقصود الولاية الذي هو القدرة والتمكن، رؤوس القوم وأشرفهم الذين يأمرونهم فيطيعونهم، ينظر: بلال صفي الدين أهل الحل والعقد في نظام الحكم الإسلامي - بحث مقارنة -، ط1، دمشق، دار النوادر، 2008م، ص73-74.

6- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص309.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

هيئة تنفيذية تترأس بالفعل توزيع الامتيازات ولها الإشراف المباشر على التراتبية الإدارية الرمزية التي تضمن التنسيق بين المستفيدين والسكان¹.

وبهذا يكون المرينيون قد أقاموا حكمهم وطوروه على أساس التوزيع والإشراك المنفعي، وتميزوا منذ ظهورهم، وبسبب ظروف ظهورهم، بمفهومهم الرعوية للحكم، وهو مفهوم يقوم على التوزيع والانتفاع العاجل أكثر مما يقوم على التملك والاستمرارية²، والظاهر أن ثمة مفهومين للسلطة، غير قابلين للمطابقة: المفهوم الموحد، والمفهوم المريني، ولكنهما يشتركان في كونهما يحملان حقيقة قهلية انتقائية، تعطي في كلا النسقين وضع خاص للعناصر القبلية المؤسسة، مع محاولة إدماج واحتواء عناصر أخرى حليفة، ثم إن النسق الموحد كان يركز على أساس نجده غائبا في المشروع المريني، هذا الأساس الجوهرى هو الإيديولوجية التبريرية المناضلة، الضامن الأساس للمشروعية السلالية³. من خلال هذه المقارنة بين السلطين المرينية والموحدية يتضح لنا أن الدولة المرينية هي امتداد للدولة السلطانية ومثال تطبيقي لهذا النمط من الدول في الرؤى والأهداف والآليات وسبل تركيز السلطة بيد السلطان المريني وتوظيفها لتثبيت حكم المرينيين.

3-2-ولاية العهد: يعد منصب ولي العهد من المناصب المهمة في الدولة المرينية، وتم استحداثه منذ تأسيس هذه الدولة، وهذا ينبىء عن رغبة جامحة عند سلاطين بني مرين في الاحتفاظ بالملك والسلطة في الأسرة المرينية وضمان تداوله فيما بينهم، وذلك حرصا على المحافظة على الدولة من التزاعات والصراع على الحكم في حال خلو منصب السلطان⁴، وحقيقة هذا المنصب كما يقول ابن خلدون هو: "...أن ينظر (السلطان) لهم بعد مماته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها، ويتقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل..."⁵، وعلى ضوء ذلك فإن ولاية العهد في الدولة المرينية استمدت بقاءها من إجماع أهل الحل والعقد من العلماء والفقهاء وأشياخ بني مرين حفاظا على بقاء الدولة وتحقيقا للمصلحة العليا للبلاد، وقف أنماط التوريث التي شهدتها السلطة المرينية إذ "...تركز نمط التوريث العمودي مع السلطان أبي يوسف، عندما عمد إلى تعيين ولي عهده، ذلك أن نمط التوريث المصادق عليه حتى ذلك العهد كان هو النمط الأفقي، أي نمطا مساواتيا وهذا النمط، ولو أنه كان بالضرورة ذو توجه مضاد لهدوء المجال السياسي، فإنه كان يسمح بتداول

1- الشريف محمد، المرجع السابق، ص76-77.

2- المرجع نفسه، ص77.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص262.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص135.

السلطة من أخ إلى أخ بطريقة تقليدية منظمة، وبالتالي كان يسمح بضمان نوع من التلاحم النسبي، والمتراضى عنه من قبل الأهل...¹، ومن جهة ثانية كان الانتقال إلى نمط التوريث العمودي من شأنه الحفاظ على المدى البعيد على الوحدة الاسمية للدولة المرينية، وهذا الأمر جعل أشياخ المرينيين يعارضون في كثير من الأحيان هذا النمط²، حيث أن نفوذهم تراجع عما كان عليه في النمط الأفقي، وذلك في فترة كل من أبي الحسن وابنه أبي عنان، كما يتميز خط التطور هذا بغلبة ساحقة لمنصب السلطان ولشخصه³، والظاهر أن تركيز السلطة في شخص السلطان المريني، جعله يفرض على أهل الحل والعقد ولي العهد وإمضاء ذلك، باستثناء بعض الحالات الشاذة خاصة بعد مقتل أبي يعقوب يوسف ووفاة السلطان سليمان، والصراع الذي حدث بين أبي الحسن وابنه أبي عنان، وأحيانا كان يتعجل ولي العهد على تولي السلطة بوجود السلطان صاحب الأمر، وعموما تم تكريس منصب ولاية العهد كما قلنا لضمان بقاء السلطة في البيت المريني. إن العلماء بحكم أنهم من أهل الحل والعقد وبعد الجهود التي بذلوها في تأسيس الدولة المرينية، رأوا أنه لا يهم من يتولى منصب السلطان أي قد رضخوا للأمر الواقع، وسعوا إلى وحدة الصف ودرء الفتن والاضطرابات، مشفقين من مغبة الخروج على الحاكم الجائر لعظم الضرر، فأضحى لزاما عليهم مسايرة الوضع والتأثير بالقول والفعل في مواطن ذلك، وولاية العهد أقرها العلماء من هذا الباب حفاظا على الهدوء والاستقرار والأمن، فقد استشعروا الخطر الكامن إذا استفحل الصراع على السلطان كلما توفي السلطان المريني ولم يعين وليا للعهد، فكان هذا المنصب جامعا مانعا لتفرق الأمة واختلافها، متحررين في الأصلاح والأكفأ لهذا المنصب ومن له خبرة في أمور السياسة والحرب والإدارة والتسيير، وبصر بأمور الدين وغيرها.

3-3-اهتمام العلماء بأمر سلاطين بني مرين: انطلاقا من رصد سعي المرينيين للمحافظة على السلطة
واستمرارها، من ذلك تعددت أساليب تداول السلطة بين أفراد البيت المريني تارة بالانتخاب الحر وتارة بولاية العهد وتارة أخرى جبرا، وهذا جعل العلماء يتقبلون هذه الأساليب ومسائرها والرضوخ لها، وعليه سعى العلماء من جانبهم إلى الاهتمام بأمر سلاطين بني مرين والقيام بأحوالهم بحيث "...تعددت أغراض السلطة من استقطاب العلماء إلى حضرتها، فمنهم من اهتم بتعليم السلطان ومنهم من أصدر فتاوى ساهمت في شرعنة سلوكه، ومنهم من كان موضع سر السلطان ونجيه في خلوته، وبالإضافة إلى هؤلاء جميعا قام بعض العلماء

1- الشريف محمد، المرجع السابق، ص70.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه.

بأدوار داخل البلاط المريني تمثلت في القيام بأمر العائلة السلطانية لحظة غياب السلطان...¹، وهذا ضمن النسق العام الذي طبع علاقة العلماء بالسلطة المرينية- في عصر الدراسة- إذن أن الإشراف على أمور سلاطين بني مرين كان من الأهمية بمكان، فكان رهط من العلماء يرى أن هذا الأمر يكفل لهم الاطلاع عن كثر على أمور السلطان ويكون بمقدرتهم تحسين السيئ من أفعاله متى استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فقبول أغلبهم بالأمر الواقع ينم عن بعد نظر كبير واستشراف حقيقي تمهيدا للتحكم في السلطة وفرض السلطان المناسب، وفي السياق ذاته يعد العالمان الفقيهان الكاتبان عبد المهيمن الحضرمي وابن رضوان المالقي نموذجين بارزين، فالأول تخلى عن عائلة السلطان أبي الحسن في أشد الفترات حلكة وعندما تعرض للحصار بعد واقعة القيروان²، واضطر إلى الاختفاء "خشية أنه يصاب معهم بمكروه..."³، وكان يقتضي على ابن عبد المهيمن الوقوف مع السلطان وعائلته في هذه المحنة، ولكنه آثر طلب السلامة على تجشم الصعاب، مما جعل السلطان أبا الحسن لا يتساهل معه⁴ أبدا في هذا الأمر، فلما "...انجلت تلك الغيبة، وخرج السلطان من القيروان إلى سوسة... أعرض عن عبد المهيمن لما سخط غيبته عن قومه بالقصبة، وجعل العلامة لأبي الفضل ابن الرئيس عبد الله بن أبي مدين، وقد كانت مقصورة من قبل علي هذا البيت، وأقام عبد المهيمن عطلا من العمل مدة أشهر..."⁵، مما ينبئ لنا أن مسألة الولاء للسلطان المريني حساسة للغاية ولا يمكن التهاون في شأنها أبدا، حتى وإن تعلق الأمر بعلماء تفانوا في خدمتهم كالحضرمي⁶. أما ابن رضوان المالقي فقد كان متفانيا في خدمة السلطان المريني أبي الحسن والثبات معه وتجشم المهالك والصبر عن الحن عندما حصر السلطان في القيروان بحيث "... كان السلطان قد خلف ابن رضوان هذا بتونس في بعض خدمه فجلى عند الحصار فيما عرض لهم من المكاتبات وتولى كبر ذكر فقام فيه أحسن قيام..."⁷، فلا غرو أن أبا الحسن المريني لما بلغ القيروان، والتقى باين رضوان المالقي فكافأه على فعله⁸، بالرفع من قدره وتقريبه وثقته واستعماله في الأمور العظيمة⁹، مما يدفعنا للقول بأن

1- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص 99.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص: 50.

4- بوزيدي أحمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6- بوزيدي أحمد، المرجع نفسه.

7- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص 51.

8- بوزيدي أحمد، المرجع نفسه، ص 100.

9- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص 53.

الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية خلال العصر المريني.

ارتقاء العلماء في وظائف الدولة وخططها وفي العطايا متوقف على مدى ولائه للسلطة¹، كما نسوق مثالا آخر آخر لعالم أفنى حياته في خدمة السلطنة المرينية سواء السلاطين أو العائلة، وهو أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب الذي خدم أبا عنان ورعى أمه²، بعد أن استخلصه إلى مجلسه وقربه منه ورفع من مكانته³، ولكن ابن مرزوق تعرض لمحنة كبيرة بعد فشله في إنجاز إحدى المهمات التي أسندت إليه وهي خطبة ابنة السلطان الحفصي أبي يحيى، إذ "...بعثه إلى تونس عام ملكها سنة ثمان وخمسين، ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى، فردت تلك الخطبة واختفت بتونس ووشي إلى السلطان أبي عنان أنه كان مطلعاً على مكانها، فسخطه لذلك..."⁴، مما جعل السلطان أبا عنان يوعز باعتقال ابن مرزوق، حيث أوماً بذلك ليحيى بن شعيب مقدم الجنادرية، الذي لقي ابن مرزوق بتسالة فأمسك به وقيده وأحضره للسلطان أبي عنان فقرعه وحبسه مدة⁵. بالرغم من قرب أحد العلماء وهو أبو مدين من البلاط المريني، إلا أن السلطة المرينية لم ترضى أن يتجرأ العلماء على خصوصيتها، ذلك أن السلطان سليمان قتل أبا مدين نتيجة لوشاية اليهودي أبي خزر خليفة بن إبراهيم حاجب سليمان، بعدما بلغه أن له علاقة بإحدى جواريه⁶.

لقد كان العلماء القريبون من البلاط المريني على المحك، لم يكن أمامهم إلا الولاء وهو طبيعي، لأنهم قبلوا هذا القرب، لكن لم يكن أبداً بأيديهم ما يمكن أن يترتب عن هاته الخدمة، فقد عاشوا منعمين جنباً إلى جنب مع السلاطين⁷، وسعوا إلى الاهتمام بأمرهم-السلاطين- والإصلاح من شأنهم وتقديم النصيحة لهم وتذكيرهم بأوامر الله تعالى، والوقوف معهم في الشدائد والحن والأزمات، والصبر على سخطهم وعقابهم، مقدمين في ذلك مصلحة الدولة والرعية والبلاد وإشاعة العدل ورفع الظلم وإحقاق الحق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

1- بوزيدي أحمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه.

3- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 60.

4- المصدر نفسه.

5- المصدر نفسه.

6- ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م، ص 58-59.

7- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص 100.

الفصل الرابع:

العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

1-إسهام العلماء في دفع عجلة التعليم وأصناف العلوم.

1-1-العوامل المؤثرة في الحياة العلمية خلال العصر المريني.

-عناية سلاطين بني مرين بالعلم والعلماء.

-الرحلة في طلب العلم.

-الإجازة العلمية.

-المؤسسات التعليمية.

-المكتبات الخاصة والعامة.

-حوانيت الوراقين .

-مجالس المناظرة العلمية .

1-2-نظام التعليم.

1-2-1-آداب التعليم(التدريس).

2-2-أوقات التعليم(التدريس).

2-3-مراحل التعليم(التدريس).

- المرحلة الابتدائية.

- مرحلة التعليم الثانوي والعالى.

-كيفية التدريس وطرقه.

1-3-جهود العلماء في دفع عجلة التعليم.

1-3-1-1-بحث العلماء عن سند التعليم.

1-3-2-1-موقف العلماء من وضعية التعليم.

1-3-3-1-منهج العلماء في تطوير التعليم ومناهجه.

1-4-إسهام العلماء في تصنيف العلوم.

1-4-1-1-منهج تصنيف العلوم في الفكر الإسلامى.

1-4-2-1-تصنيف العلوم في العصر المرينى.

1-4-3-1-قراءة في العلوم المدرسة والكتب الأكثر رواجاً.

2-المؤسسات التعليمية وموقف العلماء منها.

2-1-1-المساجد والجامع.

2-2-1-المدارس .

2-3- موقف العلماء من المؤسسات التعليمية.

3- أثر العلماء في ازدهار حركة التأليف العلمي.

3-1- تعريف التأليف ومقاصده .

3-2- دواعي العلماء للتأليف.

3-3- موقف العلماء من التأليف .

3-4- إحصاء مؤلفات العلماء في العصر المريني .

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

بعد استقرار الإسلام في البلدان المفتوحة تطلع سكانها لأخذ زمام المبادرة، حيث بدأت الحركة الفكرية تتأصل جذورها وتبسق أغصانها، وتنتج حضارة راقية أرخت ظلها على ربوع العالم الإسلامي مشرقا ومغربا وبلغت الآفاق، إذ تمثل المورد الأهم لفكر البشرية وعقلها ووجدانها وطرائق معاشها¹، بفضل البعد التعليمي التلقيني المتواصل بين أفراد الأمة الإسلامية، والسعي لقيادة العالم وأخذ مكان الصدر بين الأمم، وهذا ما تحقق على طول التاريخ الإسلامي، من خلال الدول التي شهدها ومنها انتقلت إلى جميع الأمم الأخرى، بفضل تفاعل جميع شرائح المجتمع الإسلامي خاصة العلماء الذين بذلوا جهودا كبيرة في خدمة العلم والعلوم وتلقيه وتعليمه للناس بمختلف مقاماتهم.

1- إسهام العلماء في دفع عجلة التعليم وأصناف العلوم: قبل التطرق إلى إسهام العلماء في دفع عجلة الجهاز

التعليمي وتطور العلوم خلال عصر الدراسة، تنبغي الإشارة إلى أن المغرب الأقصى عرف في عهد بني مرين حصاد قرنين من المجهودات العلمية، بفضل جهود دولتي المرابطين والموحدين في ميادين العلم والثقافة والأدب، مما عجل بازدهار الحركة العلمية بوتيرة كبيرة، أتاحت للعقلية المغربية مزيدا من النضج².

1-1- العوامل المؤثرة في الحياة العلمية خلال العصر المريني: تضافرت عدة عوامل أثرت في الحياة العلمية في

العصر المريني، ذلك أن عصر الدراسة الذي يمتد من تأسيس دولة بني مرين إلى غاية وفاة السلطان أبي عنان فارس سنة 759هـ، يشكل العصر الذهبي حيث ازدهرت الحركة العلمية والتعليمية وبلغت أوجها، وفيما يلي أبرز العوامل المؤثرة فيها:

—عناية سلاطين بني مرين بالعلم والعلماء: لما كان العلم لا يزدهر إلا في ظل حاكم يشغف به ويأخذ بأيدي

أهله، لذا فإن سلاطين وأمراء بني مرين جمعوا إلى سلطان الإمارة وجاهة الأدب، ورعاية أعلامه، فأحاطوا أنفسهم بجو أدبي وعلمي رائع مما جعل مجالسهم مزدانة بالعلماء والأدباء، كما تزدان السجنان بالآلئى، وتوضح بأنداء العلوم والمعارف، وتضفي على المملكة مهابة السلطان، وسلطان العلم، وفي ذلك منطلق للازدهار الإسلامي الساطع³. وللسلاطين دور أساسي ومهم في نمو الحركة العلمية وانتعاشها، وذلك على ضوء ميولاتهم الثقافية التي بها يزدهر العلم وتنفق أسواقه، بل إن جل سلاطين بني مرين اعتبر وصال العلماء شارة من شارات الملك

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص130.

2- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص337.

3- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص143.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

العظيم، وعلائم السلطان المكين¹، مما جعل سلاطين وأمراء بني مرين يتنافسون في تقريب العلماء وطلب رضاهم وتركيتهم، فأغدقوا عليهم الأموال، وأجزلوا لهم في العطاء، وزينوا بهم مجالسهم، محاطين بجميع مظاهر التقدير والتبجيل والاحترام². والواقع أن في هذا المسلك خدمة لتقوية سلطتهم، وكسب رضا العامة به، لما يتمتع به العلماء من مكانة في نفوسهم، علاوة على تقدير السلاطين للعلم وأهله مما جعلهم حماة متنورين للآداب والفنون، يسخون عليها ويستقبلون أهلها بكل ترحاب³، لهذا فإن سلاطين بني مرين جعلوا من حواضر ملكهم في المغربين الأقصى والأوسط منارات علمية مشعة، تنبئ عن سجلهم الحافل المتمثل في طبيعة الإنجازات في الميدان الثقافي، كما اهتموا بالعلم وبنوا المدارس والزوايا وإحاق خزائن الكتب بها، ومجالسة العلماء والصلحاء والاقتهاء بنصائحهم⁴، من ذلك السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور الذي كان "...مكرما للصالحين موقرا لهم معظما للعلماء مقربا لهم... وبنى المدارس ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن وطلب العلم، وأجرى عليهم المرتبات في كل شهر، كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى..."⁵، وأيضاً ابنه الأمير أبو مالك عبد الواحد (ت 671هـ/1272م) كان "...مجا في الأدب والتاريخ ذاكرا لكثير من ذلك مقربا للعلماء والفقهاء، وكان مع ذلك عالما بأنساب بني مرين وغيرهم من قبائل زناتة ذاكرا لأيامهم وحروبهم، يجالس العلماء والفقهاء والشعراء ويذاكرهم واختص بمجالسته ومنادمته ومسامرته جماعة من أهل الأدب والفقهاء..."⁶، أما السلطان أبو يعقوب يوسف فقد قرب العلماء منه وأجزل لهم العطاء ومنحهم الأموال⁷، وناهيك على السلطان أبو ثابت الذي جالس العلماء⁸، كما يعد السلطان أبو سعيد عثمان من المشاركين في العلم ومعدودا ضمن جمهور العلماء⁹، ووصل الفقهاء والصلحاء¹⁰ وسار على هذا المنهج

1- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه.

3- المرجع نفسه.

4- المنوني محمد، المرجع السابق، ص: 234، بلعرج عبد الرحمان، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول الممالك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين 7هـ-13م-15م-4، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م، ص: 140.

5- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب... المصدر السابق، ص: 298.

6- ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية... المصدر السابق، ص: 123.

7- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب... المصدر نفسه، ص: 374.

8- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج7، المصدر السابق، ص: 237.

9- المنوني محمد، المرجع نفسه، ص: 235.

10- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 397.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

السلطان أبو الحسن الذي كان معظما للعلماء قائما بحقهم، ساعيا إلى تقريهم منه والرفع من قدرهم والإشادة بفضلهم، مشاركا في مناقشاتهم العلمية لمختلف المسائل، مشاورا لهم وحريصا على ضمهم إلى حاضرتهم ومجالسهم العلمية¹، أما ابنه السلطان المتوكل أبو عنان فارس فقد اقتفى أثره وعد من علماء عصره، وقد نوه ابن الأحمر سبعة علمه حيث يقول: "... وكان فقيها يناظر العلماء الجلة فيصيب ويخطئهم، ومعرفته بالفقه تامة، وكان عارفا بالمنطق وأصول الدين، وله حظ صالح من العربية والحساب، وكان حافظا للقرآن، عارفا بناسخه ومنسوخه، كثير التمثيل بآياته، حافظا للحديث عارفا برجاله، فصيح القلم كاتبا مراسلا بليغا بارعا الخط، حسن التوقيع..."²، فلا غرو أن المرينيين رغم أصولهم البدوية، فإن سلاطينهم تفاعلوا مع العلم والعلماء عموما، واعتنوا بهم أحسن اعتناء وبطريقة مميزة حيث أخذوا بعين الاعتبار افتقار الدولة إلى أسس مذهبية رسوخ تقاليد تعليمية في أوساط مجتمعاتهم³.

— الرحلة في طلب العلم: لقد تولدت في المجتمع الإسلامي دافعية قوية إلى التعلم، والرحلة في طلب العلم، والصبر على تحصيله، والجد في اجتياز مراحلها، واستطاع المسلمون فعلا أن يجسدوا "مجتمع التعلم المفتوح" وطبقوا عمليا شعار "التعلم مدى الحياة"⁴، فانطلقوا كالشهب الراصدة يقطعون الفيافي والقفار، ويجوبون الآفاق، ويسطرون في صفحات التاريخ أنصعها في ما سمي في حضارتنا بـ "الرحلة في طلب العلم"⁵، التي تعتبر إحدى أهم الوسائل المؤدية لنقل العلوم والمعارف من بلد إلى آخر، فكان دأب العلماء والفقهاء وطلاب العلم على الجملة الارتحال بقصد الدراسة والعلم، سعيا للقاء الشيوخ وكبار الأساتذة من أجل الاستزادة من العلوم والنبوغ فيها، فقد كانت الرحلة في طلب العلم ميسرة نظرا لانعدام الحدود بين أمصار العالم الإسلامي⁶، لذا اندفع طلبة العلم في جميع الأصقاع يبذلون الجهد والمال والغالي والنفيس في سبيل هذه الغاية المباركة، قال الخطيب البغدادي: "... ولو كان حكم المتصل والمرسل واحدا لما ارتحل كتبة الحديث، وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق..."⁷، والظاهر أن طلبة العلم لم

1- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص260، بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص68.

2- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص27-28.

3- بوزيدي أحمد، المرجع نفسه، ص67.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص134.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14م-15م-6م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1431هـ-1432هـ/2010م-2011م، ص75، بن خيرة نجيب، المرجع نفسه.

7- البغدادي، الكفاية في علم الرواية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م، ص402.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

يذخروا وسعا في توفير النفقة من أجل رحلاتهم حين يدرسون ويتلقون عن المشيخة، ويتواصلون مع العلماء في المساجد والمدارس المنتشرة في مشرق العالم الإسلامي ومغربيه، فكانت رحلاتهم العلمية بجانب المتعة في تحقيق المتبغى، لا تخلوا من العناء والمشقة وتحشم الصعاب التي يواجهها الطلبة وهم بعيدون عن أهاليهم، لذا كان علماء الفقه يجوبون البوادي ويختلطون بقبائل العرب من أجل الحذق في اللغة وقواعدها، يقرضون الشعر ويتسولون في الأدب، كما رحل علماء الحديث إلى الأقاليم والبلدان والأمصار والحواضر والكور بحثا عن سند الحديث وتتبع منته ورجاله، ومتابعة سماع ما لم يتيسر لهم سماعه في بلدانهم¹، حتى إذا أتم سماع العوالي والمهمات بقطره عليه أن يشد الرحال لغيره². ولا نكاد نجد عالما ذاع صيته، وطبقت شهرته الآفاق، ولم يرحل في طلب العلم، ونأى بعيدا عن الأهل، ليكتسب الفوائد، ويحفظ الفوائد، ويسعد بصحبة الشيوخ³، وقد عقد عبد الرحمان بن خلدون فصلا في مقدمته عنونه بـ "في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم" وفي ذلك يقول: "... والسبب في ذلك: أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب، الفضائل: تارة علما وتعلما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا..."⁴، وهذا لا يتأتى إلا بكثرة إلا بكثرة المشيخة فيكون التحصيل عاليا وأكثر رسوخا، كما يكتسب طالب العلم اصطلاحات العلوم ويفقه ترتيبها واستعمالها في مواضعها ويحكم النظر فيها⁵، مما يؤدي إلى أن "... تنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان، ويصح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته المباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم، وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال..."⁶، ولا شك أن دوافع الرحلة العلمية كثيرة تتأصل في نفسية طالب العلم تحفزه للمضي لبلوغ غايته وهدفه ولعل أبرز هذه الدوافع هي:

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص135.

2- ابن الصلاح، علوم الحديث-تحقيق نور الدين عتر، بيروت، المكتبة العلمية، 1981م، ص222.

3- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر السابق، ص532.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6- المصدر نفسه.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

-البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي له أثر واضح في ظهور الرحلات العلمية نحو ميادين النشاط الحضاري¹.

-العناية بالعلوم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف فلقد سعى الحكام إلى تقريب أولي العلم والمعرفة وإكرامهم، وتهيئة المناخ الملائم لهم للبحث في حقل المعرفة المختلفة، وبالتالي تيسير السبل أمام الإنتاج الفكري حسب تخصص كل منهم.

-جمع الكتب وتصنيفها والاهتمام بها وحيازتها.

-توافق الظروف المناسبة لطلب العلم في الحواضر والمراكز العلمية كالقاهرة والإسكندرية وبلاد الشام والحجاز، حيث كانت تشهد ازدهارا فكريا وشيوع ذكر علمائها مما رغب طلاب العلم للتوجه إليها من أجل لقاء العلماء والأخذ عنهم واكتساب مناهجهم وعلومهم²، كما شجع العلماء والفقهاء وطلبة العلم عموما على الرحلة أمران مهمان هما:

* وجود المساجد والجوامع والمدارس، والربط، والزوايا، والخوانق التي كانت تتخذ لضيافة العلماء وإقامتهم بها دون مقابل ونرى ذلك جليا في أثناء البحث.

* كان التعليم والتحديث والتدريس حسبة لا يتقاضى عنها العلماء أجرا³.

وفي نفس الصدد التزم الرحالة في طلب العلم بآداب الرحلة، ورعوها حق رعايتها، حتى تبلغ الرحلة غايتها وتحقق أهدافها أيا كان العلم الذي يرحل من أجله طلبه العلم، وأهم هذه الآداب:

-التزام الطلبة بسماع العلماء وأخذ نصائحهم وإرشاداتهم أينما رحلوا، وعدم الاستخفاف بتلك النصائح⁴.

-الاختيار الأنسب لأماكن الرحلة التي يقيم بها كبار العلماء ومشاهيرهم وفضلائهم، وكان العلماء يعتنون

بذلك ويستشيرون فيه، مع مراعاة الاهتمام بالمادة العلمية الملقاة وما على الطالب إلا تدوين كل ما

يسمعه، وذلك ليتمكن من فهم العلوم بعمق، ويتم ذلك بأن يحضر ما توصل إليه من آراء أو علاج لمشكلات

العلم، فيلقيه على أهل التحقيق والدقة، ويعرض عليهم ما وقع من إشكال فيكسب بذلك آراء جديدة تزيده

تمكنا وتعمقا، وهي فائدة هامة يكمل بها العالم وتسمو منزلته، كما ينبغي عدم التساهل في مراعاة الآداب العامة

7- زكري لامة، الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 7هـ-13هـ/13م-15م-مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1430هـ-1431هـ/2009م-2010م، ص28.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص138.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

في السفر ومن أهمها: المداومة على الطاعات والعبادات وذكر الله تعالى، والسخاء بالمال، ثم تحمل متاعب السفر والطريق والصبر على الرفاق¹. وعليه فقد أضحى عرفا سائدا لدى العالم أن يرحل ويلقي العلماء وينهل منهم، ويروي عنهم، بحيث أصبحت الدولة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها كأحد وحدة مهما تعدد حكمائها²، لذلك كانت الرحلة العلمية بين بلدان العالم الإسلامي، علامة على تمتين أو اصر التتقارب، وهذا أمر واضح تفرضه طبائع الأشياء، وما كانت النتيجة لتتم على غير هذه الصورة، لأن طواف الكثير منهم بالأقاليم ربط المشرق والمغرب، وألغى السدود والحدود، مما جعل العالم الإسلامي أشبه بالمدينة الواحدة³، وانطلاقا من ذلك كان معظم طلبة العلم والباحثين يرحلون في حماسة ونشوة كبيرة عبر القارات الثلاثة، ثم يرجعون إلى أمصارهم كما يعود النحل محملا بالعسل الشهي، ثم يقبع هؤلاء العلماء في بلدانهم ليشاهدوا شغف جماهير الناس من العامة، الذين كانوا ينتظرون عودتهم لتتعلق حول حلقهم، فينهلون من علومهم ومعارفهم زادا وخيرا عميما، وأيضا أنهمك هؤلاء العلماء في تدوين ما جمعوا وما سمعوا في كتب ومصنفات هي أشبه بدوائر المعارف، مع تسلسل رائع وبلاغة رفيعة، وتعد هذه الكتب بمثابة المصادر الأولى للعلوم الحديثة بأوسع ما تحتمله كلمة العلوم من معنى، وهي مرجع العلماء والباحثين، ومنها يستمدون فنونا من الثقافة والمعرفة أعمق بكثير مما يظن الناقدون⁴. وناهيك عن التشرذم والانقسام بين بلدان العالم الإسلامي سياسيا، فإن ذلك لم يمنع من التواصل العلمي بين أمصار الدول الإسلامية مما أبقى على وحدة المسلمين الفكرية، وزاد من حرية الترحال في أرجاء العالم الإسلامي أن لغة العلوم هي اللغة العربية، مما حفز طلبة العلم أن يدرس في بلد من بلاد المسلمين، باعتبار أن اللغة العربية هي اللغة المهيمنة والسائدة في المساجد ودور العلم، كما أتقنها الشيوخ والطلبة على حد سواء⁵.

وعلى أية حال فإن الرحلة العلمية- في عصر الدراسة- ساهمت بشكل فعال في ازدهار الحياة العلمية، بحيث أن العلماء والفقهاء وطلبة العلم في هذه الفترة جابوا أقطار المغرب الإسلامي ومصر وبلاد الشام، فهذا "... أبو عبد الله المقري ألف كتاب في الرحلة بعنوان نظم اللثالي، حيث استعرض فيه رحلته عبر مراكز المغرب الثقافية فذكر الأعلام الذين أخذ عنهم أو تذاكر معهم انطلاقا من تلمسان، فبجاية، ثم تونس، ثم المغرب حيث دخل

1- ابن الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث- تحقيق نور الدين عتر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1375هـ، صص 29-31.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 136.

3- صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط 12، بيروت، دار العلم للملايين، 1981م، ص 57، بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 137.

4- Nicolson. **Aliterary history of the Arabs**. p281-4، نقلا عن بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- المرجع نفسه.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

فاسا ولقي بماعدد من فطاحل العلماء...¹، وكذلك الآبلي وابن مرزوق الخطيب وابني الإمام وابن خلدون، وابن البناء المراكشي، وأبو عبد الله بن شعيب الدكالي وغيرهم من العلماء النابغين في شتى العلوم النقلية والعقلية.

—الإجازة العلمية: تجدر الإشارة أن من أهداف الرحلة العلمية الحصول على الإجازة العلمية، فالمتعلم لا ينهي دراسته عند تخرجه من المدرسة فحسب، بل حتى يعلو كعبه في العلم ويصير في جملة العلماء، أن يسعى للحصول على الإجازات في أصناف العلوم وعلى يد أشهر علماء العصر²، لذا فإن الإجازة العلمية تعد بمثابة الشهادة التي يسلمها الأستاذ العالم لطلبته عند قراءتهم عليه ويجيزهم على ذلك، وهي أبرز دليل على الإذن الذي منحه الشيخ المدرس لأحد طلابه وبها يستطيع أن يياشر التدريس أو الفتوى³، وقد عدها الأستاذ أبو سعيد بن لب "الرواية" التي هي أصل الدين والمنهج القويم⁴، ولما كان الحصول على السند غير ممكن في العصور المتأخرة، باعتباره أنه جامع بين كل الحقائق العلمية وتتبع إسنادها بالرواية حتى تصل إلى قائلها فأضحى هذا الأمر متعذرا على أهل العلم⁵؛ لذا... أصبح السماع على الشيوخ أو عرض المعلومات جزءا أو كلا من كتاب معين أو عدة كتب كتب أو كذا مجرد مناولة الشيخ كتبه للطالب مما يمكن بتحويل الأستاذ لطالبه الإجازة التي يريد، وهذا على الأقل، ما أصبح عرفا غير محدود، لدى الكثيرين من العلماء عبر العالم الإسلامي، وإذا طلب أحد الإجازة فهو يستجيز، أو يستدعي شيخه إجازة...⁶، وهذا ديدن العلماء والفقهاء وطلبة العلم في عصر الدراسة سعوا إلى طلب الإجازة وتداولها فيما بينهم حتى ظهر جيل من العلماء ذوو الأسنان وأصحاب الكعوب العالية في أصناف العلوم. وعلم الحديث أكثر العلوم ارتباطا بمسعى أهل العلم للحصول على الإجازة فيه، فهي من الأهمية بمكان بحيث أن الحاصل على إجازة في علم الحديث، يحكم حفظ الأحاديث بأسانيدنا ومتونها ورجالها رواية ودراية، لذا كان علماء الحديث متشددين في إجازة الطالب النجيب حتى يعرف جميع هذه الضوابط فيعد في جمهرة المحدثين⁷. وعلى ضوء ذلك انقسمت الإجازة العلمية إلى قسمين فهناك الإجازة الخاصة والعامة، فأما

1- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص77.

2- المرجع نفسه، ص80.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص15.

5- بوشقيف محمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- ابن رشيد، ملء العيبة-تحقيق ودراسة محمد الحبيب بلخوجة، ج2، تونس، 1982م، ص417.

7- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص81.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الإجازة الخاصة هي التي يمنحها الشيخ العالم لطالبه الذي قرأ عليه كتاب في أحد العلوم، أو لقنه فنا من فنون العلم¹، والإجازة العامة هي التي تعم جميع ما لقنه أو درسه الشيخ العالم من علوم لطلابه ويمنحها لهم²، ولهذا شاعت الإجازة العامة حتى فاقت الإجازة الخاصة ومرج ذلك أن طلبة العلم سعوا للظفر بما لأنها شاملة لجميع أصناف العلوم، التي تمكنهم من تحقيق مكانة علمية سامية³، وعموما كانت الإجازة العلمية تؤخذ على مسلكين مسلكين هما: *إجازة السماع: تعد أعظم الإجازات وأهمها، ذلك أن طلبة العلم يداومون الحضور عند أحد الشيوخ حتى يستكملوا ما أرادوا تعلمه منه، وبعدها يمنحهم بخطه وثيقة يشهد فيها لهم على ما أجازهم به، مسجلا فيها تاريخ ومكان ميلاده، وشيوخه الذين أخذ عنهم سندا متصلا إن أمكن ذلك⁴، وكانت تتم إجازة السماع في حلق المساجد والجوامع والمدارس، وتمنح إجازة السماع بشكل فردي غالبا، وفي أحيان أخرى بشكل جماعي حيث يجيز مجموعة من طلبته في آن واحد⁵.

*إجازة المكاتبية: هي أدنى من إجازة السماع من حيث الأهمية، وذلك بأن يرسل الطالب كبار المشيخة ليطلب منهم منحه الإجازة في بعض أو كل ما يحملونه من علوم⁶، لذا كانت تطلب مشافهة بحيث يطلبها من بعض الشيوخ لذويه أو بعض أصحابه مباشرة، ذلك أن الإجازة "... كانت بمثابة الشهادة التي يتمكن الطالب من ولوج عالم التدريس والفتوى، وبفضلها حافظ علماء المغرب على أسانيد العلوم والتعليم فازدهرت العلوم العقلية والنقلية المبنية على القواعد الصحيحة المتمثلة في معرفة أسانيدها ورواياتها خاصة علم الحديث..."⁷، وعليه فإن الإجازة العلمية كانت عنوانا على ازدهار الحياة العلمية واتصال سند العلوم وتعارف الشيوخ والعلماء والطلبة، وتقارب الحواضر والمدن، وكان لها محل مرموق في سوق العلم في الدولة المرينية-عصر الدراسة- مما ساهم في بروز الطالب بمظهر العالم المدرس أو المفتي ويصبح في خانة العلماء المبرزين المقدمين، كاسبا لإجلال وإكبار العامة وحتى أقرانه من طلاب العلم، وهذه المكانة لا تتحقق إلا بالإجازة التي أخذها من كبار العلماء المشاهير.

7- السملالي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ج2، ط2، الرباط، المطبعة

الملكية، 1413هـ/1993م، ص244

2- ابن مريم، المصدر السابق، ص19.

3- المصدر نفسه، ص19-20، بوشقيف محمد، المرجع نفسه، المرجع نفسها.

4- المصدر نفسه، ص150-152.

5- بوشقيف محمد، المرجع نفسه، ص82.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- المرجع نفسه، ص85.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

—المؤسسات التعليمية: كان لها أبلغ الأثر في ازدهار الحياة العلمية في عصر الدراسة، حيث اعتبر المسلمون عبر تاريخهم أن تنشيط الحركة العلمية وبعث الحياة الثقافية وإحياء النفوس بالعلم¹، بالمساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس، التي ساهمت بشكل فعال في تطور الفكر الإسلامي، وسنفضل في المبحث القادم حول المؤسسات التعليمية ودورها في العصر المريني.

—المكتبات الخاصة والعامة: يعد الكتاب الأداة الأولى والأساسية لتحصيل العلم، والمساعد الأكبر على البحث والدرس، به يتعلم الطلبة جل علومهم، فهو بمثابة المرجع والمآب، فقد احتل في الأعصر التي نمت فيها العلوم وازدهرت، منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة، ومقاما محمودا، حتى أنك لتدهش في أغلب الأحيان عندما تسمع المسلم يتحدث عن الكتاب، وما يكن له من تقدير وإجلال، فتخاله يتحدث عن صديق له نما وده، وزاد إخلاصه، أو حبيب طال بعده، وكثر الشوق إليه². وعلى ضوء ذلك حرص المرينيون على تدعيم العلم والعلماء بتخصيص المكتبات وجلب الكتب إليها، إذ تعد المكتبات من أبرز المؤثرات في الحياة العلمية في عصر الدراسة، فأول سلاطين بني مرين يعقوب المنصور أنشأ مدرسة الصفارين وزودها بمكتبة تحتوي على عدد معتبر من الكتب النادرة والفريدة بلغت ثلاثة عشر حملا، وكان قد طلبها المنصور من ملك قشتالة سانشو بعد توقيع الصلح بينهما في الجواز الرابع سنة 684هـ/1285م، فكانت هذه الكتب نواة للمكتبة السلطانية بفاس³، وقد ضمت عددا من مصاحف القرآن الكريم والتفاسير كابن عطية والثعلبي وتأليف الحديث وشروحا كالتهديب والاستذكار ومصنفات في الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغيرها من العلوم⁴، وقد كانت أماكن المكتبات ملحقة بالمساجد والمدارس والربط وقصور السلاطين⁵، ثم جرى النظر لاحقا في إنشاء مكتبات مستقلة—في عصر الدراسة—زمن السلطان المتوكل أبي عنان، لما وافق ذلك فيه عزمًا على دعم العلم وحب أهله فأقام مكتبة تحتوي على كتب ومصنفات في جميع العلوم⁶، حيث يصفها الجزنائي بقوله: "...وأما خزانة الكتب الكتب التي يدخل إليها من أعلى المستودع الذي بالجامع فإنه لما كان من شيم مولانا المتوكل أبي عنان

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص160.

2- المرجع نفسه، ص198.

2- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص358-363، الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص349.

Toynbee.A.la rousseencylopedia of ancient and medieval history.p336.

4- السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص64.

5- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص349.

6- المرجع نفسه، ص350.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

رحمه الله حب العلم وإيثاره، والتهمم به والرغبة في انتشاره والإعتناء بأهله ومتحمله، والتودد لقرائه ومنتحليه انتدب لأن صنع هذه الخزنة وأسع طلبة العلم بأن أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علم الأديان والأبدان والأذهان واللسان، وغير ذلك من العلوم على اختلافها وشقي ضرورها وأجناسها، ووقفها ابتغاء الزلفى، ورجاء ثواب الله الأوفى...¹، ناهيك على تنظيمها إذ "... عين لها قيما لضبطها، ومناولة ما فيها، وأجرى له على ذلك جناية، وأفاده مكرمة وعناية، وذلك في جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمئة...²، وقد أردف أبو عنان لهذه المكتبة الضخمة خزنة كبرى للمصاحف تسهيلا على الناس لتلاوة في غالب الأوقات ودبر الصلوات المفروضة، وهذه المصاحف ذات خطوط بهية جميلة سنية، حيث خط بعضها بيده ووقفها للمسجد الجامع وعين من يقوم عليها بتنظيمها وضبط أعدادها وحفظها وترتيبها وإعادةها لأماكنها، وتم تأسيسها في شهر شوال سنة خمسين وسبعمئة³، ولم تكن المكتبات منتشرة في العصر المريني في فاس وحدها، وإنما كانت هناك بعض المدن في المغرب الأقصى اشتهرت بكثرة الكتب الموجودة بها في العصر المريني، مثل مدينة سبتة⁴.

— حوانيت الوراقين: بلغت الحضارة الإسلامية أرقى الدرجات فاقت جميع الحضارات الأخرى، بما خلفته من كتب ومخطوطات كانت من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها، نظرا لظهور صناعة الورق، وشيوع استعماله وله أبرز الأثر في بروز طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب، وهؤلاء هم الوراقون، ولئن أغفل المؤرخون أخبار هذه الطائفة ولم يهتموا بهم، فإن فضل الوراقين لا يمكن إنكاره ودليل ذلك أن ملايين المخطوطات العربية التي تزخر بها مكتبات بغداد والكوفة والبصرة، ودمشق وقرطبة ونيسابور وبخارى والقاهرة واسطنبول وتونس والقيروان وبجاية وتلمسان وفاس ومراكش وسبتة وغرناطة وغيرها من الحواضر الإسلامية قبل اختراع الطباعة تشهد لهؤلاء الوراقين بالسبق، في نهضة الحركة العلمية وتدين لهم بازدهارها⁵، والوراقة "... هي العناية بالكتاب نسخا وضبطا وتجليدا وتجميلا وبيعاً وشراء...⁶، وحرى بنا أن نشير أن الوراقة في عهدنا تعد بمثابة دور النشر بحيث يقوم الناشر بنسخ الكتب ثم يجلدونها ويصححون، ثم يعرضونها للبيع في

1- المصدر السابق، ص76.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه.

4- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص350.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص207.

6- كريم عجيل حسين، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، ص286، نقلا عن بن خيرة، المرجع نفسه.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الحوانيت الخاصة أو في سوق الكتب،فضلا عن بيع الورق وأدوات الكتابة¹،وصناعة الوراقة خير فآل على العلماء حيث عملت على توفير الجهد عليهم وأشاعت علومهم بين الناس عن طريق استنساخها،وقد وصفها السبكي بقوله: "...وهي من أجود الصنائع فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم..."²لذا ازدادت عناية المسلمين بالكتب باعتبارها نتاج عقول العلماء،ومحصلة أبحاثهم،وسبب نهضة الأمم ومعول زيادة مستوى الثقافة بين أبنائها،ولوفرة الكتب والاعتناء بها أفضل دليل على وجود العلماء المنتجين ورغبة جامحة في طلب المعارف³،مما حدا بابن خلدون إلى اعتبار الوراقة أن لها أبلغ الأثر في النهضة العلمية والعمرائية حيث يقول: "...فكثرتالتأليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار فاستنسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للاستنساخ والتصليح والتجليد وسائر الأمور المكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة للعمرائين..."⁴،وتعد حوانيت الوراقين إحدى أهم دعائم الحركة العلمية وقبلة لطلبة العلم والمعرفة،وأیضا هي منبع غزير للفكر والثقافة،وفضاء واسعا للمناظرات العلمية والحوار الفكري،يشرف عليها الأدباء والمثقفون،ويتخذونها منتدى لهم وملتقى لاجتماعاتهم،وأفضل مكان لبسط أبحاثهم،وحلقة لمناظراتهم،وبعدها تحولت شيئا فشيئا لتصبح قبلة لكل من يبغى علما أو يهوى أدبا⁵،والظاهر أن حوانيت الوراقين لم تكن مجرد دكاكين لبيع الكتب ومستلزماتها،يبغى أصحابها الربح فقط،وإنما كان جمهور كبير من الوراقين من أهل العلم ينشدون جذب الباحثين إلى حوانيتهم من أصحاب الثقافات العالية بحثا وراء اللذة العقلية من خلال حرفتهم،وأتاحت لهم القراءة والإطلاع وحولت حوانيتهم إلى ملتقى غير رسمي للمناقشات الفكرية الأكاديمية ذات المستوى الرفيع⁶،وفي عصر الدراسة تركزت الوراقة في يد المغاربة أكثر،ونبع وراقون مصحفيون،ووراقون للكتب العلمية بينهم،مكترون،وتخصص بعضهم في نسخ

1-بن خيرة نجيب، المرجع نفسه،ص208.

2-السبكي،معيد النعم-نقلا عن المرجع نفسه،ص208.

3-المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

4-المقدمة،المصدر السابق،ص384.

5-العمرى أحمد جمال، حوانيت الوراقين وقيمتها العلمية، المجلة العربية، السنة الثانية، العدد،06، 1978م،ص16.

5- Bayard Dodge, **Muslim Education in Medieval Times**, The Middle East

institute, Washington, De, 1962, p14 .

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

مادة بعينها، كما ظهر مصححون مغاربة مختصون صححوا عددا من الكتب العلمية¹، ويمكننا الحديث عن الأعمال التي يقوم بها الوراق على النحو التالي:

- إنشاء حانوت للوراقة يكون مقرا للقرطاسية من الكاغد والحبر والأقلام، ويصبح ديوانا يجتمع فيه النساخين لنسخ الكتب، كما يوزع الوراق عليهم العمل لنسخه تحت إشرافه مباشرة، ويحدد أيضا من يملي الكتاب إذا كان الهدف إنتاج أكثر من نسخة في وقت واحد وكذلك طريقة مراجعة النسخ².

- القيام بشراء القراطيس من مصانع الكاغد والورق والأحبار والأقلام والدوى.. وربما يصنع الوراق بعضها في حانوته مثل الأقلام والحبر، كما يختار الكاغد والورق المناسب من حيث النوع والحجم والجودة³.

- استئذان المؤلفين في نسخ وتوزيع كتبهم ويتفاهم معهم، وفي بعض الأحيان كان يتم الأمر دون إذن من المؤلفين، وكان الوراق يحدد ما قد يروج لديه من الكتب⁴.

- الاتفاق مع الزبائن حول عدد النسخ وأسعارها وكيفية ترتيبها وتجليدها وتصويرها ورسومها وزخرفتها وجميع مستلزمات الكتاب⁵.

- نادرا ما كان بعض الوراقين يملكون ورش تجليد لتجليد الكتب؛ لأن التجليد والتصوير عمليين منفصلين عن النسخ وإن كانا يدخلان في الوراقة بمعناها الواسع⁶.

- القيام ببيع الكتب وتوزيعها في الحانوت أو خارجه وفي الأسواق وعلى البيوت⁷.

وعليه أدى إقبال الناس على الكتب إلى جعل حوانيت الوراقين تدر على أصحابها رزقا وفيرا، حتى إن بعض العلماء احتاجوا في أواخر حياتهم فصاروا يورقون أي ينسخون الكتب ويبيعونها لأنهم لا يأخذون أجرا على

6- المنوني محمد، تاريخ الوراقة المغربية (صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة 2-، ط1، الرباط، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، 1412هـ-1991م، ص50.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص209.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه.

5- المرجع نفسه.

6- المرجع نفسه.

7- المرجع نفسه، ص210.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

التعليم والتدريس في غالب الأحيان¹، وبذلك كان لحوانيت الوراقين أعظم الأثر في رواج كتب العلم وانتشارها في حواضر المغرب الإسلامي وتداولها بين جمهور الناس.

— مجالس المناظرة العلمية: كان دأب علماء المسلمين البحث عن مضان العلم وسبله، ويغوصون في أغوار المعرفة ويتحرون منابعها مما جعلهم متفتحين على جميع ذلك، مثبتين فعاليتهم في تحري العقل، وما كان ليتدرد أحد من هؤلاء العلماء بالتصريح عن عجزه بالإجابة عن أي سؤال في حال عدم قدرته على ذلك، أو أن ينتفع من غيره بعلم يقال ليزداد هدى وبصيرة، وكانوا يأخذون الحكمة من أي وعاء خرجت، وينالون الحقائق من أي أفق سطعت مجسدين بذلك غاية مبادئ حركتهم الفكرية، التسامح مع الآخر لقول الله تعالى: "لا إكراه في الدين"²، فلا غرو أن المسلمين تمكنوا من احتواء جميع الحضارات والأجناس والأعراق الأخرى بكل مواريتها وأفكارها وتناقضاتها، وتركوا المجال لجميع الناس وفتحوا لهم الأبواب لبسط الأدلة ومقارعة الحجج، بالتناظر العقلي البناء الذي يؤدي في غالب الأحيان للإقناع ودحض الشبهات القائمة، والأوهام الواردة، ودفعها جميعا بالحجة الدامغة والدليل القاطع والمنطق الصائب، لذلك ظهرت في مجالس العلماء يومئذ ما يسمى بـ "مجالس المناظرة العلمية"³، والمناظرة العلمية هي "المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته في النسبة بين الشيين إظهارا للصواب"⁴، وكذلك "المقصود من المناظرة إما أن يكون قطع الخصم فقط وإظهار الغلبة كيف كان، أو إظهار الحق فقط كيف كان، أو هما جميعا"⁵، ويعود سبب قيام مجالس المناظرات العلمية إلى علم الكلام الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية والرد على المخالفين⁶، وقد وردت في العديد من المصادر عبارة "عقد مجلس النظر" أي مجلس المناظرة العلمية الذي عرفه صاحب كتاب مفتاح السعادة بقوله: "...وعلم النظر يتناول كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين، وموضوعه الأدلة التي يثبت بها المدعي دعواه بها على الغير، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة والقدرة على التناظر، لئلا يقع الخبط في البحث الذي يناقشه

7- الثامري إحسان ذنون، الحياة العلمية زمن السامانيين (التاريخ الثقافي لخراسان وبلا ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع

للهجرة)، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001م، ص61.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص222.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- الجرجاني، المرجع السابق، ص231-232.

4- الحنبلي نجم الدين، علم الجدل في علم الجدل، تحقيق قولفهارت هاينريشس، ص07، نقلا عن بن منصور آمنة، المناظرة في الأندلس (الأشكال

والمضامين)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2012م، ص11.

6- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص222.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

فيتضح الصواب...¹، وعلى ضوء ذلك يستطيع صاحب الرأي أن يثبت رأيه ويدحض رأي غيره، وله أصول محددة²، وناهيك على ذلك تنبغي الإشارة إلى الفرق بين المناظرة والجدل حيث أن المناقشة العلمية تبدأ كمناظرة ثم تتحول إلى جدل وتتطور إلى مكابرة وتعجرف بحثا عن الشهرة واستعراض النفس³، ويعد علم الجدل أحد فروع علم النظر⁴، وعلم الجدل عرفه ابن خلدون بقوله: "...وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم؛ فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج. ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران، عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا، وكيف يكون مخصوصا منقطعا، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال، ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب، في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره...⁵، ولهذا ازدادت أهمية مجالس المناظرة العلمية وكثر انتشارها تبعا لحركة بناء المدارس، حيث كانت المكان الأمثل لالتقاء أهل العلم من جميع المذاهب والتخصصات العلمية، وفيها كان يتم تبادل الآراء حول المسائل المختلفة في جميع أصناف العلوم، وساهمت هذه المناظرات في تشجيع الحوار الفكري والعقلي بين علماء البلدان الإسلامية على اختلاف مذاهبهم⁶، مما جعل هذه المجالس تشهد مناظرات ومجادلات حامية الوطيس، حتى إن كثيرا من هذه المجالس أضحت تعقد خصيصا للمناظرات فكان المتناظران يختاران مكان وزمان وموضوع المناظرة⁷، والظاهر أن "...مجالس المناظرة كانت تعقد أحيانا بمحض الصدفة، إذ يقصد أحد العلماء شيئا بارزا ليناقشه، ويتطور النقاش بينهما إلى مناظرة... وهناك مناظرات كان الغرض منها هو

6- بن مصطفى أحمد المشهور بطاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج1، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م، ص303.

2- الثامري إحسان ذنون، المرجع السابق، ص52-53.

3- بن منصور آمنة، المرجع السابق، ص11.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص223.

5- المقدمة، المصدر السابق، ص416.

6- بلعرج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص286.

7- الثامري إحسان ذنون، المرجع السابق، ص53.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

إثبات تفوق أحد الطرفين المتناظرين، ويعين عادة في هذه الحالة حكم... وربما تمت مثل هذه المناظرات دون أن يحصل اللقاء بين المتناظرين...¹، وعلى ضوء ذلك يشترط في المناظرة ثلاثة شروط هي:

1- أن يجمع بين خصمين متضادين أو متباينين في صفاتهما، بحيث تظهر خواصهما، كالربيع والخريف، والضيف والشتاء، وغير ذلك.

2- أن يأتي كل من الخصمين مستعدين للمناظرة، ومحاولة تفنيد مزاعم الخصم، بأدلة عقلية، من شأنها أن ترفع قدره، وتخط من قدر الخصم بحيث يميل بالسامع منه إليه.

3- أن تصاغ المعاني والآراء صياغة حسنة، وترتب على سياق محكم ليزيد بذلك نشاط السامع، وتنمي فيه الرغبة في حل المشاكل².

وتبعاً لذلك قام علماء البحث والمناظرة بإقرار جملة من الأسس والضوابط والآداب ألزموا بها المتناظرين، حفاظاً على جوهر المناظرة ومقاصدها، وهي كما يلي³:

1- أن يتجنب المناظر مجادلة ذي هيبة يخشاه، لئلا يؤثر ذلك فيه⁴.

2- التقيد بالقول المهذب، والابتعاد عن الطعن والتجريح⁵.

3- أن لا يكون المناظر ذو ازدراء لخصمه واحتقار له، وأن يكون ندا له حتى يناظره بكل طاقته⁶.

4- ألا يرى خصمه أقوى منه فيتخاذل أمامه ويعجز عن تقديم دفاعه كما يجب.

5- أن لا يكون في حالة قلق نفسي واضطراب، أو في حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي، كان أن يكون جائعاً أو ظامئاً أو حاقناً، أو نحو ذلك.

6- أن يتقابل المتناظران في المجلس ويبصر أحدهما الآخر إن أمكن، ويكونا متماثلين أو متقاربين علماً ومقداراً⁷. ومقداراً⁷.

7- التخلي عن التعصب لوجهة نظر سابقة، وتجنب منهج التحدي والإقحام.

4- منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، الرياض، دار المريخ، 1981، ص57.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص223.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، بن منصور آمنة، المرجع السابق، ص12.

4- المرجع نفسه.

5- بن منصور آمنة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه.

7- المرجع نفسه، ص223.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- 8- التزام الطرق الإقناعية الصحيحة، وسلامة المناظر ودليله من التناقض¹.
 - 9- ألا يكون المناظر متسرعا يقصد إسكات خصمه في زمن يسير، لأن ذلك يفسد عليه رؤيته الفكرية، ويبعده عن منهج المنطق السديد، والتفكير في الوصول إلى الحق.
 - 10- أن يقصد كل من المتناظرين المساهمة في إظهار الحق ولو على يد خصمه².
 - 11- عدم الطعن في أدلة الخصم إلا ضمن الأمور المبنية على المنطق السليم.
 - 12- التسليم بالقضايا التي تعد من المسلمات ابتداء.
 - 13- قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة والمرجحة³.
 - 14- أن يتجنب كل منهما الهزاء والسخرية، وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدراؤه لصاحبه، أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم، كالتبسم والضحك والغمز والهمز واللمز.
 - 15- أن يحتز المناظر عن الاختصار المخل في الكلام، وعن إطالة الكلام بلا فائدة ترجى من ذلك⁴.
 - 16- أن يتجنب المناظر الألفاظ الغريبة، والألفاظ المحملة التي تحتمل عدة معانٍ من غير ترجيح أحدهما الذي هو المراد.
 - 17- أن يأتي كل من المتناظرين بالكلام الملائم للموضوع، فلا يخرج كلاهما عما هما بصدده.
 - 18- ألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده تماما.
 - 19- ألا ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه.
 - 20- أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدم ترجيحاً لوجهة نظره، أو لمذهبه، حتى يكشف شيئا آخر يضعف دليله، ويجعله غير صالح للترجيح⁵.
- وتجدر الإشارة إلى أن مجالس المناظرة هي أفضل سبيل للشهرة والمجد، وعندما يحس العالم بتفوقه في علمه كان يسعى لمناظرة عالم مشهور، وإذا تغلب عليه في مجلس المناظرة، سطع نجمه، وذاع صيته، وطبقت شهرته الآفاق⁶.

1- بن منصور آمنة، المرجع السابق، ص12.

2- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- بن منصور آمنة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص224.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- المرجع نفسه، ص225.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

وفي عصر الدراسة كان لمجالس المناظرة العلمية التي أقامها سلاطين بني مرين في مجالسهم العلمية واستقدامهم للعلماء ذوي الأسنان وفتحهم المجال لهم لإبداء آرائهم وإثبات حججهم في مختلف المسائل العقدية والفقهية، وحتى هؤلاء السلاطين أنفسهم كانوا يشاركون في بعضها¹، ولعل أبرز العلماء: ابن البناء المراكشي، وابني الإمام، والآبلي، وابن مرزوق الخطيب، والمقري الجد، والسطي، والسلاوي، والفشتالي وابن رشيد السبتي وغيرهم من علماء هذا العصر، وعليه كان لمجالس المناظرة أبلغ الأثر في ازدهار الحياة العلمية في عصر الدراسة، كما لها تأثير بالغ في نظام التعليم الإسلامي وفي تفكير المسلمين، حيث جعلت العلماء المتناظرين لهم دراية بعلوم شتى مع الالتزام بقواعد المنطق، وأن تكون معارفهم ذات ترتيب منطقي، وهذه من أبرز دعائم الثقافة الإسلامية التي التزم بها المسلمون، واعتبرت من الدعائم التعليمية الواجب استخدامها، بل صنفت الكتب حول أشكالها وآدابها².

1-2- نظام التعليم: إن الأصول البدوية للمرينيين لم تؤثر على تفاعل أمراءهم مع العلم والمعرفة وتقريب العلماء عموماً، ونظام التعليم بالذات كان ضمن اهتماماتهم الخاصة، حيث أدركوا أن دولتهم افتقرت إلى أسس مذهبية، ورسوخ لتقاليد تعليمية في أوساط العامة³، ولذا فإن نظام التعليم يعد من أهم العوامل المؤثرة في صيرورة الحركة الفكرية ودفعها إلى التقدم والتطور والازدهار، وترقية العلوم والآداب وإشاعة العلم والثقافة بين أفراد المجتمع وترقيته سلوكياً وحضارياً⁴، مما جعل التعليم "... يكون دائماً واجبا عقيدياً وخلقياً يلتزم العالم بالقيام به به طوعاً ودون مقابل مشروط، امتثالاً لتعاليم الإسلام التي تحث على بذل المعرفة ونشر العلم، ولم تكن له قواعد تنظيمية أو تشريعات أساسية وإنما كان يقوم على الاحترام الكبير للعلم وأهله وعلى الرغبة الصادقة بين طرفي العملية التعليمية في الأخذ والعطاء..."⁵، وعليه فلا يمكننا اللجوء إلى جوهر الحركة العلمية في أي عصر من العصور الإسلامية إلا بالوقوف جلياً وتلمس نظام التعليم ومنهاجه، وطرقه، ومراحلها، ثم التعرّيج على دور المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومساجد وزوايا ومدارس كمراكز للإشعاع العلمي، على مر العصور التي

1- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص338.

2- منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص58.

3- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص67.

4- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج2، ص338.

4- خرماش محمد، نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث (قراءة في الاصطلاحات التربوية)، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، السنة الأولى، 1414هـ/1993م، المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، وهران، ص119.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

شهدتها الأمة الإسلامية¹، ذلك أن سر هذه الأمة هو التعليم حيث ارتبطت الدعوة الإسلامية بالتعليم منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نزلت عليه أول آية تأمره بالقراءة والتعلم والمعرفة مهما كانت روافدها ومصادرها²، وأردفتها آيات كثيرة التي دعت المسلمين إلى الإقبال على التعليم، وعززتها الأحاديث النبوية التي جاءت في هذا السياق، مما طبع التعليم في الإسلام بالطابع الديني³، وضمن هذا النسق المتواتر الذي بلغ أوجه في عصر الدراسة، بيدي ابن خلدون رأيه حول التعليم بقوله: "...كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة يفتقر إلى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل أهل أفق وجيل. ويدل أيضا على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه، فلذلك إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به، شأن الصنائع كلها، فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم، إذ لو كان من العلم لكان واحدا عند جميعهم، ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين، وكذا أصول الفقه وكذا العربية؛ وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعته، تجرد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة؛ فدل أنها صناعات في التعليم..."⁴، ونستشف من هذا الكلام أن مهنة التعليم هي سر رقي المجتمع وبزوغ حضارته، وكذلك السلطة التي تحتاج إلى كفاءات علمية لتسيير أجهزتها المختلفة، مما يمنحها الشرعية والقبول الاجتماعي⁵؛ ولذلك تنبغي الإشادة بدور التعليم في الاختيارات الحاسمة للسلطة في تحكمها في حركة المجتمع وتبني تصور صحيح يمكنها من حكم البلاد حكما متميزا.

1-2-1-آداب التعليم (التدريس): لما كان شأن التعليم عظيما في المجتمع بلغ حدا كبيرا، أضحى مجالس التعليم والتدريس والتلقين جلال وهيبة ووقار بحيث يتلقى فيها الطلاب التربية قبل التعليم، وذلك من خلال القدوة الحسنة التي تتمثل في شيوخهم ومدرسيهم؛ مما حدا بجمهور علماء التربية الإسلامية إلى الاهتمام بشكل جدي بأخلاق المدرسين والمعلمين والمرين وواجباتهم، وصفاتهم التي تنبغي أن تتجسد فيهم وخصالا ينتحلونها⁶، واتفقوا على مايلي:

1- بلغيث محمد الأمين، دولة المرابطين بالأندلس، من مدينة السياسة إلى مدينة العلم، ط1، الجزائر، دار الوعي، 2009، ص69.

2- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص258.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر السابق، ص393.

5- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص69.

6- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص186.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- 1- القدوة الحسنة التي يديها المدرس لطلابه حيث يبدأ بتعليم نفسه وتقومها في السيرة، والرأي، واللفظ، وبذلك يوصل رسالته لطلابه بكل نجاح ومداومة.
- 2- سلامة القلب واللسان، والبعد عن مسقطات المروءة كالغيبة والنميمة والتحاسد، بالإضافة إلى النصح في جميع الأمور، والملائمة في العيش وشرف النسب والكبر في السن.
- 3- حسن المعاملة ومكارم الأخلاق وطلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام وكظم الغيظ.
- 4- الإشفاق على المتعلمين، وأن يكون له حنو الأب وأزر الأخوة وحزم المؤدب، وضرورة التنبيه على الخطأ، وأن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً، وأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها، ثم ينبهه أن الغرض من طلب العلم، الثقافة والقرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة، وأن يهتم بأخلاق الطلبة اهتمامه بعقولهم، وأن يزرهم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصح بالزجر إلا عند الضرورة¹.
- 5- أن يكون حريصاً ومداماً على الاستزادة من العلم، ومجتهداً ومجدداً ومواظباً على العبادة، وأن يشتغل بالجمع والتصنيف والتأليف.
- 6- أن لا يستكبر أو يتعالى عن الأخذ عن من هم دونه سناً أو نسباً أو منصباً.
- 7- أن يزرع في طلابه الرغبة في اكتساب ملكة الاجتهاد والنظر والابتعاد عن التقليد والتسليم حتى ينشأوا مستقلين بشخصياتهم².
- 8- أن لا يكون جائعاً أو عطشاناً أو مهموماً أو غاضباً أو مضطرباً أو قلقاً، ولا يطيل الدرس إلى حد الملل ولا يقصره إلى درجة الإخلال بمقاصده وأهدافه، وأن يراعي في ذلك مصلحة الآخرين، وأن يجهر بصوته أكثر من اللازم، بل يعمل إسماع الحاضرين دون إزعاج.
- 9- ألا يفضل أحداً بمكان على الآخر بل كل من سبق لموضع فهو أولى به، هذا مع استثناء ما تدعوا إليه الضرورة العلمية من جلوس العلماء والمعيدين في أمكنة خاصة³.
- 10- أن يتجنب مخالطة السلطان، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك واقتضته مصلحة دينه، وأن يتخلق بالزهد في الدنيا بقدر طاقته⁴.

1- الغزالي محمد بن محمد، إحياء علوم الدين-المصدر السابق، ج1، ص130-134، بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- الغزالي، المصدر السابق، ج1، ص135-136.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص187.

4- ابن جماعة، المصدر السابق، ص15.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

وعلى شاكلتهم كان على الطلاب أن تتوفر فيهم الشروط التالية:

- 1- أن يكون طاهر القلب مستعدا لقبول العلم وحفظه، والإطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، وأن يكون ورعا تقيا.
 - 2- أن يكون مقديا على طلب العلم بنية خالصة، ومغتتما بشبابه في تحصيله ويقطع ما يقدر عليه من عقبات في سبيله¹.
 - 3- أن يقنع من القوت بما تيسر، ومن اللباس ما يستر، وأن لا يكثر من الطعام الذي يذهب بقوة عقله، ولا بأس أن يروح عن نفسه بالسير والتره، وأن يقلل نموه ما لم يلحقه ضرر من ذلك.
 - 4- المبالغة في احترام أساتذته، أي أن يكون لبقا حسن المنظر رقيق الحاشية، فلا يمشي أمامه ولا يجلس مكانه ولا يفتحه بمحدث دون أن يأذن له، وأن يراعي الوقت ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج، ومن توقيره توقير أولاده ومن يتعلق به، وينبغي عليه أيضا أن يعظم من يدرس معه فمن "تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم"².
 - 5- أن يكون مستغلا الوقت الدرس كله، ولا تفوته شاردة ولا واردة إلا كتبها بمحبرته ويقيد ما سمعه من فوائد، وما استنبطه من أفكار جديدة.
 - 6- ينبغي لطالب العلم أن يقتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراءه، وإلا فإجارة أو إعاره ولا يشغل نفسه بالنسخ دائما، كما يستعير كتابا مع إمكان شرائه أو إجارته³.
- وفي عصر الدراسة لم تختلف طرق التعليم (التدريس) كثيرا عن غيرها سواء في مشرق العالم الإسلامي ومغربيه.
- 1-2-3 أوقات التعليم (التدريس): يشكل ضبط وقت الدرس أمر من الأهمية بمكان إذ يجعل الطلاب يتحرقون شوقا لتلقي الدرس، وعليه "كانت مواعيد الدروس تحدد من قبل الأساتذة، وعادة تبدأ الفترة الأولى بعد صلاة الظهر، ثم الفترة الثانية بعد صلاة العصر، وبعضهم كان يحدد بعد صلاة المغرب وآخرون كانوا يحددون بعد صلاة العشاء، وهذه تسمى بالدراسة المنتظمة، ولما كان الأساتذة يتمتعون بحرية تامة وإلا توجد جهة رسمية أو غير رسمية تتحكم في التعليم، كان بوسع هؤلاء أن يحددوا أوقات الدروس، فهم أحرار في

1- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1- المرجع نفسه، ص188، خرماش محمد، المرجع السابق، ص153.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

ذلك...¹، وعلى غرار ذلك كان هناك تقليد متعارف عليه ومتبع من قبل الشيوخ والطلبة على حد سواء، وبالنسبة للتلاميذ يظهر أن سن التمييز كان هو الفترة التي يبتدئ فيها الطالب بتحمل العلم، لذا كان الحرص على الحضور لمجالس العلم في وقت مبكر²، وعلى أية حال كان اليوم ممتلئاً بالدروس حيث تصدر كبار العلماء والفقهاء والمحدثين لتلقي طلبه العلم من أول الصباح إلى غاية انقضاء صلاة العشاء.

1-2-3- مراحل التعليم (التدريس): يعتبر نظام التعليم الإسلامي أول من أقر مراحل التعليم المتكونة من الطور الابتدائي والطور الثانوي والطور العالي، وذلك وفق تناسق مميز يضمن الانتقال المباشر من طور إلى طور، مع تداخل ملحوظ بين هذه الأطوار في النواحي التي لا توجد فيها مدارس، وجامعات متخصصة³.

— المرحلة الابتدائية: تعد المرحلة الأولى من التعليم ذات بعد خاص في ميزان المجتمع الإسلامي، حيث بها تتشكل الملامح العريضة لشخصية التلميذ، وبها يحضر للانتقال إلى المرحلة الثانية، فكان التلاميذ يحفظون القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة والخط والحساب⁴، ويتم ذلك في الكتاتيب عادة والزوايا والمساجد⁵، ولأهمية هذه المرحلة كان المدرسون شديدي الحرص على تحفيظ القرآن الكريم للصبيان، وتعليمه الهجاء، والشكل والخط الحسن، والقراءة الحسنة، ثم يتفقدون حفظهم للقرآن الكريم في أيام معينة، كعشية يوم الأربعاء والخميس، وزيادة على ذلك يلقنونهم شعائر العبادة ككيفية الوضوء وأداء الصلوات الخمسة والتشديد عليهم من أجل تعلمها⁶، ومن أجل ذلك أكد العلماء على عدم تعنيف وضرب الناشئة ضرباً مبرحاً حتى لا ينعكس ذلك سلباً على تحصيلهم العلمي، وحتى لا ينفروا من الكتاب فيضيعون بذلك فرصة حفظ القرآن في صباهم وهو السن المناسب الذي يكون فيها ذهن الطفل خالياً، وأكثر إقبالا على استقبال المعلومات وحفظها⁷، وسنفضل أكثر عندما نتحدث عن الكتاتيب في المبحث الثاني.

1- منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص 61.

4- الصمدي خالد، مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري 5- مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 01، 1993م، المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، وهران، ص 152.

3- بن خلدون عبد الرحمان، المقدمة-المصدر السابق، ص 529، بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 71.

4- بلعرج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 101.

5- حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ص 30.

3- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 71-72، محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص 08-12.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص 531-532، ابن سحنون، المصدر السابق، ص 88-93، ابن مريم، المصدر السابق، ص 242.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

— مرحلة التعليم الثانوي والعالي: بعد أن ينهي التلميذ دراسته وتحصيله العلمي، تأتي مرحلة التعليم الثانوي والعالي وهما طورين متداخلين حيث يطرق طلبة العلم موادا عديدة أبرزها؛ تفسير القرآن ودراسة الفقه واللغة والأدب¹، وهذا في الطور الثانوي مما يمكنهم من التهيئ للانتقال إلى الطور العالي، بحيث يسمح لهم بلوغ مستوى علمي راقي والإمام بأمر دينهم ومختلف العلوم الدينية واللغوية والعقلية²، وفي ذات السياق يعد الانتقال إلى مرحلة التعليم العالي انتقالا من التعليم العام إلى التعليم المتخصص مع الحرية الكاملة للطلبة في اختيار المواد الدراسية، وهم غير مقيدين بمقرر دراسي سنوي، لأنه لا توجد وصاية أو سلطة تفرض عليه برنامجا محددًا، وتراقب تنفيذ وتنظيم الامتحانات الفصلية والسنوية، وذلك حسب ميولاتهم وطاقتهم وإمكاناتهم الفكرية، ويتعلمون على الأساتذة الذين يثقون فيهم وفي كفاءتهم³، وعليه يدرس الطلبة في التعليم العالي العلوم الدينية يقرؤون على الأساتذة تفسير القرآن الكريم ويطلعون على علومه من قراءات ورسم وغيرها، بالإضافة إلى علوم الحديث والفقه المالكي ابتداءً بالمختصرات كمختصر خليل وشرح ابن الحاجب ثم أمهات الكتب كالموطأ والمدونة والرسالة وغيرها، ويعرجون إلى علم التوحيد مثل: مؤلفات الجويني والأشعري، وكذلك علوم اللغة حيث يدرسون اللغة العربية وآدابها، وعلم الفرائض ويعرجون على العلوم العقلية فيطرقون الحساب والهندسة والفلك والمنطق وغيرها من العلوم. بمزيد من التعمق والتحليل⁴، وكان يتم هذا النوع من التعليم في الجوامع الكبرى والمدارس التي سنتحدث عنها في المبحث الثاني.

— كيفية التدريس وطرقه: إن الهدف المتبع للدرس أن يكتسب الطلبة مزيدا من العلم ولو بالطرق التقليدية المتواترة ضمن النسق العام الذي طبع نظام التعليم في العالم الإسلامي⁵، وعليه تباينت كيفية التدريس وطرقه من من طور إلى آخر ومن مدرس إلى آخر، وعادى يستفتح الدرس بتلاوة مائيسر من القرآن الكريم، وبعد انتهاء القارئ من تلاوته يدعو الشيخ المدرس لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين ثم يستعيز بالله من الشيطان

1- حاجيات عبد الحميد، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان-مجلة الأصالة، العدد26، 1975م، الجزائر، ص138.

6-(-)، أبو همو...، المرجع السابق، ص35، محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص11، ابن الحاج، المدخل، ج2، ص326، بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص71.

3- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج2، ص347.

4- حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ص138.

5- خرماش محمد، المرجع السابق، ص122.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الرجيم، ويسمي الله تعالى ويحمده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشرع في إلقاء الدرس وفق الطرق التالية¹:

— طريقة السماع: هي أن يقرأ الأستاذ المدرس من كتابه على الطلبة، أو من ذاكرته وسواء أُملي عليه أم لم يمل، وقد يكون السماع أيضا بأن يقرأ الطالب من كتاب الأستاذ أو إحدى نسخه بحضور الأستاذ المدرس، وهذا ما يسمى "العرض"، ولكن بعض العلماء لا يجذ طريقة السماع أو العرض خشية أن يكون الطلبة غير منتبهين لما يقرأ عليهم²، وهذه الطريقة متعلقة بالحديث النبوي الشريف حيث يعرفها القاضي عياض بقوله: "...الضرب الأول السماع من لفظ الشيخ وهو منقسم إلى إملاء وتحديث، وسواء كان من حفظه أو القراءة من كتابه، وهو أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين..."³.

— طريقة الإملاء والإلقاء: انتهجت هذه الطريقة في الطور الأول من التعليم وذلك في الكتاتيب⁴، وقد استحسنت هذه الطريقة كثيرا عند من يأخذون بطريقة السماع، حيث يملئ الأستاذ المدرس من كتابه أو من حفظه، على جموع الطلبة في المسجد أو المدرسة، وعندما يكون العدد كبيرا يستعين الأستاذ المدرس بالمستملين أو المعيدين، وتكون مهمتهم إعادة ما يملئ الأستاذ ليسمعه الطلبة البعيدون منه وقد يتعدد المستملون حسب كثرة عدد الطلبة الحاضرين⁵، وقد اتبعت هذه الطريقة في تحفيظ القرآن الكريم حيث يملئ المدرس آيات القرآن على الطلبة وهم يقيدونها في ألواحهم حتى يتعودون على كتابتها ورسمها.

— طريقة اختيار كتاب معين في صنف من أصناف العلوم وشرحه: وملخص هذه الطريقة أن يسند الأستاذ المدرس إلى أحد الطلبة النجباء بقراءة نص من كتاب مشهور متداول، في المادة المزمع تلقينها وتحصيلها ودراستها، ثم يقوم الأستاذ المدرس بضبط متن النص وتحليله وشرحه فقرة فقرة ويقف عند الكلمات المبهمة، وهذا راجع إلى مدى تمكن الأستاذ من مادته بغزارة الحفظ وسعة إطلاعه، وبعدها يقيد الطلبة في

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص189.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، صبحي الصالح، المرجع السابق، ص88.

3- القاضي عياض، الإسماع- ص69، نقلا عن الصمدي خالد، المرجع السابق، ص141-142.

4- بلعرج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص162، بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص73.

5- منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص63.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

دفاترهم ماتم شرحه وبسطه من قبل الأستاذ، فيسجلون بذلك ما يسترعي اهتمامهم¹، وهذه الطريقة انتهجت في الطور العالي من التعليم².

— طريقة السؤال والجواب أو المحاوراة: عن هذه الطريقة يقول ابن خلدون "... وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاوراة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها..."³، حيث كان المبتغى من هذه الطريقة تعويد الطلبة على المحاوراة والنقاش واستخدام عقولهم للوصول إلى الإثراء الفكري، ويكون الأستاذ فيها مجرد مدير للعملية التلقينية ومشرفا مباشرة على الحوار الذي يدور بينه وبين الطلبة⁴، وساعد على نجاعة هذه الطريقة استعمال المختصرات لتسهيل تلقين العلوم. كانت هذه الطرق الأكثر شيوعا وانتشارا، وتقليدا متعارفا عليه في عصر الدراسة، وسنرى دور العلماء في تطوير هذه الطرق وموقفهم منها، ومعها كيف دفعوا عجلة التعليم إلى التقدم.

1-2-4- جهود العلماء في دفع عجلة التعليم: إن العلماء والفقهاء بحكم مكاتبتهم العلمية في المجتمع سعوا إلى دفع عجلة التعليم والرفع من وتيرته وعصرنة مناهجه، بحكم أن التدريس ساهم بشكل فعال في رفع منزلتهم وكان المجال الحيوي لإبداعاتهم وإسهاماتهم في خدمة عقيدتهم والدفع عن مذهبهم وترسيخه ونشره⁵، وتلقينها لأفراد المجتمع صغارا وكبارا، فبدلوا جهدهم واستفرغوا وسعهم في سبيل تنشئة جيل يواصل مسيرة السلف في بناء حضارة إسلامية راقية.

— بحث العلماء عن سند التعليم: كان ديدن العلماء في كل عصر العمل على البحث عن سند التعليم المتصل عن سلسلة من المشايخ والأساتذة ذوي الأسنان، وسعوا للمحافظة على هذا النسق والسند المتصل المتواتر وفق مسلكين هما: مسلك المشرق الإسلامي، ومسلك الأندلس⁶، حيث كان المشرق هو أصل العلوم التي انتقلت إلى المغرب عن طريق الرحلة في طلب العلم التي كان يقوم بها أهل المغرب حيث يقول ابن خلدون: "... وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه، بل أسواقه نافقة وبحوره، زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند

1- المرجع نفسه، ص 438.

2- بلعرج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 163.

3- المقدمة، المصدر السابق، ص 394.

4- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج 2، ص 353.

5- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 259.

6- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 78.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

فيه...¹، فلا غرو أن طلبة المغرب يتلقون تعليمهم في كبرى الحواضر المغربية، ثم يرتحلون إلى المشرق لاكتساب مزيد من العلوم والنبوغ فيها، وكذلك تعلم طرق ومناهج جديد غير التي ألّفوها في المغرب، فلا يصنف أحدهم في خانة العلماء إلا إذا ارتحل إلى المشرق، وعليه فإن الفقهاء والعلماء في عصر الدراسة اضطلعوا بمهمة تتبع سند التعليم وأخذه من حواضره حيث... بعد انقراض الدولة بمراكش، ارتحل إلى المشرق من إفريقية القاضي أبو القاسم بن زيتون، لعهد أواسط المائة السابعة فأدرك تلميذ ابن الخطيب، فأخذ عنهم، ولقن تعليمهم وحذق في العقليات، ورجع إلى تونس بعلم كثير وتعليم حسن...²، لقد فتح القاضي أبو القاسم بن زيتون الطريق لعلماء المغرب الإسلامي، حيث سار على منواله أبو عبد الله شبيب الدكالي وأخذ على مشيخة مصر وعاد إلى مدينة تونس حاضرة الحفصيين³، وبعد اتصال سند هذين العالمين إلى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وطلبته الذين قرؤوا عليه⁴، ومن إفريقية انتقل سند التعليم إلى حواضر المغرب الأوسط كبجاية وتلمسان حيث بلغ السند ابن الإمام الذي بثه في طلبته وفق نمط متواتر بالرغم من قلة الطلبة الذين درسوا عليه⁵، أما حواضر المغرب الأقصى فيقول ابن خلدون عن سند التعليم فيها: "...وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم..."⁶، ولكن سند التعليم سينتقل إلى فاس خاصة بعد المجالس التي عقدها ونظمها سلاطين بني مرين وضمّت علماء فاس وتلمسان وبجاية وتونس وقرطبة، فانتقل إلى طلبة فاس الذين حافظوا على اتصال السند، ولعل القرب الشديد بين فاس وتلمسان جعل طرق التعليم متشابهة، وكان تبادل الخبرات بين العلماء له أبلغ الأثر في تبلور الملامح الأساسية لمناهج التعليم وأساليبه وتوحيداً على مستوى جميع حواضر المغرب الإسلامي.

ولم يكن انقطاع السند العلمي من حواضر المغرب الأقصى مطلقاً بل توجد استثناءات، كما يستشف من كلام المقرئ الذي بين أن انتهاء صناعة التعليم والتأليف في المغرب لشيخ الشيوخ العلماء في وقته ابن البناء المراكشي

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- المصدر نفسه، ص393.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر نفسه.

5- المصدر نفسه.

6- المصدر نفسه، ص394.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

في جميع تصانيفه¹، حيث يعود ذلك إلى "...براءة نسبه من البداوة وملكته في التصرف التي هي نتيجة تحصيله..."²، والظاهر أن ابن البناء المراكشي نقل هذا السند إلى طلبته الذين كان لهم باع كبير في تطور الحركة التعليمية والعلمية والتصنيفية، حتى لم ينقض النصف الأول من القرن الثامن الهجري إلا ونجد حشدا هائلا من العلماء النابغين الحاذقين في مختلف العلوم الدينية واللغوية والعقلية، ضمتهم المجالس العلمية السلطانية التي أقامها السلطانين أبو الحسن وأبو عنان في فاس وتلمسان وتونس، ساهمت بشكل فعال في الحفاظ على سند التعليم واستمراره في حواضر المغرب الإسلامي.

— موقف العلماء من وضعية التعليم: سعى العلماء إلى الإصلاح من وضع التعليم لإدراكهم أهمية هذا الأمر، فهو كفيلا باستمرار المجتمع والدولة، وإذا عم الجهل اختل كلاهما، لذا شددوا على شروط هامة ينبغي أن تتجسد في شخص الأستاذ والمعلم والمؤدب-زيادة على ما ذكرناه- بأن يكون "...وافر العلم غزيره في اختصاصه، مطلعا على أمهات الكتب والشروح والحواشي، وأن يكون صاحب خط جيد مليح سهل العبارة قادرا على الاستيلاء على المجالس بحسن حديثه وخفة روحه العلمية واحترام القواعد العلمية، وماتطلبه من صرامة المنهج، مثل الحفظ والتثبت واليقظة والضبط والنقد والصدق والإنصاف، وهي صفات لا يخف دورها في الرقي بالمعارف والعلوم، فضلا عن اتصافه بصحة الرواية وعلو الإسناد واتصال السماع خاصة في علوم الحديث والقراءات..."³، مدركين دور الأستاذ في السير الحسن للعملية التعليمية وأن تمكنه في العلوم أمر من الأهمية بمكان، إذ يساهم في صقل شخصية الطالب وتنميتها حتى يصير في زمرة العلماء، ثم أكدوا على ضرورة اتصال السند التعليمي كما قلنا خاصة في القراءات وعلوم الحديث والسيرة النبوية.

أما بخصوص حالة التعليم في عصر الدراسة وموقف العلماء منها فهذا راجع على حد تعبير ابن خلدون إلى "...اصطلاح كل إمام من الأئمة المشاهير في التعليميختص به..."⁴، مما يجعل مواقفهم تتباين وتختلف حسب كل عالم ووفق المنهجية التي يراها أكثر نجاعة لتدريس علم من العلوم، ولما طغت كثرة الحفظ إذ "...تجد طالب العلم منهم، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية، سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من ملكة للتصرف في العلم

1- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص32.

2- المقرئ، أزهار الرياض-المصدر السابق، ج3، ص23.

3- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج2، ص351.

4- المصدر السابق، ص393.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

والتعليم...¹، رحل كثير من العلماء إلى المشرق بحثًا عن سند التعليم، وعن أساليب جديدة تخرج التعليم من هذه الحالة، وعملوا جميعًا على نشرها، حيث أدخلوا بعض المواد الجديدة وأدجوها في تلقين الناشئة كرواية الشعر والترتيل، وقوانين اللغة العربية وحفظها والحديث وتجويد الخط والكتابة، ووقفهم على روايات القرآن ومختلف قراءاته، حتى يحصل للصبي ملكة في اللسان العربي²، على غرار ابني الإمام والآبلي وابن مرزوق الخطيب والمقري الجد، وقد حز في نفس الكثير من العلماء خضوع التعليم لتحكم السلطة الحاكمة بإنشاء المدارس لتكوين أطر تسيروهم وفق مصلحتها الخاصة، بفرض مؤلفات بعينها لتدريسها للطلبة، لذا كان موقف العلماء من تدريس هذه المؤلفات بشكل عام مندرجا ضمن موقفهم من الحجر الذي فرضته السلطة على حرية التعليم وفق منطلقات كل أستاذ مدرس، ونعتقد أن موقفهم كان يتباين مع موقف السلطة الزمنية في أحيان كثيرة، إذ كان مبتغى السلطة هو التباهي لا أكثر³، وهذا مانستنبطه من كلام السلطان أبي عنان للعالم الصرصري بقوله: "... كي تعلم ما عندك من العلم، وما عند الناس، وتعلم أن دار الغرب هي كعبة كل قاصد..."⁴، من ذلك أن العالم الفقيه محمد الآبلي رفض تدخل السلطة في صيرورة العملية التعليمية ومقاصدها، من خلال إنشاء مؤسسات تخضع لها مباشرة وتعيين أساتذة يجسدون أهدافها وغاياتها، إذ أن الآبلي "... لا يرفض المؤسسة التعليمية في حد ذاتها، وإنما يرفض المنطلقات السياسية التي من أجلها بنيت هذه المدارس، لقد لاحظ أن السلطة المؤسسة للمدارس تحوّل نفسها حق توجيهها، في حين يرى أن طلب العلم متزه عن أهواء ذوي السلطان ما عدا سلطان العقل. إنغاية المدرسة لا تلبي الحاجات الآتية للسلطة بل أن تؤثر في المجتمع مقصد البناء الحضاري..."⁵، فلا غرو أن الآبلي اعتبر المحور التربوي الذي يعد في برنامجه الحلقة المحورية المحركة لكل دواليب المشروع الحضاري، فهو الذي يمد المحاور السياسية والإدارية والاقتصادية بالعناصر البشرية الكفيلة بالتنفيذ المتقن؛ لذا رغب في تحرير التعليم من المراقبة التعسفية وعدم خضوعه إلى التنميط الناتج عن الغايات المفروضة من قبل السلطة⁶، وعليه فالتعليم المرفوض عند الآبلي هو الذي يهدف إلى تعميم مفاهيم معينة، وبث قوالب

1- المصدر نفسه، ص394.

3- مكوي محمد، العلاقات السياسية والفكرية المغربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-737هـ/1236-1337م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفنون، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1427هـ-1428هـ/2007م-2008م، ص133.

3- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص34.

4- المقري، ازهار الرياض-المصدر السابق، ص27-28.

5- مكوي محمد، المرجع السابق، ص201.

6- نقادي سيدي محمد، المرجع السابق، ص201.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

فكرية لا تعمل على إيقاظ الهمم بل تعود المتعلم على تنفيذ ما يأمر به ¹. كما اعتبر العلماء أن الرحلة لطلب العلم ولقاء العلماء ومناظرهم والقراءة عليهم وأخذ الإجازة عنهم، أمرا بالغ الأهمية في سير العملية التعليمية وأن إنشاء المدارس يؤدي إلى انعدام هذا النسق المتصل الذي يكون شخصية العالم، فيصبح خائر الهمة ضعيف الملكة قليل العلم، غير قادر على التأثير في طلبته بشدة إدراكه وحسن تعليمه وقوة بيانه. ومن هذا المنظور عمل العلماء على ضمان نجاعة وفعالية التعليم من خلال النقاط التي وقفوا عليها وعملوا على تحاشيها، وسعوا إلى الرفع من وتيرة العملية التعليمية وفق نمط منهجي متكامل يتفاعل فيه الأساتذة والطلبة.

—منهج العلماء في تطوير التعليم ومناهجه: كان التعليم وما زال جوهر الحياة البشرية وسر تطور الأمم ورفقيها، وسبب المدنية والحضارة الإنسانية، لذا فإن العلماء في عصر الدراسة ساهموا بشكل جدي في وضع منهج واضح يكفل السير الحسن لنظام التعليم ومناهجه ومراحل وطرقه، وعلى ضوء ماتم رصده من مادة علمية سنحاول تلمس منهج العلماء في تطور التعليم ومناهجه بتسليط الضوء على أحد العلماء النابغين الذي كان له دور كبير في هذا الجانب ألا وهو "الآبلي"؛ حيث استطاع أن يرسي لمنهج متكامل متضح المعالم يضمن تحقيق المقاصد الكبرى للتعليم، وقد بثه في طلبته الذين حذوا حذوه كالمقري وابن خلدون وابن مرزوق الخطيب وغيرهم، وعليه سنتعرف على الأنماط التي استخدمها الآبلي أثناء تعليمه.

لقد أيقن محمد الآبلي أن العلم صاحب رسالة في المجتمع، وعليه السعي لتبليغها وتأديتها بشكل ناجح لجيله، ذلك أن هذه الرسالة من شأنها الحفاظ على استمرار شعلة العلم مشعة، ولتنفيذ مشروعه انصب اهتمامه على التعليم، فالتعليم في منظور العديد من العلماء المسلمين السابقين عنه واللاحقين به هو أنجع وسيلة لتأدية الرسالة المنوطة بالعلماء ². لذا أدرك الآبلي أنه يجب معرفة واقع المجتمعات المغربية جيدا، حتى يتم هيكلة نظام التعليم وفق منظور يسمح بالتوفيق بين السلطات الحاكمة والمجتمعات، وذلك بتبني خطة تسعى إلى بناء الفكر وتحريره من سلطان التقليد، بتوحيد اللغة أولا، وبتوجيه اهتمامه إلى تكوين نخبوي رفيع، يؤدي إلى تخريج فئة ذات مستوى علمي راقى، تساهم بشكل فعال في تأطير أجهزة الدولة وتسييرها وفي ترقية مستويات التعليم بالمدارس، ويمكنها مستقبلا من أن تصير من الجماعة الضاغطة، متحدية بذلك العصبية السائدة ³.

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص299، مكوي محمد، المرجع نفسه، ص202.

2- مكوي محمد، المرجع السابق، ص199.

3- نقادي سيدي محمد، المرجع السابق، ص222.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

وانطلاقاً من ذلك بدأ محمد الآبلي بتجسيد منهجه بعد أن درس معظم التصانيف التي اعتنت بتصنيف العلوم ومن بينها "آداب المعلم لابن سحنون" و"إحصاء العلوم للفارابي" و"الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقابسي" و"وصية لطالب الحكمة وتهذيب الخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه"، واستفاد منها في تلقيه لطلبة العلم حيث أشار كل من أبي عبد الله الشريف التلمساني وعبد الرحمان ابن خلدون إلى اتباع الآبلي خطة ابن مسكويه في طريقة المشافهة¹، حيث يقول: "...من اتفق له في الصبا أن يربي على أدب الشريعة ويأخذوا بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البراهين ثم يتدرج في منازل العلوم فهو السعيد الكامل..."²، وقد أقر الآبلي على ضوء ذلك المراحل الثلاث التي يتكون فيها الطلبة، حيث أن المرحلة الأولى والثانية تندرج ضمن مجال تعميم المعرفة لكل طالب، وأما المرحلة الأخيرة فهي حاسمة إذ يتم انتقاء الطلبة النابغين وهي تمس الخاصة من المتعلمين³. أقر الآبلي المسار الأساسي المتواتر للمرحلة الأولى من التعليم ولم يضع خطة لذلك وهذا لاعتبارات عدة هي:

- أما تخدم السلطات الحاكمة في تعميم اللغة العربية في كامل أرجاء المغرب الإسلامي.
- أن هذا البرنامج يخدم على الأقل خطة الآبلي لأنه يمكن الناشئة من اكتساب رصيد معرفي يمكنهم من الانتقال إلى المرحلة الثانية.
- الاعتماد على طريقة التلقين والحفظ الصم.
- أن الآبلي أثر عدم التدخل في النسق العام الذي يجسد هذه المرحلة، لأن المساس به مساس بعناصر تعد من الثوابت لدى الحكام⁴.

وفي السياق ذاته اعتمد الآبلي في منهجه التعليمي على مستويين للتبليغ: منهجية خاصة بالحلقة ومنهجية خاصة بالمشافهة، فالأولى موجهة للعامة من المتعلمين والثانية تستخدم عند توجيه الخطاب للنوابغ من المتعلمين⁵، أما تعليم العامة فيبدأ بعد الانتقال من مرحلة الكتاب إلى المدرسة حيث يكون عمر الطالب اثنا عشر سنة، يسعى من خلاله الآبلي إلى تلمس مستوى الطالب من خلال الكفاءات التالية:

1-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2-ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعلاق، نقلاً عن نقادي، المرجع نفسه، ص223.

3-نقادي سيدي محمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4-نقادي سيدي محمد، المرجع السابق، ص207.

5-مكيوي محمد، المرجع السابق، ص199.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

—امتلاك آلية التفكير والقدرة على التعبير والتواصل اللغوي، ومعرفة العلوم الرياضية¹.

—الإلمام بالأصول والفروع أي الدراية الكاملة بالعقيدة والفقه.

—معرفة الحديث والسيرة النبوية والتاريخ.

—الوعي بواقع المحيط الاجتماعي والسياسي².

لذا راهن الآبلي على هذه المرحلة واعتبرها حاسمة في تبلور فكر الطالب، وأكد أن الأصل الحقيقي في التعلم يكمن في الفهم، ولا يحصل عادة من الكتب بشكل مباشر في هذه الفترة، بحكم فقدان الطالب آلية التحكم في الفهم التي تهيئه لاكتساب القدرة على التفكير السليم³، فالمنطق في نظر الآبلي "يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة والمعلومة"⁴، وأنه وسيلة لا غاية، أي وسيلة منهجية تيسر فهم وإدراك ماهية الأمور وتعمل على تخلص عقل مستعمله من تأثير الحس والأهواء. فالمنطق كأداة منهجية يساعد الطالب ويدفع به لاستعمال قدراته العقلية ويزيده ثقة بنفسه ويشجعه على بناء نسقه الفكري⁵. ومن أجل تحقيق مستوى معرفي يسعد به المرء، قدر الآبلي الشروط التالية:

—قدرة الأستاذ وكفاءته في التبليغ: وذلك بتمكنه من قولبة العلوم وصياغة المعارف حسب المواقف وحسب مستويات المتعلمين، بأن يكون ضابطاً للمنهج محسناً في التدرج بالمعلومات، فذلك أبلغ في التلقين وإيصال الفكرة فينال الطالب رصيذاً معرفياً ثرياً، وإن أساء الاختيار تسبب في تشويش ذهن الطالب⁶.

—رجوع الطالب بمعية الأستاذ إلى مصادر المعرفة: يسعى الأستاذ إلى دفع الطلبة إلى تفحص أمهات الكتب، ويلزمهم بتناول الكتب التي تبسط المعارف وتضبط المصطلحات وتدر الإشكال من كل جوانبه مع توضيح مبهمه، كما يفرض العودة إلى الكتب المنقحة من مؤلفيها، تفادياً للتصحييف والتحريف⁷.

—تجنب استعمال المختصرات: الموضوعات من قبل معلمين همهم الأول الاستظهار وذلك لكثرة تعقدها وتشويبهها للنصوص الأصلية.

1- نقادي سيدي محمد، المرجع نفسه، ص208.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص463.

5- نقادي سيدي محمد، المرجع السابق، ص209.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- المرجع نفسه.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

-رفض حفظ المتون قبل أن يشرع المعلم في شرحها: ينبغي على الأستاذ أن يقوم بتبسيط عناصر هذه المتون وتوضيحها، بخبرته وكفاءته يبرز المفاتيح التي تساعد الطالب على حل الإشكالات التي تعترض سبيله، فهو سند الطالب، بحيث يأخذ بيده ويوجه تفكيره إلى أن يصل مبتغاه، ويدفعه دوماً لإعمال عقله وتدبره أمره قصد بناء سليم للمعارف¹.

-طريقة التبليغ المحبذة؛ المحاضرة: ننبه على هذا المستوى أن نموذج المحاضرة المقصودة ليست قائمة فقط على إلقاء كلام مجرد من كل حيوية، يحدث رتابة ويحمل الطالب على التيه في أحلام اليقظة، بل هي في حد ذاتها بناء فكري، إذ ينطلق المعلم من طرح مستوف لإشكال تتبعه صياغة دقيقة للفرضيات، وعند تناول كل فرضية بالبحث، يثير المعلم انتباه الطالب ويشده معه إلى أن يؤكد أن ينفي الفرضية المطروحة وهكذا دواليك إلى أن تنتهي الحصة. إن حيلة التعاقد تلزم الطالب على الإصغاء وتحثه على متابعة المعلم في تدرجه. إن سكوت الطالب لا يدل على السكون بل على قوة الانتباه وعلى شدة التركيز، فالكل كان يطبق المبدأ القائل: الصمت أول العلم والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل².

وإذا عدنا إلى مقرر الدراسة (البرنامج) فيحتوي في أساسه على العلوم أي علوم نقلية (من تفسير، وحديث ومصطلحه، وفقه وأصوله، وعقيدة ولغة عربية وفنونها)، وعلوم عقلية (علم العدد، ومنطق، والهندسة، والطبيعات، وعلوم طبية)، تتراوح عموماً مدة التعليم المدرسي هذه، بين خمس وسبع سنوات، يحصل خلالها الطالب على الإجازة المؤهلة للعمل، ومن ضمن المجازين يتم انتقاء الطلبة النابغين الذين يمكنهم متابعة دراساتهم المعمقة³. وننتقل إلى تعليم الخاصة الذي يعد في نظر الآبلي تعليماً معمقاً أو ما يسمى منهجية المشافهة التي تعني تقديم معلومات ومعارف ذات مستوى عالٍ لشخص واحد، ويرادفها لفظ أسرة أي أسرار علمية لمن يستحقها⁴، باستخدام أسلوب المشاءين، أو الاستنباط أو الاستقراء، وذلك بالتركيز على المحور الأساسي في العملية التلقينية ألا وهو الطالب، فيطرق المواد الحكمية أولاً ثم أصول الدين ثانياً⁵، حيث وردت إشارات في ترجمة عبد الله بن الشريف التلمساني حول ذلك كما يلي: "... ثم أقبل أبوه (العلامة الشريف الحسني، تلميذ الآبلي) عليه وقد كملت قهيبته لقبول الحقائق وتم استعداده لفهم الدقائق، فنفت فيه وأودعه

1- المرجع نفسه.

2- المرجع نفسه، ص 210.

3- المرجع نفسه.

4- مكوي محمد، المرجع السابق، ص 201.

5- نقادي سيدي محمد، المرجع نفسه، ص 211.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

سره في أصول الدين فقرأ عليه الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، ومحصل الإمام الفخر، وبعض كتب النجاة لابن سينا، ومختصر ابن الحاجب، والطبيعات والإلهيات من إشارات ابن سينا... وفي الهندسة كتاب إقليدس، وفي المنطق جمل الخونجي...¹، مما جعل الآبلي ينفذ إلى جوهر عقول وقلوب الطلبة النجباء وذلك حسب استعدادهم، ثم العمل على تنمية وتطوير ملكاتهم في مواد معينة²، هذه التراتبية في تلقين العلوم للطلبة النابغين جعلت الآبلي يؤثر بشكل فعال في نظام التعليم وأصبحت طريقتة ومنهاجه هي المعمول بها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري، ومن الأمور المهمة في التجديد التربوي التي استحدثتها الآبلي هو لحن على تدريس أصول الدين لأنه كفيلا بتحقيق المقاصد التالية:

- وعي الطالب بخضوعه وامتناله لأوامر الله تعالى، حيث يعمل على تجسيدها في سلوكه اليومي، مما يجعله منضبطا متفانيا مقبلا على العلم³.

- وقوف الطالب على أهم الأدلة التفصيلية التي يستنبط منها الأحكام التشريعية، ويعمل على أساسها بالقيام بمصالح المسلمين دينيا وديونيا مراعيًا بذلك الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها (الدين، النفس، العقل، العرض، المال).

- الوصول إلى مقاصد الشريعة التي هي نتيجة حتمية لمثابرة الطالب وبها يستطيع الولوج إلى لب الكمال الإنساني ويصير في زمرة العاملين في سبيل مكارم الأخلاق⁴.

ومحمل الكلام أن محمد الآبلي استطاع باستشرافه أن يقف على جوهر نظام التعليم في عصر الدراسة وتمكن بفكره المتفتح من وضع أرضية جديدة يركز عليها نظام التعليم، وأبان على دور العلماء الحاسم في المشاركة في لب الحراك الاجتماعي، فهو يشكل نموذجا راقيا من أقطاب الفكر المغربي في العصر الوسيط، وأضحى نبراسا يقتدى به ومسلكا لكبار العلماء الذين تأثروا بمنهجه وسعوا إلى جعله الأساس الأول في تلقينهم لطلبتهم، وبذلك تتضح أبرز الجهود التي بذلها العلماء في دفع عجلة التعليم للراقي بها وفق المصلحة العليا، من خلال الرحيل إلى المشرق بحثا عن سند التعليم والعودة به وبثه في طلبة العلم، وكذلك دفعهم الطلبة للرحلة طلبا للعلم وإنكارهم عليهم كثرة الحفظ، بل حفزوهم لاستخدام العقل ولقاء المشيخة، ومن الواضح أن العلماء عملوا

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص 118.

2- المقرئ، نفع الطبيب، ج 7، المصدر السابق، ص 288، مكوي محمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- نقادي سيدي محمد، المرجع السابق، ص 211.

4- المرجع نفسه، ص 212.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

على بلورة المعالم الأساسية لنظام التعليم، ولكن تجربة الآبلي كانت أكثر فعالية وأنبأت عن رغبة جامحة وإجماع من قبل العلماء على وضع تصور متكامل متوازن جامع مانع يكفل تحقيق الأهداف العملية والعلمية لنظام التعليم في كامل حواضر المغرب الإسلامي، وبشكل يسمح بمواكبة ركب النظام التعليمي بالشرق الإسلامي.

1-3-إسهام العلماء في تصنيف العلوم: تعتبر العلوم مثالا واقعيا يعكس طبيعة نظام التعليم، وتبرز لنا مدى تمكن العلماء من استيعابها، وأيضا إقبالهم على علوم دون غيرها، وطبيعة التدرج الذي انتهجوه في تلقينها للطلبة، ذلك أنه ليس من الهين دراسة الوسط العلمي وعالم العلماء والفقهاء في عصر الدراسة لعدة اعتبارات: ككثرة عدد العلماء وكثافة المادة العلمية والخبرية وتنوع العلوم وتداخلها، ووصولها إلى مرحلة النضج واستطراد التأليف في مختلف العلوم وشيوعها على مجال واسع.

1-3-1-منهج تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي: لقد تم تأليف عدة تصانيف للعلوم، تنوعت وتباينت باختلاف المجموعة الاجتماعية والمراحل التاريخية¹، يشكل منهج تصنيف العلوم عند المسلمين مفهوما ذو دلالات تتمحور أساسا حول الأنماط المتبعة في هذا التصنيف، وكذلك في طبيعة التأصيل الذي ارتكز عليه للخروج بتصنيف متناسق، لذا يبدو أن علم تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي لم يحظ بما يستحق من الدراسة والتحليل، سواء من قبل الدارسين المسلمين أنفسهم، أو من قبل الدارسين عامة، فالمسلمون يندرج ضعف اهتمامهم بالعلوم المنهجية عامة، وأما جل الدارسين فإن اغلب دراساتهم في تصنيف العلوم باعتباره علما منهجيا فلسفيا تقفز على آثار المسلمين في التصنيف لتنتقل من التقسيم القديم المتأثر بتقسيم أرسطو إلى تقسيم روجر بيكون (1214م-1268م)، وفرانسيس بيكون (1561م-1625م)². فلا غرو أن هناك العديد من تصانيف العلوم تعبر في جوهرها عن المنطلقات الفكرية لأصحابها وتبرز لنا الحالة العلمية والثقافية السائدة³، حيث بلغتنا تأليف إسلامية عنيت بتصنيف العلوم سواء منفردة أو مشتركة، تنبئ بشكل واضح على مدى الإسهامات المبذولة من قبل المسلمين في إنضاج هذا الفن من فنون المعرفة، ويجعل الدارس يقف على خصائص الفكر الإسلامي في تصنيف العلوم، وميزاته فيه⁴، وفيما يلي أهم التصانيف:

1- علاوة عمارة، المرجع السابق، ص126.

2- النجار عبد المجيد، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص37.

2-Françoise Micheau, **Savoirmedical et societepossier d'habilitation a diriger**

desrecherches, universite dans le proche-orient arabe du 02/07 au07/12 siecle

Paris, 1995, p, 133-135.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص233.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- "إحصاء العلوم" للفلوأيي أبي نصر محمد بن محمد (ت339هـ).
 - "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" (منتصف القرن 04هـ)¹.
 - "مفاتيح العلوم" للخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (ت387هـ).
 - "الفهرست" لابن النديم محمد بن إسحاق (ت438هـ).
 - رسالة "أقسام العلوم العقلية" لابن سينا (ت428هـ).
 - رسالة "مراتب العلوم" لابن حزم (ت456هـ).
 - "طبقات العلوم" للأبيوري أبي المظفر محمد بن أحمد (ت507هـ).
 - "المقدمة" لابن خلدون (ت808هـ).
 - "مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم" لطاش كبرى زاده (ت968هـ).
 - "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" للحاجي خليفة (ت1067هـ).
 - "كشف اصطلاحات الفنون" للتهانوي محمد بن علي (توفي بعد 1158هـ).
 - "أبجد العلوم" للصديق بن حسن القنوجي (ت1158هـ)².
- لقد أبانت هذه التصانيف مدى الاهتمام البالغ للمسلمين بهذا العلم، والدليل التصنيف والتأليف المتواصل شكلا ومضمونا، ضمن نسق متصل مع واقع العلوم الإسلامية في تناميها وتوسعها وتفرعها³، وفي السياق ذاته ينبغي الوقوف على طبيعة هذه التصانيف من حيث الهيكل والخصائص وكذلك البنية الداخلية وعلاقتها بواقع العلوم في المحيط الثقافي الإسلامي، فنستنبط مسلكين متباينين في التصنيف، يتمايزان في الهيكلة العامة، كما يتمايزان في الخصائص التصنيفية والبنية الداخلية، وهذا ما يؤدي إلى تباين بينهما في النسبة على ضوء الغاية التي تسعى كل التصانيف تحقيقها؛ فالمسلك الأول يتبنى ويجسد التصنيف الأرسطي للعلوم، أي الطرح التقليدي، والمسلك الثاني يجسد البعد الإسلامي الثقافي المطعم بالداعي العقائدي الإسلامي، المنبثق من واقع المحيط الثقافي الإسلامي، فلذلك يسمى هذا بالطرح التأصيلي⁴، وطبيعي أن المسلك الأول أي التقليدي كان السباق إلى التموقع في النسق الفكري الإسلامي، حيث أن دوره لا يمكن إغفاله في بناء الفكر الإسلامي إذ "... يتمثل أساسا في إدخال الفكر

1- علاوة عمارة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص233.

3- النجار عبد المجيد، المرجع السابق، ص37-38.

4- المرجع نفسه، ص42.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

التصنيفي في دائرة الثقافة الإسلامية كمنهج لتنظيم المعرفة في نسق منطقي تترتب فيه العلوم على نحو من الترتيب يوفي بغرض التحصيل الأقوم للعلم، بالإضافة إلى أن هذه الواجهة أفادت أيضا في نقل تجربة اليونان في التصنيف...¹، وعليه مثل هذا المسلك الطور الأول في التصنيف عند المسلمين، بحكم أن العلوم الإسلامية حينها لم تصل إلى مرحلة النضج، بل كانت لا تزال في طور التوالد والتكامل والتنامي لذا كان المسلك التقليدي خطوة لازمة نحو التأصيل². أما المسلك التأصيلي فقد أضحي منطلقا أساسيا في عملية التصنيف بعد اكتمال جميع العلوم واتضح معلمها الكبرى، وأصبح كل علم مستقل بذاته، لذا يهمننا الولوج إلى الخصائص العامة التي تميز بها المسلك التأصيلي وهي:

—الصبغة الواقعية: تجسد هذه الصبغة مدى التكامل في الواقع الإسلامي حيث تبرز الصبغة الإحصائية للعلوم، ذلك أن العلوم المدرجة فيها تم جمعها من الواقع الثقافي والعلمي في المحيط الإسلامي على أساس دقيق يوضح لنا أصناف العلوم التي كانت معتمدة في النظام التعليمي والتربوي العام، أو متداولة عند الخاصة من المسلمين أو غير المسلمين، أو موجودة في مظان الكتب والرسائل، أي تشكل برنامجا تعليميا موجهها لجمهور المسلمين أكثر نجاعة من التصنيف الفلسفي للمعرفة الإنسانية العامة³.

—صبغة التوحيد والمؤالفة: تتمحور صبغة التوحيد والمؤالفة حول الأنماط والأشكال والهياكل التي تعد أساسية في عملية التصنيف وذلك وفق تصور دقيق ومنهج متناسق يضمن التلاحم والتكامل بين هذه العلوم حيث "... إذا ما نظرنا إلى الهيكل العام وجدنا الأقسام الأساسية أقيمت بحسب واقع التفكير الذي من خصائصه التواصل والتتابع، ولم تقم على أساس واقع مواضيع العلم التي هي مفصولة عن بعضها وجوديا كانفصال المادة عما وراء المادة، ولذلك اختفت من هذه التصانيف التقسيمات الحادة المعتمدة على مفاصل مفرقة بين الأقسام على نحو لا يقدم في التقاسيم المتأثرة بأرسطو...⁴ —وتأتي تجربة ابن النديم لتبرز هذا الملمح بشكل جلي حينما أصدر مقالاته بالقرآن الكريم وعلومه، ثم أورد ذلك بمقالات اشتملت على علوم هي كالوسائل لفهم القرآن من نحو وآداب وشعر، ثم تابع ذلك بالعلوم الفلسفية التي وضعت خدمة للتوحيد أي

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص234.

2- النجار عبد المجيد، المرجع السابق، ص56-57.

3- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص235.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

خدمة لعلوم الوحي¹، كم أفصح كل من ابن حزم وابن خلدون على تقسيم يتكون من علم عقلي وعلم شرعي، حيث استند كل منهما على أساس معرفة وسيلة المعرفة ومنهجها وليس أساس التناقض بينهما أو غاية محددة بحيث تتجسد مظاهر التواصل والتكامل بين ماهو عقلي وماهو شرعي من العلوم، قد أبرز ابن حزم هذا بقوله: "...العلوم كلها متعلق بعضها ببعض... محتاج بعضها إلى بعض ولا غرض لها إلا بمعرفة ما أدى إلى الفوز في الآخرة..."².

— صبغة الالتزام: تعد صبغة الالتزام مظهرا واضحا يجسد البنية العامة التي تفرق بين العلوم المدمومة مع ميزان الشرع والعقل بأي حال من الأحوال، فهي تؤدي إلى عرقلة أغراض الدين كالسحر والشعوذة والتنجيم، ولهذا فإن هذه العلوم لما أوردها أصحاب هذه التصنيفات لم تسلم من النقد الذي يبين زيفها وضررها، مما ينبئ عن وعي عميق بخصوصية الالتزام في التصنيف³. وانطلاقا من هذه الخصائص التي بلورة لنا منهج تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي، سنحاول من خلالها معرفة الأنساق المميزة لطبيعة التصنيف الذي اعتمده العلماء في العصر المريني، حينما أسهموا في دفع العلوم إلى التطور من خلال المؤلفات التي وقفنا عليها، وإلى أي مدى بلغ تطور العلوم في عصر الدراسة.

1-3-2- تصنيف العلوم في العصر المريني: إن نمط تصنيف العلوم في العصر المريني ينطلق من التراكم الهائل للمعارف المتواترة، التي بلغت أوجها في هذا العصر، جاءت لتبرز لنا مدى التفاعل الذي أضحت بلاد المغرب الإسلامي تشهده وهيئتها لأخذ زمام المبادرة، وإقرار تصنيف ينبثق من هذه البلاد، يجسد دور أقطاب الفكر المغربي إسهامهم بوضع تصنيفات تجمع العلوم النقلية والعقلية في ترتيب منطقي متناسق يبرز المكانة التي أصبح يضطلع بها علماء المغرب الإسلامي في بناء الفكر الإسلامي، ولذا فإن جهود العلماء في هذا المضمار جاءت مكملة لجهودهم في دفع عجلة التعليم، حتى يمكنهم الوصول إلى بغيتهم وإشاعة العلم والمعرفة في أوساط العامة كل على حسب نبوغه في أحد العلوم، لذا فالظاهر أن الأساس المتبع في التصنيف إنما يرجع إلى المدى الكبير الذي يصله العالم من حي سعة المعرفة، والتعمق فيها، والبحث والمفاوضة⁴. ولذلك سوف نتطرق إلى شكل التلقين الذي يتلقاه الطالب وعلى ضوءه سنتعرف على نمط تصنيف العلوم في عصر الدراسة من خلال تسليط

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- مراتب العلوم، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط1، بيروت، المؤسسات للدراسات والنشر، 1983م، ص90.

3- النجار عبد المجيد، المرجع السابق، صص64-71.

1- قريان عبد الجليل، التلاقح العلمي بين حاضري بجاية وتلمسان في العصر الوسيط—قراءة تاريخية1—مجلة عصور الجديدة، العدد10، جويلية2014، إصدارات مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ص158.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الضوء على العلوم التي تلقاها عبد الرحمان ابن خلدون عن العلماء الذين صحبوا السلطان أبا الحسن إلى إفريقية، حيث يسرد لنا ذلك بقوله: "...إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن سعد بن نزال الأنصاري.... وبعد أن استظهرت القرآن العظيم عن حفظي، قرأته عليه بالقراءات السبع المشهورة إفراداً وجمعاً... وعرضت عليه رحمه الله قصيدة الشاطبي اللامية في القراءات في الرسم... وعرضت عليه كتاب التفسير لأحاديث الموطأ لابن عبد البر حذا به حذو كتابه التمهيد على الموطأ، مقتصرًا على الأحاديث فقط... ودرست عليه كتاباً جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الخطيب في الفقه ولم أكملهما بالحفظ، وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي...¹، ثم يواصل ابن خلدون حديثه عن مشواره الدراسي بحفظ الشعر حيث حفظ كتب الأشعار الستة، والحماسة للأعلم وشعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي، ومن أشعار كتاب الأغاني²، وبعدها عرج على دراسة الحديث وعلومه حيث أخذ بالسماع صحيح مسلم وكتاب الموطأ من أوله إلى آخره، وبعضاً من الكتب الخمس³، ثم طرق علم الفقه إذ يقول: "...وأخذت الفقه بتونس من جماعة... وقرأت عليه كتاب التهذيب لأبي سعيد البراذعي، مختصر المدونة، وكتاب المالكية... وأفدت منه وسمعت عليه كتاب الموطأ للإمام مالك...⁴، وأخذ سماعاً وإجازة كتاب الموطأ والسير لابن إسحاق وكتاب ابن الصلاح في الحديث، وأخذ العلوم العقلية بما فيها المنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية⁵، ثم يواصل الكلام حيث يقول: "...ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصاً على اقتناء الفضائل، متنقلاً بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهما الله، ولزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الآبلي وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين إلى أن شدوت بعض الشيء...⁶"، لقد ساق لنا ابن خلدون أبرز العلوم التي تلقاها على المشايخ سواء في إفريقية أو الذين صحبوا السلطان أبا الحسن المريني، وهذا ما جعله يضع تصنيفاً للعلوم يكون بمثابة خاتمة لمجموع تصانيف العلوم في الفكر الإسلامي المغربي، وأبرز من خلاله طبيعة التصنيف ونمطه في عصر الدراسة، وسنحاول أن نقيم منهج ابن خلدون في تصنيفه للعلوم؛ بحيث يفرق ابن

1- التعريف... المصدر السابق، ص 15-17.

2- المصدر نفسه، ص 17-18.

3- المصدر نفسه، ص 18.

4- المصدر نفسه، ص 19.

5- المصدر نفسه، ص 22.

6- المصدر نفسه، ص 23 وما بعدها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

خلدون بين نوعين من العلوم، "علوم مقصودة بالذات" كالتفسير والحديث والفقہ وعلم الكلام والطبيعات والإلهيات¹، وهذه لا حرج من التوسع والتعمق فيها وبسط المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار، فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وإيضاحا لمعانيها المقصودة²، و"علوم هي وسيلة آلية لهذه العلوم" كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات، وكالمنطق للفلسفة وأصول الفقہ³، فلا يجب التوسع فيها ولا التعمق لأن دورها هو مساعدة الطالب على دراسة العلوم المقصودة بالذات، فالإقبال عليها كثيرا هو هدر للوقت دون جدوى وتقصير في حق العلوم التي هي مهمة للمتعلم⁴، وانطلاقا من ذلك وضع ابن خلدون تصنيفا قسم فيه العلوم إلى قسمين أساسيين أساسيين هما العلوم العقلية والنقلية⁵، فالأولى سبيلها العقل والحواس والثانية مصدرها الوحي؛ أي أن العلوم العقلية تدرك باستخدام الإنسان لفكره وإعماله لعقله، حيث يهتدي إلى موضوعاتها ومسائلها ويتجه إلى براهينها ووجوه تعليمها وطرق تلقينها، أما العلوم النقلية فهي عبارة عن نقول يقتبسها الإنسان من أصلها أي عن وضعها وأصلها، وتتواتر جيلا عن جيل، فأساسها خبر عن الشارع ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول⁶. والعلوم العقلية خمسة هي:

- 1- علم المنطق 2- علم الطبيعة (ويلحق به الطب والفلاحة والكيمياء) 3- علوم التعاليم وهي علم العدد والهندسة والمساحة والمناظر والموسيقى وعلم الهيئة 4- الإلهيات أو علم ما وراء الطبيعة 5- السحر والشعوذة⁷.
- أما العلوم النقلية فهي ستة: 1- القرآن الكريم (ويلحق به علم التفسير وعلم القراءات) 2- الحديث 3- الفقہ (ويلحق به علم الفرائض وعلم أصول الفقہ) 4- علم الكلام 5- علم التصوف 6- علم تعبير الرؤيا⁸.
- هناك العديد من الملاحظات أوردتها علماء التصنيف المعرفي لتقييم تصنيف ابن خلدون للعلوم منها⁹:

1- مرجبا محمد عبد الرحمان، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب-تقدم جورج صليبا، ط3، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981، ص228.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة-المصدر السابق، ص528.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- مرجبا محمد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص228.

5- المرجع نفسه، ص158.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- المرجع نفسه.

8- المرجع نفسه.

9- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص109.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

—صاغ خطة التصنيف بشكل عام يجعل أي أمة تتبعها، ويتضح ذلك من نظرتة للعلوم النقلية التي يرى بأنه بالرغم من اختصاصها بالأمة الإسلامية، إلا أن كل أمة لابد فيها من مثل هذه العلوم الدينية والعلوم اللسانية كل حسب ملته¹.

—قام بتغيير مراتب بعض العلوم مقارنة بالمصنفين الآخرين للعلوم، وخصوصا علم تعبير الرؤيا الذي أدرجه ضمن العلوم النقلية مستندا إلى رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام وأحاديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الرؤيا الصالحة، بينما هذا العلم مدرج ضمن العلوم العقلية في التصانيف الأخرى².

—يؤخذ على ابن خلدون في تصنيفه للعلوم عقلية ونقلية أنه لم يورد الفلسفة العملية فلا يشير إلى الأخلاق أو تدبير المتزل، كما لم يرتب علم التاريخ ضمن تصنيفه ولا السياسة ولا العمران ولا الجغرافيا، كما يؤخذ عليه إلحاقه علوما غير عقلية بالعلوم العقلية كالسحر والشعوذة والطمسات وعلم الأسرار والحروف وعدها من فروعها وهذا من مفارقاته³.

—أقر بنظرية هامة تقوم على صلة العلم بالحضارة صلة أساسية، أي بين ازدهار العلوم وكثرة العمران في نهاية حديثه عن العلوم العقلية، فهو يبين أنه قد لا يتقدم العلم إلا حينما تزدهر الحضارة وتكثر الصنائع⁴.

وعليه يعتبر عبد الرحمان ابن خلدون الوحيد من علماء عصره الذين كانت لهم السابقة في تصنيف العلوم في العصر المريني وبلاد المغرب الإسلامي قاطبة، فقد انطلق من ذلك الكم المعرفي الهائل والزخم الفكري الذي شهدته العصر المريني، حيث اختمرت شخصيته العلمية حينما درس على كبار العلماء والفقهاء، وأفاد من تصانيف العلوم التي قام بها العلماء قبله، وخرج بتصنيف للعلوم هو الوحيد في بلاد المغرب الإسلامي المعتمد لدى الباحثين مقارنة ببلاد المشرق الإسلامي، التي شهدت العديد من المصنفين في مجال العلوم نتيجة لسبقه في اتصال عمرانها واستهواء الحضارة فيه مما أدى إلى نفوق العلوم وازدهارها فيه⁵، لذا أفرد لهذه العلوم فصولا طويلة في كتابه المقدمة تتناسب كثيرا مع حجم انتشارها ودرجة شيوعها في المغرب الإسلامي، ذلك أنها حقيقة اجتماعية قائمة ومظهر من مظاهر الحياة في المجتمعات المختلفة، سواء اعترف بها العقل أو لم يعترف، وهذا ما

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه.

3- مرحبا محمد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص159.

4- بوشقيف محمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- المرجع نفسه، ص109-110.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

دفع بابن خلدون إلى بسط الكلام حولها¹. لقد أفصح تصنيف العلوم الذي قام به ابن خلدون عن خبرة فائقة في التربية والتعليم وعلم النفس، جاءت كخاتمة للتجارب التي امتحنها هذا المفكر الفذ والرائد الألمي العظيم، صاحب العبقرية الفذ السامقة والنظرة الناقدة والذهن النضيج والومضة التي لا تجود كثير. يمثلها الدهور والآباد².

1-3-3- قراءة في العلوم المدرسة والكتب الأكثر رواجاً: إن الحديث عن العلوم المدرسة والكتب الأكثر

رواجاً يستدعي القول أن الحياة العلمية في عصر الدراسة، زحرت بمجموعة من العلوم الثقيلة والعقلية التي كمل تأصيلها وتقييدها وهيكلتها أركانها، لذا كان تدريسها يزود الحركة الفكرية بوابل من المعرفة، وأضحت فاس بذلك حاضرة كبرى من حواضر العلم في العالم الإسلامي³، إن العلوم المدرسة تكشف عن طبيعة التطور التي عرفته هذه العلوم، ومدى التأثير الذي بلغته، حيث ينعكس ذلك على طبيعة التأليف، وعن مستويات التلقين والعلماء المتخصصين، لقد غلبت العلوم الدينية في عصر الدراسة وشاعت على نطاق واسع، ومرد ذلك إلى طبيعة هذا العصر الذي نفقت فيه النقول التي أضحت رافدا لا يمكن الاستغناء عنه وأهم ما يميز الحركة الفكرية فيه⁴، وحرى بنا أن نشير أن العلوم الدينية كانت في المقام الأول من بين اهتمامات العلماء وطلبة العلم⁵، خاصة العلم⁵، خاصة بعد عودة مكانة المذهب المالكي إلى سابق عهده ومعه مكانة علمائه، وعلى ضوء ذلك سيكون لها أبلغ الأثر على تسارع تلقين العلوم الدينية بوتيرة متواصلة، بحكم أن الدارس لهذه العلوم له الحق في التطلع لمناصب الدولة كالقضاء والخطابة والحسبة وإمامة الصلوات وغيرها، فأضحت العلوم الدينية مطمح كل طالب وحقلا خصبا للتأليف والإبداع بحيث أن "... هذه العلوم الشرعية الثقيلة قد نفقت أسواقها، في هذه الملة ما لا مزيد عليه، وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا شيء فوقها، وهذبت الاصطلاحات ورتبت الفنون، فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق. وكان لكل فن رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم..."⁶، لذا اتبع التدرج في تدريس العلوم الدينية بدءاً ب:

1-مرحبا محمد عبد الرحمان، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2-المرجع نفسه، ص229.

3-قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص237.

4-المرجع نفسه، ص:238.

6-بوعبياد محمود، العلم والثقافة بالمغرب الأوسط في القرن 9/15م(العلوم والكتب الأكثر تداولاً)، مجلة الدراسات

الإسلامية، العدد01، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ربيع الثاني 1423هـ/جوان2002م، ص111.

6-ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص398.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

—القراءات¹ والتفسير²، والحديث وعلومه³ والسيرة⁴، والفقه⁵ وأصوله⁶، والفرائض⁷ والتصوف⁸، وعلم الكلام (أصول الدين)⁹، ثم تأتي بعد العلوم الدينية العلوم اللغوية التي هي ضرورية لفهم واستيعاب أمور الدين واستنباط الأحكام التشريعية وتأصيلها وتقعيدها، ومرد ذلك للصلة الوثيقة بين العلوم اللغوية وعلمي القرآن الكريم والحديث¹⁰، وتسمى كذلك علوم اللسان العربي وهي: اللغة¹¹

2— وهو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، ومبادئه: مقدمات تواتره، وله أيضا استمداد من العلوم العربية، والغرض منه: تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة، وفائدته: صون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير، ينظر: طاش كبرى زاده، المرجع السابق، ص 06.

3— هو علم يبحث عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وآدابه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بألفاظه بالأحكام وغير ذلك وهو علم نفيس، ينظر: السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، إتمام الرواية لقراء النقاية، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص 22.

4— هو علم بقوانين أي قواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من صحة وحسن وضعف وعلو ونزول وكيفية التحمل والأداء وصفات الرجال وغير ذلك والسند الإخبار عن طريق المتن من قولهم فلان سند أي معتمد لاعتماد الحفاظ عليه في صحة الحديث وضعفه أو من السند وهو ما ارتفع وعلا عن سفح الجبل لأن المسند يرفعه إلى قائله والمتن ما ينتهي إليه غاية السند من الكلام من المماننة وهي المباعدة في الغاية لأنه غاية السند...، ينظر المصدر نفسه، ص 52.

5— يتعلق علم السيرة برواية سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ميلاده عليه الصلاة والسلام إلى وفاته والأحداث التي جرت له.

6— الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحذر والندب والكرهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة أحكام الله تعالى، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 405.

7— أي العلم المسمى بهذا اللقب المشعر بمدحه بابتناء الفقه عليه (أدلته الإجمالية) أي غير المعينة كمطلق الأمر والنهي وفعل النبي صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس والاستصحاب المبحوث عن أولها بأنه للوجوب حقيقة والثاني بأنه للحرمة كذلك والباقي بأنها حجج وغير ذلك بخلاف التفصيلية، ينظر: السيوطي، المصدر نفسه، ص 76.

8— وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة، من كم تصح، باعتبار فروضها، الأصول أو مناسختها، وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته، فإنه حينئذ يحتاج إلى حساب تصحيح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعا في الفريضتين إلى فروضهم من غير تجزئة، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص 411.

9— علم التصوف هو رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب، مراقبا خفاياها حريصا بذلك على النجاة، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان، شفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق الدكتور محمد مطيع حافظ، 1996، ص 79.

9— وهو علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية، بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها، ينظر طاش كبرى زاده، المصدر نفسه، ص 2، ص 132.

10— بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 176.

12— وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات، وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات، بالوضع الشخصي وعمما حصل من تركيب كل جوهر جوهرا، وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي وعن معانيها الموضوع لها بالوضع الشخصي، وموضوع ه: جواهر المفردات وهيئاتها، من = حيث الوضع للدلالة على المعاني الجزئية، وغايتها: الاحتراز عن الأخطاء في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب، ومنفعته: الإحاطة بهذه المعلومات وطلاقة العبارة وجزئتها والتمكن من التفنن في الكلام، وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة للأقوال البليغة، ينظر: طاش كبرى زاده، المصدر نفسه، ص 100-101.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

والنحو¹ والبيان² والأدب³، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "...ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة..."⁴، لقد اتضح جليا عناية العلماء بعلوم اللسان العربي واهتمامهم بها، فهي سبيل النبوغ والتفوق للطلبة، ودافع لهم لمواصلة الدراسة وتولي المناصب خاصة الخطابة، فقد أكدوا على هذا المعطى، ولا ننسى التأليف والتصنيف لا يحسنهما إلا من كان ضليعا في اللغة، ثم نخرج على العلوم العقلية التي لها دور كبير في صقل شخصية طالب العلم كما تجعله يتطلع إلى أفاق واسعة، إذ تنطبق على العلوم التي يقوم النظر فيها على العقل وحده⁵، وتنقسم إلى أربعة علوم هي: المنطق، العلوم الطبيعية، العلوم الإلهية، التعاليم، وفي السياق نفسه يوجد تكامل بين العلوم النقلية (الدينية واللغوية) والعلوم العقلية إذ "...ثمّة علاقة ارتباط وظيفية بين بعض العلوم النقلية والعقلية، مثل علم الحساب والجبر والمقابلة مع علم الفرائض، وكذلك بين علم الفقه وعلم الهيئة وبين المنطق وعلم الأصول، فإذا كان علم الفرائض يحتاج إلى العمليات الحسابية لتحديد أنصبة الورثة بدقة، فإن الصلاة والصوم والحج تحتاج إلى علم الهيئة في تحديد أوقاتها، وأصبحت هذه العلوم العقلية في مستوى العلوم الشرعية، بل علوما شرعية خالصة، لأن الأخيرة لا تتحقق إلا بها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب..."⁶، وبهذا التسلسل والترتيب للعلوم تكتمل شخصية الطالب العلمية، حيث خلال دراسته عبر المراحل الثلاث يكون قد نهل من جميع أصناف العلوم النقلية والعقلية، فيتصدر للتأليف في عدد منها، ولعل هذا هو السر في ذلك التأليف العلمي الهائل الذي يشكل رصيد الحضارة العربية الإسلامية، إذ يعد النظام التعليمي الإسلامي بمثابة الديناميكية الدافعة لهذا التأليف الذي سنفصل فيه في المبحث الثالث من هذا الفصل، فموسوعية العلماء كانت نتيجة حتمية لهذا النظام، فتجد العالم يوصف بالعلامة الفقيه الأصولي المحدث المتكلم النحوي الرياضي، وهذا دليل على طبيعة التأليف التي

1- علم باحث عن أحوال المركبات الموضوعية وضعا نوعيا لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها، ينظر: المصدر نفسه، ص138.

2- وهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة، ينظر: المصدر نفسه، ص186.

3- هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإحادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإحادة ومسائل من النحو واللغة، مبنوثة أثناء ذلك متفرقة، يستقري منها الناظر في الغلب معظم قوانين العربية، ينظر: ابن خلدون المصدر السابق، ص545.

4- المصدر نفسه، ص537-538.

5- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص333.

6- قريان عبد الحليل، المرجع السابق، ص244.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

صنفها وكذلك تدريسه لهذه العلوم، لذا سنحاول أن نسلط الضوء على أهم المقررات الدراسية التي اعتمدت في تلقين هذه العلوم وفق الترتيب المذكور آنفاً، ونتعرف من خلالها على مدى مساهمة هذه المقررات في توحيد مناهج التعليم في عصر الدراسة، كما تجدر الإشارة أن العلماء المدرسين فضلوا الكتب التي ألفها علماء المغرب والأندلس، وذلك انطلاقاً من النبوغ الذي أضحي المغرب الإسلامي يشهده على شاكلة الأمصار الإسلامية الأخرى في جميع المجالات الاجتماعية والفنية والأدبية والعمرانية والفكرية التي أفصحت عنها كتب التاريخ والأدب والرحلات¹. وفيما يلي ذكر لأكثر الكتب رواجاً في عصر الدراسة:

— التفسير: كتاب "الكشاف" لمحمود جار الله الزمخشري المعتزلي².

— القراءات والرسم: ومن كتب القراءات ورسم القرآن الكريم نذكر "حرز الأمازي ووجهالتهاني" وهو الكتاب المعروف باسم "الشاطبية" وهو من نظم أبي القاسم الرعيبي الشاطبي لكتاب "التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني، والكتاب الثاني هو "الخراز" أو "ضبط الخراز" وهو عنوان مختصر ل: "مورد الظمان في رسم أحرف القرآن" لمحمد الشريشي الشهير بالخراز³.

— علم الحديث: كتاب "صحيح البخاري"، وكذلك كتاب "صحيح مسلم"⁴، "الموطأ" أي كتاب "التقصي لأحاديث الموطأ" لابن عبد البر⁵، وكتاب "الأحكام الصغرى" لعبد الحق و"سيرة ابن إسحاق" و"الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى"⁶.

— علم الكلام (أصول الدين): كتاب "الاقتصاد في الاعتقاد" للغزالي⁷، وكتاب "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين" لابن الخطيب⁸.

— علم أصول الفقه: كتاب "مختصر ابن الحاجب في الأصول"⁹.

— علم الخلاف: كتاب "مقاصد الفلاسفة" للغزالي¹.

1- محمود بوعيداد، المرجع السابق، ص122.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص401.

3- المصدر نفسه، ص:399، بوعيداد محمود، المرجع السابق، ص:116.

4- المصدر نفسه، ص:404.

5- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص:268.

6- التنبكي أحمد بابا، المصدر السابق، ص:226.

7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص:424.

9- المصدر نفسه، ص:414، التنبكي، المصدر نفسه.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

—علم الجدل: كتاب "المقترح" للبيروني².

—علم الفقه: كتاب "المدونة" لعبد السلام بن سعيد التنوخي، "الموطأ"³، "الرسالة" لابن أبي زيد

القيرواني، "التهذيب" للبراذعي، "مختصر ابن الحاجب"⁴.

—النحو: "إيضاح الفارسي"⁵.

—البيان: "الإيضاح والتلخيص" لجلال الدين القزويني⁶.

—التصوف: "ميزان الغزالي"⁷.

—علم المنطق: كتاب "جمل الخونجي" و"المطالع للسراج الأرموي"⁸.

—علم الحساب: كتاب "تلخيص أعمال الحساب" لأبي العباس أحمد بن البناء⁹.

—علم الهندسة: "كتاب إقليدس"¹⁰.

—علوم الطبيعة: "كتاب النحاة لابنسينا"¹¹.

نلاحظ الامتزاج بين كتب المشرق وكتب المغرب في التعليم في عصر الدراسة على ضوء ما توفر من مادة علمية، حيث تم رصد هذه الكتب وفق ترتيب العلوم، وكذلك وفقا لكثرة رواجها وإقبال العلماء عليها دون غيرها من الكتب، وعليه يمكن الولوج إلى أن العلوم المدرسة والكتب كانت موحدة في جميع المؤسسات التعليمية سواء المساجد أو المدارس أو الكتاتيب، مما وفر الفرص للطلبة من أن ينهلوا من جميعها بشكل متواصل.

2- المؤسسات التعليمية وموقف العلماء منها: شكلت المؤسسات التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية

أساس العلم والمعرفة وسبب التطور والازدهار الفكري، وسر ظهور العلماء النابغين والبارزين في جميع

1-التبكي،المصدر نفسه.

2-المصدر نفسه.

3-المصدر نفسه،ص253.

4-بوعياض محمود،المقال السابق،ص117.

5-ابن خلدون عبد الرحمان،المصدر السابق،ص410-411.

6-التبكي،المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

7-ابن خلدون عبد الرحمان،المصدر نفسه،ص544.

8-التبكي،المصدر نفسه،ص226.

9-بوعياض محمود،المقال نفسه،ص120.

10-التبكي،المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

11-المصدر نفسه.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

التخصصات والمجالات، وجوهر الحياة الاجتماعية الإسلامية في مجتمع لا يشبع من البحث عن المعارف والسعي لخدمة العلم، لذا كانت هذه المؤسسات المجال الحيوي لإبراز الكفاءات وإظهار النبوغ والتفوق وإرساء ثقافة الحوار وتبادل الأفكار والقيم والمبادئ، كما تعتبر المؤسسات التعليمية سمة بارزة من سمات الحضارة العربية الإسلامية، وكان تأسيسها وتشبيدها بشكل مطرد في جميع ربوع العالم الإسلامي سواء المساجد أو الكتاتيب أو المدارس وحتى الزوايا علامة على انتشار العلم في أوساط المجتمع الإسلامي، وانطلاقاً من ذلك شهد العصر المريني عدداً معتبراً من المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب سنحاول أن نرصدها ونتعرف عليها، بمعرفة من بناها، ومتى بنيت، وبرز مواقف العلماء منها.

2-1- المساجد والجوامع: تعد الجوامع والمساجد أولى المراكز والمؤسسات التعليمية التي أنشأت في الإسلام، حيث تلقى فيها المسلمون مختلف العلوم الدينية والأدبية والتاريخية والعقلية¹، لهذا اعتبر المسلمون عبر تاريخهم إن تنشيط الحركة العلمية وبعث الحياة الثقافية والفكرية وإحياء النفوس بالعلم في المساجد هو صنو الصلاة، بحكم أن المساجد والجوامع هي ملتقى المسلمين وفيها يتم تهيئتهم اجتماعياً وتربوياً وأخلاقياً، بحيث أن عملية التشكيل الثقافي تتجسد في المسجد، الذي تتم فيه الشعائر الإسلامية من صلاة وذكر ومعاملات، مصداقاً لقول الله تعالى: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" (سورة الأنعام: الآية 162)، فهو مكان التقاء العبد بربه وهذا ما يجعل التعليم الإسلامي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسجد، فلا غرو أن الكلام عن المسجد هو كلام عن إحدى أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت بشكل فعال ومستمر في نشر العلوم والمعارف عبر مختلف العصور الإسلامية وفي جميع بلاد المسلمين²، ذلك أن "...السبب في جعل المسجد مركزاً ثقافياً هو أن الدراسات في سني الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه وهذه تتصل بالمسجد أوثق اتصال..."³، وانطلاقاً من ذلك يعد المسجد النواة الأولى للحركة الفكرية في العلم الإسلامي⁴، إذ "...تعتبر دراسة هذه المؤسسة في أي منطقة من العالم الإسلامي هي دراسة المكان الرئيسي للحياة الثقافية الإسلامية في أي فترة من فترات تاريخها..."⁵، فلا تدرج حاضرة

1- أولاد ضياف رابع، نشأة المدارس في الإسلام (المدرسة النظامية نموذجاً) -مجلة الآداب والحضارة

الإسلامية، العدد 15، شعبان 1434هـ/2013م، إصدارات جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص 310.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 160.

3- شلي أحمد، تاريخ التربية الإسلامية، ص 102، نقلاً عن بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 264.

5- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص 266، نقلاً عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

ضمن الحواضر الإسلامية الكبرى إلا بوجود المساجد بها، ولا يستطرد عمراتها إلا إذا بني المسجد أول الأمر باعتباره قلب المدينة. وحري بنا أن نشير إلى الفرق بين المساجد والجموع، حيث أن "...المساجد الجامعة تقام فيها الصلوات المفروضة، بشكل عام لأشكال كبيرة من الناس كالجمع والعيدين والمناسبات الهامة التي يكون الاجتماع فيها ضرورياً، وغالبا ما تكون هذه المساجد الجامعة تحت الإشراف الرسمي للدولة. وأما المساجد فهي التي تؤدي فيها الصلوات الخمس، وهي منتشرة كثيرا في الأحياء والقرى، ويشرف على هذه المساجد أصحابها من أهل الحي من حيث النظافة ورفع الآذان..."¹، ونستشف من هذا الأفضلية والسبق الذي حققه المسجد في مجال التعليم والتدريس، من خلال كون العلوم الأساسية يتم تلقيتها فيه باعتباره مقر التقاء جميع شرائح المجتمع الإسلامي غنيها وفقيرها، والمتعلم والجاهل والكبير والصغير بصفة متواصلة². وعليه لما كان شأن المسجد عظيما في نفوس المسلمين حكاما ومحكومين كثرت الجموع والمساجد في عصر الدراسة، حيث تنافس السلاطين في بنائها في كبرى الحواضر المغربية، رغبة منهم في نشر العلم والمعرفة في أوساط المجتمع، وفيما يلي أهم الجموع والمساجد في عصر الدراسة:

—جامع القرويين: هو أعرق الجموع الإسلامية التي تم بناؤها في بلاد المغرب الأقصى، حيث أسس سنة 245هـ/859م على يد امرأة ذات علم وفضل اسمها فاطمة بنت محمد الفهري، لإقامة الصلوات وإلقاء الخطب والمواعظ والدروس³، وهذا ما ذكره الجزنائي: "...أنه لما كثر الواردون عليها في أيام الأمير يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس رضي الله عنه كان ممن قدم عليها من القيروان محمد بن عبد الله الفهري القروي، ونزل بعدوة القرويين مع أهل بلده الذي وفدوا معه، فمات وترك بنتين وهما: فاطمة المدعوة بأم البنين، ومريم، وتحصللها بالميراث مال كثير طيب، ورغبنا أن تصرفاه في وجوه من البر، فعلمتا أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين المذكورين، فشرعت فاطمة في بناء جامع عدوة القرويين، ومريم في بناء جامع الأندلسيين. أما جامع القرويين فكان الشروع في حفر أساسه للأخذ في أمور بنائه يوم السبت مستهل شهر رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومئتين..."⁴، لذا أضحي

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص160-161.

2- خطيف صابرة، المرجع نفسه.

3- خرماش محمد، المرجع السابق، ص119.

4- المصدر السابق، ص45.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

جامع القرويين محل اهتمام من قبل الدول المتعاقبة على حكم المغرب الأقصى، حتى بلغ أعظم ما يكون في العهد المريني، حيث غدا جامعة كبرى متكاملة من حيث البرامج التعليمية ونظام التعليم المتبع والطاقتن التدريسي¹.

— الجامع الكبير بتازة: تم إنشاؤه من قبل الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على (524هـ-558هـ/1152م-1163م)، وشهد توسيعات وإصلاحات وترميمات فى عهد كل من السلطان أبو يعقوب يوسف

المريني، والسلطان أبو عنان فارس المريني، ويعد من أجمل الجوامع فى المغرب الأقصى بعد جامع القرويين².

— الجامع الكبير بفاس الجديد: أمر ببناء هذا الجامع السلطان أبو يوسف يعقوب المريني بعد الفراغ من بناء

مدينة فاس الجديد، التي اتخذها مقرا لحكمه ومستودعا لجنده وحاشيته وأهل دولته، واستكمل بناؤه فى شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وستمئة³، وتجسد الطابع الفني الأندلسي فى جامع فاس الجديد حيث تكون من قاعة للصلاة منبسطة تحتل نصف المساحة، بالإضافة إلى صحن واسع يشغل النصف الثاني ولا تحيط بالصحن إلا مئذنة واحدة فى كل ناحية، وفى مدخل قاعة الصلاة من الصحن تقوم قبة صغيرة فوق البلاطة الأولى من الرواق الأوسط، ويحتوى الركن الأيمن من الجدار المقابل لجدار القبلة على المئذنة⁴.

— مسجد المنصورة بتلمسان: بعد اختطاط مدينة المنصورة بظاهر تلمسان بأمر من السلطان يوسف

المريني، لمواصلة حصار تلمسان الذى دام 08 سنوات— كما أشرنا سابقا— إرتأ فى سنة 701هـ أن يبني عدد من "الحمامات العظيمة والفنادق والبيمارستانات وجامعا كبيرا للخطبة أقامه على الصهريج الكبير وبنى به منارا عظيما وجعل على رأسه تفافيح من ذهب بسبعمئة دينار..."⁵، وتكون هذا المسجد من قاعة للصلاة تتكون من إسكوبين⁶ اثنين وبلاطات ثلاثة بحيث تشكل حيطانه وطاقيته بناء مستقلا يدور حول المصلين دورة دورة كاملة، عن طريق فتحتان تحيطان بتجويفه من كل جانب وهذا الممر الذى يحيط بالخراب هو نفسه يقع فى خط خارج مستوى جدار القبلة الذى هو نفسه الجدار الجنوبي الشرقي وهذا هو سبب بروز الكتلة المستطيلة الخارجية على مستوى جدار الخلووة الشرقية، وينبئ هذا المسجد عن عظمة الفن المعماري الإسلامى عموما

1- بلعرج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص152.

3- بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير فى تاريخ المغرب الإسلامى، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص132.

3- ابن أبى زرع الفاسى، الذخيرة السننية...، المصدر السابق، ص162.

4- بكاي هوارية، المرجع السابق، ص133.

5- ابن أبى زرع الفاسى، الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص387.

6- إسكوبين (الأساكيب): هي عبارة عن صنفين من العقود، الموازية لجدار القبلة أحدهما من ناحية الخراب يقطع البلاطة الوسطى بينها الصف الثاني فى العقود الموازية، ينظر: نضال مال الله مؤيد عزيز الأعرجى، المرجع السابق، ص127، الهامش رقم 03.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

والفن المعماري المريني خصوصا، وبنيت الصومعة فوق المدخل الرئيسي بالواجهة الشمالية الغربية وعلى محور الحراب¹، كما تعد هذه الصومعة من أعلى المآذن في المغرب الإسلامي².

— جامع العباد بتلمسان: أسس جامع العباد بأمر من السلطان أبي الحسن المريني بعد ضمه لتلمسان، وذلك في حدود سنة 739هـ/1339م بجانب ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب³، وقد وصف لنا ابن مرزوق الخطيب هذا الجامع بقوله: "...وأما الجامع الذي بناه حذاء ضريح شيخ المشايخ... فهو الذي عز مثاله واتصفت بالحسن والثاقفة أشكاله، أنفق فيه مقداراً جسيماً ومالاً عظيماً، وكان بناؤه على يد عمي وصنو أبي الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق وعلى يدي، اشتمل على الوضع الغريب..."⁴، ويضيف ابن مرزوق مبالغة السلطان أبو الحسن في تنميته وتزيينه⁵، إلى حد جعل ابني الإمام يعظانه بضرورة عدم المواصلة في ذلك حتى لا يشغل المصلين عن أداء صلاتهم كاملة وبأحسن وجه.

— مسجد سيدي الخلوئي: يعتبر المسجد الثالث الذي بناه المرينيون في تلمسان، حيث أسسه السلطان أبو عنان حوالي سنة 754هـ/1353م، ويشتمل على قاعة للصلاة مكونة من ثمانية أعمدة، وعلى الواجهات الأربع لمئذنته، أشكال من الفخار المموه بالمينا⁶، لذا فلا نستغرب إذا علمنا أن "...مسجد سيدي الخلوئي يشابه كثيراً مسجد أبي مدين شعيب، فله مثله بيت صلاة يتكون من خمسة أساكيب عمودية لجدار الحراب وصحن مربع ومئذنة موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية للصحن، ولكنه يختلف عن مسجد العباد من بعض الجوانب"⁷.

— جامع الحمراء: تم بناؤه في وقت لاحق بعد الجامع الكبير، وسنة بنائه مجهولة، والظاهر أن تأسيسه كان في عهد السلطان أبي عنان على ضوء ما ذكره المنوني⁸، ويقع مسجد الحمراء بجانب المحجة الكبرى لفاس

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، سكاكو مريم، المرجع السابق، ص45.

2- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص402.

3- سكاكو مريم، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر السابق، ص403.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها، بورويبة رشيد، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الآصال، العدد 26، 1975، ص178.

6- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص322.

7- بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص181.

8- وورقات عن حضارة المرينيين، المرجع السابق، ص30.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الجديد، حيث يتكون بيت الصلاة على بلاط محوري فسيح وبلاطين آخرين شرقا وغربا مع امتداد البلاط الأخير في كل من الجانبين ليسير بطول الصحن إلى واجهة المسجد الشمالية¹.

— مسجد الزهر: يعود تاريخ تأسيسه إلى أوائل رجب عام 759هـ/1358م من طرف السلطان أبي عنان فارس، وهو جامع الحجر قديما، وقد ألحق به على يسار مدخل الباب الحجري كتاب وسقاية تعلوها بقايا كتابة محفورة من الخشب².

— جامع أبي حسان بفاس الجديد: يرجع زمن تأسيسه حسب النقش الكتابي الموجود على اللوحة الرخامية المثبتة فوق المدخل من الحائط الغربي للصحن إلى سنة 742هـ/1341م³.

هذه عينة من الجوامع والمساجد التي بنيت في عصر الدراسة أو قبله، ارتأينا أن نعطي صورة حولها، ونبرز جهود المرينيين في تشييدها والإنفاق عليها في سياق إنفاقهم على التعليم ومستلزماته.

2-2- الكتاتيب: تعتبر الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي بعد المساجد، حيث تجسد المرحلة الأولى من نظام التعليم عند المسلمين⁴، والكتاتيب لغة جمع كتاب وهو موضع تعليم الكتاب، والمكاتب، والمكتب: موضع التعليم، والكتاب: الكتبه، ويقال للذي يعلم الصبية في هذه الكتاتيب (معلم) و(مكتب)⁵، وسبب إنشاء الكتاتيب هو كثرة طلبه العلم إلى حد جعل المساجد لا تتسع لهذه الأعداد الغفيرة، فكيف بالصبيان الذين يحتاجون إلى متابعة خاصة ومتواصلة، بحكم أنهم لا يتحرزون من النجاسات⁶، حيث يقول في ذلك ابن عبدون الاشيلي: "...المساجد هي بيوت الله ومواقع الذكر، ومواقع العبادة، مشهورة بالطهارة، ويجب ألا يؤدب فيها الصبيان، فإنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولا بد ففي السقائف..."⁷، وعليه فالكتاتيب ملحفة بالمساجد، وهي عبارة عن بناء بسيط بجانب المسجد، كما لا يتجاوز حجرة أو حجرتين على الأكثر، وتحتوي على أثاثوفرش تتناسب مع عدد الأطفال⁸، مما أدى إلى استطرادها وشيوعا وانتشارها على نطاق واسع بسبب الدعم الذي بذله السلاطين

1- المستعين عبد الباسط، المعالم العمرانية لفاس الجديد المرينية-دورية كان التاريخية، العدد 07، مارس 2010، ص 24.

2- المنوني محمد، المرجع نفسه، ص 29.

3- بكاي هوارية، المرجع السابق، ص 133.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 165.

5- ابن منظور، لسان العرب، ج 5، مادة "كتب"، ص 3816.

6- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 165.

7- رسالة في الحسبة-تحقيق ليفي بروفنسال، نشر بالجلد الآسيوية، 1934، ص 314.

8- بشار عواد معروف، حضارة العراق- ج 8، ص 26، نقلا عن بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

والحكام في عصر الدراسة أي القرنين السابع والثامن الهجريين، حيث بلغت مستوى عاليا من حيث التنظيم والمواد المدروسة، وكان المجتمع المغربي واعيا بالدور الذي تؤديه هذه الكتابات فعملوا على توفيرها لصبياهم في جميع الحواضر والأرياف¹.

فلا غرو أن نظام الكتابات يعد من أفضل الأنظمة وأهمها التي ساهمت في نشر التعليم بالبلاد الإسلامية واستمراره وديمومته²، ذلك أن المسلمين كانوا يدفعون بأبنائهم إلى الكتاب منذ سن مبكرة في الخامسة أو السادسة وبعضهم في السابعة أو الثامنة³، والسر في ذلك أن "...التربية الدينية يجب أن تبدأ في سن مبكرة، ذلك لأن الصبي في هذه السن يكون مستعدا لقبول العقائد الدينية والإيمان بها دون أن يطلب عليها دليلا..."⁴، لذا يتعلم الصبي في الكتاب القرآن الكريم وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم، وبعض الأحكام الدينية والشعر⁵، وكدليل على أهمية نظام الكتابات في صقل شخصية الطفل، أن هذا الأخير يبدأ نهاره بالذهاب مبكرا إلى الكتاب، ويقضي الصباح حتى الظهر، حيث يعود إلى المنزل لتناول الغذاء وأخذ قسطا من الراحة، ثم يرجع بعد ذلك لمواصلة الدراسة حتى آذان العصر، وهكذا يقضي اليوم في الدراسة حتى يحصل المطلوب⁶، وغير خاف عنا الأدوات التي استعملت في العملية التعليمية بالكتاب، حيث تكونت من لوح خشبي وقلم (هو ريشة طائر) ودواة صغيرة، وقد يستعمل الفحم في الكتاب أو نوع من التراب الأسود، بالإضافة إلى طين أبيض (الصصال) أشبه بالطباشير يستعمل للكتابة⁷، ونترك عمرو بن بحر الجاحظ ليرز لنا منهاجا مفصلا لتعليم الناشئة بقوله: "...ولا تشغل قلب الصبي بالنحو إلا بالقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام، في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، كرواية الخبر الصادق، والمثل الشاهد، والمعنى البارع، ويعرف بعض الحساب دون الهندسة والمساحة، ويعلم كتابة للإنشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة، ويحذر التكلف، ويحثه— في قراءة كتب

1- مكوي محمد، المرجع السابق، ص125.

2- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص168.

3- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، المصدر السابق، ص48.

4- المصدر نفسه، ج3، ص83.

5- المصدر نفسه، ج3، ص63.

6- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص169.

7- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

البلغاء—أن يستفيد المعاني لا الألفاظ...¹، وبهذا نكون قد أحطنا بكل جوانب الكنتاتيب من حيث الهيكل والمنهج والنظام، لنرى ماهو موقف العلماء منها؟ وماهي الشروط التي وضعوها لسير العملية التعليمية فيها؟.

2-3- الزوايا: شهد المغرب الإسلامي على مدار القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط ظهور وتبلور الزوايا وتطورها، كمؤسسة تعليمية جديدة على شاكلة المساجد والكنتاتيب، وهي غير الربط التي كانت تمارس فيها الطقوس الصوفية²، وقد أشار ابن مرزوق إلى الاختلاف بين المصطلحين بقوله: "...والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين، وأما الربط على ماهو المصطلح عليه في المشرق فلم أر في المغرب على سبيلها ونمطها إلا رباط سيدي أبي محمد صالح والزاوية المنسوبة لسيدنا أبي زكرياء يحيى بن عمر (نفع الله بهم) بسلا غربي الجامع الأعظم منها، ولم أر لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكان وصفاتهم وشبههم بمن ذكر نفع الله بهم...³، وانطلاقا من ذلك اتضح مفهوم الزاوية على أنه المكان الذي يلتقي فيه المتعبدون الراغبون في الحياة بمعزل عن بقية الناس، ويعكفون على الصلاة والذكر وقراءة القرآن الكريم وتدبره والإنشاد⁴، فلا غرو أن الزاوية في بلاد المغرب بعد أن اتضحت معالمها، أخذت المعنى الصوفي واستغرقت حياتها فيه، بينها تخلت عن المعنى الفقهي للاستكانة التي كانت عليها الأمة اتجاه الانحلال الداخلي والخطر الخارجي⁵. وفي ذات السياق اختصت الزوايا وشملت على عدة مرافق ساهمت مجتمعة في إعطاء الصبغة الخاصة لها، لذا فالزوايا عبارة عن أبنية كبيرة تتشكل من⁶:

—قبة⁷: تعد ميزة مهمة من مميزات الزوايا، بحكم كونها كبيرة الحجم⁸.

—مسجد: هو موضع الصلاة ومجلس لإلقاء الدروس والمواعظ، وملتقى للذكر والأوراد⁹.

1-رسالة المعلمين(مخطوط)، نقلا عن المرجع نفسه، ص168.

1-عبيد بوداود، الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(13م-15م) ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ط1، الجزائر، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص415.

3-المصدر السابق، ص413.

4-عبيد بوداود، المرجع السابق، ص415.

5-قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص178.

6-المرجع نفسه، ص180.

6-ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة فداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب-تحقيق: محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/1990م، ص207.

8-قريان عبد الخليل، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

9-ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص207.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

—حجرات:تحتوي الزوايا على حجرات خاصة يقطنها الإمام والمؤذن والناظر على حسب مساحتها¹،بالإضافة مساحتها¹،بالإضافة إلى حجرات أخرى للوافدين من الطلبة والزوار والحجاج².

—مطبخ³: يتم فيه إعداد الطعام للقاصدين والنازلين فيها⁴.

—ضريح:احتوت كثير من الزوايا على أضرحة للأولياء والمریدين⁵،مما جعلها قبلة لطلبة العلم والمریدين،بحكم الشهرة التي اكتسبتها بسبب أحد الأولياء المشهورين⁶.

وعلى ضوء ذلك خصص للزوايا قائمين عليها يتولون أمر تسييرها والإشراف على مستلزماتها،كالتهيئة والتنظيف وفتح أبوابها وغلقها وضمان راحة مریديها وقاصديها ولعل أبرز هؤلاء القائمين عليها؛الإمام والمؤذن والناظر⁷،بالإضافة إلى رهط من الصوفية يعنون بالأذكار وقراءة الأوراد⁸،وفئة من الخدم تشرف على إعداد الطعام ونظافة الزاوية وتلبية حاجات الضيوف⁹. وكل واحد من القائمين على الزوايا له عطاء شهري يأخذه من أوقاف الزاوية أو من أموال الزكاة والصدقات أو من هبات أهل البر والإحسان،أو مما أقطعه السلطان لهذه الزاوية¹⁰.

ولعل من ميزات العصر المريني هو انتشار الزوايا بشكل ملفت،ومرد ذلك لازدهار الحركة الفكرية حيث غصت المساجد بطلبة العلم،لذا كانت الزوايا أفضل الأماكن لامتناس هذا الفائض،فقد اضطلع سلاطين بني مرين بمهمة إنشائها،فبنيت زاوية القراء¹¹،والزاوية الحديثة بفاس¹²،والزاوية القديمة والحديثة بمدينة مكناس¹³،ورباط الشيخ أبي محمد بمدينة آسفي¹⁴،وزاوية الحاج عبد الغني بمدينة سلا¹،ناهيك عن الزاوية التي

1-المصدر نفسه،ص208،قريان عبد الجليل،المرجع نفسه.

2-الونشريسي،المعيار،المصدر السابق،ج7،ص292.

3-ابن الحاج النميري،المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

4-ابن مرزوق محمد،المصدر السابق،ص:411،قريان عبد الجليل،المرجع نفسه،ص:181.

5-ابن خلدون يحيى،المصدر السابق،ج2،ص:104.

6-قريان عبد الجليل،المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

7-المرجع نفسه.

8-ابن الحاج النميري،المصدر نفسه،ص:213.

9-المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

10-قريان عبد الجليل،المرجع السابق،ص:181.

11-الجزنائي،المصدر السابق،ص76-77.

12-ابن الخطيب لسان الدين،نفاضة الجواب،ص312.

13-السللاوي،المرجع السابق،ج2،ص66.

14-ابن الخطيب لسان الدين،المصدر السابق،ص71.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

أسسها السلطان أبو عنان فارس قبل حملته الشهيرة على قسنطينة وبلاد الزاب سنة 758هـ/1356م²، حيث يقول ابن الحاج النميري عنها: "...وفي تلك الأيام جاز مولانا أيده الله إلى عدوة سلا، وعبر الوادي الذي حلي في العيون وحلا، ودخل الزواية التي أمر بنائها للفقراء والمساكين وجعلها على شرف همتته من أوضح الدلائل والبراهين فجاءت من أبرع الزوايا وأنفس الخبايا، وخصها الحسن بأرفع المزايا، وحبها الجمال بالمربع والصفايا: فما شئت من ترتيب فائق، ومنظر رائع رائق، ووثيقة مبان، وأوضاع حسان، وإتقان اختطاط، وبراعة استنباط..."³، ونستشف من هذا الكلام مدى الاهتمام الذي أيداه السلطان أبو عنان بهذه الزاوية وسعيه إلى تجملها وتنميقها واختيار الموقع المناسب، لا لشيء إلا دعماً لنظام التعليم والعملية التعليمية.

2-4- المدارس: المدرسة... منشأة عمرانية أسست من أجل أداء مهمة التدريس يقصدها طلاب العلم من أجل التحصيل العلمي على أيدي أساتذة أكفاء، وقد يكون أولئك الأساتذة من العلماء الأعلام، تعتمد على نظام تعليمي منظم، وتقدم خدمات مجانية للطلبة القاصدين لها وتتكفل بذلك جهات خيرية سواء كانت نظامية أو خاصة..."⁴، تدرج ضمن مؤسسات التعليم الإسلامي وتعد أهم مؤسسة بعد المسجد، لما لها من شأن عظيم بوأها مكانة مهمة في أوساط المجتمع الإسلامي، فالمدارس تشكل طورا متقدما في سياق التطورات التي مرت بها حركة التعليم في العصر الإسلامي، فهي لا تعدو إلا نتيجة طبيعية لتراكمات وجهود سابقة بذلها أصحابها مدد طويلة، ولم تتحقق إلا بعد أن توفرت الظروف المناسبة لتشكيلها وظهورها إلى الواقع⁵، لذا فإن إنشاء المدارس يعتبر أعظم إنجاز شهدته الحضارة الإسلامية وقمة العطاء الحضاري، حيث جاء هذا الأمر مصاحبا لتحول كبير في الفكر الإسلامي الذي بلغ مرحلة النضج ووصلت العلوم إلى مدى كبير من التأصيل والتقييد، فأضحى لزاما إنشاء المدارس في ظل تزايد عدد المتعلمين في المساجد التي ضاقت بهم، بحثا عن الوصول إلى تولى مناصب في الدولة. فكان النصف الثاني من القرن الخامس الهجري فاتحة عهد جديد في نظام التعليم الإسلامي، حيث تم تأسيس المدارس في بلاد المشرق الإسلامي، ذلك أنه "...مما وقر في أذهان كثير من المؤرخين قديما وحديثا أن نشأة المدارس في العالم الإسلامي كانت بعد الأربعمئة من سني الهجرة، على يد الوزير

13- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن الحسن أنس الفقير وعز الحفير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1385هـ/1965م، ص84.

2- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص418.

3- المصدر نفسه، ص418.

4- أولاد ضياف رابع، المرجع السابق، ص313.

5- مكوي محمد، المرجع السابق، ص126.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

السلجوقي نظام الملك الطوسي، وسميت بالمدارس النظامية التسع في (نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وأصبهان، وآمل طبرستان، والبصرة، والموصل، وبغداد...). وأن السلاطين والأمراء المسلمين من بعده اقتدوا به في إنشاء المدارس الحرة المجانية في أنحاء المملكة الإسلامية، وأشهرهم السلطان نور الدين زنكي (ت569هـ)، ثم صلاح الدين الأيوبي (ت589هـ)، ثم الملك المعظم مظفر الدين كوكبري صاحب إربل (ت630هـ)...¹، وتجدر الإشارة إلى وجود مدارس قبل عصر السلاجقة في بلاد المشرق²، ولكنها لم تكن بالنمط الذي بني على يد الوزير نظام الملك السلجوقي، أي كمؤسسة مهيكلت تشرف عليها الدولة، وتعين القائمين عليها وتجري المرتبات على الأساتذة والموظفين، والمنح على الطلبة، أما المدارس التي ظهرت قبل هذا العصر فكانت عبارة عن مبادرات شخصية أو جماعية من قبل أحد العلماء أو رهط من الناس على حسب منازلهم الاجتماعية، من أجل تلقين العلم لأفراد المجتمع، وتكون نفقتها من أموال الزكاة أو الهبات، أو من نفقة صاحب المدرسة نفسه. والظاهر أن جملة من الأسباب أدت إلى نشأة المدارس في العالم الإسلامي وانتشارها في مشرقه ومغربيه، حيث جزم جمهرة من الباحثين أن تأسيس المدارس كان بهدف الدعوة إلى المذاهب الدينية المختلفة، وهناك من أرجع سبب التأسيس إلى تطور العلوم والمعارف وظهور المناظرات العلمية أي كثرة الجدل والنقاش، مما يتحافى مع آداب المساجد حيث تكثر الأصوات وترتفع، مما يؤثر سلبا على المصلين في أداء الصلوات³، ناهيك عن كثرة طلبة العلم إلى حد كبير جعل المساجد تضيق بهم، فاضطر إلى البحث عن أماكن جديدة على شاكلة المساجد لتلقين العلوم المختلفة وفق منهج علمي متميز، فتنطع عقلاء الأمة وحكماؤها من العلماء والفقهاء والحكام المخلصين للتقصي والبحث عن سبل جديدة للإصلاح والوقوف في وجه الهزات الفكرية التي شهدها العالم الإسلامي⁴، ولذا كانت الأسباب الدينية في مقدمة الأسباب الداعية إلى إنشاء المدارس⁵، ولا يخلو الأمر من الأسباب السياسية التي لها أبلغ الأثر في التنظير للمذهب للمذهب الذي تتبناه السلطة والتععيد له والمنافحة عنه من خلال توفير المؤسسات التي تكون أطرا تتوافق مع

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص171.

2- ينظر حول المدارس قبل زمن السلاجقة، أولاد ضياف رابع، المرجع السابق، صص313-317، بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، صص176-185.

3- أولاد ضياف رابع، المرجع نفسه، ص317.

4- لعرج عبد العزيز، المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها، مجلة دراسات إنسانية، العدد01، السنة 1421هـ/2001م، إصدارات كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، ص114.

5- أولاد ضياف رابع، المرجع السابق، ص318.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

توجه السلطة¹، بالإضافة إلى الأسباب الثقافية التي تتجلى في رغبة الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء ورجال الدولة بنشر العلم والاهتمام بالعلماء وأهله والإنفاق عليهم، فنوا المدارس لجعلها أماكن يلتقي فيها العلماء وطلبة العلم وأهل الفكر²، ولما كانت الدولة بحاجة إلى رجال يتولون أجهزتها ويقومون بتسيير دواوينها وخططها، بنيت المدارس من أجل تحقيق هذه الغاية وضمان استمرار فعالية أجهزة الحكم والإدارة وحسن التسيير وعدم تعطل مصالح الخلق³، وعليه فقد ساهمت هذه الأسباب مجتمعة في تبلور وتشكل الأرضية المناسبة لنشأة المدارس، واستحداث هذه المؤسسات الجديدة في هياكلها واستخداماتها ووظيفتها وأهدافها، تعاون فيها العلماء والأثرياء والحكام على تأسيسها والتوسع في إنشائها، والإنفاق عليها، وغايتها التدريس وتلقين العلوم المختلفة، والاستجابة لتحديات الأوضاع المتحدة في القرن 5هـ/11م في العالم الإسلامي وتحقيق أهداف ومرامي الحركة الإصلاحية⁴. إذن كان المشرق الإسلامي السابق لإنشاء المدارس على بلاد المغرب الإسلامي، الذي تأخر في إنشائها واختصت بنشر العلوم الدينية والشرعية على المذهب المالكي، فازداد الإقبال على العلم والمعرفة وكثر طلابه واتسع نطاق تشييد المدارس والإكثار منها في مدنه وأقاليمه، وقد انتقل نظام المدارس إلى بلاد المغرب والأندلس بعد ما يقرب من القرن من بداية ظهورها بالإسكندرية في مصر (532هـ-1137م)⁵، حيث أشار ابن زرع لبناء المدارس من قبل الخليفة يعقوب المنصور الموحيدي (580هـ-595هـ) بقوله: "...وحصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد في بلاد المغرب وإفريقية والأندلس، وبنى المارستان وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم..."⁶، وبعد زوال دولة الموحدين كان الحفصيون أول من أسس المدارس حيث أسسوا ستة مدارس في في تونس وأحوازها، لعل أبرزها مدرسة باب البحر (799هـ/1390م)⁷، ثم هذا المرينيون حذوهم بحيث ارتبطت المسألة التعليمية عندهم بالمؤسسات المختصة من مساجد وكتاتيب وزوايا ومدارس⁸، فتوسعوا في بناء المدارس وارتبطت وظيفتها أساس في إشاعة العلوم النقلية والعقلية، وتكوين علماء ينافحون عن المذهب المالكي

1- المرجع نفسه، ص 318-322، لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص 114.

2- المرجع نفسه، ص 322.

3- المرجع نفسه، ص 323.

4- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص 115.

5- المرجع نفسه، ص 118.

6- الأنييس المطرب...، المصدر السابق، ص 143.

7- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص 119.

8- بوزيدي أحمد، المرجع السابق، ص 68.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

والعقيدة الأشعرية، والإجهاز على بقايا مذهب الموحدين وأفكار ابن تومرت، إلى حد جعل السلطان أبا الحسن عند دخوله إلى إفريقية وحاضرتها تونس يزيل كل بقايا الموحدين نهائياً¹، وانطلاقاً من ذلك... تعتبر الدولة المرينية بالمغرب الأقصى أكثر دويلات المغرب الإسلامي، حيوية ونشاطاً في مجال التشييد العمراني بصفة عامة، وتشييد المدار بصفة خاصة وأنفق سلاطينها وأمراؤها على عمارتها وتزينها أموالاً كثيرة، فجاءت على درجة كبيرة من الأبهة والفخامة. وقد اتخذ المرينيون من حركة بناء المدارس مظهراً لسياستهم الدينية والعلمية، وبالتالي مظهراً للتأثير السياسي والاجتماعي في رعاياهم، وذلك من حيث الرضا بهم، والقبول بمخططاتهم الهادفة إلى إعادة توحيد المغرب الإسلامي تحت رايتهم سياسياً ودينياً وإدارياً، بعد تقويض أركان الدولة الموحدية...²، فلا غرو أن المرينيين سعوا لإنجاح مشروعهم الوحدوي من خلال بناء عدد معتبر من المدارس في جميع الأقاليم التي خضعت لهم خصوصاً المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، وهذه المدارس هي:

— مدرسة الصفارين: شيدها السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المنصور (657هـ—

685هـ/1258م—1285م) قرب سوق صناعة النحاس سنة 670هـ/1271م، كما أوقف عليها أحباساً وأجرى على الطلبة المرتبات³.

— مدرسة المدينة البيضاء: بنيت في عهد السلطان أبو سعيد عثمان المريني سنة 720هـ، وقد أشار ابن أبي زرع إلى ذلك بقوله: "... وفي سنة عشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيده الله ببناء مدرسة بحضرته من فاس الجديد فبنيت أتقن بناء، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم، وأجرى عليهم المرتبات المؤونة في كل شهر، وحبس عليها الرباع والمجاشر، كل ذلك إبتغاء وجه الله ورجاء مغفرته..."⁴.

— مدرسة الصهريج ومدرسة السبعين: قام بإنشائها السلطان أبو الحسن المريني لما كان ولياً للعهد، في سنة 720هـ/1320م وزودهما بأموال وأوقاف ومساكن للطلبة⁵.

1- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص 119.

2- المرجع نفسه، ص 120-121.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر...، ج 7، المصدر السابق، ص 210، الجزنائي، المصدر السابق، ص 74-75.

4- الأنيس المطرب...، المصدر السابق، ص 411-412.

5- المصدر نفسه، ص 412، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 405.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

—مدرسة العطارين: أمر بنائها السلطان أبو سعيد عثمان في مستهل شعبان سنة 723هـ، بإزاء جامع القرويين، وأوقف عليها وأجرى لها عين ماء، ورتب فيها الفقهاء للتدريس، وأسكن الطلبة، ووظف إماما ومؤذنين وقومة يشرفون على تسييرها، وأجرى المرتبات والمؤن على الجميع¹.

—مدرسة الوادي: أسسها السلطان أبو الحسن المريني سنة 725هـ وتسمى المدرسة الكبرى "وهي التي يشق في وسطها الوادي الأعظم بالعدوة..."².

—المدرسة المصباحية: نسبة إلى الإمام مصباح بن عبد الله الباصلوتي (ت755هـ) لأنه ولي التدريس فيها، أسست في عهد السلطان أبو الحسن المريني وتقع في جوفي جامع القرويين³، وقد جلب السلطان أبو الحسن لهذه المدرسة من الأندلس بيلة من الرخام الأبيض، وزنها مائة وثلاثة وأربعون قنطارا⁴.

—مدرسة العباد: قرر السلطان أبو الحسن المريني إنشاء مدرسة بقرية العباد عند ضريح الشيخ أبي مدين شعيب (ت590هـ) إضافة على المسجد، سنة 747هـ/1347م لتكون أول مركز علمي وثقافي، يساهم في دفع الحركة الفكرية بتلمسان إلى جانب المدارس العلمية المعروفة آنذاك. ويبدو أن المدرسة الجديدة غلب عليها اسم العباد، وعرفت كذلك بمدرسة سيدي أبي مدين⁵، وقد أشار ابن مرزوق إلى هذه المدرسة في سياق حديثه عن المدارس التي شيدها السلطان أبو الحسن المريني بقوله: "...وبالعباد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع الذي قدمت ذكره..."⁶، وأبانت مدرسة العباد عن عظمة الفن المعماري المريني وضخامة المنشآت التي شيدها السلطان أبو الحسن في قرية العباد⁷.

—المدرسة العنانية (المتوكلية): أسسها السلطان أبو عنان فارس المريني ابتداء من سنة 750هـ بفاس⁸، وانتدب الفقيه محمد المقرئ الجدل للتدريس فيها، وتجسد هذه المدرسة قمة الفن المعماري المريني، إذ "...أن الآثار المعمارية المرينية السابقة، كانت لا تزال تحت تأثير الفن الموحد، الذي يمتاز بالبساطة، والبعد عن كثرة

1- المصدر نفسه، ص412-413.

2- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص406.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص324.

3- بن قربة صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ط1، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007، ص170.

6- المصدر السابق، ص406.

7- لمزيد من التفصيل عن مدرسة العباد من حيث التصميم العام وسكنى الطلبة، ينظر: بن قربة صالح وآخرون، المرجع السابق، ص176.

8- المقرئ، أزهار الرياض...، المصدر السابق، ج1، ص05.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الزخارف، مسابرة لمبادئهم الدينية فبناء هذه المدرسة يؤكد أن المرينيين أدخلوا على الفن الموحد الترميق والتزييق، وصاروا يهتمون بالنقش على الجص، والخشب، ولا يتركون موضعاً في الحيطان أو السقوف والأبواب، دون أن ينقشوه، وبالغوا في ترصيع الأرض، وأسافل الجدران بالزليج الرقيق المختلف الألوان، واستخدموا الرخام بجميع ألوانه، وهذه المميزات أضافت على منشآتهم البهاء المزوج بالرقعة والعدوية...¹، واستغرق بناء هذه المدرسة سبع سنين.

— مدرسة سيدي الحلوي: تعد مدرسة سيدي الحلوي ثاني مدرسة مرينية تؤسس في تلمسان، بناها السلطان أبو عنان فارس، الذي حذا حذو أبيه في هذا المجال سنة 754هـ/1353م². تم تأسيس هذه المدرسة بمحاذاة ضريح الولي الصالح المتصوف أبي عبد الله الشوذلي الإشبيلي المعروف بسيدي الحلوي³ — وقد كان اختيار موقع المدرسة ينم عن بعد نظر كبير في إستراتيجية المرينيين بعد ضمهم لتلمسان، حيث اختير مكان منحدر عبارة عن حي سكني تشرف عليه أسوار تلمسان الشمالية الشرقية التي يتوسطها باب الزاوية⁴.

— المدرسة الجديدة بسبتة: هي المدرسة التي بناها السلطان أبو الحسن، وسميت بالمدرسة الجديدة تمييزاً لها عن المدرسة القديمة أو ما يعرف بالمدرسة الشارية نسبة إلى الفقيه الذي بناها وهو أبو الحسن علي الغافقي الشاري⁵، وتعد هذه المدرسة من أعظم المدارس المرينية بمدينة سبتة⁶، حيث أجمعت المصادر العربية على أن السلطان المريني قد احتفل في بناء هذه المنشأة العلمية غاية الاحتفال⁷، فقد أبرز لنا محمد الأنصاري السبتي رونق رونق هذه المدرسة التي كانت تضم خزانين للكتب⁸، حيث يقول: "...المدرسة الجديدة، العظيمة البناء، المتسعة البناء، المتسعة الزوايا، ذات الصنائع العجيبة، وأعمدة الرخام وألواحها المتعددة الغالية الثمن التي ابتناها السلطان أبو الحسن، مخلص الآثار الدالة على شماعة الملك، وعلو المقدار..."⁹، أما ميضأها فكانت "...تحتوي

1- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص325.

2- بن قرية صالح وآخرون، المرجع السابق، ص177.

3- ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص279، ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ج1، ص127-128.

بن قرية صالح . Paris. 1903. pp. 223-224. **les monuments arabes de Tlemcen**. 5-Marçai-G, et W,

وآخرون، المرجع السابق، ص177.

5- الشريف محمد، المرجع السابق، ص194.

6- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص388.

7- الشريف محمد، المرجع السابق، ص196.

8- إختصار الأخبار عما كان في سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ص30.

9- المصدر نفسه، ص30.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

على بيوت ثمانية ومطهرة كبيرة، وفي كل منها نقير من الرخام يصب فيها ميزاب من النحاس، فرش الجميع ألواح منجورة من الصخر، وبوسطها صهريج مفروش بالزليجالملون، وقتبها مونقة ومن بعضها صنائعها نور البابونج يخاله الناظر إليه خلقة من أحكام الصناعة، ويجلب الماء إلى ذلك كله بالدواليب...¹، واعتبرها المقري أنها من أجل المدارس وأعظمها².

من خلال ماسبق يتبين لنا الجهود التي بذلها المرينيون في إنشاء عدد معتبر من المدارس، وفق نمط معماري متميز، بحيث يتكون المخطط العام من بناء مربع أو مستطيل³، يتمركز في الصحن ويشكل القسم الأكبر⁴، على الأكبر⁴، على أية حال احتوت المدارس على مرافق متنوعة جسدت مجتمعة نظام "...بنائها الخاص وكان هذا النظام مستمدا أصلا من نظام المسجد الجامع الذي تطورت عمارته وتخطيطه تطورا منطقيا بحكم الضرورة، فما المدرسة إلا مسجد جامع، أقيمت فيه بيوت لسكن فريق مختار من الأساتذة والطلاب، ورتب لهم أجر معلوم، وتوفرت لهم سبل البحث والدراسة..."⁵، كما وفروا لهذه المدارس العلماء المدرسين وفتحوها وفتحوها لطلبة العلم، وأوقفوا عليها الأوقاف، وانتدبوا لها موظفين يقومون بالإشراف على تسييرها، ووفروا لهم المرتبات والمؤن لضمان استمرار أداء المدارس لرسالتها الحضارية، وعليه شهد المغرب الإسلامي في العصر المريني حركة واسعة في بناء المدارس، أثبتت عن رغبة جامحة للمرينيين في تزعم المغرب الإسلامي سياسيا وعلميا، وقد بين ابن مرزوق ذلك بقوله: "...ثم أنشأ رضي الله عنه (أبو الحسن) في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة، فأنشأ بمدينة تازي قديما مدرستها الحسنة، وبيلد مكناسة وسلا وطنجة وستة وأنفى وأزمور وأسفي وأغمات ومراكش والقصر الكبير وبالعباد ظاهر تلمسان وحذا الجامع الذي قدمت ذكره، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان..."⁶، ثم يضيف كلاما حول الفن المعماري المعماري المريني ونفقات المدارس، إذ "...كلها قد اشتمل على المباني العجيبة والصنائع الغريبة والمصانع العديدة والاحتفال في البناء والنقش والجص والفرش على اختلاف أنواعه من الزليجي البديع والرخام

1- المصدر نفسه، ص41.

2- المصدر السابق، ج1، ص46.

3- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص157.

4- الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص17.

7- حمودي خالد خليل، نشأة المدارس في العصر الإسلامي، آفاق عربية، عدد01، سنة1978، ص144، ولمزيد التفصيل حول مرافق المدرسة، ينظر:

قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص157-158.

6- المصدر السابق، ص406.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

انجزع والخشب المحكم النقش والمياه النهرية. مع ما ينضم إلى ذلك من الأحباس التي تقام بها ويحفظ بها الوضع، مما يصلح به ويبنى ويجرى في المرتبات على الطلبة والعونة والقيم والبواب والمؤذن والإمام والناظر والشهود والخدام ويوفر من ذلك. وهذا يرشدك إلى قدر ما يحتاج إليه في كل مدرسة من هذه المدارس...¹، وعليه نخلص إلى أن المؤسسات التعليمية في عصر الدراسة ساهمت بشكل فعال في ازدهار الحركة العلمية والتعليمية في هذا العصر، وفق المراحل التي عرفها نظام التعليم، ولكن الحدث البارز هو إنشاء المدارس كمؤسسة جديدة عجلت في القضاء على المذهب الموحد، وأعدت المكانة السابقة لعلماء المالكية، وساعدت في تكوين أطر وموظفين يوافقون توجه الدولة العقدي والمذهبي، وكذلك كانت ركيزة أساسية في تطور نظام التعليم في العصر المريني. لذا سنحاول معرفة ورصد أهم الموافقات التي أبداه العلماء اتجاه هذه المؤسسات؟.

2-5- موقف العلماء من المؤسسات التعليمية: إن مواقف العلماء في عصر الدراسة تباينت واختلفت حول المؤسسات التعليمية، خاصة المؤسسات المستحدثة كالزوايا والمدارس، لهذا فإن العلماء انطلقوا في مواقفهم من الرسالة التي اضطلعوا بتأديتها في المجتمع الإسلامي، بتعليمه علوم الدين وعلوم الحياة التي تساعد على تواصل الحياة البشرية، لذلك كان جمهور العلماء يسعى إلى تبليغ ما استودعه الله من العلم إلى شرائح المجتمع، في أي مكان كان، غير المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس، ولكن هذه المؤسسات تكتسي خصوصية بالغة الأثر في صقل شخصية الفرد المسلم، إذ تجعله ينضبط بأخلاق وسلوك مهذب ويداوم على التعلم والدراسة، ويتحلى بسمت خاص في مجالسة العلماء وأهل الفضل، فلا غرو أن هؤلاء العلماء بحثوا دائما على مجال وفضاء فكري يساعدهم على إيصال العلم إلى المسلمين بكل حرية وسلاسة واستمرارية، وكانت هذه المؤسسات المذكورة آنفا هي الأرضية التي ارتكزوا عليها في توجيههم هذا، حيث تشكل المساجد أعظم المؤسسات التعليمية على الإطلاق، فهي ملتقى العلماء ومستودع العلوم ومنطلق النبوغ، وسر عظمة الإسلام ومستقر الحياة الإسلامية، فكان المسجد محل إقبال من طرف العلماء للتدريس به وتولي إمامة الصلوات والخطابة والنظر في قضايا الناس وإصدار الفتاوى حولها²، حيث كان قبول العلماء بمهمة التدريس والتعليم في المساجد والجوامع العامة أو السلطانية علامة على موقفهم اتجاهها، نظرا لأن "...التدريس داخل المساجد العظام أو المساجد السلطانية يبرز المكانة العلمية للأساتذة، وأهميتهم في مجال التدريس، ويتدعم الارتباط بين السلطة والمدرسين

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- ينظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

عند الحديث عن الفقهاء، الذين تولوا بعض الخطط الدينية أو السلطانية، خاصة بعض الوظائف التي تسمح بالجمع بين العملين كالإمامة أو الخطابة أو الإفتاء أو القضاء، وبالانتقال من التدريس إلى أحد خطط الدولة الأخرى...¹، لذا نجزم في سياق حديثنا عن موقف العلماء من المساجد بنوعيتها، بل أن العلماء الذين رصدناهم عند تطرقنا لمشاركتهم في وظائف الدولة الدينية، أن مهمة التدريس كانت مندرجة ضمن هذه الوظائف، فلا ترى من الضروري أن نرصد العلماء الذين درسوا في المساجد تفاديا للتكرار، وعليه فإن موقف العلماء من المساجد يعبر عن رغبة واضحة في استمرار هذه المؤسسة كمركز إشعاع حضاري يمس جميع شرائح المجتمع، ويواصل رسالته الحضارية، بالرغم من تدخل السلطة في تسييره والإشراف عليه كليا.

وفي نفس السياق تدرج الكتابات ضمن مؤسسة المسجد، ولكنها مع مرور الوقت أصبحت مؤسسة لها نظامها وهيكلها، بالرغم من بساطتها، لكن الدور الذي اضطلعت به باعتبارها ركيزة نظام التعليم الإسلامي، إذ ليست مجرد عملية تعليمية لمجموعة من المهارات فقط، بل تعتبر لبنة جوهرية في إعداد شخصية سوية وفق المعايير التي تحكم المجتمع²، لذا يعتبر موقف العلماء من الكتابات حاسما وجوهريا، ذلك لأهمية المرحلة الأولى من التعليم، فعدوا التدريس بها من أجل الحرف، وبالغوا في الاهتمام بها من حيث التنظير والممارسة³، وقد أشارنا عند حديثنا عن منهج التعليم في الكتابات لموقف الأبلي، الذي اعتبر أن المنهج المتبع يخدم توجه السلطة في نشر اللغة العربية ولا ينبغي تغييره للأسباب السياسية واجتماعية تعارف عليها الناس، ولكن العلماء سعوا إلى وضع شروط ينبغي أن تتوفر في معلم الكتاب وأكدوا عليها، كمعرفته بالقرآن الكريم، وحسن التدين، وإتقان اللغة العربية والتضلع في الفقه، بالإضافة إلى كبر السن والزواج، ومعرفة طرائق التربية النفسية للأطفال، والتحلي بالوقار والإخلاص في أداء مهمته⁴؛ ولعل أبرز مثال لموقف العلماء من الكتابات هو الموقف الذي أورده عبد الرحمان ابن خلدون الذي يعد أحد علماء عصر الدراسة، حيث اعتبر أن تعليم الصبيان في الكتابات أمر من الأهمية بمكان وذلك بقوله: "... اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات..."⁵، لذا فلا نستغرب إذا

1- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 264-265.

2- المرجع نفسه، ص 259.

3- المرجع نفسه، ص 260.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 166-167.

5- المصدر السابق، ص 529.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

أفرد فصلا آخر في مقدمته يتمحور حول الضرر الذي ينجم عن الشدة من قبل المعلمين على الصبيان، حيث بين فيه خطورة هذا الأمر على نفسية الصبي والآثار المترتبة على ذلك¹، وعليه فإن موقف العلماء من الكتابات كان إيجابيا في معظمه لإدراكهم أهمية هذه المؤسسة في تكوين الفرد المسلم وصقل شخصيته، فلا غرو أن كثير منهم تصدر للتدريس في الكتابات أو وضع شروطا لمن يدرس بها هذا ناهيك عن تجوزيهم لأخذ المدرس الأجرة من الصبيان.

أما الزوايا فتشكل نوعا جديدا من المؤسسات التعليمية التي شهدها العصر المريني، ساهمت في تخفيف الضغط عن المساجد، والظاهر أن انتشارها جاء مصاحبا لشيوع التصوف وانتشاره بشكل واسع في هذا العصر، فكانت أفضل الأماكن لالتقاء المتصوفة والزهاد والعارفين بالله، حيث رأى كثير من العلماء ضرورة الاختلاف إلى هذه الزوايا لاستكمال شخصيتهم، ذلك أنهم يرون أن العلم النظري ينبغي أن يتوج بالعمل، وأن يجمعه العالم إلى علمه جانب جهاد النفس، بالخلوة والتضرع إلى الله وكثرة الذكر². وحرى بنا أن نشير إلى الخدمات التي تؤديها الزوايا وتمثل في الخدمات الاجتماعية، والدينية، والثقافية كالوعظ، والإقراء، والتحديث، والسماع، والإفتاء، ومنح الإجازات العلمية، وتصنيف الكتب³، من هذا المنطلق وجد كثير من العلماء بغيته وراحته في الزوايا، وبمجالات حيوية لخلوته وتدرسه وتصنيفه للكتب، على أية حال كان موقف العلماء إيجابيا لأنهم وجدوا البديل فيها عن المساجد التي غصت بالمتعلمين والمصلين، حيث احتوت الزوايا على قاعات للصلاة والذكر سهلت لهم القيام بواجباتهم ومهامهم على أكمل وجه، وساهمت كذلك بإيصال علومهم إلى طلبة آخرين ربما تعذر عليهم الوصول إلى كثير من العلماء نظرا لكثرة طلبته، فكانت ميدانا جديدا للإبداع والنبوغ والتفوق، وفي هذا العصر يلاحظ تعايش جل العلماء مع المتصوفة⁴، نظر لطبيعة التصوف الذي انتشر في هذه الفترة وهو التصوف النخبوي⁵، وكذلك لأن المادة العلمية والأدوار التي كانت تعطى داخل الزوايا لم يكن فيها ما يشكل انحرافا واضحا عن الدين، لذا اختلفت فتاوي العلماء في تقدير هذه الطرق، وفي شرعيتها بين الحل والحرمة⁶.

1- المصدر نفسه، ص531-532.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص215.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص183.

5- عبید بوداود، ظاهرة التصوف...، المرجع السابق، ص31-55.

6- المرجع نفسه، ص241-247، قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص183.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

إن الحديث عن موقف العلماء من المدارس يكتسي خصوصية، تتمحور أساسا حول طبيعة هذه المؤسسة وتوجهاتها الفكرية والسياسية، حيث اضطلعت الدولة المرينية ببناء المدارس بشكل واسع ومكثف، لم تقم به حتى الدولة الموحدية ذات التوجه المذهبي المخالف لمذهب مالك بن أنس رحمه الله. والحق أن المدارس التي أسست زمن السلاجقة أتت أكلها، حيث انحصر المذهب الشيعي نهائيا وعاد المذهب السني إلى مكان الصدر في العالم الإسلامي، وهذا عائد إلى نجاح مؤسسها في ضم أسماء لامعة في الفكر الإسلامي على المذاهب الأربعة، من ذلك الشيوع الكبير الذي عرفته واستطرد بنائها في مشرق العالم الإسلامي ومغربيه، إذن كانت المدارس تنبئ عن توجه جديد وتغير ملحوظ في واقع العالم الإسلامي، وتطور في نظام التعليم، ذلك "... أن من العوالم الرئيسة لنجاحها هو تبني وقبول جمهور العلماء لها، بحيث أنها كانت وبأغلبية ساحقة مجالا لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، أو العلوم الدينية بشكل عام، حيث تكون هذه المادة ضمن المقرر الدراسي، هذا بالإضافة إلى أهميتها في الحفاظ على الدين ونشر العلم، وتحقيقا لتفرغ لطالب العلم ومساعدة من عجز عن الطلب..."¹، ونفذ من هذا الرأي إلى القول أن المدارس في العصر المريني، اضطلعت بدور ريادي في كثير من الوظائف كالتعليم الذي يعد وظيفة محورية، وأيضا الوظائف الدينية والاجتماعية، ساهمت كلها في استمرار تأدية رسالتها الحضارية، وتلقين الأجيال مختلف العلوم الشرعية والعقلية، والحفاظ على بقاء المذهب المالكي وترسيخ جذوره². وانطلاقا من ذلك لا نستغرب موقف العلماء المدعّم والمؤيد لهذه المؤسسة الجديدة، فقد اعتبروها مجالا جديدا لإبداعاتهم ومكسبا لتخريج أكبر عدد من طلبة العلم، ومقرا لإثراء النقاش وبسط القضايا والمسائل المختلفة في العقيدة والفقه وأمور الحياة العملية، ولعل أبرز مثال لذلك هو الفقيه الخطيب محمد ابن مرزوق الذي يشكل نموذجا فعليا لموقف علماء هذا العصر، فهو من اشد المدافعين عن المدارس المرينية بشكل خاص والمدارس ببلاد المغرب الإسلامي بشكل عام، حيث تطرق في كتابه المسند إلى جهود السلطان أبي الحسن في بناء المدارس بعدد من الحواضر دون إغفال السلاطين السابقين ودورهم في نشر العلم بتشبيد المدارس³، وكان دأب سلاطين بني مرين عند تأسيس أي مدرسة جديدة يتدبون لها أحد كبار العلماء للتدريس بها، فأيدوا بذلك هذه المؤسسة بالرغم من تحكم السلطة فيها. لكن هناك استثناءات في هذا الموقف المؤيد، إذ نجد اثنين من كبار علماء عصر الدراسة هما: أبو عبد الله الآبلي وأبو عبد الله المقرئ الجد، لهما موقف رافض لهذه المؤسسة على غرار المواقف

1- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 350-351.

2- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص 168.

3- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص 405-407.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الرافضة في المشرق¹، فالأول يرتكز في موقفه على خبرته الطويلة في التدريس والتعليم، أما الثاني فهو يؤيد موقفه باعتباره أحد طلبته النابغين المبرزين الذين تأثروا بمنهجه ورأيه، حيث يروي عنه ذلك بقوله: "...سمعت شيخنا الآبلي يقول: إنما أفسد العلم كثرة التأليف، وإنما أذهب ببيان المدارس، وكان ينتصب له من المؤلفين والباينين، وإنه لكما قال، بيد أن في شرح ذلك طولاً..."²، وبعد أن بسط المقرري القول في علة فساد العلم بكثرة التأليف، أرفده بتفسير ذهاب العلم بتشبيد المدارس³، حيث قال: "...وأما البناء فلأنه يجلب الطلبة إلى ما يرتب فيه من الجرايات، فيقبل بها على من يعينه أهل الرياسة للإجراء والإقراء منهم، أو ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمهم، ويصرفونها عن أهل الحقيقة، الذين لا يدعون إلى ذلك، وإن دعوا لم يجيبوا، وإن أجابوا لم يوفر لهم بما يطلبون من غيرهم..."⁴، لقد أثار المقرري قضية شائكة تتمثل في الدافع المؤدي لبناء المدارس وما انجر عنه من إفساد للعلم وذهاب رسمه، ومتن النص يتمحور حول علاقة السلطة بالمدارس، أو علاقة السلطة بالعلم عموماً⁵، إن رأي المقرري باعتباره من كبار العلماء في عصر الدراسة كان موقفه مطابقاً لرأي شيخه وأستاذه الآبلي، الذي أكد على استحواذ السلطة على المدارس واضطلاعها ببنائها وترتيب القائمين عليها وتعيين المدرسين بها، وتصرف فيها كما تشاء، بما يوافق توجهها السياسي والمذهبي، أي تكوين جيل تبع يجسد هذا المعطى، وزاد الأمر سوءاً إعطاء الرواتب للمدرسين والمنح للطلبة⁶، لذا عد الرضا بهذا الأمر والانضواء تحت هذا المعطى قبول لتوجههم والتزول على حكمهم، وأن الذين لهم همة عالية وعزم على بلوغ السمو والنبوغ في العلم لا يدعون إليها، وكان ظهور هذه الآفة حسب رأيه أن العلماء المبرزين الذين بلغوا شأواً كبيراً، قد أعرضوا عن القبول بحكمهم⁷، وكان شاكلتهم كثير ممن تصدر للتدريس بهذه المدارس، لم ينقادوا لما تمليه عليهم السلطة، ولكن الأكيد في الأمر أن إنفاق السلطة على الأساتذة والطلبة هو السبب الأكيد في تحكمها فيهم، وهذا النص يبرز لنا حالة المدارس وما آلت إليه وضعيتها التعليمية، ومدى هيمنة السلطة عليها، وخطورة

1- ابن الأزرق، المصدر السابق، ج2، ص346.

2- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص479، التنبكي، المصدر السابق، ص414.

3- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص168.

4- التنبكي، المصدر السابق، ص414، الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص479.

5- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص169.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- المرجع نفسه.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

ذلك على العلم في حد ذاته¹. ويمكن مناقشة رأي كل من الآبلي والمقري من المعطى الإيجابي والمعطى السلبي كما يلي:

—**المعطى الإيجابي:** لا يرفض كل من الآبلي والمقري المدرسة في حد ذاتها، وإنما يرفضان المنطلقات السياسية التي من أجلها شيدت هذه المدارس، بحيث أيقنا أن السلطة المشيدة للمدارس تخول نفسها حق تسييرها وتوجيهها، في حين يريان أن طالب العلم متره عن أهواء ذوي السلطان ما عدا سلطان العقل. إن غاية المدرسة لا تليي الحاجات الآنية للسلطة بل أن تؤثر في المجتمع قصد البناء الحضاري²؛ لذا رغبا في تحرير التعليم من المراقبة التعسفية وعدم خضوعه إلى التنميط الناتج عن الغايات المفروضة من قبل السلطة³، فلا نستغرب موقف هذين العالمين الكبيرين إذا علمنا أن السلاطين فرضوا رقابة صارمة على المدارس بحكم أنها من صنيعتهم حيث شيدوها وحبسوا عليها الأحباس الكثيرة ورتبوا الجرايات للمدرسين والطلبة، وجعلوها تحت نظرهم مباشرة واختاروا كبار العلماء للتدريس بها⁴. كما كانوا يتصرفون حتى في عزل عالم وتقديم آخر بدلا عنه، وأضحى الدخول إلى المدرسة ممن لا يستحق أن يدخلها من ذوي العلم والمعرفة أو مجاهدة النفس في تحصيل العلوم، بل لمن يكون الرضا عنهم من مسؤولي المدارس والقائمين على التوظيف فيها، ومع مرور الزمن تولى مقاليد التدريس بها من لا باع له في الإلقاء⁵، وهذا ما ذكره التنبكي على لسان المقري بقوله: "...لقد صدق في ذلك وبر، فلقد أدى ذلك لذهاب العلم بهذه المدن المغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان، كفاس وغيرها، حتى صار يتعاطى الإقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة أصلا، فضلا عن غيرها، بل من لم يفتح كتابا للقراءة قط، فصار ذلك ضحكة، وسبب ذلك أنها صارت بالتوارث والرئاسات، أعادنا الله، حتى خلت هذه الساعة عمن يعتمد عليه في علمه، مصداق قوله ماورد في ذلك⁶..."، وهذه النتيجة هي التي حذر من الوصول إليها علماء ما وراء النهر، عندما بلغهم بناء المدارس ببغداد⁷، فقد "أقاموا مآتم العلم، وقالوا: كان يشتغل

1- المرجع نفسه.

2- مكوي محمد، المرجع السابق، ص201.

3- نقادي سيدي محمد، المرجع السابق، ص239.

4- تم تعيين ابن البناء المراكشي للتدريس في مدرسة العطارين، والفقهاء إبراهيم بن عبد الرحمان التسولي مدرس في مدرسة الصهريج، والفقهاء أبو العباس أحمد بن قاسم الجذامي المعروف بالقباب.

5- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص171.

6- المصدر السابق، ص414.

7- قريان عبد الخليل، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

يشغل به أرباب الهمم العلية، والأنفس الزكية، الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به، فيأتون علماء ينتفع بهم ويعلمهم، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخصاء، وأرباب الكسل، فيكون سببا لارتفاعه...¹.

- المعطى السلبي: يبدو أن كلا من الأبلي والمقري الجد قد بالغا كثيرا في موقفهما المتحفظ من المدارس، ولا يمكن قبوله دون تبيان الأسباب التي دعت كلا العالمين لإبداء هذا الرأي، خصوصا إذا علمنا أنهما درسا في مدارس تلمسان التي شيدها سلاطين بني زيان، حيث تتلمذا على كبار العلماء التلمسانيين فالآبلي قرأ على ابني الإمام، والمقري قرأ عليهما كذلك وأيضا على أبي موسى عمران المشدالي، وغدا كل منهما عالما يشار له بالبنان² فالأول بلغ مرتبة "شيخ العلوم العقلية"³، والثاني "برز في العلوم إلى حيث لم تلحق غايته"⁴، لهذا لم تكن المدارس المدارس محجورة في يد السلطة، تتحكم في تسييرها كما تشاء، ولم يكن كل ما تأمر به ذهاب رسم العلم، فقد كان للعلماء الكبار دور رئيسي في توظيف المدارس لما أقيمت له من بث العلم وإشاعته⁵. والظاهر أن علاقة الأبلي والمقري بالسلطين المرينيين والزيانيين، وتذبذبا بين الود والوحشة، وتعرض كليهما للمحن والتضييق من قبلهم قد ساهم بالفعل في تبلور رأيهما، بحيث أن سطوة السلطين التي سلطت على الاثنين، وأذقتهم بعض ما يخدش كرامتهما كعلماء، كانت دافع قوي لتبني هذا الموقف، فلا غرو أنهما رفضا حتى الرواتب التي تصرف على العلماء والطلبة، ولكن في الحقيقة كانت دافعا قويا لاستكمال الدراسة والانشغال بها دون سواها من مشاغل الدنيا والتفرغ للعلم فقط⁶. ونافلة القول أن موقف هذين العالمين الفقيهين الجليلين له نوع من الصواب الصواب إلى حد ما بحكم أنه تلمس جوهر المسألة التعليمية وتفاعلات العصر، وأنبأ عن استشراف لكثير من التغيرات التي طرأت على وضع التعليم في العصور الموالية، إلا أنه لا يشكل ظاهرة معاكسة ومناقضة لتوسيع دائرة العلم واستمراريته، وإلا الهدام العلم كما قال وما بقي في المغرب مدرسة تدرسه، وهو ما فندته التطورات اللاحقة، وما أبطلته النصوص التاريخية التي أكدت قيام المدارس بوظيفتها التعليمية طوال القرون التالية⁷. ولذا كان للمدارس أبلغ الأثر في انتشار العلوم والمعارف، وهي محور العملية التعليمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي

5- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، وكالة المعارف، 1360/1941م، ص22.

6- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص172.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، التعريف...، المصدر السابق، ص21.

4- المصدر نفسه، ص60.

5- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص172.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- المرجع نفسه، ص175-176.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

وغير الإسلامي، بل يمكننا الجزم بأنه لولا وجود المدارس لما استطاع العالم أن يصل إلى مستويات متميزة في إدرار العلوم وتنوعها وتوسعها واكتساحها تفاصيل الحياة¹.

وفي ختام هذا المبحث نخلص إلى القول أن المؤسسات التعليمية كانت أهم الركائز التي أصلت لعلاقة العلماء بالسلطة المرينية، من خلال الجهاز التعليمي حيث كان المجال الأكثر احتكاك بينهم وبين السلطة، وجعلتهم يتفاعلون بشكل كبير مع التطورات التي شهدتها هذا القطاع الحساس، لذا بذلوا قصارى جهدهم في سبيل الرقي به والإصلاح من شأنهم، وتكوين جيل من طلبة العلم يواصلون ما بدأوه، في إشاعة العلم والمعرفة ومنح الإجازات العلمية وتأليف الكتب، والمحافظ على مراحل التعليم الثلاثة وعلى مقرراته التعليمية، وإقرار مبدأ التدرج في تحصيل العلوم النقلية والعقلية، من ضمان الوصول إلى مجتمع يجيد جميع أفراده القراءة والكتابة والتفوق في فنون العلم المختلفة.

3- أثر العلماء في ازدهار حركة التأليف العلمي: تشكل حركة التأليف العلمي محصلة طبيعية لمدى الازدهار

الفكري والثقافي الذي يعرفه مجتمع من المجتمعات في عصر من العصور، وكذلك هي صورة حقيقية تعكس مساهمات العلماء في مختلف العلوم والفنون والآداب، بحيث تشكل هذه التأليف ينبوع الأول لمعرفة الثقافة الإسلامية في مختلف ميادينها، وهي المرآة التي تعكس صورة الحضارة العربية الإسلامية بأجل مظاهرها، فلا يمكن معرفة هذه الثقافة حق المعرفة، ولا إبراز الصورة الواضحة لتلك الحضارة إذا لم نرجع إلى هذا التأليف الهائل²، لذا يجسد التأليف المستوى العلمي الذي بلغه المجتمع، ورصد حقيقي ودقيق لعلوم العصر بكل ما تحتويه من كثرة أو قلة، وتطور أو تدهور، وضعف وقوة، وتقليد أو اجتهاد³، لهذا فإن إحصاء التصانيف العلمية التي صنفاها العلماء يعد من الأهمية بمكان وإمارة اللثام عن طبيعة هذه المؤلفات، ودوافع تأليفها، والغرض من تأليفها، ومدى مساهمتها لتطورات العصر الذي ألفت فيه .

3-1- تعريف التأليف ومقاصده: إن كلمة تأليف مرادفة لكلمة تصنيف، وهي مكملة لمعانيها وإن بدت ذات

معنى معارض في الظاهر لها، ذلك أن كلمة تصنيف تعني التمييز والفصل بين الأمور المختلفة، بينما كلمة تأليف تعني الجمع بين عناصر الشيء الواحد المفترق⁴، قال ابن منظور: "...ألفت بينهم تأليفا إذا جمعت بينهم بعد

1- المرجع نفسه، ص 176.

1- النعسان محمد هشام، خصوصيات تحقيق مخطوطات العلوم الكونية، أعمال الملتقى المغربي الثالث للمخطوطات العلمية، ط1، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر، 2007، ص 20.

3- قريان عبد الحليل، المرجع السابق، ص 293.

4- العلمي محمد، الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، ط1، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع، 1433هـ/2012م، ص 19.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

تفرق، وألفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب، وألفت الشيء أي وصلته...¹، ثم يضيف أيضا بقوله: "...وألفه جمع بعضه إلى بعض، وتألف تنظم...²". وبذلك يتبين التكامل والترابط بين كلمتي التأليف والتصنيف في معناهما اللغوي، لأن كلا منهما يتضمن شطر من الاشتغال العلمي المكتوب المنظم المتضمن إثبات العلاقة بين الأمور أو نفيها، بحيث أن النفي مشدود إلى معنى التمييز من مادة "صنف"، في حين ينشد إثبات العلاقة بين الأمور إلى معنى إيقاع الألفة من مادة "ألف"³. وقد ذكر أبو هلال العسكري الفرق بين التأليف والتصنيف بقوله: "الفرق بين التأليف والتصنيف أن التأليف أعم من التصنيف، ذلك أن التصنيف تأليف صنف من العلم، ولا يقال للكتاب إذا تضمن نقض شيء من الكلام مصنف لأنه جمع الشيء وضده، والقول ونقيضه، والتأليف يجمع ذلك كله"⁴، ونفذ من هذا الكلام إل سبب استعمال العلماء لكلمتي التأليف والتصنيف دون سواهما، فهما الأصلح للتعبير الأكيد عن التدوين العلمي المنظم للمعرفة، لهذا اشترطوا في التصنيف أن يكون جامعا مانعا لموضوعه، بينما لا تحتوي المرادفات اللغوية الأخرى مثل: -قيد-دون-كتب- معنى الجمع ولا معنى المنع في اللسان، لذلك لا تستعمل عوضا عن التأليف والتصنيف، لأنها وإن اشتملت على معنى الجمع، فإنها لا تعبر عن وصل الصلات العلمية بنفي أو إثبات⁵، بهذا يمكن الوصول إلى تعريف للتأليف بأنه هو "جمع لفظ إلى لفظ ومعنى إلى معنى فيه، حتى يكون كالجملية الكافية فيما يحتاج إليه..."⁶، ومع ذلك فقد درج المصنفون على عدم التشاح في المرادفة بينهما في الاستعمال أي التأليف والتصنيف⁷، من ذلك ما قاله حاجي خليفة: "...التأليف إيقاع الألفة بين الكلام مع التمييز بين الأنواع، والتصنيف أعم منه، إذ هو جعل الشيء أصنافا متميزة، هذا بحسب الأصل، وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر..."⁸، وهذا ما تواتر في التراث العلمي الإسلامي، حيث جرى استخدام كلا المصطلحين، والتسامح في إطلاق أحدهما على الآخر، فيقال: صنف أو ألف على قدم واحدة من التواطؤ المعنوي، وتجري كتب التراجم والفهارس على التعبير

1- لسان العرب، المصدر السابق، ج9، ص10.

2- المصدر نفسه، ص11.

3- العلمي محمد، المرجع السابق، ص19.

4- الفروق في اللغة، ص138، نقلا عن العلمي محمد، المرجع السابق، ص19.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- العسكري أبو هلال، المصدر السابق، ص138.

7- العلمي محمد، المرجع نفسه، ص20.

8- المصدر السابق، ج1، ص35.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

باللفظين والمصطلحين لإفادة معنى واحد¹. وعلى ضوء ذلك تم تحديد مجموعة من المقاصد التي ينبغي توفرها في التأليف حتى يصبح مقبولا وهي:

-استنباط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتتبع مسائله، أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق ويحرص على إيصاله بغيره، لتعم المنفعة به فيودع ذلك بالكتاب في المصحف، لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة².

-الوقوف على كلام الأولين وتأليفهم فيجدها مستغلقه على الأفهام ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممن عساه يستغلق عليه، لتصل الفائدة لمستحقها.

-أن يعثر التأخر على غلط أو خطئ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده، إذ قد تعذر محوه ونزعه بانتشار التأليف في الآفاق والأعصار، وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه، فيودع ذلك الكتاب ليوقف على بيان ذلك³.

-أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطلع على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكمال مسائله وفصوله، ولا يبقى للنقص فيه مجال⁴.

-أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منظمة، فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها، ويجعل كل مسألة في بابها⁵.

-أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى فينتبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن وجميع مسائله، فيفعل ذلك، ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم، كما وقع في علم البيان.

-أن يكون الشيء من التأليف التي من أمهات للفنون مطولا مسهبا فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك، بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر، إن وقع، مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول⁶.

1-العلمي محمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2-ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص523.

3-المصدر نفسه، ص523-524.

4-المصدر نفسه، ص524.

5-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6-المصدر نفسه.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

تلك هي المقاصد المتفق عليها في التأليف، حيث رأى العلماء أن التأليف فيها يحظى بالاحترام والقبول، ويساهم بالإبداع في العلم، كما يوضح معالمه، ويبقى الإبداع واستنباط العلم بشيء لم يسبق غليه على رأس مقاصد التأليف، وهو أفضل دليل على النمو العقلي المستمر والمتفاعل مع الحياة، والساعي للارتقاء بها نحو الأفضل¹، وعليه فهذه جماع المقاصد الواجب اعتمادها بالتأليف ومراعاتها².

3-2-دواعي العلماء للتأليف: إن التأليف كان وما زال الصورة الحقيقية للتطور العلمي في أي فترة من الفترات، لهذا كان العلماء هم المخولون بتأليف الكتب أكثر من غيرهم، بحكم اشتغالهم بأصناف العلوم والنظر في أحوال الكتب وطرق التأليف ومناهجه، وسعيهم لتقييد ما استودعهم الله من العلم سعياً وراء الفائدة العلمية وتواتر العلوم وبقائها، لذلك كان أرباب التأليف في كل مقدماتهم يفصحون عن الدواعي التي تقف وراء توجهاتهم، أو يستعرضون الأهداف المتوخاة منها، بين هذه وتلك من يعد التأليف عملاً ثقافياً مشروعاً، وتعددت الدواعي بين الموضوعية والذاتية³:

-الداعي التعليمي: جل التأليف والتصانيف كانت تسعى لتعليم طلبة العلم، فمن ذلك المختصرات التي كانت موجهة للمتعلمين المبتدئين فتفتح بها بصائرهم وتتقوم قواهم العقلية، وتتهذب أذواقهم⁴.

-الداعي المنهجي: إذا كان اختلاف مذاهب العلماء سبباً في تعامل بعضهم على بعض أحياناً، وفي مقابلة كل ما يصدر عنهم بمزيد من الحرص والتحري والتمحيص، فإنه لم يرق أبداً إلى مستوى القطيعة الفكرية، بل سعى العلماء إلى تطوير منهجية التأليف وتحسين مستوى التصانيف والكتب التي دونوها والرقى بها، من خلال التبويب وإفراد الفصول والمباحث وطرق الاستنباط والتأصيل والتفريع، والموازنة بين المتن والحواشي، حتى غدا الكتاب الواحد غذاءً فكرياً ينتفع به على نطاق واسع، ومصدراً معرفياً غير مقيد بمذهب بعينه⁵.

-الداعي المصلحي: شكل الداعي المصلحي أبرز الدواعي التي أدت بالعلماء إلى التأليف والتصنيف، ذلك أن الكثير منها جاء نتيجة لرغبة معظم العلماء والفقهاء في الشهرة أو التقرب من السلاطين أو الرفعة في

1- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص293-294.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه.

1- بنعلي محمد بوزيان، ظاهرة المختصرات في التراث العربي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة عشر، العدد التاسع والأربعون، تصدر عن قسم الدراسات والمجلة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، صفر1426هـ/أفريل2005م، ص163.

4- المرجع السابق، ص163.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

المنصب وتبوء مكانة رفيعة، إذ... ويبقى هذا السبب مدخلا لتحقيق رغبة طالما اعتملت في خواطر أولي المكانة العالية والبسطة الجليلة في العلم حين يتعلقون بأشهر الأمهات، فيصرفهم داع أو آخر عن مطالعتها واستيعابها، وهم في الآن نفسه يحرصون على الانتفاع بأقصر الطرق منها...¹، فقد أفصح كثير من علماء العصر المريني عن السبب الذي دفعهم للتأليف في مقدمات كتبهم، فعلى سبيل المثال نورد في هذا المقام ثلاثة من فطاحل العلماء مع عناوين كتبهم وهم: العلامة الفقيه محمد المقرئ الجد وكتابه "القواعد"²، العلامة الفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني وكتابه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول"³، العلامة الفقيه أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي وكتابه "الروض المريع في صناعة البديع"⁴. تلك أبرز الدواعي التي دفعت بالعلماء لتأليف كتبهم، في مقدمتها الغاية التعليمية والغاية المنهجية والغاية المصلحية، وهذا ما عكسته طبيعة التأليف وأنواعه في عصر الدراسة.

3-3- موقف العلماء من التأليف: يعتبر موقف العلماء من التأليف مهما جدا، لأنه يعكس حال ذلك العصر، لذا تباينت مواقفهم بين مؤيد ومعارض لكثرة التأليف في مختلف العلوم النقلية والعقلية، ناهيك عن مقاصد التأليف، وسنعرض الموقف المعارض للتأليف فهو كفيل بمعرفة الأسباب الكامنة وراء معارضة عدد من العلماء لكثرة التأليف والتصنيف في عصر الدراسة، حيث اعتبر الآبلي وتلميذه المقرئ أن التأليف... نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم إلا الترتير اليسير لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه، ثم يشتري أكبر ديوان بأبخس الأثمان فلا يقع منه أكثر ممنوع ما عوض عنه، فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر، وأفضى الأمر إلى ما يستخر منه الساخر...⁵، كما تحوي هذه الصيحة دعوة صريحة لإصلاح منهجية التأليف والتعليم على السواء، وترقيتها، وغربلتها مما علق بها من غبار القرون، وتراكم الجهل، الذي تحول بمرور الزمن علما مضافا إلى العلوم الصحيحة⁶، ثم يصور الونشريسي على لسان هذين العالمين الحالة التي وصل إليها التأليف حيث: "... ثم كان أهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول

1- المرجع السابق، ص 165.

2- ينظر الملحق رقم 12.

3- ينظر الملحق رقم 11.

4- ينظر الملحق رقم 13.

5- الونشريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 479.

6- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص 294.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الكبار، فاقصروا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظه، وأفنوا أعمارهم في حل لغوزه وفك رموزه، ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح. بل هو حل مقفل، وفهم أمر مجمل، ومطالعة تقييدات زعموا أنها تستهض هم النفوس. فبينما نحن نستكثر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ، أبيحت لنا تقييدات الجهلة بل مسودات المسوخ...¹، ولا بن خلدون عبد الرحمان نفس الموقف². هذا هو موقف كل من الآبلي والمقري وابن خلدون من حالة الحركة التأليفية في عصر الدراسة التي عاينوها بأنفسهم ووصفوها بدقة، بالرغم من أن المقري وابن خلدون ألفا عددا معتبرا من المؤلفات، نعم ثمة تصانيف وتآليف قوية ذات قيمة علمية راقية، غير أنها لم تشكل التيار السائد للحركة العلمية، بل كان التيار الجارف الذي سيطر على الجو العام للتأليف والتعليم، مع العلم أن عصر الآبلي والمقري وابن خلدون الذي هو عصر الدراسة، يعد أزهى عصور المغرب الإسلامي من الناحية العلمية، تكتنفه هذه الصورة، فما هي حالة التأليف بعده؟³.

3-4- طبيعة التأليف وأنواعه في العصر المريني: يعتبر العصر المريني أكثر العصور إنتاجا في الجانب

الفكري، حيث كثرت التأليف بشكل كبير ومنقطع النظير عن ذي قبل، نظرا لكثرة العلماء الذين تم إحصاؤهم في هذه الدراسة التي تبتدئ من تأسيس الدولة المرينية سنة 668هـ إلى وفاة السلطان أبي عنان فارس سنة 759هـ، بفضل دعم السلاطين للعلم والعلماء وتقريبهم والإشادة بهم والرفع من قدرهم وتعظيمهم، حيث تشكل هذه الفترة العصر الذهبي للحركة التأليفية والتصنيفية، لذا ينبغي الوقوف على طبيعة التأليف في هذا العصر، حيث يساعدنا ذلك على معرفة أنواع المؤلفات والمصنفات وأسمائها ودلالاتها، فقد عرف هذا العصر كثرة الإقبال على الدراسات اللغوية والعلوم الشرعية أي العلوم النقلية، إذ بلغت علوم اللسان العربي ما لم تبلغه في أي عصر كان، ونال علم البيان اعتناء كبيرا، والمرجح أنه في هذا العصر ابتدأ تدوين البلاغة، وبالنسبة للعلوم الشرعية، نهض علم الفروع من جديد، واشتد الإقبال على طلبه وارتفع عدد الفقهاء عن ذي قبل⁴. والظاهر أن الميزة الغالبة على التأليف في هذا العصر هو غلبة نمط المختصرات⁵

1- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص480.

2- ينظر الملحق رقم14.

3- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص296.

4- أشقر سعاد، المرجع السابق، ص23.

5- المختصر: وهو كالمثلن باعتبار كتاب معين، إلا أن المقصود فيه جمع مسائل كتاب من الكتب بعبارة موجزة شاملة لجميع مسأله، فهو متن باعتبار جمعه لمسائل العلم بالضرورة، إلا إذا كان الكتاب الأصلي شاملا لها، فكل متن مختصر وليس كل مختصر متنا. وذلك لأن كلمة "مختصر" شاع استعمالها

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

والحواشي¹ والمتون² والأراجيز³

والشروح⁴ والتعليقات⁵، حيث شاعت هذه الأنماط وكثرت نظر الاستفحال ظاهرة التقليد وانعدام الاجتهاد في العلوم إلا في حالات مقتضبة، وزيادة على هذه الأنماط استعمل العلماء عدة أسماء أطلقوها على مصنفاتهم لعل

أبرزها: الوجيز، الموجز، التلخيص، الإقتضاب، الخلاصة، التهذيب، المختار، المنتقى، المنتخب، المنتخل، المركز، اللباب. **3-5- إحصاء مؤلفات العلماء في العصر المريني:** إن إحصاء مؤلفات العلماء في العصر المريني يندرج ضمن

محاولة نفخ الغبار عن هذا الإنتاج العلمي الكبير، الذي ألفه هؤلاء العلماء، حيث ما فتئوا يبذلون المهج ويسهرون الليالي، ويتشاورون فيما بينهم، ويراسلون بعضهم بعضا في القضايا والمسائل والمباحث والنوازل، طالبين المشورة والرأي والتوجيه، حتى إذا ألفوا أجادوا كل الإجادة، بحسن التعبير وبلاغة العبارة وسلاسة الألفاظ، وتوظيف المصطلح، وأخرجوا مؤلفاتهم وتصانيفهم في حلل قشبية، ووطئوها توطيئا وسهلوها تسهيلا لطلبة العلم وعامة الناس، فبلغت هذه المؤلفات شأوا كبيرا في سماء الفكر المغربي الإسلامي، ولهذا سنحصي هذه المؤلفات وفق ترتيب العلوم السالف الذكر، وعلى ضوء ذلك سنعرف عدد المؤلفات في كل

للكتاب يختصر وتستل مادته من كتاب آخر مطول، ولكن لا تعني هذا المعنى دائما، فقد يطلق على الكتاب (مختصرا) لا بالمعاني السابقة، لاشتماله على أهم المعلومات في ذلك الفن بأخصر العبارات وأوجزها، دون أن يكون اختصارا من كتاب معين، ينظر: بزمول محمد بن عمر بن سالم، **منهج البحث العلمي وكتابته في علم الشريعة**، ط1، القاهرة، دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع، دار التوحيد والسنة، 1428هـ/2007م، ص40-41.

1- **الحاشية:** الناحية، ومنه حاشية الكتاب، والمقصود في مصطلح التدوين ما يوضع على الكتاب من تعليقات ليست من صلب موضوع الكتاب، كإعراب جملة، أو بيان تركيب، أم استطراد في موضوع له تعلق ما بما في الشرح، ونحو ذلك، وليس من شرط الحاشية شرح الأصل، أو شرح الشرح، وهي في الغالب تكون على الشروح، ونادرا ما تكون على المتون، ينظر: المرجع نفسه، ص41-42، الصباغ محمد لطفي، **المناهج والأطر التأليفية في تراثنا**، ط1، المكتب الإسلامي، 1405هـ، ص52-53.

2- **المتن:** وهو في اللغة: مكتنفا الصلب عن يمين وشمال، ويطلق على الظاهر بجملته، ويقصد به الكتاب الذي يفرد لجمع أصول المسائل في متن ما أو باب ما، وهذه الكلمة بهذا المعنى من المولد الذي عرفه العرب، وهو مما نقله العرف، تشبيها له بالظهر في القوة والإعتماد، ولا بد من أن يتوفر في المتن: الشمول لمباحث العلم أو الباب المفرد فيه كله - عدم التفصيل، فتذكر فيه رؤوس المسائل فقط - الإيجاز في العبارة، والتمثيل باختصار، ينظر: المصري الحفاجي شهاب الدين أحمد، **معجم الألفاظ والتراكيب المولدة في شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، تحقيق وصنعة الدكتور قصي الحسين، ط1، بيروت، دار الشمال للطباعة، 1987م، ص455، الصباغ محمد لطفي، المرجع السابق، ص27.

3- **الأرجوزة:** إذ المتون إما تكون نثرا أو شعرا، والأرجوزة غالبا ما تكون على بحر الرجز، وقد تكون على بحر أخرى، وتنفرد لمسائل العلم مطلقا، أو لمسائل العلم من خلال كتاب معين فيه، ينظر بزمول محمد بن عمر بن سالم، المرجع نفسه، ص39-40.

4- **الشرح:** وهو مقابل للمتن، وهو المقصود في تفسير عبارة المتن، وتفصيل مجملاته، وتوضيح مبهمات، وفتح مستغلقاته، وتبيين إشاراته، وبسط ذلك، ينظر: المرجع نفسه، ص40.

5- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص98.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

علم من العلوم التي أشارت إليها الدراسة من الكثرة أو القلة أو الندرة، حتى تخرج بإحصاء شامل للمؤلفات العلمية في العصر المريني، وهذا كما يلي:

— تأليف العلماء في علم التفسير: عرف علم التفسير فتحا جديدا بدخول كتاب "الكشاف عن حقائق التزويل

وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" المؤلفه أبي القاسم محمود بن عمر الملقب بجار الله الزمخشري (ت538هـ) إلى المغرب الأقصى، ذلك أن القرن السابع الهجري والذي يليه عرف أعمال تفسيرية يتنوع الغرض فيها؛ إما في الرد على الزمخشري، وإما في المقارنة بين الكشاف وتفسير ابن عطية، وإما في تجريد "الكشاف" من الاعتزال والاحتفاظ بما يناسب عقيدة أهل السنة¹، ولعل أبرز التأليف في علم التفسير هي: "تفسير الباء من البسملة"، وجزء صغير

على سورتى "إنا أعطيناك الكوثر" و"العصر"، و"عنوان الدليل برسوم خط التزويل" و"حاشية

على الكشاف" وكتاب آخر في "ضحى ملاك التأويل" لأحمد بن محمد بن البناء المراكشي²، و"مختصر

تفسير الزمخشري" لمحمد بن علي بن العابد الأنصاري³، و"أجوبة ابن البقال في التفسير" لأبي عبد الله محمد بن

محمد بن علي المعروف بابن البقال (ت725هـ)⁴، وكتاب "الكشف عن مشكلات الكشاف" من تأليف عمر بن

عبد الرحمان الفاسي (ت745هـ)⁵، وأيضا كتاب في "تسمية الحروف وخاصة وجودها في أوائل السور" لابن

البناء⁶، و"جنى الجنيتين في فضل الليلتين" لابن مرزوق الخطيب⁷.

— إنتاج العلماء في علم القراءات والرسم: انصرفت همم علماء العصر المريني لطرق أبواب التأليف في علم

القراءات والرسم، حيث يندرج ضمن اهتمامهم في ضبط سند القراءات العشر جمعا وإفرادا، وإتقان الرسم

القرآني بكل ضوابطه وحدوده، وأهم ما أنتج في هذا العلم في عصر الدراسة ما يلي:

— كتاب "رسالة في القراءات على الدوري" للفقهاء أبي عبد الله محمد المقري الجد⁸.

1- أشقر سعاد، المرجع السابق، ص24.

2- التنبكي أحمد بابا، المصدر السابق، ص86.

3- هو أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري، الفاسي الأصل ثم الأندلسي، كان إماما في الكتابة والأدب واللغة والإعراب والتاريخ والفرائض والحساب والبرهان،... توفي بغرناطة عام اثنين وستين وسبعمائة في ذي القعدة، ينظر: المصدر نفسه، ص428.

4- الكتاني، سلوة الأنفاس... المصدر السابق، ج2، ص158-159.

5- أشقر سعاد، المرجع السابق، ص76.

6- المرجع نفسه، ص77.

7- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص51.

8- توجد نسخة مخطوطة منه في زاوية تنغلتم بمراكش تحت رقم134، ينظر: بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص129.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- أرجوزة "منظومة الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع"، حيث تحتوي على 273 بيتا، واشتملت على مقدمة وسبعة عشر فصلا، ومؤلفها هو ابن بري النازي (ت730هـ)¹.
- كتاب "الزهر اليناع في مقرئ الإمام نافع" لمحمد بن إبراهيم الصفار المراكشي (ت761هـ)².
- رجز "مورد الظمان في رسم أحرف القرآن" للخراز³، وله تأليف في الرسم سماه: "عمدة البيان"، وكذلك ألف ألف منشور في الرسم مثل "مورد الظمان"، وشرح على "الحصرية" وشرح على "البرية"، كما له أيضا شرح على "العقيلة"، وكان قد فتح له في التأليف، وسهل عليه نظمه ونثره⁴.
- كتاب "فوائد المعاني في شرح حرز الأمان" لابن آجروم (ت723هـ)⁵.
- كتاب "ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء" لأبي الحسن علي بن سليمان الأنصاري (ت736هـ)⁶.
- تصنيف العلماء في علم الحديث: اهتم علماء العصر المريني بالتصنيف في علم الحديث، بشكل مطرد عن العصور السابقة، بحكم اهتمامهم بكتب صحاح الحديث خاصة صحيح البخاري ومسلم، ومن أبرز المؤلفات والتصانيف في عصر الدراسة نجد: كتاب "عمل من طب لمن حب" للمقري الجد⁷، حيث انتقى أحاديث من مختلف أبواب الشريعة، وشملت أبواب العبادات (الوضوء—الصلاة—الزكاة—الصيام—الحج)، ثم المعاملات (الجهاد—النكاح—البيوع—الجنائيات والحدود)، وهذه الأحاديث كلها صحيحة، مروية في الكتب المعتمدة كالصحاح والسنن، كما ذكر تخريجها ومن خرجها، مشيرا إلى ذلك بالرمز في أول حديث⁸، بالإضافة إلى كتاب "تيسير

7- عزوزي حسن، التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري، مجلة الحضارة

الإسلامية، العدد 01، ص 249.

2- المرجع نفسه، ص: 252.

1- هو الشيخ الإمام العلامة، الأستاذ المقرئ المحقق الفهامة؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي؛ الشهير الخراز كنيته: أبو عبد الله، وأصله من شريش، كان إماما في مقرئ نافع، مقدما فيه لا غير إماما في الضبط، عارفا بعلومه، وأدرك أشياخا حلة، أئمة في القراءة والضبط، وعلم القرآن، وكان يعلم الصبيان بمدينة فاس، وبها كان سكنه إلى أن توفي بها عام ثمانية عشر وسبعمائة على ما قيل، ينظر: الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص128-129.

4- المصدر نفسه، ج2، ص129.

5- عزوزي حسن، المرجع السابق، ص259.

6- المرجع نفسه، ص266.

7- تم تحقيقه من قبل الباحث أبي الفضل بدر بن عبد الإله العمراني الطنجي سنة 1424هـ/2003م.

4- المقرئ أبو عبد الله محمد، عمل من طب لمن حب، تحقيق وتعليق وتقديم أبي الفضل بدر بن عبد الإله العمراني الطنجي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م/1424هـ، ص19.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

المرام فيشرح عمدة الأحكام" لابن مرزوق الخطيب¹، وهو شرح "عمدة الأحكام عن سيد الأنام" لتقي الدين الجمالي، ويقع في خمسة أجزاء، ويرى البعض من الباحثين أنه شرح كتاب العمدة لمحمد بن دقيق العيد (ت702هـ/1302م) وعمر الفاكهايني (ت734هـ/1333م)، بينما يقول ابن مرزوق في مقدمة كتابه هذا: "زدت على ذلك ما أمكنني من تنبيهات، وإفادات، وفروع ملحقات، ونكت مستحسنات، وتذكيرات من أئمة التحقيق..."²، كما صنف "تعليقا على صحيح البخاري"³ وأيضا "الأربعين في الصحاح" التي أملاها بعد صلاة الجمعة وقبل صلاة العصر⁴، بالإضافة لكتاب "جزء في إسناد الأحاديث الأربعة المعلقة فيالموطأ"⁵، وله "أربعون حديثا خرجها من مرويات السلطان أبي الحسن" وتسمى كذلك ب"الأربعين لإحكامية"⁶، ومؤلف آخر عرف ب"بوح الخفاء فيشرح الشفاء"⁷، أما الشريف التلمساني (ت771هـ) فله "جزء في حديث إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم" حيث ضبط فيه سنده ورجاله وعلمه، ومتمنه ولغته، وذكر كل من تكلم فيه⁸، كما ساهم محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي المتوفى سنة 778هـ/1376م في علم الحديث، بتأليفه لكتاب "تحفة الناظر ونزهة الخاطر في غريب الحديث" وأيضا الجامع المعد في جزأين⁹، وكتاب "المحاكمة بين مسلم والبخاري" لأحمد بن رزوق، و"تجديد الصحاح الثلاثة" لابن عبد الله الكرسبوطي الفاسي المولود في سنة (690هـ/1290)¹⁰، وكتاب "السنن الأبين والمورد المعين في المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في السنن المفتن" لابن رشيد الفهري¹¹.

-
- 5- يوجد هذا الكتاب مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط، رقم 83، كما توجد نسخ أخرى منه في كل من مكتبات مصر وتركيا، ينظر: بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 134.
 - 2- تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 38، الورقة 04، نقلا عن بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص: 134.
 - 3- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص 276.
 - 4- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج 2، ص 443.
 - 5- ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ص 373، بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 135.
 - 6- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص 272.
 - 7- المصدر نفسه، ص 277.
 - 8- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 135.
 - 9- الكتاني، المصدر السابق، ج 3، ص 277-278، الحريري، المرجع السابق، ص 343.
 - 10- نضال مال الله، المرجع السابق، ص 136.
 - 11- ابن الأحمر، نثير الجمان، ص 55، حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 2، ص 169-170.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

— إنتاج العلماء في علم أصول الفقه: من أهم التأليف في عصر الدراسة، كتاب "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" لأبي عبد الله الشريف الحسيني التلمساني (ت 771هـ/1369م)¹، الذي يعتبر من أجود التصانيف في علم أصول الفقه، حيث ألفه على منهج جيد ومرتب ومنظم، وقوي العرض، ودقيق النظر، يعني بما خلقت منه المؤلفات في هذا العلم²، مما يلزم المتعلم ويمرن الفقيه: وهو تطبيق المسائل الفقهية على الأصول والأدلة الكلية مع ذكر الأدلة على إثبات المسائل، وتحرير الفروع الخلافية³، ومع تيسير في الاستنباط وتحقيق في أحكام مذاهب الأئمة فهو على طريقة الفقهاء لا على طريقة المتكلمين، وليس مقصورا على طريقة الحنفية أو الشافعية في مصنفاتهم في هذا الفن بل هو جامع للطريقتين وشارح للمنهجين معنيا بأدلة المالكية التي خلقت منها أكثر المصنفات لبعدهم عن الجدل وتشعب الخلاف، واعتراف العلماء بقوة تأصيلهم وحسن تفريعهم محررا للمذاهب متخيرا من أدلتها أقواها، ومن مسالكها أنقاها⁴، وقد طبق فيه مسائل الفقه مع الأصول، وكثيرا ما كان علماء المغرب يرجعون إليه في حل المشكلات⁵،

وصنف المقرئ الجدد كتاب "مختصر الحصول للإمام فخر الدين الرازي"⁶، كما ألف أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي "كتاب في أصول الفقه"⁷، ولإبراهيم التازي "تأليف في أصول الفقه"⁸، ولا ننسى كتاب "منتهى السهل السهل في علم الأصول" لابن البناء المراكشي⁹، وصنف عبد الرحمان ابن خلدون "الحلل المرقومة في اللمع المنظومة" وهو شرح رجز في أصول الفقه لابن الخطيب¹⁰.

1- حققه الدكتور علي فركوس سنة 1419هـ/1998م.

2- الشريف التلمساني أبو عبد الله مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، المصدر السابق، ص 10.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر نفسه، ص 10-15.

10- بوشريط أحمد، الشريف التلمساني وإسهاماته الثقافية، مجلة عصور الجديدة، العدد 02، إصدارات مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، 2011م، ص 136.

6- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 163.

7- بن خلدون يحيى، المصدر السابق، ج 1، ص 103.

8- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص 165.

9- شقرون محمد، المرجع السابق، ص 195.

10- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص 317.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- تأليف العلماء في علم الفقه: شهد علم الفقه رواجاً منقطع النظير في عصر الدراسة، ومرد ذلك للمكانة التي تبوأها العلماء في بلاط المرينيين، وفي المجالس السلطانية العلمية التي عقدت، لذا تميزت كتاباتهم بكثرة الجمع والتحصيل، وحسن التصرف والتعليل¹، ومن أبرز المؤلفات الفقهية في العصر المريني هي:
- كتاب "مختصر ابن الحاجب الفرعي" لابن الإمام أبو زيد عبد الرحمان².
- كتاب "القواعد" لأبي عبد الله محمد المقرئ الجد (ت759هـ)³، الذي شرح فيه قواعد القرافي مع الزيادة، بحيث "... ألف تواليف كثيرة، كالقواعد التي اختصر فيها قواعد الشهاب القرافي، وطرزها بذكر خلاف أبي حنيفة وصاحبيه، وراعى فيها مشهور المذهب، اشتملت على ألف ومائتي قاعدة..."⁴.
- كتاب "عمل من طب لمن حب" لنفس المؤلف، وسماه في التوشيح بالكليات⁵، وهذه الكليات جزء منه، قال أحمد أحمد بابا التنبكي: "مشمول على فنون، فيه أحاديث حكمية كالشهاب، وعلى كليات فقهية على أبواب الفقه في غاية الإفادة، وعلى قواعد وأصول وعمل اصطلاحات وألفاظ، قال الونشريسي: رأيت عند الفقيه عبد الله بن عبد الخالق فتلطفت في استنساخه فلم يسمح به..."⁶.
- كتاب "النظائر" لذات المؤلف⁷.
- "مائة مسألة فقهية مع أصولها" لنفس المؤلف، يقول ابن فرحون في ذلك: "وألف كتابا يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية، ضمنها كل أصل من الرأي والمباحثة، ودون في التصوف..."⁸، ولا ندري هل هي أحد كتبه السابقة أم كتاب آخر، إذ لم يذكر له صاحب الديباج غيره⁹.
- "حاشية على مختصر ابن الحاجب الفقهي" للمؤلف نفسه، حيث أورد فيها أبحاثاً وتدقيقات لا توجد في غيرها¹⁰.

1- الحريري، المرجع السابق، ص: 343.

2- فيلالى عبد العزيز، المرجع السابق، ج2، ص: 448.

3- العلمي محمد، المرجع السابق، ص: 248.

4- الكتاني، المصدر السابق، ج3، ص: 343.

5- العلمي محمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- المصدر السابق، ص: 427.

7- العلمي محمد، المرجع نفسه.

8- المصدر السابق، ص: 383.

9- العلمي محمد، المرجع نفسه.

10- المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص: 310.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- كتاب "المثل العقلية والفقهية" لأبي عبد الله الشريف التلمساني¹.
- كتاب "إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب" لأبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب².
- كتاب "تقييد على المدونة" لأبي عمران العبدوسي (ت776هـ).
- كتاب "تقييد على الرسالة" لنفس المؤلف.
- كتاب "تقييد على التهذيب" لذات المؤلف³.
- كتاب "تعليق على المدونة" للسطي (ت750هـ)⁴.
- كتاب "شرح الرسالة لابن أبي يحيى التسولي" (ت749هـ).
- كتاب "شرح التهذيب" لنفس المؤلف⁵.
- "تلخيص كتب ابن رشد" لعبد الرحمان ابن خلدون⁶.
- تصنيف العلماء في علم الجدل وآدابه: عني العلماء في عصر الدراسة بالتصنيف في علم الجدل وآدابه، حيث وصلنا مصنفين هما:
- "جزء في الجدل" لأبي العباس ابن البناء المراكشي⁷.
- "رجز في الجدل" لابن الحاج الغرناطي إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري (ت786هـ)⁸.
- إنتاج العلماء في علم الفرائض: اهتم العلماء بالإنتاج في علم الفرائض، من ذلك "قصيدة في الفرائض" لمالك بن عبد الرحمان السبتي أبي الحكم المعروف بابن المرحل (ت699هـ)⁹، وأيضاً "الفصول في الفرائض" و"عمل الفرائض" لابن البناء¹⁰.

1- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص146.

2- المرجع نفسه، ص147.

3- شقرون محمد، المرجع السابق، ص195.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- المرجع نفسه.

6- التنبكي، المصدر السابق، ص251.

7- المصدر نفسه، ص86.

8- العلمي محمد، المرجع السابق، ص245.

9- المرجع نفسه، صص425.

10- التنبكي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

—تأليف العلماء في علم التصوف: حظي علم التصوف باهتمام العلماء، نظرا لانتشار التصوف في هذه الفترة

بشكل مطرد، فألفوا فيه عدة مؤلفات، لعل أبرزها:

— كتاب "البدع" لأبي الحسن الصغير¹.

— كتاب "الحقائق والرقائق" لمحمد المقرئ².

— كتاب "إقامة المرید ورحلة المتبتل" لنفس المؤلف³.

— كتاب "التحف والطرف" لذات المؤلف⁴.

— كتاب "شفاء السائل لتهديب المسائل" لعبد الرحمان ابن خلدون⁵.

— إنتاج العلماء في علم أصول الدين (علم الكلام): يقول ابن خلدون عن هذا العلم: "...وعلى الجملة، فينبغي

أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحة والمتدعة

قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين

دافعوا ونصروا..."⁶، وعلى ضوء ذلك قل التأليف في هذا العلم، نظرا لانقراض الفرق الكلامية وبقاء المذهب

السنني، ومع ذلك يوجد من ألف فيه وهم:—ابن البناء المراكشي ألف "رسالة في إحصاء أعداد أسماء الله

الحسنی"⁷، و"الاقتضاء والتقريب للطالب اللبيب في أصول الدين"⁸، كما صنف المقرئ "اختصار المحصل

للفخر الرازي"⁹، وألف ابن خلدون "لباب المحصل" لخص فيه كتاب محصول فخر الدين الرازي¹⁰.

—تصنيف العلماء في علم النحو: أدلى العلماء بدلوهم في التصنيف في علم النحو، نظرا لأهميته في إثراء رصيدهم

المعرفي، وفهم نصوص الشريعة، واستنباط الأحكام، وأهم التصانيف في علم النحو هي:

1- المنوني محمد، المرجع السابق، ص225.

2- التنبكي، المصدر السابق، ص427، المقرئ، المصدر السابق، ج5، ص310.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- ابن الخطيب لسان الدين، المصدر السابق، ج2، ص203.

5- حققه الدكتور محمد مطيع الحافظ سنة 1996م.

6- المصدر السابق، ص424.

7- التنبكي، المصدر نفسه، ص87.

8- شقرون محمد، المرجع السابق، ص195.

9- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص310.

10- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- كتاب "شرح التسهيل" للمقري الجد¹.
 - كتاب "شرح النظائر" لنفس المؤلف².
 - كتاب "إعراب القرآن الكريم" لذات المؤلف³.
 - "شرح التسهيل" لابن القاسم الشريف⁴.
 - "شرح كتاب سيبويه" لابن رشيد⁵.
 - "نظم فصيح ثعلب" لابن المرحل⁶.
 - "الكليات النحوية" لابن البناء العددي⁷.
 - كتاب "الجمل" لابن القاسم الزجاجي⁸.
 - كتاب "الأجرومية" لمحمد بن محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي المعروف بأجروم⁹.
 - كتاب "شرح التسهيل لابن مالك" لمحمد بن هاني اللخمي السبتي (ت733هـ)¹⁰.

 - كتاب "الإيضاح"، وكتاب "الملخص"، و"القوانين" و"شرح سيبويه" و"شرح الجمل" لعبد الله بن أحمد الأموي القرشي العثماني الإشبيلي¹¹.
 - "أرجوزة في النحو" لمالك بن المرحل¹².
 - كتاب "الرمي بالحصى والضرب بالعصا" لنفس المؤلف¹³.
 - كتاب "شرح الجمل" و"بحث قراءة سيبويه" لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي الإشبيلي¹⁴.
 - كتاب "تلخيص القوانين في النحو" لابن رشيد الفهري¹.
-
- 1- المقري، نفع الطيب، المصدر السابق، ج5، ص310.
 - 2- المصدر نفسه، ج5، ص310.
 - 3- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص177.
 - 4- كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص220.
 - 5- المرجع نفسه، ج1، ص220.
 - 6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - 7- المرجع نفسه.
 - 8- نضال مال الله مؤيد عزيز الأعرجي، المرجع السابق، ص148.
 - 9- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - 10- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ج2، ص172.
 - 11- ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، المصدر السابق، ص352.
 - 12- كنون عبد الله، المرجع نفسه، ج1، ص:400.
 - 13- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - 14- نضال مال الله، المرجع السابق، ص149.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

— إنتاج العلماء في علم اللغة: عني العلماء في العصر المريني بالتأليف في علم اللغة، حيث ألف المقرئ الجدي في هذا

العلم، كتابا سماه "شرح لغة قصائد المغربي الخطيب"²، وكذلك له "تكملة ألفية ابن الفارض"³، وشرح كتاب "الفصيح" لأحمد بن يوسف اللبلي (ت690هـ)⁴، أما مالك بن المرحل فقد ألف "إختصار إصلاح المنطق" لابن العربي⁵، و"ترتيب الأمثال"، و"نظم فصيح ثعلب" مع شرحه⁶.

— إنتاج العلماء في علم البيان والبديع والعروض: لم يقتصر إنتاج العلماء على علمي النحو واللغة، بل تعداه إلى التأليف في علم البيان والبديع والعروض، وأبرز ما ألف في هذا العهد مايلي:

— "خطب جمعية"⁷، و"خطب مرتبة على حروف المعجم"⁸ لابن مرزوق الجدي، و"خطب كثيرة من غير التزام حروف المعجم"⁹.

— "مقالة في العروض" لأبي بكر عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني¹⁰.

— "أرجوزة الوسيلة الكبرى" لمالك بن المرحل¹¹.

— "الروض المريع في صناعة البديع" لابن البناء المراكشي¹².

— تأليف العلماء في الأدب: انصرفت همم العلماء للتأليف كذلك في الأدب بقسميه الشعر والنثر.

*الشعر: للشعر أغراض منها المدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والنسيب¹³، وأبرز المؤلفات التي ألفها العلماء في الشعر هي: — أرجوزة "نظم السلوك في ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك" لعبد العزيز بن عبد الواحد المزوزي¹⁴.

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص182.

3- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص311.

4- ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، المصدر السابق، ج2، ص59.

5- نضال مال الله، المرجع السابق، ص147.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- بوشقيف محمد، المرجع نفسه، ص186.

8- بن مرزوق محمد، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص84.

9- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

10- ابن مريم، المصدر السابق، ص55-56.

11- ابن القاضي، جذوة الإقتباس، المصدر السابق، ج1، ص328.

12- تم تحقيقه من قبل الباحث رضوان بن شقرون سنة1985.

13- نضال مال الله، المرجع السابق، ص150.

14- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

— "الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة" و"المعشرات النبوية" و"العشريات الزهرية" لمالك بن المرحل¹.

***النثر:** هو كلام غير موزون وفيه سجع ويقصد بالسجع هنا إتفاق آخر الحروف في القطعة النثرية وهو يشبه القافية في الشعر ومنها المراسلة الذي يطلق على الكلام اصطلاحا ولا يطلع أجزاء بل يرسل في عناية دون تقيد بما فيه²، واستعمل هذا النوع في الكتابة السلطانية، حيث أجاد العلماء في تحبير الرسائل المتبادلة بين سلاطين بني مرين والدول المجاورة لهم، مع ذلك لم يصلنا إلا شذرات قليلة من هذه الرسائل، كما كان لابن المرحل مؤلفات منثورة³.

— **إنتاج العلماء في السيرة النبوية:** انصرفت هم العلماء للتصنيف في السيرة النبوية الشريفة، كما نظموا فيها الأراجيز والأشعار، بالإضافة إلى المدائح النبوية التي تعد جزءا من السيرة النبوية، وأيضا مؤلفات الرحلات الحجازية التي تعتبر من أكد المواضيع المتعلقة بها، وبهذا نقول أن مجالها واسع⁴، وأهم تصانيف العلماء في السيرة النبوية هي:

- "روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار صلى الله عليه وسلم" لأبي عبد الله الشريف التلمساني⁵.
- "بوح الخفاء في شرح الشفاء" لابن مرزوق الخطيب، حيث ألفه وأهداه للسلطان أبي الحسن المريني⁶.
- "تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية" لعلي بن محمد الخزاعي التلمساني (ت789هـ)⁷.

— "شرح البردة" لعبد الرحمان ابن خلدون⁸.

— **تصنيف العلماء في علم التاريخ والرحلات:** يعرف ابن خلدون علم التاريخ بقوله: "...اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما

1- المرجع نفسه، ص151.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص497.

3- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ج1، ص327-328.

4- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص212.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- ابن مرزوق محمد، المستند، المصدر السابق، ص277.

7- بوشقيف محمد، المرجع نفسه، ص213.

8- التنبكي، المصدر السابق، ص251.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل...¹، وأهم ما يميز الكتابات التاريخية بالمغرب في عصر الدراسة، هي محاولات العلماء لتسجيل تاريخ المغرب منذ انتشار الإسلام بصورة منفصلة عن التاريخ الإسلامي العربي، وأن كتاباتهم لم تقتصر على الوقائع التاريخية فحسب، بل اشتملت على عناصر التأثير في التاريخ العربي وإبراز منجزاتهم الحضارية². وعلى ضوء ذلك يمكن الوقوف على أهم المصنفات في هذا العلم:

- "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" لابن مرزوق الخطيب³.
- "الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة" لأبي عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي⁴.

- "البيان المغرب" لابن عذاري المراكشي (كان على قيد الحياة نهاية القرن السابع الهجري)⁵.

- "شجرة أنساب المرينيين" لأبي القاسم الملاحي⁶.

- "الأنيس المطرب بروض القرطاس" و"الذخيرة السنية" لابن أبي زرع الفاسي⁷.

- "زهرة الآس في تاريخ بناء مدينة فاس" للجزنائي⁸.

- "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية" لابن سماك العاملي⁹.

- "الجزء السابع من كتاب العبر" لعبد الرحمان بن خلدون.

- "اختصار الأخبار عما كان بسببته من سني الآثار" لمحمد الأنصاري السبتي¹⁰.

- "روضة النسرين في دولة بني مرين" و"النفحة النسرينية واللمحة المرينية" لإسماعيل ابن الأحمر.

أما الرحلات فقد ألف فيها العلماء كذلك، وهي مستوحاة من رحلاتهم ومشاهداتهم، حيث ألف ابن الحاج النميري "فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب"¹¹، وألف محمد بن

1- المصدر نفسه، ص19.

2- نضال مال الله، المرجع السابق، ص153.

3- تم تحقيقه من طرف الدكتورة ماريّا خيسوس بيغيرا، وطبع سنة 1981م.

4- نضال مال الله، المرجع السابق، ص153.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص109.

7- الشريف محمد، المرجع السابق، ص79.

8- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص346.

9- حققه الدكتور عبد القادر بوبايا سنة 2010.

10- حققه عبد الوهاب بن منصور.

11- حققه محمد بن شقرون سنة 1990.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- رشيد الفهري السبتي "ملئ العيبة فيما جمع بطول الغيب في الواجهة الوجيهة مكة وطيبة"¹، كما ألف أبو القاسم بن يوسف بن محمد التحيي السبتي "مستفاد الرحلة والاعتراب"²، و"الرحلة المغربية" لمحمد العبدري³، ولعبد الرحمان ابن خلدون ملحق بكتابه العبر سماه "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"⁴.
- إنتاج العلماء في علم السياسة: ساهم العلماء في الفترة المدروسة بإثراء علم السياسة بمؤلفات مهمة هي:
- كتاب "طلعة المملكة" لمحمد المقرئ الجد⁵.
- كتاب "الإمامة" لابن مرزوق الخطيب⁶.
- كتاب "إيضاح المرشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد" لنفس المؤلف⁷.
- كتاب "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" لابن رضوان المالقي⁸.

— تصنيف العلماء للفهارس: تعد الحضارة العربية الإسلامية أكثر الحضارات الإنسانية تنوعا وثراء من حيث المصادر، في مختلف ميادين العلوم والمعارف، نظرا للازدهار العلمي والفكري الذي شهدته، حيث أخذ المسلمون على عاتقهم توثيق علوم الدين والأدب، والعلوم العقلية، بتدوينها، كما تدخل ضمنها المعاجم والكتب الموسوعية والسير والتاريخ والمؤلفات الفلسفية والأدبية والعلمية الأخرى، التي لا يمكن لأي باحث في مجال الثقافة العربية الإسلامية من الاستغناء عنها، إلا أنه يوجد نوع آخر من التأليف في الحضارة الإسلامية عرف بالفهارس أو البرامج⁹.

لقد عني العلماء بتصنيف الفهارس التي هي عبارة عن كتب جمع فيها العلماء أسماء شيوخهم وأساتذتهم الذين قرأوا عليهم وكل ما يتعلق بذلك¹⁰، أو تسمى بها كل المصنفات التي تحتضن مادة الرواية والشيوخ، ويغيب بجانبها غالبا لفظا البرنامج ومعجم الشيوخ لتفضل وحدها كعلامة على هذا النوع من التأليف¹¹، وأبرز

1- نضال مال الله، المرجع السابق، ص156.

2- المرجع نفسه، ص157.

3- حققه أحمد بن جدو.

4- حققه الدكتور محمد بن تاويت الطنجي.

5- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص239.

6- ابن مرزوق محمد، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص86.

7- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص239.

8- حققه الدكتور علي سامي النشار.

9- بوشقيف محمد، المرجع نفسه، ص231.

10- المجاري محمد، برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأحفان، ط1، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص59.

11- الترغزي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها-تطورها-قيمتها-

ط1، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، 1420هـ/1999م، ص38.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

الفهارس التي قيدها العلماء هي: - "فهرست" لأبي العباس أحمد الزواوي، ذكر فيه سند القراءات التي أخذها عن شيوخه ومروياته¹.

- "ثبت" أبي عبد الله الندرومي التلمساني، الذي ترجم فيه للعلماء الذين أخذ عنهم وأجازوه في كل من بلاد المغرب ومصر، وبيت المقدس، ودمشق، ومكة، وقد مكث في هذه المدن في فترات متفاوتة، وهذا الثبت مازال مخطوطاً².

- "عجالة المستوفز (أو المستوفي) المستجاز، في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب والشام والحجاز"³ لأبي عبد الله محمد ابن مرزوق الخطيب، حيث ذكر فيه الشيوخ الذين أخذ عنهم بالأقطار التي أشار إليها في العنوان⁴.

- "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا" لابن خلدون عبد الرحمان، أفرد في بدايته ذكرا لأهم الشيوخ الذين قرأ عليهم في تونس والذين أتوا مع السلطان أبو الحسن المريني.

- "فهرسة" عبد المهيمن الحضرمي، وهي حافلة ذكر فيها ألف شيخ⁵.

- "نظم اللآلي في سلوك الأمالي" للمقري الجد⁶.

- "فهرسة" ابن رشيد الفهري (ت721هـ)⁷.

- تأليف العلماء في علم المنطق: لم يكن حال علم المنطق بالمغرب قبل قيام الدولة الموحدية مخالفا لحال سائر

أجزاء الفلسفة، فقد كان مجافى معارضا عنه، معدودا من العلوم الضارة، التي ينبغي الاحتراس منها والابتعاد عنها، ويبدو أن المنطق وإن كانت العناية به ظهرت منذ القرن السادس الهجري، إلا أن أخذ العلماء المغاربة به على نحو شامل لم يتحقق إلا في القرن السابع الهجري، حيث وجد طريقه إلى الاختلاط بسائر العلوم الأخرى، فأصبحت هذه العلوم كالكلام والنحو والفقه وأصوله تجري عليه في منهج تبويها والاستلال على مسائلها، وشيئا فشيئا انقضت نزعة المعارضة وأصبح واحدا من العلوم التي يأخذها كل متعلم، كما يأخذ الفقه والنحو وغيرها، واندمج في سائر العلوم واندمجت سائر العلوم به⁸، ومن أهم المؤلفات في علم المنطق خلال عصر عصر الدراسة هي: - "شرح جمل الخونجي" للمقري الجد⁹.

1- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص232.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص:314.

4- بوشقيف محمد، المرجع نفسه.

5- الترغي، المرجع السابق، ص614.

6- المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج5، ص12 وما بعدها.

7- الترغي، المرجع نفسه، ص612.

8- النجار عبد المجيد، المهدي ابن تومرت، ط1، القاهرة، دار الغرب الإسلامي، 1983م، صص470-473.

9- التنبكي، المصدر السابق، ص:427.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

- "شرح جمل الخونجي"¹ و"مئارات الغلط في الأدلة"² لأبي عبد الله الشريف التلمساني الذي حققه من طرف مصطفى الوظيفي سنة 1991، ونشر³.

- "اختصار مقدمات ابن رشد" و"اختصار حدود الشيرازي" لمحمد بن سعيد الفاسي (ت778هـ)⁴.

- "كليات في المنطق وشرحها" و"تنبيه الفهوم على مدارك العلوم" و"القوانين" لابن البناء⁵.

- إنتاج العلماء في علم الحساب: عرف علم الحساب اهتماما كبيرا من قبل العلماء في العصر المريني، وكذلك الدولة التي سعت إلى ضبط أحكامها، ومواردها ومصاريدها، واستخلاص ضرائبها، كل ذلك يحتاج إلى دراية في علم الحساب وتفنن في تطبيقه تطبيقا مضبوطا خاليا من كل خطأ أو غلط⁶، بالإضافة إلى حاجة الناس لتطبيق تعاليم الإسلام أي معرفة دقيقة بأوقات الصلاة والصيام والحاجة لمعرفة ما أوجبه الله بما يتعلق بنظام الإرث وتوزيعه ومعنى ذلك أن علم الفرائض وعلم التنجيم من الأسباب التي نهضت بعلم الحساب⁷، وكان ابن البناء أبرز العلماء إنتاجا في علم الحساب حيث يقول أحد الباحثين عن هذا الإنتاج: "...سأقول باختصار شديد بأن ابن البناء المراكشي الذي جاء بعد ابن رشد، كتب كتابا مشهورا في الحساب هو تلخيص أعمال الحساب، نجاح نجاحا منقطع النظير، ذلك أننا اليوم في العالم نتوفر على عشرات المخطوطات منه، والمسألة الأهم هي أنه وضعت شروح ضخمة عليه أحصينا منها 17 شرحا كبيرا كلها أنجزت في القرن 14م وقليل منها في بداية القرن 15م، كانت من إنجاز رياضيين من شمال إفريقيا والأندلس، وإذا نحن أضفنا إلى هذه الشروح شرحا وضعه المؤلف نفسه بعنوان رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب، وشرحاً ضخماً وضعه ابن هيدور على رفع الحجاب بعنوان تحفة الطلاب في شرح ما أشكل من رفع الحجاب، وإذا أضفنا إلى ذلك كتاب الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة وكذلك المقالات الأربع في الحساب لابن البناء نفسه، سنكون أمام أكثر من عشرين عملاً ضخماً في الرياضيات كلها أنجزت تقريبا في قرن واحد هو القرن 14/8م، وهو ما لم يعرفه المغرب طيلة حياته الفكرية الممتدة لقرون من الزمن..."⁸، كما لابن البناء - زيادة على هذه المؤلفات - كتاب "التقدير والتفسير في قواعد التكسير"، و"مسائل في العدد التام

1- المصدر نفسه، ص437، بوشريط أحمد، المرجع السابق، ص136.

2- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص253.

8- بن داوود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7/13م إلى القرن 10/16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ جامعة تلمسان، 1430هـ-1431هـ/2009م-2010م، ص222.

4- التنيكي، المصدر نفسه، ص459.

5- المصدر نفسه، ص86.

6- شقرون محمد، المرجع السابق، ص216.

7- نضال مال الله، المرجع السابق، ص158.

1- أبلان محمد، البناء الثقافي للعلوم في مغرب القرنين 13م-14م: ابن البناء- ابن خلدون، بحوث الندوة العلمية الدولية الأولى لتاريخ العلوم في الإسلام، المجلد الأول، أيام 9-10-11 ربيع الأول 1430هـ الموافق ل: 24-25-26 فبراير 2010م، الرباط، ص89-90.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

والناقص" و"مقالات في الحساب" و"بحث في الأعداد الصحيحة والكسور والجذور والتناسب" و"رسالة في المساحات" و"رسالة في الجذور الصم وجمعها وطرحها" وكتاب "الحصار الصغير"¹، وألف ابن خلدون كتاب "الحساب"².

—تصنيف العلماء في علم الفلك: علم الفلك ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة. ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك، لزمّت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية³، ويسمى كذلك علم الهيئة والتنجيم⁴، ولعلم الفلك دور كبير في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية، وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات، واستخراج بعضها من بعضها يضعونها في جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين⁵، لذا عرف اهتماما من قبل العلماء، حيث صنفوا فيه العديد من المؤلفات هي كالتالي:— "كتاب في التنجيم" لابن مرزوق الخطيب⁶.

— كتاب "منهاج الطالب لتعديل الكواكب" لابن البنا⁷، و"المستطيل في بيان أحكام النجوم" و"المدخل في علوم النجوم" و"قانون في ترحيل الشمس"⁸، و"مقالة في علم الاسطرلاب" و"قانون في فصول السنة" و"رسالة العمل بالصحيفة الشكازية وبالزرقالية" و"ورسالة في الجهات وبيان القبلة والنهي عن تغييرها"، و"جزء في الأنواء فيه صور الكواكب واختصار في الفلاحة"⁹، و"المستطيل والسيارة في تعديل الشارة"¹⁰، و"قانون في معرفة الأوقات بالحساب"¹¹، و"رسالة في كروية الأرض والمناخ في الرؤية الأهلية" و"الرد على من قال أن وقت العصر بعلم وقوع قرص الشمس على بصر النائم مقابلا" و"مداخل ثلاثة إلى صناعة الأحكام النجومية"¹²، و"المناخ في رؤية الأهله"¹³، و"المناخ في تركيب الأرياح"¹³.

1- نضال مال الله، المرجع السابق، ص159.

2- قريان عبد الخليل، المرجع السابق، ص317.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص458-459.

4- نضال مال الله، المرجع السابق، ص160.

5- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص459-460.

6- بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص273.

7- أبلاغ محمد، المرجع السابق، ص90.

8- التنبكي، المصدر السابق، ص87.

9- المصدر نفسه، الصفحة نفسها، نضال مال الله، المرجع السابق، ص160.

10- ابن القاضي، درة الحجال...، المصدر السابق، ج1، ص15.

11- المصدر نفسه، ص15.

12- نضال مال الله، المرجع نفسه، الصفحة نفسها، الحريري، المرجع السابق، ص347.

13- ابن القاضي، جذوة الاقتباس...، المصدر السابق، ص76-77.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

— إنتاج العلماء في علم الهندسة: علم الهندسة ينظر في المقادير، إما المتصلة كالخط والسطح والجسم، وإما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية¹، كان اهتمام العلماء كبيرا بهذا العلم، ومرد ذلك إلى النشاط الصناعي الضخم وحركة البناء والتعمير الكبرى التي كانت في العصر المريني، إذ يعتبر الجانب التطبيقي لهذا العلم، حيث تقدمت في هذا العصر الآلات والأجهزة العلمية كالإسطرلاب والساعات، وهذه الآلات والأجهزة اعتمدت بشكل كبير على علم جر الأثقال أو الميكانيكا²، وفائدته تظهر في الصنائع العلمية التي موادها الأجسام، مثل النجارة والبناء، وكيف تصنع التماثيل الغريبة والهياكل النادرة، وكيف يتحيل على جر الأثقال ونقل الهياكل بالهندام والمجال وأمثال ذلك³، وأبرز من أنتج في هذا العلم هو ابن البناء بكتابه "جزء في المساحات"⁴، و"التفسير وقواعد التكسير"⁵.

— تأليف العلماء في علم الفلسفة: كان تأليف العلماء في الفلسفة قليلا، نظرا لمعارضة أغلبهم لها، وأيضا غلبة العلوم الدينية واللغوية في هذا العصر، ولعل أهم المؤلفات هي: "اختصار المقدمات لابن رشد" و"اختصار الحدود للشيرازي" لمحمد بن سعيد الفاسي⁶.

— مراسم الطريقة في علم الحقيقة و"المقالات الأربع" و"قانون في الفرق بين الحكمة والشعر" لابن البناء⁷.

— تصنيف العلماء في علم الطب: علم الطب هو صناعة تنظر في بدن الإنسان، من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن⁸. وأهم مؤلف طبي في هذا العصر هو كتاب "عمل من طب لمن حب" للسان الدين بن الخطيب (ت776هـ)، وهو مؤلف طبي ضخم، تناول فيه ابن الخطيب الأمراض المختلفة، مع ذكر أسباب كل مرض، وأعراضه، وطرق علاجه، وتحولاته، ونظام الغذاء الذي يناسبه، كما يتحدث فيه عن مختلف أعضاء الجسم وطرق العناية بها، وذكر ابن الخطيب في مقدمة الكتاب، أنه لم يجد لخدمة أبي سالم أفضل من الطب، فألف به هذا الكتاب تعبيراً عن حبه لهذا السلطان، وكان ذلك في سنة 761هـ⁹.

وبهذا نكون قد وضعنا إحصاءاً شاملاً لأبرز المؤلفات التي ألفت من قبل العلماء في العصر المريني، وتراوحت بين الكثرة في بعض العلوم والقلة في بعضها الآخر، ويحق القول بأن هذا العصر عرف مؤلفات مهمة جداً، ظلت محل

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص457.

2- الحريري، المرجع السابق، ص347.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص358.

4- التنبكي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5- نضال مال الله، المرجع السابق، ص161.

6- التنبكي، المصدر السابق، ص459.

7- المصدر نفسه، ص87.

8- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص464.

9- الحريري، المرجع السابق، ص349.

الفصل الرابع: — العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.

شرح وتعليق من قبل العلماء في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، كما طغى نمط الاختصار والشرح على إنتاج العلماء في عصر الدراسة، بينما عرفت علوم اللسان العربي انتعاشا كبيرا، وكذلك علم الحساب وعلم الفلك شهد إنتاجا معتبرا عن ذي قبل، وعموما فإن حركة التأليف العلمي تعتبر مظهرا مهما من مظاهر العصر المريني، بالرغم من كثرة الحروب والصراعات بين السلطات الحاكمة، وأثبت أن العلم لا يمكن أن ينقطع أبدا رغم كل الظروف والأزمات¹.

1- ينظر الملحق رقم 15.

الخطاتمة

إن اختيار مذكرة في موضوع "العلماء والسلطة المرينية 668هـ-759هـ/1269م-1358م"، توخى في أولى غاياته نفض الغبار عن طبيعة العلاقة بين العلماء بمختلف تخصصاتهم ومراتبهم بالسلطة المرينية، بتقصي أدوارهم في الحياة السياسية والعلمية، والوقوف جليا على العوامل الفاعلة المحسدة لهذه الأدوار. لذا في ختام هذه الدراسة ينبغي أن نشير إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهي ليست على سوية أو منحى واحد، وكذلك جملة من التوصيات ارتأينا إدراجها، وهذه النتائج والتوصيات ماهي إلا محصلة لدور العلماء السياسي والعلمي في الدولة المرينية، وأبرزها مايلي:

- إن العلماء المسلمين تنوعت تخصصاتهم، وتدرجت مراتبهم على حسب توجه كل منهم، حيث يعتبر المتكلم أعلاهم مرتبة نظرا لاشتغاله بالعقيدة وعلم الكلام، ثم يليه المفسر، فالمقريء، والأصولي، والمحدث، والفقهاء، وعلماء اللغة، وعلى ضوء ذلك غلبت عليهم سمة الموسوعية في العلوم، لهذا اشتمل مصطلح العلماء على جميع هذه المراتب والتخصصات.

- تمت معرفة دلالة مصطلح السلطة، وآليات تجسيدها، من خلال التطرق لمفهوم الخلافة الإسلامية، ومفهوم كل من الملك والسلطان، بحكم أن السلطة المرينية عرفت كلا المفهومين، فالدولة المرينية اعتبرت من الدول السلطانية المتغلبة، ولكنها سعت للوصول إلى الخلافة، من خلال توحيد المنطقة تحت رايتها، والدليل على ذلك تلقب سلاطينها بألقاب الخلافة.

- كان للعلماء شأن عظيم في الدولة الإسلامية، بحكم منزلتهم العلمية، حيث سعى الخلفاء والملوك والسلاطين، لتقريبهم والرفع من قدرهم والإشادة بفضلهم، وظل هذا الأمر متواترا طيلة العصور التي مرت بها الدولة الإسلامية، لذا اضطلعت بتنشئتهم وتكوينهم والإشراف عليهم ماديا معنويا.

- تم تسليط الضوء على أبرز التأثيرات المتحكمة في علاقة العلماء بالسلطة السياسية، من خلال تطرقنا إلى أهم المعايير التي وضعها العلماء لقبولهم التعامل مع السلطة، وسعوا لوضع تصور صحيح لبناء الدولة الإسلامية، يكفل استمرارها وعدم تعطيل مصالح الرعية، وإشاعة العدل وتحقيق الأمن والاستقرار.

- أن علاقة العلماء بالسلطة السياسية، من خلال الدول التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي، ارتكزت على بعدين فكريين هما: الفكر الأشعري والمذهب المالكي، بحيث عمل العلماء على دعم الدول التي قامت على هذين الأساسين، وبالمقابل وقفوا في وجه الدول التي سعت إلى إلغاء هذين الأصلين.

- لم يذخر العلماء وسعا في سبيل تأسيس الدولة المرينية، حيث اضطلعوا بمهمة إعادة بناء دولة جديدة، تدعم توجههم العقدي والمذهبي، كما وقفوا ضد التجاوزات التي اقترفها خلفاء الموحدين، فكان دعمهم لقيام الدولة المرينية، محافظة على وحدة البلاد فكريا ومذهبيا، مما جعل المرينيين يراهنون عليهم في البحث عن الشرعية، التي افتقدوها في بداية تأسيس دولتهم.

- ساهم العلماء بشكل فعال في دفع الحركة الجهادية بالأندلس، فكانوا السباقين إلى ميدان الجهاد، وفي طليعة الجيوش الإسلامية، محفزين فئات المجتمع الإسلامي بالقول والوعظ وذكر أجر الجهاد، مضحين بالغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن حياض المسلمين، فمنهم من استشهد في ساحات الوغى ومنهم من طال به العمر.

- أدرك العلماء خطورة الفرقة بين المسلمين، فسعوا إلى لم الشمل، بدعم سياسة المرينية الوحدوية، ساعين في ذلك لإعادة الانسجام والالتحام والتناسق، لبلاد المغرب الإسلامي من أجل تثبيت أقدام المسلمين في الأندلس، وهذا ما تجسد من خلال المحاولتين التي اضطلع بهما، كل من السلطان أبو الحسن المريني وابنه السلطان أبو عنان فارس، فكان سعي العلماء ينم على وعي عميق بأوضاع المنطقة، ومدى الأخطار التي تحدق بها إذا لم تتوحد.

- كان جوهر العلاقة بين العلماء والسلطة المرينية، هو مدى إقبالهم على تولي مناصب الدولة، والمشاركة فيها، سواء الخطط الدينية أو الخطط السلطانية، فصنف رفض المشاركة نهائيا، وآخر اعتزل بعد أن تولى عددا من المناصب، أما أكثرهم فقد قبل المشاركة في الحياة السياسية تدفعه في ذلك الرغبة للتغيير، وخدمة المصلحة العامة، والتأثير على السلطة من خلال إشرافه على خطة من خطط الدولة الهامة، لذا تم رصد عدد مهم من العلماء الذين تولوا إمامة الصلوات، والخطابة، والقضاء، والحسبة، والمظالم، والسفارة، والكتابة.

- اعتبر العلماء أن نصح السلاطين ووعظهم، كفيل بردهم إلى جادة الصواب، مدركين بنجاعة هذا الأسلوب، حيث تعاملوا مع كثير من المسائل والقضايا التي شهدتها العصر المريني، بكل رجاحة ورباطة جأش وبعد نظر، فاستعملوا اللين في موضع اللين، والشدة في موضع الشدة، ولم يذخروا وسعا في سبيل ذلك، كما لم تأخذهم في الحق لومة لائم، بل سعوا لدرء المفسدة قبل وقوعها، ما استطاعوا لذلك.

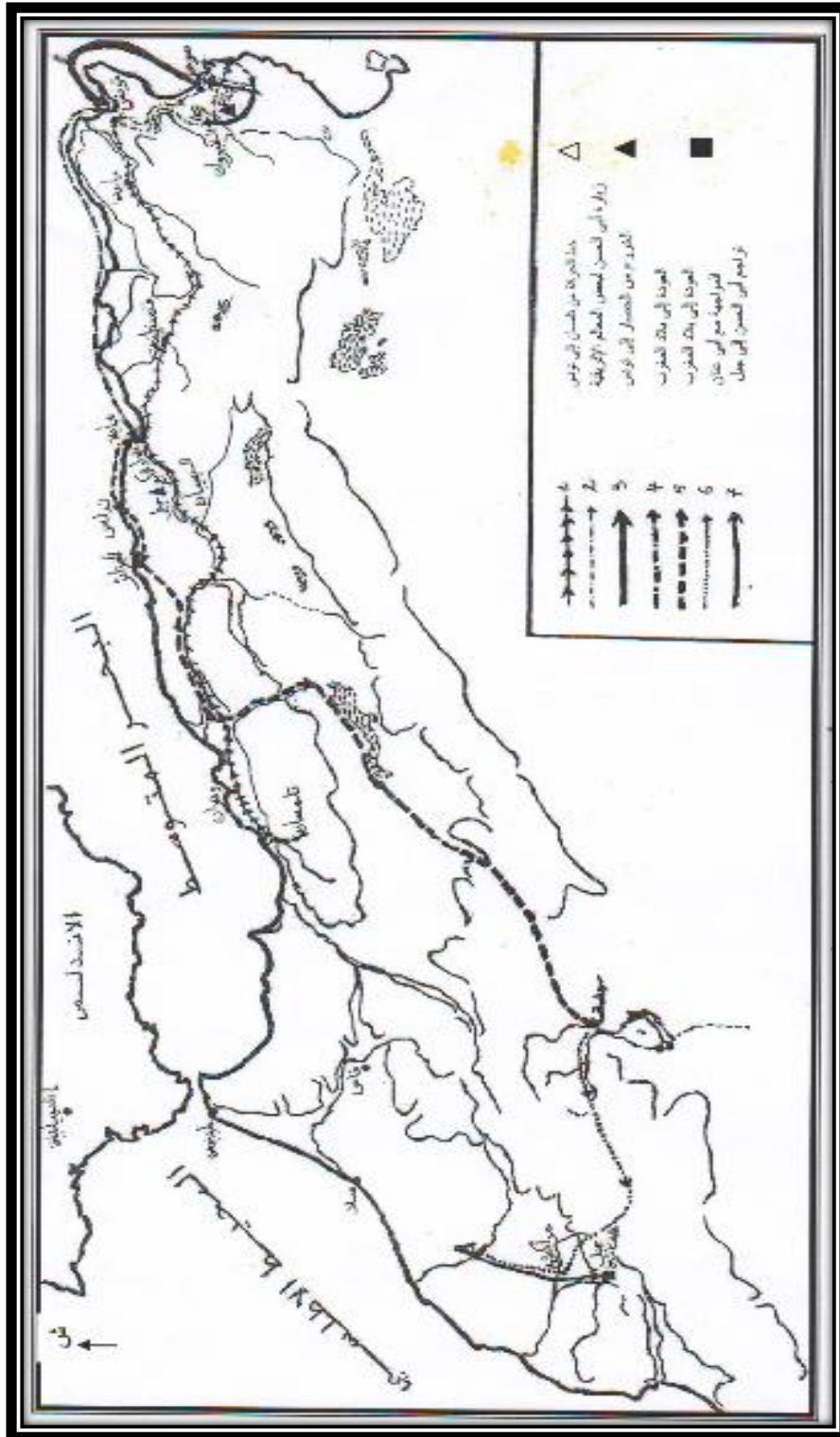
- عمل العلماء على التخفيف من الصراعات بين أفراد البيت المريني، من خلال موقفهم من أسلوب تداول السلطة، محاولين وضع نظام واضح يكفل السير الحسن، للمعايير التي ينبغي توفرها في شخص السلطان المريني، مستندين في ذلك على الرصيد العلمي للسياسة الشرعية، التي تنظم وتضبط التسيير الجيد لأجهزة الدولة، كما اعنتى الكثير منهم بشأن العائلة السلطانية المرينية، كتعليم أفرادها، ومرافقتها في حلها وترحالها، والإشراف على أمور الخطبة والزواج، وحمايتها في وقت المحن.
- عكس الجهاز التعليمي دور العلماء الفعال في الحياة العلمية زمن المرينين، إذ اضطلعوا بمهمة إعادة تطوير نظام التعليم، من خلال الجهود التي بذلوها في هذا المجال، كبحثهم عن سند التعليم، وتولي مهمة التدريس في المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس، كما حافظوا على التدرج في تلقين العلوم بنوعها النقلي والعقلي، واعتمدوا في تدريسها على مقررات دراسية، تنوعت بين الكتب المشرقية والمغربية، وعلى ضوء ذلك تمكن علماء العصر المريني من وضع تصنيف للعلوم، يعد من أهم تصانيف العلوم التي وضعها العلماء المغاربة. كما أسهموا في حركة التأليف العلمي، حيث ألفوا عدد هاما من الكتب في مختلف العلوم الدينية واللغوية والعقلية، بالرغم من معارضة العديد منهم للتأليف.
- إعادة صياغة كتب التاريخ الإسلامي الوسيط مع التركيز حول دور العلماء في بناء الحضارة العربية الإسلامية، في مشرق العالم الإسلامي ومغربيه.
- تزويد المكتبات الجامعية بالكتب التي تتبع تراجم العلماء وسيرهم، وتعنى بإبراز جهودهم في الدفاع عن العقيدة الصحيحة، والدعوة إلى الإسلام.
- البحث عن المخطوطات الضائعة، والإنتاج العلمي المفقود للعلماء المسلمين، والعمل على صيانتهم وتحقيقهم وبعثهم من جديد، ويضطلع بهذه المهمة فريق من الخبراء والباحثين المتخصصين.
- دعوة القائمين على صياغة الكتاب المدرسي والجامعي إلى تصحيح تاريخ العلم وعدم تجاهل جهود العلماء المسلمين في هذا الجانب المهم.
- إعادة توصيف وتصنيف العلوم وفق المنهج الإسلامي والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.
- فتح مشاريع بحث في الدراسات العليا، تتمحور حول دراسة جهود العلماء، في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ومواصلة ذلك بعقد ندوات وملتقيات تسلط الضوء على هذه الجهود.

وأخيراً تبوأ علماء العصر المريني مثل غيرهم من العلماء المسلمين، مكان الصدارة من تاريخ الإنسانية كلها، لما أحرزوا من تقدم في مجال العلوم تقدماً رائعاً، وحققوا أعظم انتصاراتهم، وبذلوا جهوداً مضيئة أثمرت نماءً، وتجديداً و عطاءً، مما يبين حاجة الإنسانية إلى الإسلام، وخسارة البشرية بالخطأ المسلم، وحاجة الحضارة الحديثة لعودة الإسلام بمنظومته العقدية والقيمية، ومشروعه الإنساني اللاعنصري، وإمكانات البعث الحضاري الموجود لدى المسلمين.

و خلاصة القول: إن الدراسة التي أضعها بين يدي الباحثين والقراء، لا أدعي من خلالها الإحاطة بموضوع العلماء والسلطة المرينية من جميع مناحيه، وإنما أنشد منه أن أكون قد أضأت مساحات مظلمة من علاقة العلماء بالسلطة المرينية، سياسياً وعلمياً، وفق رؤية جديدة. وتبقى دراسة من هذا النوع مفتوحة لمزيد من الأبحاث والدراسات التي أرجو من الله تعالى أن أحظى بشرف متابعتها باستمرار، بغية التخصص في فئة العلماء وتعميق البحث في خباياها وعواملها الغامضة. كما أتوخى إثارة فضول باقي التخصصات إلى النباش في المتون المصدرية والشواهد الأثرية المادية والمعنوية، من أجل توسيع حجم المعارف المرتبطة بهذه الفئة، عن طريق تضافر جهود الباحثين في حقول معرفية متكاملة أو متقاطعة مع مكوناتها.

الملاحق

الملحق رقم: 01 مسار تحركات أبي الحسن في بلاد المغرب.



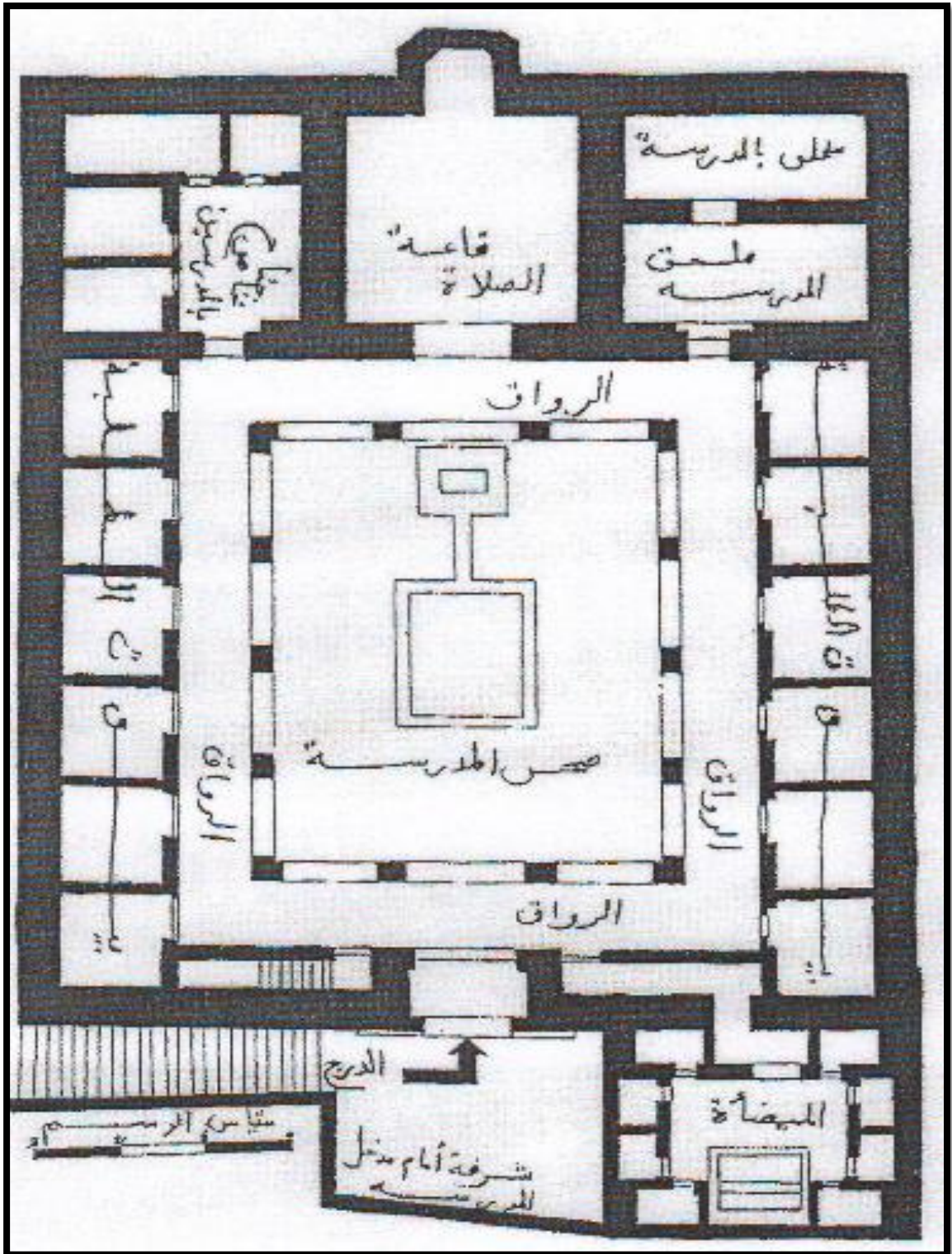
المرجع: محمد عياش، المرجع السابق، ص: 149.

الملحق رقم:04.
مخطط مدينة فاس الجديد في العصر المريني .



محمد عياش، المرجع السابق، ص:155.

الملحق رقم: 04.
مخطط مدرسة العباد .



الملحق رقم:05.
المنصورة - تلمسان.

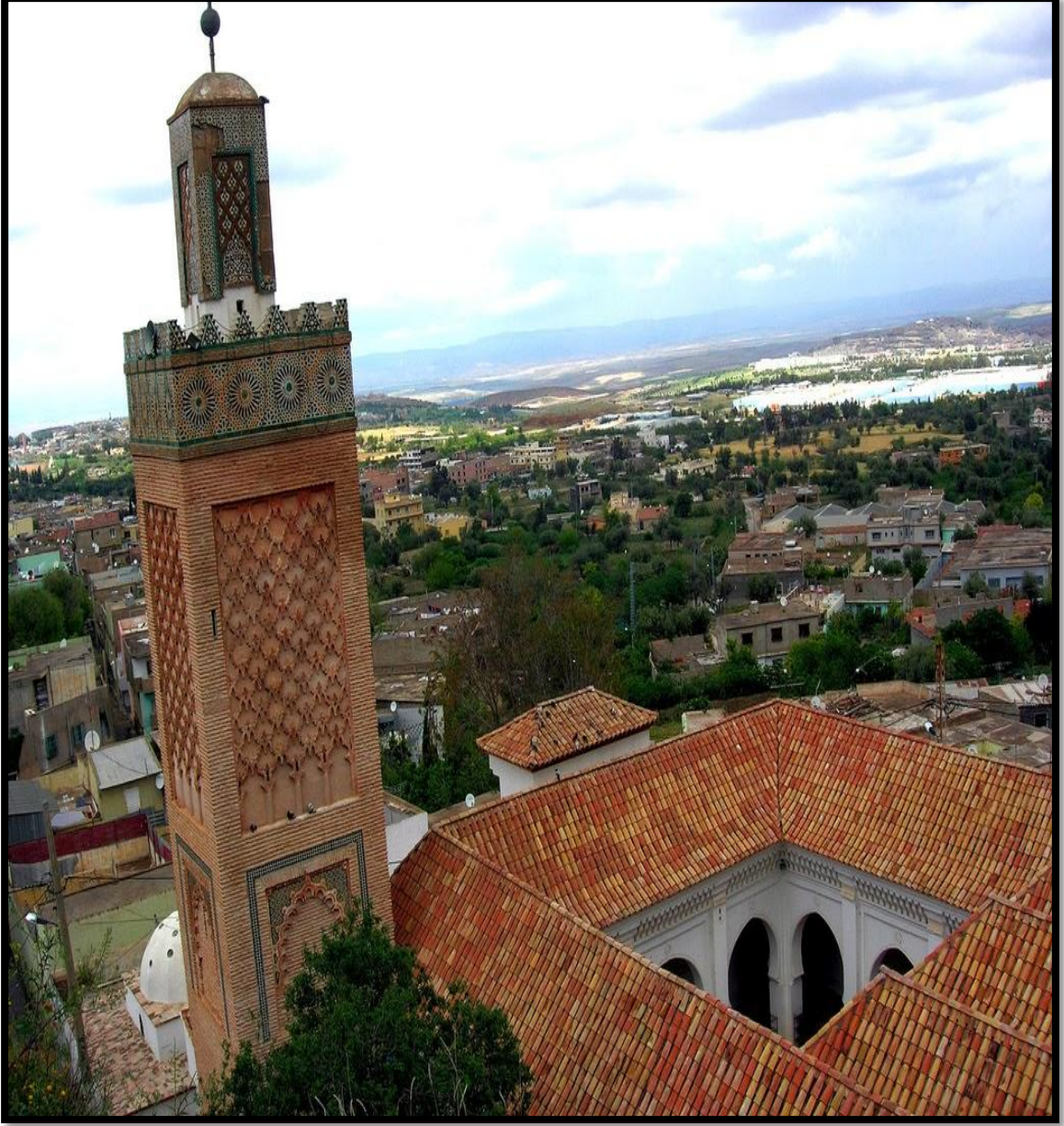


الملحق رقم:05.
مسجد ومناارة سيدي بومدين – تلمسان، ص:408.



محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص:408.

الملحق رقم: 06.
مسجد سيدي الحلوي بتلمسان.



محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص: 407.

الملحق رقم: 07.
جامع القرويين بفاس.

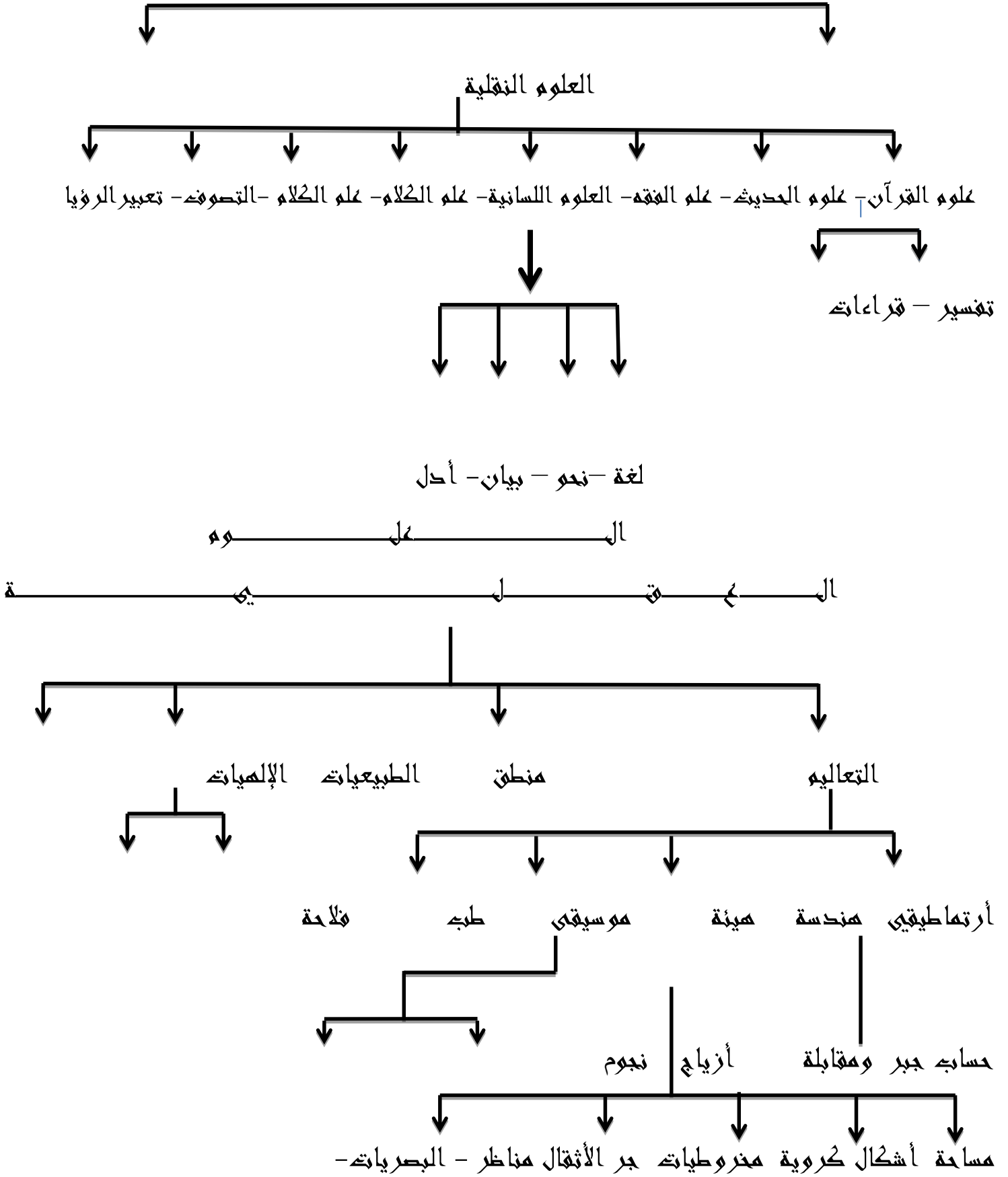


.....، المرجع السابق، ص:.....

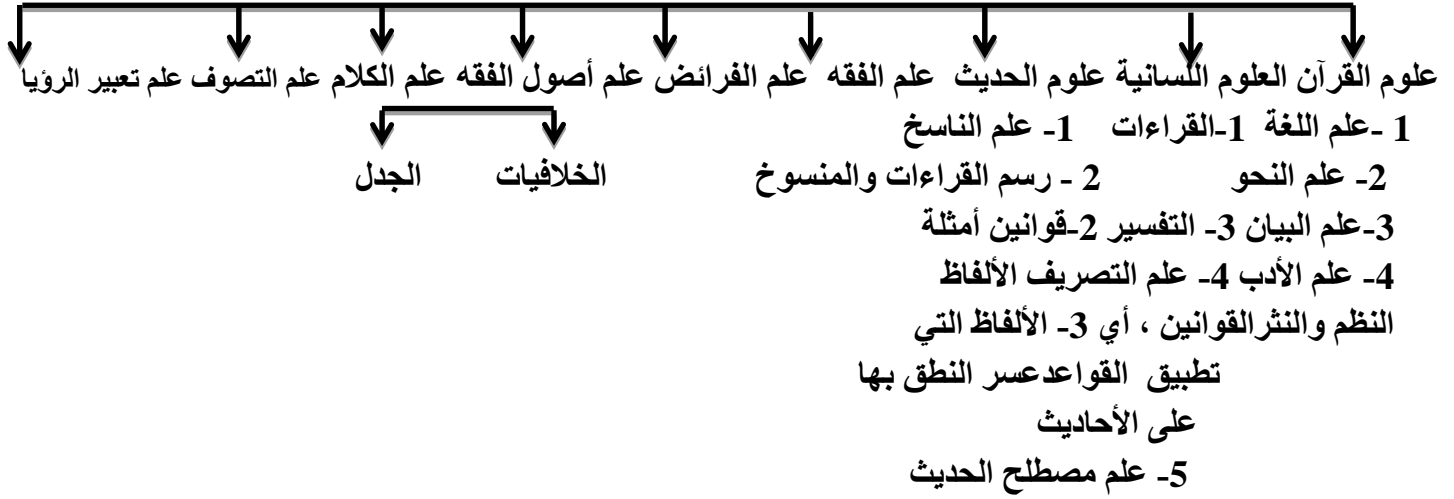
الملحق رقم: 08.

مخطط تقسيم وتصنيف العلوم عند ابن خلدون في المغرب الإسلامي.

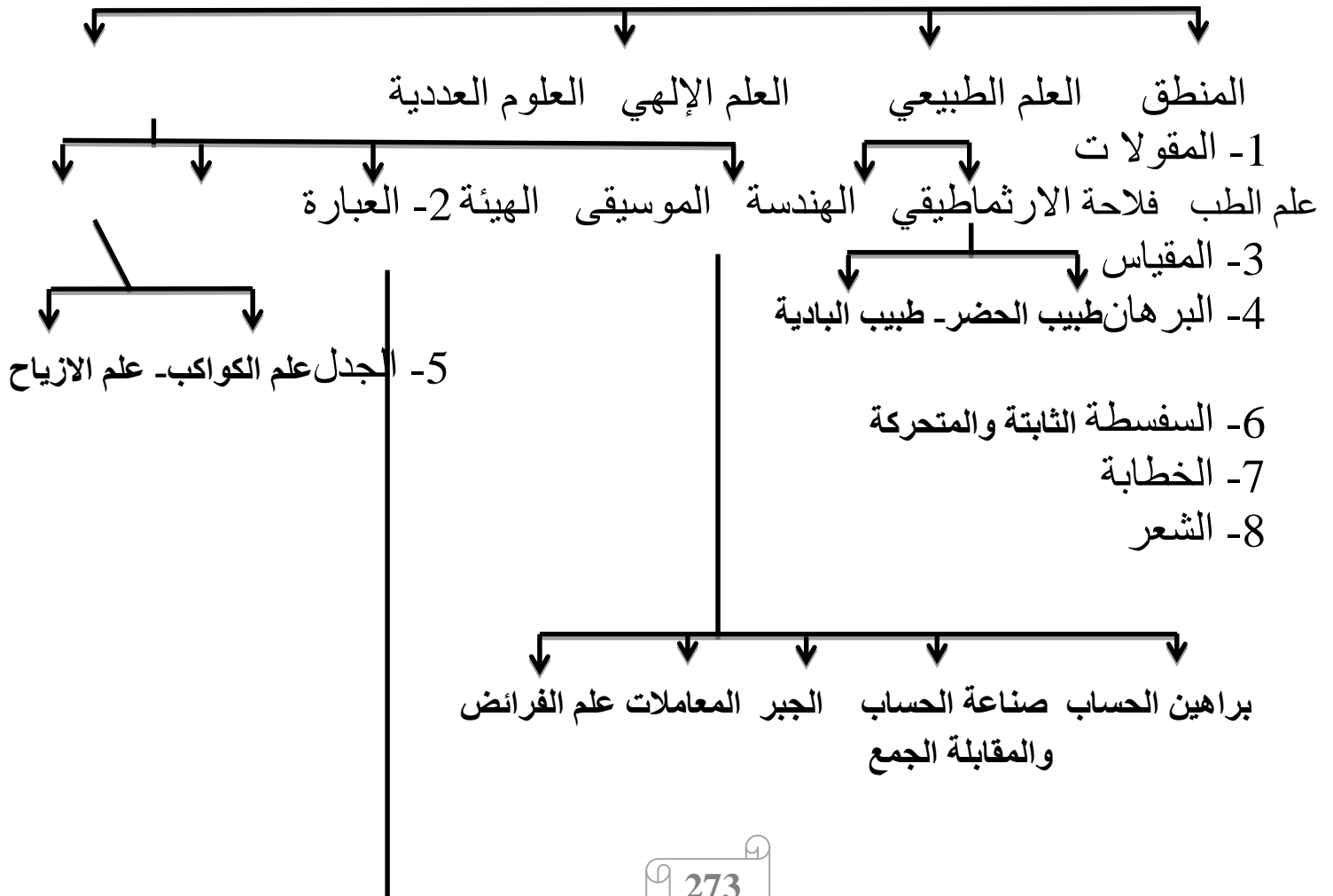
تقسيم العلوم عند ابن خلدون.



العلوم النقلية الوضعية عند ابن خلدون



العلوم العقلية الطبيعية عند ابن خلدون.



الهندسة العامة هندسة الأشكال المساحة المناظر المخروطية

الملحق رقم: 09.

أسماء سلاطين بني مرين .

- 1- عبد الحق بن محيو بن حمامة المريني 592هـ-614هـ/1195م-1217م.
- 2- أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بن محيو 614هـ-637هـ/1217م-1240م.
- 3- محمد الأول بن عبد الحق بن محيو 637هـ-642هـ/1240م-1245م.
- 4- أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق 642هـ-656هـ/1245م-1258م.
- 5- أبو حفص عمر بن أبي يحيى بن عبد الحق 656هـ/1258م.
- 6- يعقوب بن عبد الحق 656هـ-685هـ/1258م-1286م.
- 7- يوسف بن يعقوب بن عبد الحق 685هـ-706هـ/1286م-1306م.
- 8- أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف 706هـ-708هـ/1306م-1308م.
- 9- أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف 708هـ-710هـ/1308م-1310م.
- 10- عثمان بن يعقوب بن عبد الحق 710هـ-731هـ/1310م-1331م.
- 11- أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب 731هـ-749هـ/1331م-1348م.
- 12- أبو عنان فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب 749هـ-759هـ/1348م-1358م.

الملحق رقم:10. حكم الدعاء في الخطب للسلطين:

"...وأما بدعة ذكر السلطين بالدعاء والقول السالم عن الكذب فاصل وظهرت فيها من حيث ذاته مرجوع لأنه لم يشهد الشرع باعتبارها...فيما أعلم،وأما بعد إحداثها واستمرارها في الخطب في أقطار الأرض وضرورة عدم ذكرها مظنة لاعتقاد السلطين في الخطيب ما يخشى غوايله ولا تؤمن عواقبه فذكرهم في الخطب راجح أو واجب،وأما قول من قال:أن ذلك شرع لا يخالف أو واجب لا يترك فإن أراد به ما ذكر فصواب،إلا أن في إطلاق كونه شرعا نظرا،والله مطلع على البشر،وأما قول من قال:أجمع المسلمون على ذلك فإن أراد إجماعا مذكورا في الكتب الجائز النقل منها على الشرط المعتبر فهذا إما رأيه وسماعته..."

المازوني:الدرر المكنونة،2/119(1)ظ،نقلا عن

خطيف صابرة،المرجع السابق،ص:392.

الملحق رقم:11.

يقول أبو عبد الله الشريف التلمساني: "...فإن العلم أجمل السجايا الإنسانية، وأجزل العطايا الربانية، لا سيما، علم الشريعة، إذ هو في سماء المعلوات أسطع بدرا، وأهله من بين أولي الدرجات أرفع قدرا، بجنة رعايته يتحصن يوم الفرع الأكبر من العذاب الأليم، وبنور هدايته يستضاء في ظلم الحشر إلى جنات النعيم، فلقد فاز بالسعادة من أحي به رسما دائرا، وحاز مع المسلمين فيه قسما وافرا. ولما كان مدوخ ملوك العرب والعجم، ومصرف يده الكريمة في معلومات السيف والقلم، جامع كلمة الإسلام بعد شتاتها، وقامع الفجرة الظلام عن إفتياتها، حتى امتدت على الرعية طنبا أمانه، فلبسوا من جميل ظلها بردا سابغا، فهم في حجر كفالتها هاجعون.... وساق إليهم ما يرغبون، مولى الأنام، الخليفة الإمام أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين: أبو عنان أبقاه الله تعالى وسوانح الأقدار قاضية بإصعاده، وسوارح الأعصار ماضية في إسعاده... حتى صار يفصل في مضيق المناظرات بين أربابها، ويجلو دجى المشكلات ويولي كشف حجابها، فأردت أن أضرب بهذا المختصر في اكتساب القرية إليه قدحا معلى وسهما، وأجمع فيه من بديع الحقائق ورفيع الدقائق نكتا وعلما، وفضله-أيده الله- يقضي بحسن القبول ويقتضي لمؤلفه غاية المأمول. وها أنا أشرع فيه بحول الله تعالى، وهو المستعان، وعليه التكلان...".

الشريف أبي عبد الله، المصدر السابق، ص: 296-297.

الملحق رقم:12.

يقول ابن البناء المراكشي: "...الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وفضله بالنطق على سائر الحيوان، وهدى من وفقه إلى طريق الفوز بنعيم الجنان، وأضل من خذله للقضاء عليه بالخلود في النيران. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد إمام المرسلين، المنتهى في النسب الكريم إلى عدنان. الذي اتخذ الله حبيباً ووصياً، وكان به في كل أموره حفيماً، فاجتبه وأنزل عليه الفرقان، فصل فيه الأحكام، وفرق بين الحلال والحرام، وبين ما يتشرع به جميع الأنام، ونسخ به الأديان إلى آخر الزمان..... وبعد فغرضي أن أقرب في هذا الكتاب من أصول صناعة البديع، ومن أساليبها البلاغية ووجوه التفريع، تقريبا غير مخل، وتأليفا غير ممل، يصغر جرمه، ويكثر علمه، وسميته بالروض المريع في صناعة البديع. ومنفعته في زيادة المنة، وفهم الكتاب والسنة، فليجعله الأريب من آربه، والله تعالى المسؤول أن ينفع به، إنه منعم كريم.

فأقول، وبالله أعتصم، من شر ما يصم...."

ابن البناء أحمد، الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بنشقرون، ط1، (د.م)، ص: 68-69.

الملحق رقم:13.

"...قال الشيخ الفقيه، العالم، العلم الأوحد، المقرئ، المتفنن، الصالح، الحاج، قاضي الجماعة بفاس، أبو عبد الله محمد ابن الشيخ، الفقيه، الصالح، أبي عبد الله محمد بن أحمد المقرئ رحمه الله.
الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

قصدت إلى تمهيد ألف قاعدة ومئتي قاعدة، هي الأصول القريبة للأمهمات مسائل الخلاف المتبدلة، والغريبة، رجوت أن يقتصر عليها من سمت به المهمة إلى طلب المباني، وقصرت به أسباب الأصول عن الوصول إلى مكان النصوص من النصوص والمعاني، فلذلك شفعت كل قاعدة منها بما يشاكلها من المسائل، وصفحها في جمهورها عما يحصلها من الدلائل.
ونعني بالقاعدة، كل كلي هو أخص من الأصول وسائر المعاني العقلية العامة، وأعم من العقود، وحملة الضوابط الفقهية الخاصة. وباللّٰه أستعين في تيسير ما قصدت، وعليه أعتمد في تحقيق ما أملت، وما توفيقى إلا باللّٰه عليه توكلت، وإليه أنيب...".

المقرئ محمد، القواعد، ج1، المصدر السابق، ص:212.

الملحق رقم:14.

موقفه ابن خلدون من التأليف.

"...اعلم: أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك. وحينئذ يسلم له منصب التحصيل، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها. ولا يفني عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها، فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل. ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة مثلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية، مثل كتاب: ابن يونس واللحمي وابن بشير "والتنبيهات" "والمقدمات" "والبيان" "والتحصيل على العتبية"، وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه. ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم، والإحاطة بذلك كله، وحينئذ يسلم له منصب الفتيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد. والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها، والعمر ينقضي في واحد منها. ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط، لكان الأمر دون ذلك بكثير، وكان التعليم سهلا ومأخذه قريبا؛ ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه، فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها. ويمثل أيضا علم العربية من كتاب سيبويه، وجميع ما كتب عليه، وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين من بعدهم، وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك. وكيف يطالب به المتعلم، وينقضي عمره دونه، ولا يطمع أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر، مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد، من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام، ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة، لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتهم، لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه. ودل ذلك على أن الفضل ليس منحصرًا في المتقدمين، سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف، ولكن "فضل الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم" (المائدة: 54، والحديد: 21، والجمعة: 04). وهذا نادر من نوادير الوجود، وإلا فالظاهر أن

المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله، فلا يفي له تحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة، فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة؟ "ولكن الله يهدي من يشاء" (البقرة: 272، والقصص: 56).

ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص: 521-522.

الملحق رقم: 15.

جدول إحصائي يمثل عدد المؤلفات والعلماء في عصر الدراسة.

عدد العلماء	عدد المؤلفات	العلوم
05	10	علم التفسير
05	10	علم القراءات
07	12	علوم الحديث
06	06	علم أصول الفقه
08	15	علم الفقه
02	02	علم الجدل
02	03	علم الفرائض
03	05	علم التصوف
03	03	علم أصول الدين
12	21	علم النحو
03	06	علم اللغة
04	06	علم البيان والبدیع والعروض
04	04	السيرة النبوية
14	15	علم التاريخ والرحلات
03	04	علم السياسة
07	07	الفهارس

03	07	علم المنطق
02	08	علم الحساب
01	16	علم الفلك
01	02	علم الهندسة
01	02	علم الفلسفة
01	01	الطب
97	165	المجموع

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام:

(أ)

-أحمد بن حنبل:16-58-134.

-أحمد بن أبي طيفور:48.

-أحمد المقري:81-94-197-230.

-أحمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي السعدي:95.

-أحمد بن عثمان بن أبي دبوس الحفصي:107.

-أحمد بن راشد العمراني:130.

-أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان، شهر بالقباب:135.

-أحمد بن محمد المالقي:142.

-أحمد بن الحسن البلياني التلمساني:152.

-أحمد بن صابر:152.

-أحمد بن سعد بن إبراهيم بن جعفر التجيبي:152.

-أحمد بن يوسف اللبلي:252.

-أحمد بن علي الملياني المراكشي:153.

-الأبيوري أبي المظفر أحمد بن محمد:205.

-الآجري:38.

-أرسطو:205-207.

-الأصفهاني:15.

-الأغالية:60.

-ألفونسو العاشر:88-89.

-ألفونسو الحادي عشر:93.

-الأمويين:27-41-47-42-43.

-أولاد مهلهل:108.

-إبراهيم السريفي:158-159.

-إبراهيم التازي:248.

-إبراهيم بن فرحون:18-249.

-إدريس بن عبد الله:67.

-إسماعيل بن الأحمر:68-69-175-255.

-ابن الأزرق محمد:29-48.

-ابن أبي زيد القيرواني:63-215.

-ابن أبي زرع الفاسي:68-71-72-74-76-77-89-254.

-ابن آحروم:246-251.

-ابن بري التازي:245.

-ابن الجرار:104.

-ابن الجوزي عبد الرحمان:48.

-ابن جماعة:48.

-ابن الحاج النميري: 223-250-255.

-ابن حزم: 61-62-205-207.

-ابن حبيب: 63.

-ابن سيد الناس: 15.

-ابن سينا: 205-215.

-ابن سماك العاملي: 254.

-ابن عبد البر يوسف: 38.

-ابن عذارى المراكشي: 254.

-ابن عساكر: 53.

-ابن فضل الله العمري: 30.

-ابن فورك: 55.

-ابن القاسم الزجاجي: 251.

-ابن القاسم الشريف: 251.

-ابن منجب الصيرفي: 48.

-ابن منظور: 238.

-ابن النديم محمد بن إسحاق: 205.

-ابن يونس: 63.

-أبو القاسم بن زيتون: 196.

-أبو القاسم العزفي: 82-89-90.

- أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي: 122-153.
- أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان: 118-132-152-167-255.
- أبو القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي: 255.
- أبو أمية الدلائي: 140.
- أبو إسحاق التنسي: 110-135.
- أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى الغافقي الإشبيلي: 143.
- أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى بكر التسولي التازي: 131-143-149.
- أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاج النميري: 152.
- أبو بكر المرادي: 49-55.
- أبو بكر بن العربي: 55-56.
- أبو تاشفين عبد الرحمان الأول: 102.
- أبو ثابت الزياتي: 103-104.
- أبو ثابت المريني: 101-174.
- أبو حاتم العزفي: 92.
- أبو حامد الغزالي: 47-48-52-55-215.
- أبو حامد بن البقال: 141.
- أبو حفص عمر الحفصي: 106-119.
- أبو الحجاج يوسف: 94.
- أبو الحسن الأشعري: 47-52-53.

- أبو الحسن الماوردي:48-49.
- أبو الحسن المريبي:49-82-93-94-96-101-102-103-106-107-108-109-110-111-116-119-120-122-123-131-132-135-149-151-152-155-156-160-161-166-174-197-208-209-219-227-228-230-235-246-253-256.
- أبو الحسن علي بن يوسف بن يزكاتن:91.
- أبو الحسن علي التنسي:109-110-149.
- أبو الحسن علي الغافقي:229.
- أبو الحسن بن القاضي أبي عبد الرحمان المغيلي:140.
- أبو الحسن بن أحمد المعروف بابن عذار:140.
- أبو الحسن علي بن محمد عبد الحق بن الحسن المعروف بالصغير:142-250.
- أبو الحسن علي بن عبد النور:122.
- أبو الحسن علي بن أحمد بن الفحام:122.
- أبو الحسن القبائلي:153-156.
- أبو الحسن علي بن محمد بن سعود:153-156.
- أبو الدرداء رضي الله عنه:12.
- أبو زيان محمد بن عثمان:100.
- أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن الأشقر الفاسي:152.
- أبو زيد عبد الرحمان الهزميري:158.

- أبو زكرياء الحفصي: 105.
- أبو سالم عبد العزيز المريبي: 50-259.
- أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريبي: 72-73-76.
- أبو سعيد عثمان بن يغمراسن: 100-110.
- أبو سعيد الزباني: 103-104.
- أبو سعيد بن لب: 179.
- أبو الطيب سعد الكناني: 151.
- أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق: 110-132.
- أبو العباس أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني: 115-143.
- أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي: 117-132-256.
- أبو العباس أحمد بن شعيب: 118-152.
- أبو العباس أحمد القلقشندي: 136-149.
- أبو العباس أحمد بن محمد الأزدي المراكشي المعروف بابن البنا المراكشي: 142-179-189-197-
- 215-244-245-248-249-250-251-253-257-258-259.
- أبو العباس أحمد بن الحفيد السلوي: 143.
- أبو العلاء إدريس المأمون: 63.
- أبو عبد الله محمد بن علي الآبلي: 112-123-178-189-198-199-200-201-203-204-
- 209-232-235-236-237-242.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور التلمساني: 113-143-156.

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن النجار: 114.

-أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي: 116-120-131-132-135-149-189-249.

-أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ: 118-120.

-أبو عبد الله محمد المقرئ: 120-121-127-135-144-149-161-162-178-189-198-

200-229-235-236-237-242-245-246-248-250-251-255-256-257.

-أبو عبد الله بن عبد الرزاق: 121-122-144.

-أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسيني: 121-135-159-162-203-247-249-253-

257.

-أبو عبد الله النفزاوي: 122.

-أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر التميمي التلمساني: 122.

-أبو عبد الله محمد بن ولي الله الجزولي: 132-143.

-أبو عبد الله الرندي: 135-155.

-أبو عبد الله الشريف: 141.

-أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر الجاناني: 141.

-أبو عبد الله عبد الملك بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن موسى الفشتالي يكنى مروان: 141-155.

-أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي: 142.

-أبو عبد الله الفشتالي: 143.

-أبو عبد الله الكناني: 151.

-أبو عبد الله بن الربيب: 151.

- أبو عبد الله العمراي: 151.
- أبو عبد الله بن شعيب الدكالي: 196.
- أبو عبد الملك المراكشي: 151.
- أبو عمران الفاسي: 54.
- أبو عمران الزرهوني: 143.
- أبو علي المريبي: 101-102-158.
- أبو علي بن رشيد: 152-189.
- أبو علي الحسين بن عفيفي بن الحسين بن رشيق التغالبي: 142.
- أبو عنان فارس المريبي: 103-104-106-108-109-120-121-122-123-131-135-
- 149-152-153-161-166-168-175-181-182-197-199-218-219-220-
- 224-229-243.
- أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي: 248.
- أبو غالب المغيلي: 143.
- أبو الفضل محمد بن يحيى المزدغي: 131.
- أبو فارس العمراي: 141.
- أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف: 142.
- أبو محمد عبد الله بن علي الكناني الغرناطي: 95.
- أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماي: 95.
- أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي: 117-167.

- أبو محمد عبد الله بن أبي بكر: 151.
- أبو محمد صالح بن حجاج اللخمي: 152.
- أبو محمد عبد الله المرسي السبتي: 152.
- أبو محمد عبد النور: 156.
- أبو موسى عيسى بن الإمام: 96-110-111-135-160-161-178-189-198-219.
- أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي: 114.
- أبو هريرة رضي الله عنه: 44.
- أبو يحيى الحفصي: 106.
- أبي القاسم الرعيبي الشاطبي: 214.
- أبي القاسم الملاحي: 254.
- أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي: 252.
- أبي بكر بن عبد الحق المريبي: 73-74-75-76-77.
- أبي بكر عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني: 252.
- أبي الحسن بن أبي طالب: 93.
- أبي حفص عمر الحفصي: 106-119.
- أبي حنيفة النعمان: 134.
- أبي خزر خليفة بن إبراهيم: 168.
- أبي ذر الهروي: 54.

-أبي زيد عبد الرحمان بن الإمام: 82-96-110-111-135-150-160-161-178-189-
198-219-248.

-أبي زكرياء يحيى بن أبي طالب: 93.

-أبي زكرياء يحيى بن عمر: 222.

-أبي سعيد المريبي: 101-105-106-110-132-151-174-227-228.

-أبي العباس أحمد الحفصي: 106.

-أبي عطية عبد العباس بن يعقوب: 91.

-أبي عبد الله محمد بن سعد بن نزال الأنصاري: 208.

-أبي عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك: 254.

-أبي عبد الله الشوذى الإشبيلي المعروف بسيدى الحلوى: 229.

-أبي عبد الله الندرومي التلمساني: 256.

-أبي عبد الرحمان بن أبي طالب: 93.

-أبي عمر تاشفين المريبي: 149.

-أبي عمرو الداني: 214.

-أبي عمران العبدوسى: 249.

-أبي مالك المريبي: 93-174.

-أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد الجصاصى: 82.

-أبي محمد صالح: 222.

-أبي مدين شعيب: 220-219-228.

-أبي معرف محمد بن عبد الحق المريني:73.

-أبي يحيى بن أيوب:78.

-أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدى:85-86-226.

(ب)

-الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب:47-52-53-54-55.

-البراذعى:63-215.

-البخارى موسى بن يمومين:158.

-البويهيين:30.

-البغدادى عبد القاهر:13.

-البيرونى:215.

-بني مرين:34-50-60-65-68-69-70-71-73-76-89-91-92-100-102-104-

105-110-115-140-155-160-163-165-167-174-196-223.

-بني الأحمر(بني نصر):88-92-93.

-بني العباس:42-59.

-بني عبد الواد:74-100-101-102-104-105-106-110.

(ت)

-التنسى:103-158.

-التنبكى:236-248.

-تقى الدين الجمائلى:246.

-توجين:110.

-التهانوي محمد بن علي:205.

(ث)

-الثعلبي محمد بن الحارث:48.

(ج)

-الجاحظ عمرو بن بحر:48-221.

-الجزنائي:181-217-254.

-جلال الدين القزويني:215.

(ح)

-الحاج عبد الغني:223.

-الحسن البصري:43.

-الحسين بن منصور:38.

-الحفصيون:68-98-102-104-106-107-226.

-حاجي خليفة:205-239.

(خ)

-الخطيب البغدادي:38.

-الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف:205.

(د)

-دون نونو دي لارا:90.

(ذ)

(ر)

-روجر بكون:205.

(ز)

-زناتا:68-69-78-100-104-114-163.

-الزبانون:68-98-100-102-106-110-149.

(س)

-سحنون بن سعيد:63-215.

-السعيد الموحي:74.

-السبكي:182.

-السلجوقية:30-225-233.

-سانشو:181.

-سليمان بن يوسف:131.

-سليمان المريني:166-168.

-السمرقندي:17.

-السيوطي جلال الدين:30.

(ش)

-شأنجة الرابع:92.

-الشيزري:157.

-الشوكاني:162.

(ص)

-صديق بن حسن القنوجي:205.

-صلاح الدين الأيوبي:224.

-صنهاجة:114.

-الصرصري:198.

(ض)

(ط)

-الطرطوشي:48.

-طاش كبرى زاده:205.

(ظ)

(ع)

-عامر بن إدريس:89.

-عمر بن عبد العزيز:53.

-عمر الفاكهايني:246.

-عبادة ابن الصامت رضي الله:44.

-عثمان بن عبد الحق المريني:76.

-علي بن سعيد:30.

-علي بن أحمد المعروف بابن القزاز:140.

-علي بن يوسف بن يزجاتن:92.

-علي بن أبي بكر بن عبد الرحمان بن أحمد المليلي:142.

-علي بن علي القبائلي الموحد التنملي:153.

-علي بن محمد الخزاعي:253.

-عبد الرحمان ابن خلدون:29-48-56-59-67-68-105-106-116-129-136-147-
-148-150-153-176-178-183-185-189-195-196-198-199-205-207-
-208-209-210-211-213-232-242-243-248-249-253-254-255-256-
258.

-عبد الرحمان بن الخزاعي التسولي:153.

-عبد الملك بن عبد الله الجويني:48.

-عبد الملك بن مروان:127.

-عبد الواحد المراكشي:53-62.

-عبد المؤمن بن علي:63-218.

-عبد المجيد النجار:57.

-عبد الحق المريني:76-163.

-عبد الله الفشتالي:76-77-78-135-188.

- عبد الله بن الزبير: 127.
-عبد الله بن الخطيب: 131.
-عبد الله بن زمرك: 81.
-عبد الله بن عمر: 127.
-عبد الله بن محمد الجنيارى المحمدي: 131.
-عبد الله بن أحمد بن الملجوم الأزدي: 144.
-عبد الله بن محمد الأوربي: 145.
-عبد الله بن عبد الرزاق: 248.
-عبد الله بن أحمد الأموي: 252.
-عبد العزيز الملزوزي: 78-148-253.
-عمر بن عبد الرحمان الفاسي: 245.

(غ)

(ف)

- الفيروز آبادي: 11-20.
-الفتح بن خاقان: 48.
-الفارابي أبي نصر محمد بن محمد: 205.
-فخر الدين الرازي: 248.
-فاطمة بنت محمد الفهري: 217.

-فرانسيس بيكون:205.

(ق)

-القاضي عياض:194.

(ل)

-لسان الدين ابن الخطيب:259-96.

(م)

-مالك بن أنس:44-59-60-61-75-114-127-134-135-208-233.

-محمد بن إبراهيم الصنفار المراكشي:245.

-مالك بن المرحل:82-153-250-251-252-253.

-المماليك:68.

-محمد بن عبد السلام:197.

-محمد بن تومرت:25-56-58-67-70-226.

-محمد بن إدريس الشافعي:38-43-53-134.

-محمد بن مرزوق الخطيب:69-82-93-97-115-132-150-153-155-156-159-

160-161-168-178-188-198-199-219-222-234-245-246-249-252-

253-254-255-256-258.

-محمد بن الأحمر:88-89.

-محمد الثاني بن الأحمر:91-92.

-محمد الرابع بن الأحمر:92.

- محمد بن دقق العفد:246.
- محمد بن على العزف:94.
- محمد بن على العابد الأنصارف:245.
- محمد بن أحمد بن جزف:95.
- محمد بن أحمد الفشتالف:145.
- محمد بن محمد اللخمف العزف:143.
- محمد بن أبف مالف:153.
- محمد بن عبء الله الفهرف:217.
- محمد بن فف بن محمد بن أحمد بن بكر بن سعفء الأشعرف المالف:96.
- محمد بن أحمد بن محمد بن على الغسالف:96.
- محمد بن أبف الصبر أبوب بن ففكول الفاناف الففسف:130.
- محمد بن أبف الفسن بن أبف بكر المالف:143.
- محمد بن عبء الرحمان بن سعد الفمفمف السلف الكرسوطف:96.
- محمد بن سفء الناس:106.
- محمد الأنصارف السبف:229-255.
- محمد العبءرف:255.
- محمد الناصر:86.
- محمد المالف:142-152.
- محمد السقف:142.

-محمد بن سعید بن عثمان الأندلسي: 247.

-محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله الدراج الأنصاري التلمساني: 142.

-محمد بن هانئ اللخمي السبتي: 251.

-المرابطين: 19-40-41-49-54-56-57-62-64-67-69-70-84-85-99.

-مشیخة الغزاة: 91-163.

-مصباح بن عبد الله الباصلوتي: 228.

-مظفر الدين كوكري: 224.

-الموحدين: 19-40-41-62-63-64-68-70-72-74-77-85-87-99-226.

-موسى بن عثمان الزياني: 102.

-مغراوة: 110.

(ك)

(و)

-الونشريسي: 127-128-135-242-248.

(ن)

-نور الدين زنكي: 224.

-نظام الملك السلجوقي: 224-225.

(هـ)

(ي)

-يعقوب بن عبد الحق:75-76-89-90-91-100-106-165-174-181-218-227.

-يعمراسن بن زيان:100.

-يوسف الناصر:91-92-100-101-110-130-131-148-149-152-155-158-

166-174-218.

-يحيى بن عبد الرحمان المزدغي:131.

-يوسف بن عمر الأنفاسي:131.

-يوسف بن الحكم البلنسي:141.

-يحيى بن خلدون:132-199.

-يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس:217.

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأماكن والبلدان:

(أ)

-ألمرية:88.

-الأرك:85-86-91.

-أزمور:142-230.

-أسفي:230.

-أصبهان:224.

-أغمات:143-158-230.

-الأندلس:56-59-60-63-64-79-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-

92-98-99-102-118-122-145-163-196-226.

-أنفى:230.

-أوروبا:94.

-أبي بياش(صخرة):73.

-آمل:224.

-إربل:225.

-الإسكندرية:177-226.

-إشيلية:88.

-إفريقية:98-104-107-111-112-113-115-116-117-118-119-120-136-

196-208-226.

-اسطنبول:182.

(ب)

-باب الشريعة:76.

-بجاية:19-109-120-122-178-182-196.

-بخارى:182.

-البحر الأبيض المتوسط:88.

-بحر الزقاق:92.

-بطوية:75.

-بلخ:224.

-بوفر (النهر):73.

-البصرة:182-224.

-بغداد:182-224-236.

-بلاد الزاب:223.

-بيت المقدس:256.

(ت)

-تازة:75-142-218-230.

-تلمسان:19-20-74-100-101-102-103-104-105-106-107-110-111-112-

-113-114-115-116-120-122-132-135-136-144-158-160-178-182-

-196-197-218-219-228-230.

-تونس: 19-20-107-108-109-113-114-115-116-117-118-122-132-168-
178-182-196-226.

-تسالة: 168.

(ث)

(ج)

-جبل طارق: 82-88-93.

-الجزيرة الخضراء: 88-90-92-94.

-الجزائر: 230.

-جيان: 88.

(ح)

-الحجاز: 59-60-64-177.

-حصن العقاب: 72-77-87-91-95-97.

(خ)

-خراسان: 64.

(د)

-الدار البيضاء: 142.

-درعة: 75.

-دمشق: 182-256.

(ذ)

(ر)

-رندة:92.

(ز)

-الزلاقة:84-85-91.

(س)

-السوس:75.

-سببة:19-82-94-115-118-143-182-229-230.

-سجلماسة:69-75.

-سلا:142-144-223.

-سكالك:104.

-سوسة:167.

(ش)

-الشام:64-177-178.

-شالة:97.

-شدونة:88.

-شروش:89-92.

(ص)

-الصفصيف (وادي):104.

(ض)

-طبرستان:224.

-طريف:90-92-95-98-113-118.

-طرابلس:144.

-طنجة:75-230.

(ظ)

(ع)

-العراق:59-60-64.

-عدوة القرويين:217.

(غ)

-غرناطة:19-20-81-88-89-91-92-93-94-150-182-196.

(ف)

-الفرنطيرة:90.

-فاس:19-63-73-75-76-77-96-97-102-104-113-117-118-132-135-

-140-141-142-143-144-145-161-163-178-181-182-196-197-211-

.223-228-229-236.

-فاس الجديد:218-219-220.

-فكيك:69.

(ق)

-القاهرة: 177-182.

-القيروان: 19-20-104-108-109-113-118-167-182.

-القورة: 90.

-قاس: 88.

-قرطبة: 88-90-182.

-قسطنطينة: 121-223.

-قشتالة: 86-89-90-94-150-181.

(ك)

-كرسيف: 74.

-الكوفة: 182.

(ل)

-لورقة: 88.

(م)

-المدينة المنورة: 60-61.

-المشرق الإسلامي: 23-24-51-52-53-54-55-56-57-58-61-117-196-198-

211-224-225-226.

-المغرب الإسلامي: 23-24-51-52-53-54-55-56-57-58-59-60-61-63-64-65-

67-82-87-89-93-178-197-208-211-219-226-227-230-243-256.

-المغرب الأقصى: 55-67-70-72-73-74-75-85-92-98-100-102-103-104-
106-109-110-116-117-119-120-122-182-217-218-226-227-230.
-المغرب الأوسط: 98-101-102-103-104-105-107-110-116-119-196-227-
230.

-المغرب الأدنى: 98-101-102-105-109.

-المنصورة: 101-103-142-218.

-مالقة: 19-20-88-118.

-ما وراء النهر: 64-236.

-مراكش: 19-74-76-89-106-115-141-142-143-182-230.

-مرسية: 88.

-مكة: 23-152-256.

-مكناسة: 74-118-122-223.

-مصر: 178-196-226-256.

-الموصل: 224.

(ن)

-ندرومة: 103-114.

-نيسابور: 182-224.

(هـ)

-هراة: 224.

(و)

-وادي يسر: 104.

-وادي تلاغ: 72.

-وعدة: 75.

(ي)

ثَبِّتِ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-المصادر:

-الأنصاري محمد بن القاسم السبتي، اختصار الأخبار عما كان في سبته من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، 1403هـ/1983م.

-الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1409هـ/1989م.

-البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الجزء الأول، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2002م.

-البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، 2005م.

- (—————، —————)، كتاب أصول الدين، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1401هـ/1981م.

-البغدادي الخطيب الحافظ أبي بكر أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م.

- (—————، —————)، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين زعتر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1975م.

-البيذق أبو بكر علي الصنهاجي، أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تقديم وتحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات، طبعة خاصة الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2011م.

ثبت المصادر والمراجع:

-التبكي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، جزاء، ط1، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1398هـ/1989م.

-التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، تحقيق وتعليق محمود بوعياض، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/1985م.

-الثعالي أبو منصور عبد الملك، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق حمدو طماس، ط1، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ/2007م.

-الجرجاني الشريف علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، ط1، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ-1426هـ/2005م.

-الجزنائلي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1411هـ/1991م.

-حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وكالة المعارف، 1360هـ/1941م.

-الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، الكويت، دار الرسالة، 1983م.

-الزر كشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة.

-السملالي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الإعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، الجزء الثاني، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1413هـ/1993م.

-السيوطي جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، واعتناء وتعليق مصطفى شيخ مصطفى، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1429هـ/2008م.

ثبت المصادر والمراجع:

- (_____، _____)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ/2009م.
- (_____، _____)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة، مطبعة الموسوعات، د.ت.
- (_____، _____)، إتمام الرواية لقراء النقاية، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
- السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد، تنبيه الغافلين وبستان العارفين، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ/1999م.
- الشافعي محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
- الشريف أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسيني التلمساني، مفتاح الوصول إلى الفروع على الأصول، ويليه كتاب مئارات الغلط في الأدلة، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس، ط1، مكة المكرمة، المكتبة المكية، بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ/1998م.
- الشيزري عبد الرحمان ابن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العربي، د.د.م.ت.
- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المستصفي من علم الأصول، تحقيق الدكتور محمد تامر، الجزء الأول، ط1، القاهرة، دار الحديث، 1432هـ/2011م.
- (_____، _____)، إحياء علوم الدين، الجزء1، بيروت، دار المعارف، د.ت.
- القرطبي أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق واعتناء شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، بيروت مؤسسة الرسالة ناشرون، 1433هـ/2012م.
- القلقشندي أبو العباس أحمد، صباحالأعشى، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1334هـ/1916م.
- الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، الجزء الثاني، فاس، مطبعة حجر، 1316هـ.

ثبت المصادر والمراجع:

- الكناني ابن جماعة بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
- المالقي أبو القاسم بن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، ط1، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1404هـ/1984م.
- الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، القاهرة، دار الحديث، 1427هـ/2006م.
- المحجاري محمد، برنامجا محجاري، تحقيق محمد أبو الأحنان، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982م.
- المرادي أبو بكر محمد بن الحسن، السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1430هـ/2009م.
- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق دوزيليدن: إ. ج بريل، ط2، 1881م.
- المقرئ أبو العباس أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق الدكتور علي عمر، المجلد الأول، الجزء الأول، طبعة خاصة، الجزائر، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011م.
- (—————، —————)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1408هـ/1988م.
- المقرئ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، القواعد، تحقيق ودراسة أحمد بن عبد الله بن حميد، الجزء الثاني، مكة المكرمة، مركز إحياء التراث الإسلامي، د.ت.
- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، ط1، الرباط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1401هـ/1981م.
- النووي يحيى بن شرف، شرح رياض الصالحين، شرحه محمد بن صالح العثيمين، المجلد الثالث، الجزائر، دار الرشيد، د.ت.

ثبت المصادر والمراجع:

- ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، تونس، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ.
- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ت.
- (_____، _____)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.
- ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام هراس، دط، بيروت، دار الفكر، 1955م.
- ابن الأحمر إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، ط1، الرباط، المطبعة الملكية، 1382هـ/1962م.
- (_____، _____)، نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، دراسة في حياته وأدبه، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، 1967م.
- (_____، _____)، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.
- ابن الأزرق محمد، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، الجزء الأول، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م.
- ابن بلقين عبد الله، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة "مذكرات الأمير عبد الله"، تحقيقاً ليفيرونفسال، القاهرة، دار المعارف، 1955م.
- ابن تومرت محمد، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق الدكتور عمار طالبي، موفم للنشر، 2011م.
- ابن تيمية عبد الحلیم، الحسبة، تحقيق صالح اللحام، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الدار العثمانية، 1424هـ/2004م.
- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الفكر للطباعة، 1977م.

ثبت المصادر والمراجع:

- ابن جزري محمد بن أحمد، تقريب الوصول إلى علم الأصول، إعتناء محمد مراي، ط1، الجزائر، دار الإمام مالك، 1434هـ/2013م.

- (_____، _____)، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق عبد الكريم الفضيلي، ط1، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1433هـ/2008م.

- ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمان بن علي بن محمد، صيد الخاطر، الإسكندرية، دار ابن خلدون، د.ت.

- ابن الحاج إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/1990م.

- ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي، المدخل، الجزء الثاني، القاهرة، دار الحديث، 1401هـ/1981م.

- ابن حزم أبو محمد علي ابن أحمد الظاهري، مراتب العلوم، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983م.

- ابن الخطيب لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1400هـ/1980م.

- (_____، _____)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد الثالث، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1395هـ/1975م.

- (_____، _____)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق محمد مختار العبادي وعبد العزيز الأهواني، القاهرة، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر، د.ت.

ثبت المصادر والمراجع:

- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه الأستاذ خليل شحادة وراجعته الدكتورة سهيل زكار، الجزء السابع، ط2، بيروت، دار الفكر، 1421هـ/2001م.
- (—————، —————)، المقدمة، طبعة جديدة منقحة، بيروت، دار الشرق العربي، 1425هـ/2004م.
- (—————، —————)، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عارضه بأصوله وعلق حواشيه: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، الجزائر، 2007م.
- (—————، —————)، شفاء السائل لتهديب المسائل، تحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ، 1996م.
- ابن خلدون يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات، الجزء الأول، ط1، الجزائر، المكتبة الوطنية، 1400هـ/1980م.
- ابن الداية أحمد، الفلسفة السياسية عند العرب، تقديم وتحقيق الدكتور عمر مالكي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، سلسلة دراسات ووثائق، 1980م.
- ابن رشيد السبتي، ملء العيبة، تحقيق ودراسة محمد الحبيب بلخوجة، الجزء الثاني، تونس، 1982م.
- ابن سماك أبو القاسم محمد الملقى الغرناطي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق الدكتور عبد القادر بوباية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010م.
- ابن سحنون محمد، كتاب آداب المعلمين، تقديم وتحقيق مقارن الدكتور محمود عبد المولى، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- ابن الشماخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الدكتور الطاهر بن محمد المعموري، ط1، الدار العربية للكتاب، 1984م.

ثبت المصادر والمراجع:

- ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، حققه وضبطه وشرحه عبد القادر محمد مايو، ط1، منشورات القلم، 1418هـ/1997م.
- ابن عبدون محمد بن أحمد، رسالة في الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، نشر بالمجلة الآسيوية، 1934م.
- ابن العربي أبو بكر، العواصم من القواصم، تحقيق عمار طالي، ط1، الدوحة، دار الثقافة، 1413هـ/1992م.
- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1406هـ/1986م.
- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، طبعة مصورة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1399هـ/1979م.
- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب فيمن ذهب، الجزء الأول، طبعة القاهرة، 1931م.
- ابن فرحون إبراهيم نور الدين، الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنادة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م.
- ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحدي أبو النور، المجلد الأول، القاهرة، دار التراث، تونس، المكتبة العتيقة، د.ت.
- (_____، _____)، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973م-1974م.
- ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن علي القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، 1385هـ/1965م.
- (_____، _____)، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، د.ت.
- ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الجزء 2، القاهرة، دار الريان، د.ت.

ثبت المصادر والمراجع:

- ابن مرزوق محمد، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريّا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود آغا بوعيايد، طبعة خاصة، الجزائر، موفم للنشر، 2011م.
- (_____، _____)، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، الجزء الثاني، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429هـ/2008م.
- بن مصطفى أحمد المشهور بطاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، الجزء الأول، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م.
- بن موسى عياض اليحصبي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، مطبعة فضالة المحمدية، 1981م.
- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب)، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، ط1، بغداد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.
- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان (760هـ-764هـ/1359م-1363م)، عناية وتقديم محمد أحمد باغلي، ط1، الجزائر، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م.
- النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا "تاريخ قضاة الأندلس"، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1400هـ/1980م.

2- المراجع:

- أشقر سعاد، التفسير والمفسرون بالمغرب الأقصى، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1431هـ/2010م.
- أعراب سعيد، مع القاضي أبي بكر ابن العربي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1407هـ/1987م.
- أومليل علي، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، مايو 1996م، ط2، أكتوبر 1998م.

ثبت المصادر والمراجع:

- الإدريسي علي، الإمامة عند ابن تومرت (دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية)، تقديم الدكتور أبو عمران الشيخ، ط1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م.
- إبراهيم فؤاد، الفقيه والدولة (الفكر السياسي الشيعي)، ط1، بيروت، دار الكنوز الأدبية، 1998م.
- أبو الأجفان محمد بن الهادي، الإمام أبو عبد الله محمد المقرئ التلمساني، ط1، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1998.
- أبو الخليل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عهدي المرابطين والموحدين (483هـ/1090م-640هـ/1242م)، ط1، السعودية، دار أصدقاء المجتمع للنشر والتوزيع، 1422هـ/1998م.
- بازمول محمد بن عمر بن سالم، منهج البحث العلمي وكتابته في علم الشريعة، ط1، القاهرة، دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع، دار التوحيد والسنة، 1428هـ/2007م.
- بعيون سهى، إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس (عصر ملوك الطوائف 422هـ-479هـ/1031م-1086م)، ط1، بيروت، دار المعرفة، 1429هـ/2008م.
- بلغيث محمد الأمين، دولة المرابطين بالأندلس، من مدينة السياسة إلى مدينة العلم، ط1، الجزائر، دار الوعي، 2009م.
- بلال صفى الدين، أهل الحل والعقد في نظام الحكم الإسلامي - بحث مقارنة -، ط1، دمشق، دار النوادر، 2008م.
- بوترعة محمود، إشكالية الحكم في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، الجزائر، دار الشيماء للنشر والتوزيع، دار النعمان للطباعة والنشر، 2012م.
- ()، رئيس الدولة في الفكر الإسلامي بين نصوص الشريعة وتراث الفقه، ط1، الجزائر، دار الشيماء للنشر والتوزيع، دار النعمان للطباعة والنشر، 2012م.

ثبت المصادر والمراجع:

- بن بيه محمد محمود عبد الله، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/2000م.

- التهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة (دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري)، دكتوراه دولة في العقيدة الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط1، الجزائر، دار الرسالة للنشر والتوزيع، 1422هـ/2002م.

- (_____، _____)، الأشعرية في المغرب (دخولها، رجالها، تطورها، موقف الناس منها)، ط1، الجزائر، قرطبة، للنشر والتوزيع، 1427هـ/2006م.

- الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها - تطورها - قيمتها، ط1، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، 1420هـ/1999م.

- الثامري إحسان ذنون، الحياة العلمية زمن السامانيين (التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة)، ط1، بيروت، دار الطليعة، للطباعة والنشر، 2001م.

- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

- الحججي عبد الرحمان علي، التاريخ الأندلسي (من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة) 92هـ - 897هـ/711م - 1492م، ط2، دمشق، بيروت، دار القلم، 1402هـ/1981م.

- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، ج2، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، د.ت.

- (_____، _____)، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، ط1، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1998م.

ثبت المصادر والمراجع:

- الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م) -
1465هـ/869م، ط2، دبي، دار القلم، 1987م.
- حمدي سرور إيناس، في تاريخ وحضارة الإسلام في الهند (منذ أواخر القرن السادس الهجري، أوائل القرن
الثالث عشر الميلادي، حتى القرن العاشر الهجري، أوائل القرن السادس عشر
الميلادي)، ط1، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2013م.
- خطيف صابرة، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط1، الجزائر، جسر للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م.
- خلف الله ابتسام مرعي، العلاقات بين الخلافة الموحدة والمشرق الإسلامي (524هـ-936هـ/1130م-
1529م)، ط1، دار العارف، 1405هـ/1985م.
- الدميحي عبد الله بن عمر بن سليمان، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ط1، الرياض، دار طيبة
للنشر والتوزيع، 1408هـ.
- رفاعي إيهاب نبيل، الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الإسلامي، ط1، القاهرة، دار الآفاق
العربية، 2013م.
- روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نيقولا زيادة، ط1، نيويورك، مؤسسة ونكلين للطباعة
والنشر، 1967م.
- سامعي إسماعيل، دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من
القرن 2هـ إلى 5هـ/8م-11م، ط1، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.
- السرجاني راغب، العلم وبناء الأمم، ط1، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1428هـ/2007م.
- (_____، _____)، ماذا قدم المسلمون للعالم (إسهامات المسلمين في
الحضارة الإنسانية)، ج2، ط5، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1431هـ/2010م.
- الشرقاوي سعاد، النظم السياسية في العالم المعاصر، القاهرة، 1428هـ/2007م.
- الشريف محمد، إصدارات في تاريخ الغرب الإسلامي (قراءات نقدية)، ج1، ط1، الرباط، 2005م.

ثبت المصادر والمراجع:

- الصباغ محمد لطفي، المناهج والأطر التأليفية في تراثنا، ط1، المكتب الإسلامي، 1405هـ.
- صبحي صالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط12، بيروت، دار العلم للملايين، 1981م.
- صبحي، في علم الكلام، ج2،
- الصلاحي علي محمد محمد، دولة الموحدين، ط1، المنصورة، مكتبة الإيمان، 1424هـ/2004م.
- (_____، _____)، دولة المرابطين، ط2، المنصورة، مكتبة الإيمان، 2006م.
- طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط2، بيروت، دار النفايس للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م.
- العبادي أحمد مختار، تاريخ العصر الإسلامي الوسيط، ط1، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2013م.
- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة (دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول)، القاهرة، دار الهناء للتجليد الفني، 2008م-2009م.
- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي (41هـ-132هـ/611م-750م) دراسة سياسية، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ/2008م.
- عبيد بوداود، الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13م-15م) ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ط1، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.
- (_____، _____)، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13م-15م) -دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي-، ط1، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003م.
- العثماني ظفر أحمد، قواعد علوم الحديث، تحقيق عبد الفتاح أبو عزة، ط3، بيروت، دار القلم، 1972م.

ثبت المصادر والمراجع:

- العلمي محمد، الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، ط1، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع، 1433هـ/2012م.
- علاوة عمارة، دراسات تاريخية وفكرية، ط1، الجزائر، موفم للنشر، 2008م.
- ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج1، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.
- غوردو عبد العزيز، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدن والسلطة"، ط2، الكويت، دار ناشري النشر الإلكتروني، 2011م.
- فاروق عمر فوزي، تاريخ النظم الإسلامية (دراسة لتطور المؤسسات المركزية في القرون الإسلامية الأولى)، ط1، عمان، دار الشرق للنشر والتوزيع، 2010م.
- فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ط1، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002م.
- القرقوتي معمر الهادي محمد، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (541هـ-629هـ/1146م-1233م)، ط1، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.
- قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، 2011م.
- بن قربة صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ط1، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007م.
- كنون عبد الله، النبوغ المغربي، ج1.
- محمد حلمي عبد الوهاب، ولاية أولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقديم الدكتور رضوان السيد، ط1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009م.
- محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب، أصولها وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

ثبت المصادر والمراجع:

- مرحبا محمد عبد الرحمان، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، تقديم جورج صليبا، ط3، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م.
- معتوق رشاد، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي، مطبوعات معهد البحوث العلمية، وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1997م.
- مغزاوي مصطفى، البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه، ط1، الجزائر، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م.
- المنوني محمد، ورفقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 25 جمادى الأولى 1399هـ/23 أفريل 1979م.
- (_____، _____)، تاريخ الوراقة المغربية في العصر الوسيط (صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة)، ط1، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1412هـ/1991م.
- منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، الرباط، دار المريخ، 1981م.
- بن منصور آمنة، المناظرة في الأندلس (الأشكال والمضامين)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2012م.
- النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م.
- (_____، _____)، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م.
- النعيم رائق محمد عبد العزيز، الفكر السياسي عند الإمام الجويني، ط1، الجزائر، دار البصائر، 1429هـ/2008م.
- ولد داده محمد، مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، دراسة في التاريخ السياسي، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1977م.

ثبت المصادر والمراجع:

3- المعاجم والموسوعات:

-الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، المجلد الرابع، ط2، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، 1995م.

-الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، ط1، مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م.

-سميح غانم، مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 2001م.

-الفيروز آبادي محمد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مراجعة وإشراف الدكتور محمد الإسكندراني، بيروت، دار الكتاب، 1431هـ/2010م.

-الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت.

-ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد12، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ت.

- (—————، —————، —————)، لسان العرب المحيط، تقديم عبد الله العلايل، وبناء يوسف خياط، المجلد الرابع، دار الجيل، 1408هـ/1988م.

4-المجلات والدوريات:

-أمزيان محمد محمد، الدولة السلطانية وازدواجية السلطة المركزية (دراسة حول التطور السياسي لمؤسسة الخلافة)، مجلة آفاق التراث، العدد28، السنة العاشرة، ربيع الثاني1422هـ/يوليو2002م، إصدارات قسم الدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة.

-أولاد ضياف رابح، نشأة المدارس في الإسلام (المدرسة النظامية نموذجاً)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، العدد15، شعبان1434هـ/2013م، إصدارات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

ثبت المصادر والمراجع:

- بشاري لطيفة،علاقة بني عبد الواد(بنو زيان بتلمسان)ببني مرين(المغرب) بين القرنين 07هـ-10هـ/13م،مجلة أفكار وآفاق،العدد03،جانفي-جوان2012م،إصدارات جامعة الجزائر(2).
- بورويبة رشيد،جولة عبر مساجد تلمسان،مجلة الأصالة،العدد1975،26م،الجزائر.
- بوشريط أحمد،الشريف التلمساني وإسهاماته الثقافية،مجلة عصور الجديدة،العدد02،2011م،إصدارات مخبر البحث التاريخي،جامعة وهران.
- بوعياض محمود،العلم والثقافة بالمغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م(العلوم والكتب الأكثر تداولاً)،مجلة الدراسات الإسلامية،العدد01،ربيع الثاني 1423هـ/جوان 2002م،إصدارات المجلس الإسلامي الأعلى،الجزائر.
- بنعلي محمد بوزيان،ظاهرة المختصرات في التراث العربي،مجلة آفاق الثقافة والتراث،السنة الثالثة عشر،العدد التاسع والأربعون،صفر 1426هـ/أفريل 2005م،إصدارات قسم الدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،الإمارات العربية المتحدة.
- بلغيث محمد الأمين،أبو هو موسى وكتابه:واسطة السلوك في سياسة الملوك،مجلة الوعي،العددان3-4،جمادى الأولى والثانية1432هـ/أفريل-ماي2011م،الجزائر،دار الوعي.
- حاجيات عبد الحميد،الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان،مجلة الأصالة،العدد26،1975م،الجزائر.
- حمودي خالد خليل،نشأة المدارس في العصر الإسلامي،مجلة آفاق عربية،العدد01،1978م.
- خرماش محمد،نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث(قراءة في الإصطلاحات التربوية)،مجلة الحضارة الإسلامية،العدد01،السنة الأولى1414هـ/1993م،المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية،وهران.
- زقور أحسن،مدارس المذهب المالكي،مجلة البحوث الإسلامية والدراسات الإسلامية،العدد01،إصدارات مخبر بحث الشريعة،جامعة الجزائر(1)،2004م.
- السيد رضوان،الفكر الإسلامي السياسي،دراسة في تطور التفكير بالدولة،مجلة التسامح،العدد الرابع،السنة الثالثة،1424هـ/2004م،إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،مسقط،سلطنة عمان.

ثبت المصادر والمراجع:

- شاكر زينب عفيفي، طبيعة الملك في الفكر السياسي لابن الأزرقي، مجلة الأحمدية، العدد 05، محرم 1421هـ/أبريل نيسان 2000م، إصدارات دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي.
- الصمدي خالد، مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 01، 1993م، المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، وهران.
- عزوزي حسن، التأليف في القراءات القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 01، 1993م، المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، وهران.
- قريان عبد الجليل، التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان في العصر الوسيط - قراءة تاريخية -، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، جويلية 2014م، إصدارات مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران.
- لعرج عبد العزيز، المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها، مجلة دراسات إنسانية، العدد 01، السنة 1421هـ/2001م، إصدارات كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر.
- (_____، _____)، مجموعة المنشآت المعمارية للسلطان المريني أبي الحسن بالعباد تلمسان (737هـ-749هـ/1336م-1348م)، مجلة دراسات تراثية، العدد 02، 2008م، إصدارات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط حتى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر (02).
- محمد محي الدين، المذهب المالكي بالمغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 05، ديسمبر، 2004م، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان.
- المستعين عبد الباسط، المعالم العمرانية لفاس الجديد المرينية، دورية كان التاريخية، العدد 07، مارس 2010م.
- نايف خالد إسماعيل، الفقهاء والخلفاء، مجلة الحكمة، العدد 08، صفر 1420هـ، بريطانيا.

4- الملتقيات والندوات:

- أبطوي محمد، الأساس الكلامي لمؤسسة الحسبة في المغرب الإسلامي، ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1، الرباط، 2005م.

ثبت المصادر والمراجع:

- أبلاغ محمد، البناء الثقافي للعلوم في مغرب القرنين 13م-14م: ابن البنا-ابن خلدون، بحوث الندوة العلمية الدولية الأولى لتاريخ العلوم في الإسلام، المجلد الأول، أيام 09-10-11 ربيع الأول 1430هـ الموافق 24-25-26 فبراير 2010م، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط.
- البعزاتي بناصر، مآل علم الكلام عند ابن حزم والبايجي، ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1، الرباط، 2005م.
- بوشرب أحمد، أزمت القرن 14م ودورها في تغيير ميزان القوى لصالح الدول المسيحية المشرفة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، أعمال الملتقى الدولي الثاني عن ابن خلدون، من 01 إلى 04 يوليو 1986م، المركز الوطني للدراسات التاريخية، فرندة.
- سيب خير الدين، انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب، أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي (المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس)، 08-09-10 ربيع الثاني 1429هـ/14-15-16 أبريل 2008م، دار الثقافة، ولاية عين الدفلى.
- الصغير عبد المجيد، في الحاجة إلى تاريخ نقدي لعلم الكلام بالمغرب، ندوة الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1، الرباط، 2005م.
- بن مولود وثيق، القاضي أبوبكر بن العربي وإسهامه الفقهي، أعمال الملتقى الوطني الرابع للمذهب المالكي، 08-09-10 ربيع الثاني 1429هـ/14-15-16 أبريل 2008م، دار الثقافة، ولاية عين الدفلى.
- ميغا كنان محمد حمد، البعد السياسي المقاصدي في أجوبة الإمام المغيلي عن أسئلة بعض سلاطين السودان الغربي، أعمال الملتقى الدولي "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقه السياسة والحوار الديني"، يومي 12-13 ربيع الأول 1433هـ/05-06 فبراير 2012م، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- النعسان محمد هشام، خصوصيات تحقيق مخطوطات العلوم الكونية، أعمال الملتقى المغربي الثالث للمخطوطات العلمية، ط1، منشورات البناء الحضاري للمغرب الأوسط حتى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر، 2007م.

-يفوت سالم، المناخ الفكري في الأندلس ودور المالكية في تشكيله، ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1، الرباط، 2005م.

5-المذكرات والأطروحات الجامعية:

- البدنة خلود، الأسر العلمية في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (648هـ-923هـ/1250م-1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 1425هـ.
- بلعرج عبد الرحمان، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول الممالك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/13م-15م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م.
- بوزيدي أحمد، العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله-ظهر المهرز-فاس، 1428هـ-1429هـ/2007م-2008م.
- بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14م-15م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1431هـ-1432هـ/2010م-2011م.
- بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007م-2008م.
- جدو فاطمة الزهراء، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479هـ-635هـ/1086م-1238م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 1428هـ-1429هـ/2007م-2008م.

ثبت المصادر والمراجع:

- بن حمادي عمر، الفقهاء في عصر المرابطين، شهادة التعمق في البحث، إشراف: محمد طالبي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تونس، 1987م.
- بن خيرة نجيب، الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالمشرق (خراسان وبلاد ما وراء النهر) بين القرنين الثالث والخامس الهجريين 205هـ-432هـ/820م-1040م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، 2003م-2004م.
- ديلمى زهير، النظرية السياسية عند الماوردي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004-2005.
- بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 07هـ/13م إلى 10هـ/16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1430هـ-1431هـ/2009م-2010م.
- زكري لامة، الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 07هـ-09هـ/13م-15م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 1430هـ-1431هـ/2009م-2010م.
- سكاكومريم، مكانة علماء تلمسان في المجالس السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14م-15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسن التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م.
- سماح بنت سعيد عبد القادر باحويرث، الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك (648هـ-923هـ/1250م-1517م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1431هـ/2010م.
- سندس زيدان خلف، البعثات العلمية في العصر العباسي (132هـ-400هـ/749م-1090م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية جامعة بغداد، 1425هـ/2004م.

- شوقي نواره، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ-667هـ/1126م-1268م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر (2)، 1428هـ-1429هـ/2007م-2008م.
- العابد عبد الحميد، علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول (132هـ-232هـ/750م-847م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1429هـ-1430هـ/2008م-2009م.
- عياش محمد، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية وآثرية)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005م-2006م.
- كريب زينب عبد الله أحمد، أهل الذمة في العهد الحفصي (626هـ-982هـ/1227م-1574م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2005م.
- مال الله نضال مؤيد عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب (685هـ-706هـ/1286م-1306م) دراسة سياسية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، صفر 1425هـ/نيسان 2004م.
- مكوي محمد، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-737هـ/1236م-1337م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفنون، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1427هـ-1428هـ/2007م-2008م.
- وانس صلاح الدين، علماء الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف (دراسة في أدوارهم العلمية والسياسية 422هـ-479هـ/1030م-1086م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص تاريخ وحضارة، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر (1)، 1431هـ-1432هـ/2010م-2011م.

ثبت المصادر والمراجع:

-ولد خصال سليمان، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ-

962هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، كلية العلوم

الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة الجزائر (1)، 1429هـ/2008م.

-هلال فؤاد، **خطة مشيخة الغزاة (670هـ-783هـ/1271م-1381م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في

التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة

منتوري، قسنطينة، 2008م-2009م.

6-المراجع الأجنبية:

-Bayard Dodge, **muslim education in medieval times**, the middle east institute, Washington, 1962.

-Françoise Micheau, **savoir medical et societepossier d'habilitationa diriger des recherches**, universite dans le proche-orient arabe du 02/07 au 07/12 siecle, Paris, 1995.

-Ezziane Rachid, **Tlemcen la Miraculée**, Alger, edition el maàrifa, 2011.

-Jose Crespo Redodo, **Historia de Marruecos**, Consejeria de educion embajada de Espana, Marruecos.

-Toynbee, A, **La rouse encyclopedia of ancient and medieval history**.

-Marçai-G, et W, **les monuments arabes de Tlemcen**, Paris, 1903.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

03.....	الإهداء.....
04.....	الشكر.....
05.....	مقدمة (نطاق البحث وتحليل لأهم مصادره).....
13.....	فصل تمهيدي: تعريف المصطلحات.....
14.....	1- تعريف العلماء.....
24.....	2- تعريف السلطة.....
39.....	الفصل الأول: الأصول التاريخية لعلاقة العلماء بالسلطة السياسية.....
40.....	1- منزلة العلماء في الدولة الإسلامية.....
41.....	1-1- المنزلة العلمية.....
42.....	1-2- دور العلماء في تنشئة العلماء.....
42.....	1-3- المنزلة الاجتماعية.....
43.....	1-4- منزلة العلماء عند الخلفاء والولاطين.....
45.....	2- طبيعة التأثيرات المتحكمة في علاقة العلماء بالسلطة السياسية.....
47.....	2-1- استشعار العلماء لواجبهم في النصح للأئمة.....
48.....	2-2- تأكيد العلماء على أهمية صلاح الخلفاء لصلاح الأمة.....
48.....	2-3- مكانة الخلفاء لدى العلماء.....
48.....	2-4- رأي العلماء في طاعة الخلفاء والأمرء.....

- 48.....5-2-حدود طاعة السلطان.....
- 55.....3-الأصول الفكرية لصلة العلماء بالسلطة.....
- 56.....3-1-البعد الأشعري.....
- 62.....3-2-البعد المالكي.....
- 70.....الفصل الثاني:العوامل المؤثرة في علاقة العلماء بالسلطة المرينية.....
- 72.....1-العلماء وتأسيس الدولة المرينية.....
- 72.....1-1-أصل بني مرين.....
- 73.....1-2-صيرورة مرحلة التأسيس وتحولاتها.....
- 79.....1-3-دور العلماء في تأسيس الدولة المرينية.....
- 82.....2-العلماء وجهاد المرينين في الأندلس.....
- 83.....2-1-نظرة العلماء للجهاد.....
- 84.....2-2-جهود العلماء في الحث على الجهاد.....
- 86.....2-3-مشاركة العلماء في عمليات الجهاد بالأندلس.....
- 101.....3-العلماء وسياسة بني مرين الوجدوية.....
- 101.....3-1-طبيعة المشروع المريني.....
- 102.....3-2-مسار المشروع المريني.....
- 103.....3-2-1-علاقة المرينيين بالزيانيين.....
- 108.....3-2-2-علاقة المرينيين بالحفصيين.....

- 113.....3-3- دعم العلماء للمشروع المريني وتوجيهه.
- الفصل الثالث: منهج العلماء في المشاركة في الحياة السياسية في العصر المريني.....128
- 1-1- العلماء ومشاركتهم في وظائف الدولة.....131
- 1-1- الوظائف الدينية.....132
- أ- إمامة الصلاة والخطباء.....132
- ب- الفتيا.....136
- ج- القضاء.....139
- د- الحسبة.....148
- 1-2- الوظائف السلطانية.....151
- أ- السفارة.....151
- ب- الكتابة.....153
- ج- المظالم.....157
- 2- مجالات مشاركة العلماء في الحياة السياسية من خلال النصح والوعظ.....160
- 1-2- نصح العلماء لسلطين بني مرين.....161
- 2-2- وعظ العلماء لسلطين بني مرين.....164
- 3- موقف العلماء من أساليب تداول السلطة.....166
- 1-3- طبيعة السلطة المرينية.....167
- 2-3- ولاية العهد.....169

- 170.....3-3-اهتمام العلماء بأمر سلاطين بني مرين.....
- 173.....الفصل الرابع:العلماء والسلطة المرينية من خلال الجهاز التعليمي.....
- 174.....1-إسهام العلماء في دفع عجلة التعليم وأصناف العلوم.....
- 174.....1-1-العوامل المؤثرة في الحياة العلمية في العصر المريني.....
- 190.....2-1-نظام التعليم.....
- 191.....1-2-1-آداب التعليم(التدريس).....
- 193.....1-2-2-أوقات التعليم(التدريس).....
- 193.....1-2-3-مراحل التعليم.....
- 196.....1-2-4-جهود العلماء في دفع عجلة التعليم.....
- 205.....1-3-إسهام العلماء في تصنيف العلوم.....
- 205.....1-3-1-منهج تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي.....
- 208.....1-3-2-تصنيف العلوم في العصر المريني.....
- 212.....1-3-3-قراءة في العلوم المدرسة والكتب الأكثر رواجًا.....
- 216.....2-المؤسسات التعليمية وموقف العلماء منها.....
- 217.....1-2-المساجد والجوامع.....
- 221.....2-2-الكتاتيب.....
- 223.....2-3-الزوايا.....
- 225.....2-4.....

- 232.....موقف العلماء من المؤسسات التعليمية. 2-5
- 239.....أثر العلماء في ازدهار حركة التأليف العلمي. 3-3
- 239.....تعريف التأليف ومقاصده. 1-3
- 241.....دواعي العلماء للتأليف. 2-3
- 243.....موقف العلماء من التأليف. 3-3
- 244.....طبيعة التأليف وأنواعه في العصر المريني. 3-4
- 245.....إحصاء مؤلفات العلماء في العصر المريني. 3-5
- 262.....الخاتمة.
- 267.....الملاحق.
- 287.....قائمة المصادر والمراجع.
- 310.....فهرس الأعلام.
- 331.....فهرس الأماكن والبلدان.
- 340.....فهرس الموضوعات.

إلى 759هـ/1358م، حيث كان للعلماء دور مؤثر في الحياة السياسية والعلمية، سواء بتأسيس الدولة المرينية والمشاركة في مناصبها ووظائفها، كما ساهموا في تطوير نظام التعليم وأصناف العلوم دراسة وتدريساً وتأليفاً، فبفضلهم ازدهرت العلوم الدينية والأدبية والاجتماعية والعقلية، وألّفوا فيها عدداً معتبراً من المصنفات والمؤلفات القيمة التي عكست لنا مدى الازدهار الذي عرفته الحياة العلمية في العصر المريني.

الكلمات المفتاحية: المرينيين-فاس-المغرب الأقصى-العلماء-الفقهاء-العلوم-المدارس-العقيدة-الفقه-الحديث-المنطق-الطب-علم الفلك.

Resume: Cette étude s'intéresse du sujet des savants et pouvoir Mérinide depuis 668h/1269 a759h/1358, par ce que les savants ont fondés l'état Mérinide et ont développés la vie scientifique, en suite ils ont collaborés à développement le système d'enseignement et les sciences, sur tout les sciences islamiques et les science littéraires et les sciences sociologies et les sciences mentalités, et ont assemblés plusieurs livres et classifications qui renversent l'essor de la vie scientifique a l'époque des Mérinides.

Les mots clés : Mérinides-Fés-Maghreb el Aqsa-les savant-les foukahas-les sciences-les écoles-dogmatique-el fikh-el hadith-la logique-médecine-astronomie.

Summary : This study has a great deal white the subject of scientists and power Marinid during the 668h/1269-759h-1358, where scientists dormather in the political and scientific life, whetere founded Marinid state or to participate in their posts and functions also contributed to the development of education and varieties of science system study and instruction and synthesizes vpfdlilm flourished religious, literary, social and mental science and familiar whit where a significant number of works and the literature value that reflected us how the boom boom scientific life in the era pein.

Key words: Meridinide-Fas-Morocco Far-scientists-scholars-school-science-faith-fikh-hedith-logic-medicine-astronomy.